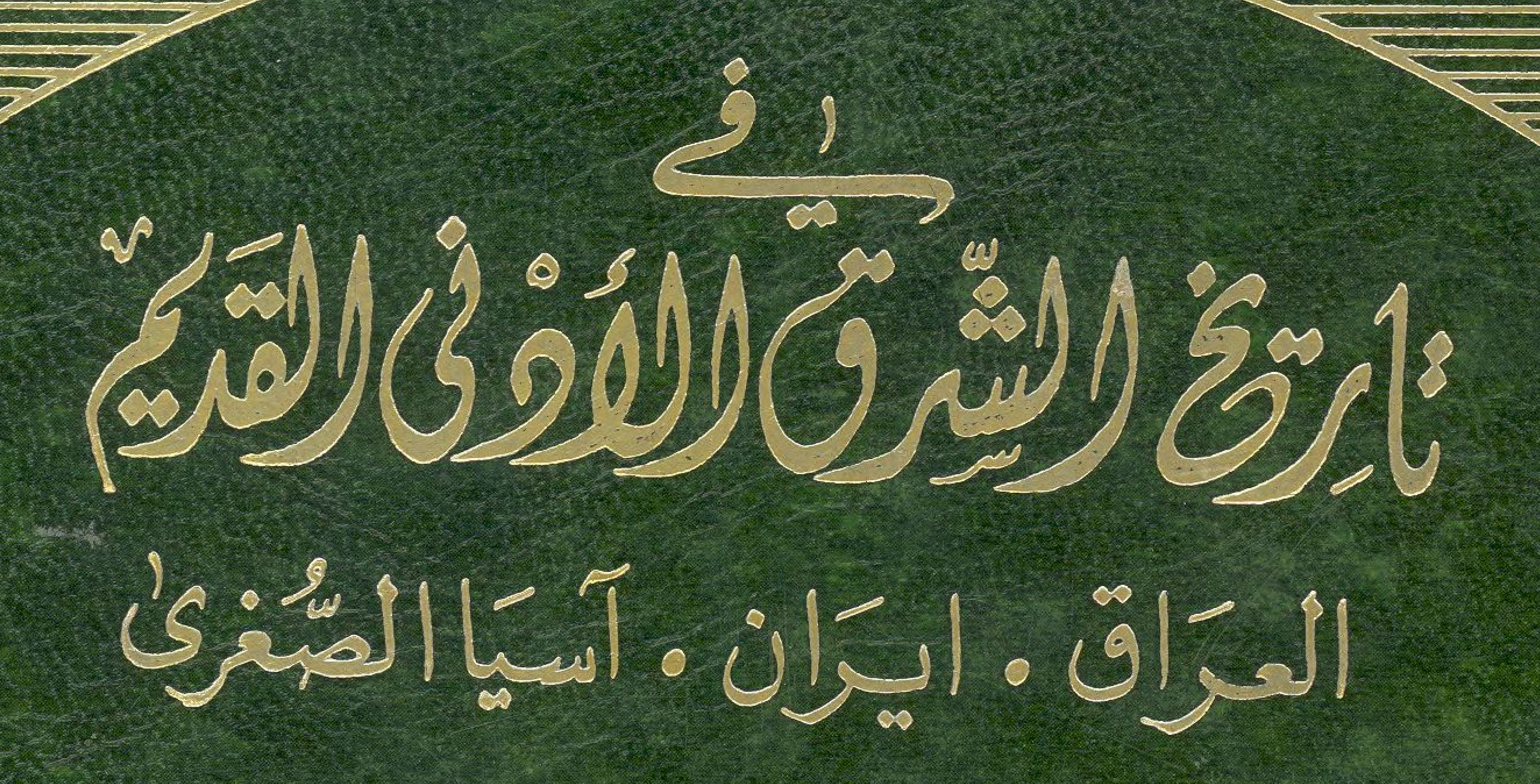



في تاريخ الشرق الأدنى القديم


العراق . ايران . آسيا الصغرى

دكتور

أحمد أمين سليم

دار النهضة العربية ـــــ بيروت . لبنان







في
تاريخ الشرق الأدنى القديم

العراق - إيران - آسيا الصغرى



في
تاريخ الشرق الأدنى القديم

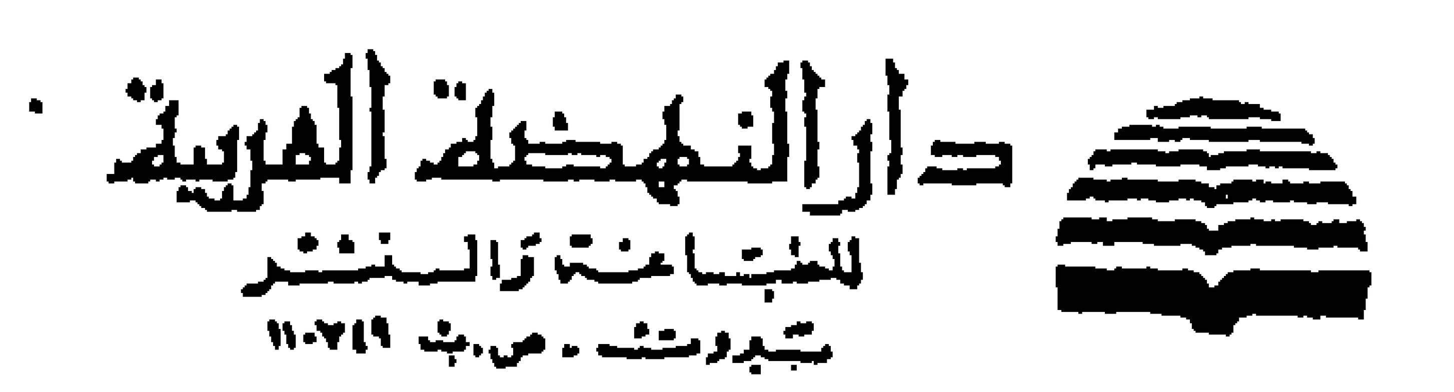
العراق - إيران - آسيا الصغرى

دكتور

أحمد أمين سليم

أستاذ التاريخ القديم المساعد

بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية وبيروت العربية



دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت . ص.ب ٧٤٩-١١

* الإدارة : بيروت ، شارع مدحت باشا ، بناية كريدية ، تلفون : ٣٠٣٨١٦/ ٣٠٩٨٣٠
برقياً : دانهضة ، ص . ب ٧٤٩-١١
تلكس : NAHDA 40290 LE
29354 LE

* المكتبة : شارع البستاني ، بناية اسكندراني رقم ٣ ، غربي الجامعة العربية ، تلفون : ٣١٦٢٠٢

* المستودع : بئر حسن ، تلفون : ٨٣٣١٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾

مقدمة

يمثل تاريخ العراق وإيران وآسيا الصغرى مراحل هامة في تاريخ الشرق الأدنى القديم، فلقد تكونت في هذه المناطق دول وإمبراطوريات كان لها دورها الكبير في شعوب هذه المنطقة ودولها.

ويتكون هذا المؤلف من ثلاثة أبواب رئيسية، يتصل الأول منها بتاريخ العراق القديم، وهو يتكون من مقدمة تمهيدية وسبعة فصول رئيسية، قمت في الفصل الأول منها بدراسة عامة تمهيدية لعصور ما قبل التاريخ في العراق القديم، وتناولت في الفصل الثاني تاريخ السومريين وأصلهم مغ تتبع مراحل الصراع بين دويلات المدن السومرية. ويتصل الفصل الثالث بالعصر الأكدي الذي يمثل سيادة العنصر السامي في العراق القديم، وأنهيت هذا الفصل بالعصر الجوتي. ويتناول الفصل الرابع العصر السومري الحديث، أو عصر الأحياء السومري والذي كانت السيادة فيه لأسرة لجسن الثانية وأسرة الوركاء الخامسة وأسرة أور الثالثة، وينتهي هذا العصر بظهور أسرتي آيسين ولارسا، كما كانت هناك كذلك مملكة أشنونا. أما الفصل الخامس فإنه يتناول

العصر البابلي القديم، وهو يمثل انتقال السيادة إلى مدينة بابل، وكان من أهم ملوك هذه الأسرة المشرع العظيم حمورابي، وتعتبر الدولة البابلية الأولى أولى مراحل هذا العصر، ويليها مملكة بابل الثانية (أسرة القطر البحري الأولى)، ثم مملكة بابل الثالثة (الدولة الكاشية). ويتناول الفصل السادس تاريخ الأشوريين منذ أقدم عهودهم وحتى نهاية دولتهم. أما الفصل السابع والأخير، فلقد تناولت فيه العهد البابلي الأخير أو المملكة الكلدانية.

ويتصل الباب الثاني بتاريخ إيران القديم، وهو يتكون من ستة فصول رئيسية، يتناول الفصل الأول منها جغرافية إيران ومواردها الطبيعية، ويتناول الفصل الثاني المصادر التي يعتمد عليها الباحث في دراسته لتاريخ وحضارة إيران القديم، وهي تتكون من المصادر الأثرية ثم ما سجله المؤرخون والرحالة اليونان والرومان، والمصادر المعاصرة في منطقة الشرق القديم، ثم المصادر الدينية الفارسية والتوراة والقصص الفارسي. ويتناول الفصل الثالث دراسة لعصور ما قبل التاريخ في إيران ويتناول العصر الحجري القديم، والعصر الحجري الوسيط، والمرحلة الحضارية الأولى والمرحلة الحضارية الثانية ثم المرحلة الحضارية الثالثة، ويتناول الفصل الرابع تاريخ إيران القديم أثناء الألف الثالث قبل الميلاد، ويتصل الفصل الخامس بتاريخ إيران في الألف الثاني قبل الميلاد، أما الفصل السادس والأخير، فإنه يتناول تاريخ إيران منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد وحتى مجيء الإسكندر الأكبر.

ويتناول الباب الثالث آسيا الصغرى، وهو يتكون من مقدمة تمهيدية تناولت فيها جغرافية آسيا الصغرى وتسميتها والمصادر التي يعتمد عليها المؤرخ في دراسة تاريخها ثم ثلاثة فصول، تناولت في الفصل الأول منها دراسة لعصور ما قبل التاريخ، وفي الفصل الثاني عصر الدولة القديمة، أما الفصل الثالث فإنه يتصل بعصر الأمبراطورية.

وأخيراً فإنني أرجو من الله العلي القدير أن أكون قـد وفقت فيما هـدفت إليه من هذا الكتاب، وعلى الله قصد السبيل.

﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنـا ولا تحمل علينـا إصراً كمـا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعفو عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾

صدق الله العظيم

(سورة البقرة آية ٢٨٦)

بيروت في يناير (كانون الثاني ١٩٩٠)

الباب الأول

تاريخ العراق القديم



المقدمة

يشكل العراق القديم المنطقة الممتدة من هضبة أرمينيا في الشمال، حيث ينبع نهرا دجلة والفرات، حتى الخليج العربي في الجنوب، ومن الفرات غرباً حتى ما وراء الدجلة شرقاً. ويعتمد السكان في صميم حياتهم على نهري الفرات ودجلة نظراً لقلة الأمطار وعدم كفايتها للإنتاج الزراعي. وينبع النهران من جبال أرمينيا في الشمال، ثم يتجهان نحو الجنوب والجنوب الشرقي حتى يصبان في الخليج العربي. ويحدث الفيضان السنوي لهما في شهري مايو ويونية من كل عام، وتختلف طبيعة هذا الفيضان من عام لآخر مما يجعل الاعتماد عليه أمراً صعباً، كما يمثل أحياناً خطراً داهماً قد يصل إلى حد غمر الكثير من أراضي القسم الجنوبي من البلاد حيث يقترب مجرى النهرين، وتتسبب الفيضانات في تدمير القرى وتهديد الحياة في هذه المنطقة. ومن ناحية الطبيعة الجغرافية، فإن العراق ينقسم إلى قسمين رئيسيين:

١ ـ القسم الشمالي:

وتغلب عليه الطبيعة الجبلية، إذ تكثر المرتفعات وخاصة في قسمه الشمالي الشرقي الذي تتخلله وديان نهر دجلة وفروعه، ويفصله عن الجهات التي تقع أبعد من ذلك شمالاً سلسلة جبال طوروس وهضبة إرمينيا. ويطلق على معظم أجزاء هذا القسم ـ باستثناء الأطراف الشمالية الجبلية ومنطقة الشمال الغربي فيما بين الخابور والفرات ـ تسمية أرض آشور، نسبة إلى مدينة آشور التي كانت من أهم المدن الشمالية.

واقتصر الإنتاج الزراعي على تخوم مجرى نهري دجلة والفرات باستثناء منطقة الشمال الغربي فيما بين الخابور وثنية الفرات إذ تجرى فيها مجموعة أنهار الخابور وبالخ والفرات، ومنطقة سفوح جبال أرمينيا التي تتوافر فيها المجاري المائية والأمطار.

٢ ـ القسم الجنوبي:

وهو حديث التكوين من الناحية الجيولوجية، لأنه كان جزءاً من الخليج العربي ثم غمرته الرواسب التي جاد بها نهرا دجلة والفرات من المناطق الجبلية في الشمال، وهو يبدأ على وجه التقريب عند بغداد الحالية ويمتد جنوباً حتى الخليج العربي.

ويمكن تقسيم القسم الجنوبي حسب طبيعته الجغرافية إلى عدة أقسام، تبدأ بمنطقة مصب النهر في أقصى الجنوب، وتمتد من منطقة التقاء النهرين حتى الخليج العربي، يليها شمالاً منطقة الأحراش وهي تشغل المجريان االأدنيان لنهري دجلة والفرات، وتنخفض أرض هذه المنطقة مما يؤدي إلى ارتفاع منسوب المياة فيها مما جعلها ملأى بالأحراش والمستنقعات، ويليها منطقة الدلتا، وهي تشغل معظم القسم الجنوبي، ويخترقها العديد من القنوات، كما تغمرها الفيضانات السنوية للنهرين. وإلى الشمال من منطقة الدلتا توجد منطقة السهل، ويقترب فيها مجرى نهري دجلة والفرات إلى أدنى حد، وتتعرض هذه المنطقة لأعنف الفيضانات التي تصل غالباً إلى حد التدمير.

ويتضح من ذلك، أنه واجهت الإنسان في جنوب العراق صعوبات بيئية عديدة استلزمت منه العمل الدؤوب الدائم في تجفيف المستنقعات وشق القنوات وتطهيرها وإقامة الجسور، ولعل ذلك يفسر سبب اتجاه الإنسان في العصر الحجري الحديث في مطلع الألف السادس ق. م إلى الاستقرار في القسم الشمالي من العراق.

وقد عرف القسم الجنوبي في بداية العصر التاريخي في العراق القديم

باسم «أرض سومر واكد»، وتعني أرض سومر نصفه الجنوبي الممتد حتى الخليج العربي، أما أرض أكد، فهي نصفه الشمال الذي يصل إلى حدود بغداد. وفي بداية الألف الثاني ق. م. عرف هذا القسم باسم أرض بابل، وظلت هذه التسمية علماً على المنطقة بعد ذلك.

ولقد بدأ الاهتمام بآثار وحضارة العراق القديم منذ أواسط القرن السابع عشر وذلك عندما أحضر النبيل الإيطالي بيترو ديللافال Pietro della valle من مدينتي بابل وأور بعض قطع الآجر المنقوش، ونشر لأول مرة نسخاً لنقوش أخرى من برسبوليس في جنوب غرب إيران، وأطلق على هذه الكتابة إسم «الكتابة الأسفينية» أو «المسمارية».

وفي سنة ١٧٦١ أرسل ملك الدانمرك بعثته العلمية إلى الشرق والتي تكونت من خمسة أعضاء برئاسة كارستن نيبور، وتمكنت البعثة من نسخ نقوش جديدة من برسبوليس عام ١٧٧٨، ولاحظ أنها مكتوبة بثلاثة أشكال مختلفة من الكتابة المسمارية، واستنتج أن كل نقش يتناول موضوعاً واحداً كرر ثلاث مرات ليمثل كتابة الأقسام الثلاثة الرئيسية في الأمبراطورية الفارسية وهي فارس وعيلام وبابل. وأثارت هذه النقوش اهتمام علماء اللغات فبذلوا جهودهم في محاولة تفسيرها. كما بعث الفضول في نفوس كل من يأتي إلى الشرق يحاول البحث والتنقيب في مناطقه الأثرية لجمع ما يمكن جمعه من آثار وينسخ ما يمكن نسخه من الآثار التي لا يمكن نقلها.

ومن أشهر من قام بهذا العمل القس الفرنسي جوزيف دي بوشام Joseph de Beaichamp عام ١٧٨٦، والقنصل البريطاني في بغداد جيمس ريتش James Rich عام ١٨٠٧م.

وفي عام ١٨٣٥ بدأ رولنسون H. C. Rawlinson نسخ نقش طويل للملك الفارسي دارا الأول منحوت في صخرة عالية عند بيهستون في إيران. ويتضمن هذا النقش رسماً لدارا الأول ونصاً يقع في ثلاثة عشر عموداً دونت بالكتابات المسمارية الثلاث التي كتبت بها نصوص برسبوليس. وقام منذ عام ١٨٤٦ بنشر ترجمة هذه النصوص، وأصبح في الإمكان تفسير النقش المدون

بالفارسية القديمة وساعد ذلك على التوصل لحل رموز النقشين العيلامي والبابلي وبالتالي أمكن التوصل لقراءة النصوص المسمارية وتفسيرها. وتواصلت جهود العلماء للكشف عن أسرار رموز الكتابات العراقية، ومن هذه الجهود ما قام به العالم الإيرلندي هينكس Hinckes والفرنسي أوبير J. Oppert في عام ١٨٥٠ والإنجليزي تالبوت F. Talbot عام ١٨٥٧.

وفيما يتصل بأعمال التنقيب الأثري في العراق، فقد بدأت أعمال الحفائر في القسم الشمالي البعثة الفرنسية عام ١٨٤٢ ـ ١٨٤٥ وذلك برئاسة بوتا P. E. Botta القنصل الفرنسي في الموصل، وذلك في موقع نينوى القديمة وفي خورسباد، حيث تمكن من الكشف عن قصر سرجون الثاني في خورسباد. وجاء بعده الإنجليزي لايارد A. H. Layard في عام ١٨٤٥ حيث قام بحفائره في تل نمرود (كالح القديمة) ونينوى حيث كشف عن بقايا مباني وقصور. وفي عام ١٨٥٤ م خلف هرمزد رسام H. Rassam لايارد في أعمال الحفائر وكان معاوناً له، وقد تمكن من الكشف عن المكتبة الضخمة التي ألحقها الملك الأشوري أشور بانيبال (٦٦٨ ـ ٦٢٦ ق. م) بقصره في العاصمة نينوى، والتي ضمت ما يزيد على العشرين ألف من الألواح الطينية التي جمعها من كافة أنحاء البلاد.

وبدأت التنقيبات الأثرية في القسم الجنوبي من العراق بحفائر القنصل الفرنسي بالبصرة E. de Sarzec وذلك في موقع مدينة لجش القديمة عام ١٨٧٧م، ودخل الأمريكيون ميدان البحث الأثري في جنوب العراق منذ نهاية القرن التاسع عشر (١٨٩٩ ـ ١٩٠٠) حيث كشفوا عن مدينة نيبور العاصمة الدينية للسومريين. وتتابعت بعد ذلك البعثات الأثرية، وكان من أبرزها البعثات الألمانية التي كشفت عن العديد من المدن القديمة في جنوب العراق وشماله. وكثرت أعمال الحفائر بعد الحرب العالمية الثانية، وشاركت مديرية الآثار العراقية في أعمال الحفائر، وكان لهذه الحفائر آثارها في الكشف عن الكثير من النواحي السياسية والحضارية لتاريخ وحضارة العراق القديم.

ويعتمد المؤرخ في دراسته لتاريخ العراق القديم على العديد من المصادر التي يأتي في مقدمتها الحوليات الملكية والوثائق البابلية والأشورية المكتوبة على اللوحات الطينية والحجرية والنقوش الجدارية والأسطوانات وبالإضافة إلى هذه الوثائق فهناك كتابات المؤرخ الوطني «بيروسوس» Berosus وهو كاهن عاش في عهد الإسكندر وتعتبر كتاباته المصدر الرئيسي للعصر المتأخر من التاريخ البابلي. ولكن لم يصلنا من كتاباته سوى القليل ممن أخذوا عنه، ومن أهم هؤلاء «الكسندر بوليهستور» Alexander Polyhistor و «يوسبيوس» Eusebius .

ويعتمد المؤرخ كذلك على كتابات المؤرخين والرحالة اليونان والرومان، ولعل من أهم هؤلاء نشير إلى كل من هيرودوت وكتسياس Ktesias واسترابو.

وفيما يتصل بالمؤرخ هيردوت Herodotus (٤٨٤ - ٤٢٥ ق . م تقريباً) فقد سجل مشاهداته والأحداث المعاصرة له في العراق القديم وتتصل بالعصر المتأخر أما عن العصور البعيدة عن عهده فكانت كتاباته بعيدة عن الدقة إلى حد بعيد. أما كتسياس فكان طبيباً في بلاط الملك اردشير الثاني الذي أطلق عليه اليونان ارتكسركسيس الثاني (٤٠٤ - ٣٦٠ ق . م)، وقد كتب مؤلفه في التاريخ الذي أطلق عليه Persika في ثلاثة وعشرين كتاباً، ويغلب على الظن أن اعتمد في تسجيله على وثائق وطنية. وقد عالج الحضارة المعاصرة، ولكنه اهتم كذلك بالتراث الأسطوري أكثر من اهتمامه بالرواية التاريخية الصحيحة حتى أن ما يقدمه يعد أقرب إلى الخرافة بالنسبة لدارس التاريخ. ومع ذلك فلم يبق شيء من كتاباته، وإن خلدتها كتابات غيره ممن نقلوا عنه واعتمدوا عليه كمصدر، ومن أشهرهم ديودور الذي يعد ما كتبه ممثلاً للآراء السارية في العصور الكلاسيكية عن الأشوريين.

أما سترابو Strabo (٦٣ - ٢١ ق . م تقريباً) فتتميز كتاباته بأنها نوع من الجغرافية التاريخية، وينقسم مؤلفه إلى سبعة عشر جزءاً وزع عليها أقاليم

العالم ، ومن بينها العراق ، وتتميز كتاباته بالموضوعية والبعد عن العاطفة .

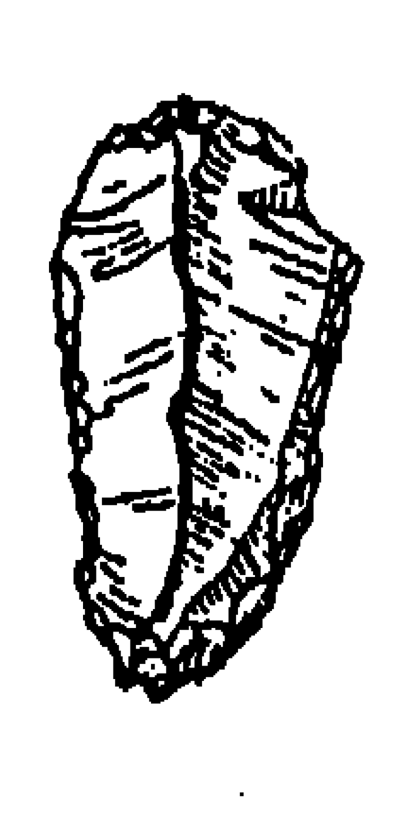
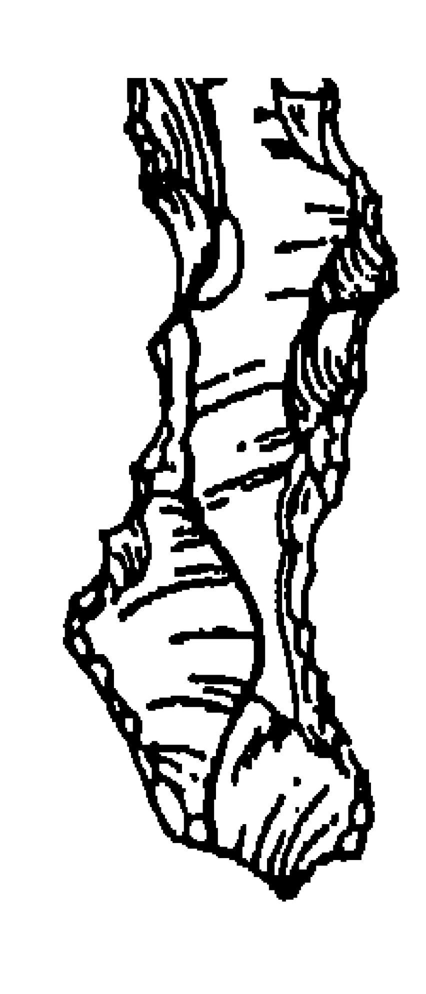
ويعتمد المؤرخ كذلك على ما ورد في التوراة ويتصل بتاريخ العراق القديم إلا أنه يجب توخي الحيطة والحذر فيما تقدمه التوراة من معلومات نظراً لعدم بعدها عن الهوى وتأثر كاتبيها بعلاقات ملوك العراق باليهود ومعاملتهم لهم .

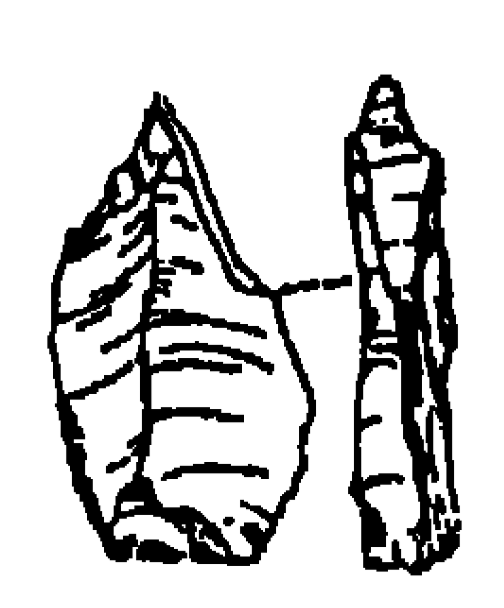
ويستطيع المؤرخ من خلال هذه المصادر جميعها تتبع تاريخ العراق القديم في مجمله ، إلا أنه لا يمكننا أن نزعم أننا نحيط بكل الدقائق والتفصيلات الخاصة به ، إذ أن هناك فترات من التاريخ العراق القديم لا تزال معلوماتنا عنها مبعثرة وبها الكثير من الفجوات التي تنتظر المزيد من الوثائق لملئها .

وسنقوم في الفصول الآتية بدراسة تاريخ العراق القديم منذ أقدم عصوره ، وسنبدأ الدراسة بتتبع ملامح الإنتاج الحضاري للإنسان العراقي في عصور ما قبل التاريخ .

الفصل الأول

عصور ما قبل التاريخ



(شكل ١) أدوات حجرية من كهف شايندار.

١ ـ العصر الحجري القديم :

عثر على آثار العصر الحجري القديم (مرحلة جمع الطعام) في شمال العراق ، أما في القسم الجنوبي من العراق ، فإن الوصول إلى مخلفات هذا العصر هو أمر بالغ الصعوبة ، وذلك نظراً لأن هذا القسم كان مغطى بالمياه ، وظل كذلك حتى عصر حضارة العبيد أو ما قبل ذلك بقليل ، أي إلى ما قبل أواخر الألف الخامس قبل الميلاد.

ويلاحظ أنه لم يعثر على أدلة أثرية ترجع إلى مرحلة العصر الحجري القديم الأسفل ، وأن قدم المخلفات الأثرية ترجع إلى المرحلة التالية من مراحل العصر الحجري القديم ، والتي تعرف باسم «العصر الحجري القديم الأوسط» ويتميز الإنتاج الحضاري لهذه المرحلة في ظهور أدوات حجرية مشتقة من الفؤوس اليدوية ، وهي الشظايا ، وتتميز هذه الأدوات الحجرية بصغر حجمها وتنوع أشكالها حتى تمكن الإنسان من تحقيق أغراضه المختلفة ، وقد صنعها الإنسان بفصلها عن النواة الأصلية لكي تؤدي وظيفة القطع التي يحتاج إليها ، وتعرف هذه المرحلة بالنسبة للحضارات الأوروبية باسم «الحضارة الموستيرية» نسبة إلى كهف موستييه بفرنسا .

وقد عثر على المخلفات الأثرية التي ترجع إلى هذه المرحلة في عدد من المواقع التي تقع في شمال شرق العراق مثل موقع «برده بالكه Barda - Balka » الذي يقع شرق جمجمال بحوالي كيلومترين ونصف[١] . وموقع كهف

(١) Wright, H. E., and Howe, B., Preliminary Report on Soundings at Barda Balka", in Sumer, vol. 7 (1951), PP. 107 - 111.

«هزار مرد Hazar Merd» سياقرب من السليمانية.

ومن المواقع الهامة التي ترجع إلى هذه المرحلة كهف «شانيدار Shaindar»[1] إلى الجنوب الغربي من بحيرة أورمية، وقد كشف في أرضية هذا الكهف عن أربع طبقات أثرية متعاقبة، عثر في أقدمها (الطبقة D) على بقايا أدوات حجرية ترجع إلى مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط كما عثر على أربعة هياكل عظيمة مهشمة لإنسان نياندرثال، وكان أحد هذه الهياكل لطفل.

وفيما يتصل بمرحلة العصر الحجري القديم الأعلى التي تعتبر نهاية العصر الحجري القديم، فتتمثل فيها التجارب الطويلة للإنسان خلال مرحلة العصر الحجري القديم، وتتميز هذه المرحلة بظهور صناعة حجرية جديدة هي صناعة الأسلحة النصلية، وهي عبارة عن أدوات حجرية دقيقة وحادة تمكن الإنسان من صنعها بصورة تفوق دقة عن مجهوداته السابقة وتعرف باسم الأسلحة الميكروليثية، أي الحجرية الدقيقة.

وعثر على الإنتاج الحضاري لمرحلة العصر الحجري القديم الأعلى في العراق في الطبقة الأثرية الثانية من كهف شانيدار (الطبقة ٢) (شكل ١)، وعثر عليه كذلك في بعض كهوف منطقة السليمانية، ومن هذه الكهوف، كهف «زرزي Zarzi»[2]، والذي تتميز أدواته التي كشف عنها بتفوق ملحوظ في تقنية الصناعة ووفرة الأدوات التي عثر عليها وتنوعها، فهي تتضمن الأزاميل والنصال المسننة ورؤوس السهام، ويلاحظ أن بعض هذه الأدوات تتميز بصغر حجمها وتتضمن بعض الأسلحة القزمية، وعلى ذلك فإنه يرجح أن الإنتاج الحضاري لكهف زرزي يمثل المرحلة الأخيرة من العصر الحجري القديم الأعلى.

---

(١) Solecki, R. S., "Shanidar Cave, a Palaeolithic Site", In Sumer, Vol. 8, (1952), P. 127 FF.,
Solecki, R. S., "Shindar Cave, Apalaeolithic Site in Northern Iraq and its Relationships to the stone Age Sequences of Iraq", in Sumer Vol. 11, (1955), P. 14 FF.

(٢) Garrod, D. A. E., "PrimitiveMan in Egypt, Western Asia, and Europ in Palaeolithic Times" In C. A. H., vol. I, part I, 1970, P. 89.

٢ ـ العصر الحجري المتوسط:

يعتبر العصر الحجري المتوسط مرحلة انتقال ما بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث الذي احترف فيه الإنسان الزراعة واستقر في قرى. ويمتد العصر الحجري المتوسط Mesolithic من حوالي عام ١٠,٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ ق. م. ويتميز الإنتاج الحضاري فيه بكثرة ظهور الأسلحة القزمية ومارس الإنسان خلاله حرفة الرعي، وقرب نهايته بدأت بعض مظاهر الإنتاج الحضاري المتصلة بالزراعة مثل المناجل والأجران، وبناء بعض الأكواخ البيضاوية من أغصان الأشجار، وتشكيل بعض تماثيل آلهة الأمومة. ولم ترق هذه الصناعات تماماً في مفهومها المادي والفكري إلى إنتاج العصر الحجري الحديث إذ افتقرت إلى حفظ بقايا الحبوب التي تعبر عن احتراف العمل الزراعي، مما يرجح أن الأدوات الزراعية من العصر الحجري المتوسط قد استخدمت في زراعة برية غير مستقرة، كما لا تعبر المادة الهشة التي صنع منها المنزل عن استقرار كامل بجوار الأرض[١].

وعثر على الإنتاج الحضاري الخاص بمرحلة العصر الحجري المتوسط في العديد من المواقع في العراق ومن هذه المواقع موقع «زاوي شامي Zawi Chemi»[٢] الذي يبعد عن كهف شانيدار بحوالي أربعة كيلومترات، وتقع قرية زاوي في منطقة سهلية مكشوفة تحيط بها المرتفعات، وتشغل مساحة محدودة للغاية، إذ لا يتجاوز امتدادها ٢٧٥ × ٢١٥ متراً، وربما كانت منطقة استقرار فصلية يمضي فيها السكان فترة الصيف ثم ينتقلون في فصل الشتاء إلى كهف شانيدار المجاور.

وقد عثر في موقع زاوي شامي على بقايا أكواخ دائرية، ويتبين من بقايا

---

(١) محمد عبد اللطيف محمد علي: تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث ق. م، الإسكندرية، ١٩٧٧م، ص ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) Solcki. R. L., "Zawi Chemi Shanidar, a post - pleistocene village site in Northern Iraq." In report of the VI th Intern.Congress on Quaternary, Warsaw, 1961, vol. IV, P. 405.

عظام الحيوانات التي عثر عليها إن الإنسان في هذا الموقع قد اعتمد على صيد واستئناس الحيوان كمصدر أساس للغذاء، إذ عثر على عظام الماعز والأغنام والغزلان والوعول. وبالرغم من العثور على بعض الأدوات الخاصة بالزراعة وتجهيز الطعام كالأجران والمطاحن اليدوية، إلا أنه يحتمل أن إنسان هذه القرية كان لا يزال يعتمد في غذائه على النباتات البرية.

وتعد قرية زاوي شامي من أقدم مناطق الاستقرار في العراق القديم، إذ يعود تاريخها ـ اعتماداً على الكربون ١٤ ـ إلى أواخر الألف العاشر وبداية الألف التاسع قبل الميلاد، ويعبر إنتاجها الحضاري عن المحاولات الأولى في التوصل للعمل الزراعي وتجهيز الطعام واستئناس الحيوان، وهي المحاولات التي مهدت للمرحلة التالية في العصر الحجري الحديث، وتعتبر هذه المحاولات من أهم السمات المميزة للعصر الحجري المتوسط.

ومن المواقع الأخرى التي تمثل مرحلة العصر الحجري المتوسط في العراق القديم، موقع «كريم شاهر Karim Shahr »[1]، الذي يبدو مرجحاً أنه كان منطقة استقرار فصلي فقط، وأهم ما يتميز به الإنتاج الحضاري لهذا الموقع وجود المناجل الحادة المصنوعة من الظران، كما عثر على تمثالين صغيرين مصنوعين من الطين. ويلاحظ أنه لم يكشف في مخلفات هذا الموقع عن بقايا واضحة للمنازل.

وبينما يتصل بموقع ملفعات M'Lefaat [2]، فيؤرخ إنتاجه الحضاري بنهاية الألف السادس ق. م، وهو يقع بين الموصل وأربيل ويوضح إنتاجه الحضاري أنه يرجع إلى نهاية مرحلة كريم شاهر، ومن المخلفات الأثرية التي كشف عنها في هذا

---

(١) Braidwood, R. J., and Howe, B., "Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan", In Oriental Institute of the University of Chicago, series in Ancient Oriental Civilization. Chicago. 1960, P. 52, 170, Pls. 22 ff.

(٢) Mellaart, J., "The Earliest Settlements In Western Asia from the Ninth to the End of the Fifth Millennium B. C.", In C. A. H., vol. I, part I, (1970), p. 257.

الموقع بقايا جدران حجرية غير منتظمة لمساكن اتخذت الشكل البيضاوي، وعثر في بقاياه على العديد من الطبقات التي احتوت بقايا أثرية لشاغليها تشبه في نوعيتها الإنتاج الحضاري لموقع كريم شاهر.

٣ ـ العصر الحجري الحديث:

تعتبر مرحلة العصر الحجري الحديث من أهم المراحل في حياة الإنسان، فقد اتخذ الإنسان منذ هذا العصر الزراعة حرفة له، وأدى ذلك إلى الاستقرار وظهور المجتمع القروي، مما أدى إلى نشأة نوع جديد من تفكير الإنسان وسلوكه في مختلف مظاهر حياته وذلك على أساس المبادىء والأسس التي يقوم عليها المجتمع الجديد. فمجتمع العصر الحجري الحديث يقوم على أساس الاستقرار الزراعي وليس على أساس الانتقال من مكان إلى آخر. وقد أدى هذا الوضع الجديد إلى تطور في السلوك الإنساني فأصبح التعاون بين مختلف الأفراد ضروري للمعاونة في فلاحة الأرض والدفاع عنها، وقد تطور هذا النوع من التفكير إلى وجود شعور بالارتباط بالأرض المزروعة مما أدى إلى الشعور بالوطنية المحلية، وكان ذلك بداية نشأة القرى في العصر الحجري الحديث[1].

واستغل الإنسان في هذه المرحلة الإمكانيات المتاحة في بيئته في صناعة أدواته وتشييد منازله، فشيد منازله في أول الأمر من الطين المتوفر في بيئته الزراعية، وصنع منه كذلك الأواني الفخارية التي استخدمها في مختلف شؤونه المنزلية. وكان لاستقرار الإنسان خلال هذا العصر أثره في تطور المفاهيم الفكرية الأولى للإنسان وخاصة فيما يتصل بعبادة الآلهة والإيمان بعالم آخر.

ويتمثل العصر الحجري الحديث في العراق في مرحلتين حضاريتين رئيسيتين هما عصر حضارة جرمر وعصر حضارة حسونة.

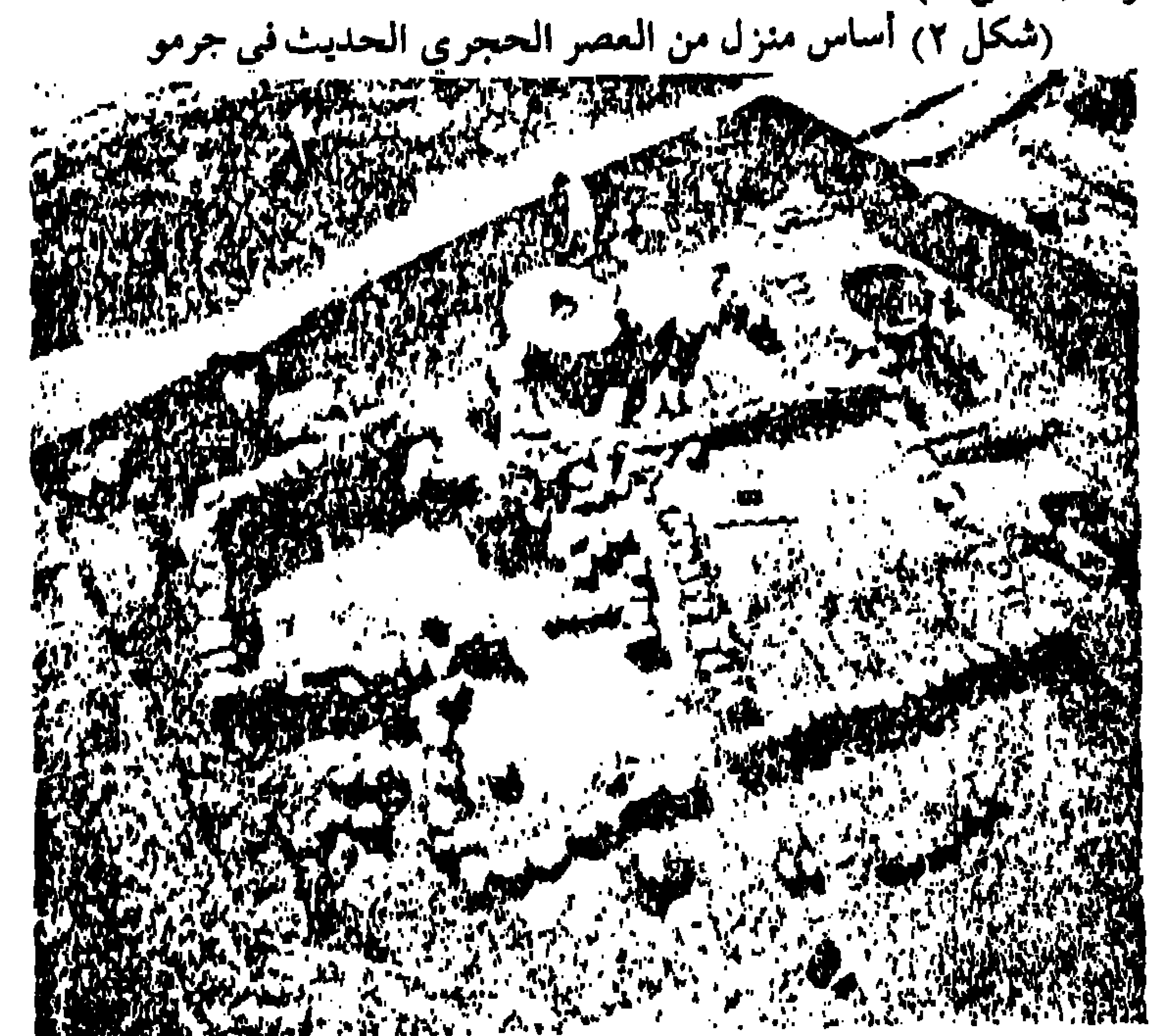
---

(١) رشيد الناضوري: المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا، الكتاب الأول، بيروت، ١٩٧٧، ص ١١٩.

وتعتبر قرية جرمو[1] التي تقع شرق كركوك من أقدم قرى العصر الحجري الحديث في العراق، وتؤرخ حضارتها بأكثر من ٦٠٠٠ ق. م ولكنها لا تتعدى ٧٠٠ ق. م. ويتكون موقع جرمو من ست عشرة طبقة أثرية تمثل مراحل تطور هذه الحضارة، وقد كشف في الطبقات الأثرية الأولى والتي تعرف بالمرحلة السابقة للصناعات الفخارية على الأدلة التي توضح توصل الإنسان إلى مرحلة الزراعة والاستقرار. فقد عثر على حبوب القمح المتكربنة، وأحياناً انطباعات تلك الحبوب في الأرضية الطينية للأفران. وقد استأنس الإنسان الماعز والكلاب وربما الأغنام والخنازير كذلك.

وقد شيدت المنازل من كتل الطين المكبوس، وأحياناً يلاحظ أنه كان لبعضها أساس من الحجر، وسويت حيطان المنازل بطبقة من الطين كملاط، وغطيت أرضية المنازل بحزم من البوص الذي غطى بطبقة من الملاط. وصممت المنازل على هيئة مستطيلة وكانت تتكون من عدد من الحجرات الصغيرة (شكل ٢).

(شكل ٢) أساس منزل من العصر الحجري الحديث في جرمو



(١) Mellaart, J., op. cit., PP. 257 - 258.

وصنع إنسان جرمو معظم أدواته من الحجر، فعثر على العديد من الأدوات المتصلة بالعمل الزراعي مثل المناجل والفؤوس والأجران، كما صنع من الأحجار كذلك العديد من الأواني الحجرية التي صنعت بجودة من الحجر الجيري، واتخذ من الأحجار بعض أدوات زينته كالخواتم.

وفيما يتصل بالصناعات الفخارية، فيلاحظ أنها لم تبدأ في الظهور إلا في الطبقات الخمس الأخيرة من الموقع وربما كان ذلك راجعاً إلى استيفاء الإنسان في المراحل السابقة لحاجياته من الأواني بصناعة الأواني الحجرية الجيدة. ويلاحظ أن الأواني الفخارية التي عثر عليها في الطبقتين الخامسة والرابعة وهي الأقدم تتميز بأنها أفضل من الأواني التي عثر عليها في الطبقات الثلاث الأخيرة وهي الأحدث عهداً، وزينت هذه الأواني بخطوط حمراء مائلة. ونظراً لجودة الأواني الفخارية المبكرة التي كشف عنها فإنه يصعب القول أنها من إنتاج محلي بحت، ونظراً لعدم وجود ما يماثلها في المنطقة فإنه يرجح أن تكون مستوردة من الشرق وبخاصة من تبة جوران إلى الجنوب من كرمنشاه بإيران حيث كشف فيها عن أنماط تشبه فخار جرمو الملون[١].

وتتمثل المرحلة الثانية المميزة للعصر الحجري الحديث في العراق في حضارة تل حسونة[٢] الذي يقع في غرب نهر دجلة جنوب الموصل، ويرجح استفادة سكان هذا الموقع من الإنتاج الحضاري لموقع حضارة جرمو وبخاصة في مجال الصناعات الفخارية وبناء المنازل، ويتكون موقع تل حسونة من سبع عشرة طبقة أثرية يوجد الإنتاج الحضاري الخاص بالعصر الحجري الحديث في الطبقات الخمس الأولى منها، وذلك بالإضافة إلى الطبقة السادسة في حضارة حلف، وسامرا، ونينوى في الطبقات ١، ٢، أ، ب وتل الصوان.

---

(١) أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ إيران القديم وحضارتها، حـ ١، إيران منذ أقدم العصور حتى أواسط الألف الثالث ق. م، بيروت، ١٩٨٨، ص ١١٨.

(٢) Lolyd, S., and Safar, F., "Tell Hassuna, Excavations by the Iraq Covernment Directorate General of Antiquities In 1943and 1944" in JNES, vol. 4 (Oct. 1945).

وفيما يتصل بالإنتاج الحضاري الخاص بحضارة حسونة فقد تمكن الإنسان خلال هذه المرحلة من التوصل إلى الإنتاج الزراعي وخاصة القمح ، كما أستأنس بعض الحيوانات كالأغنام والماعز والخنزير.

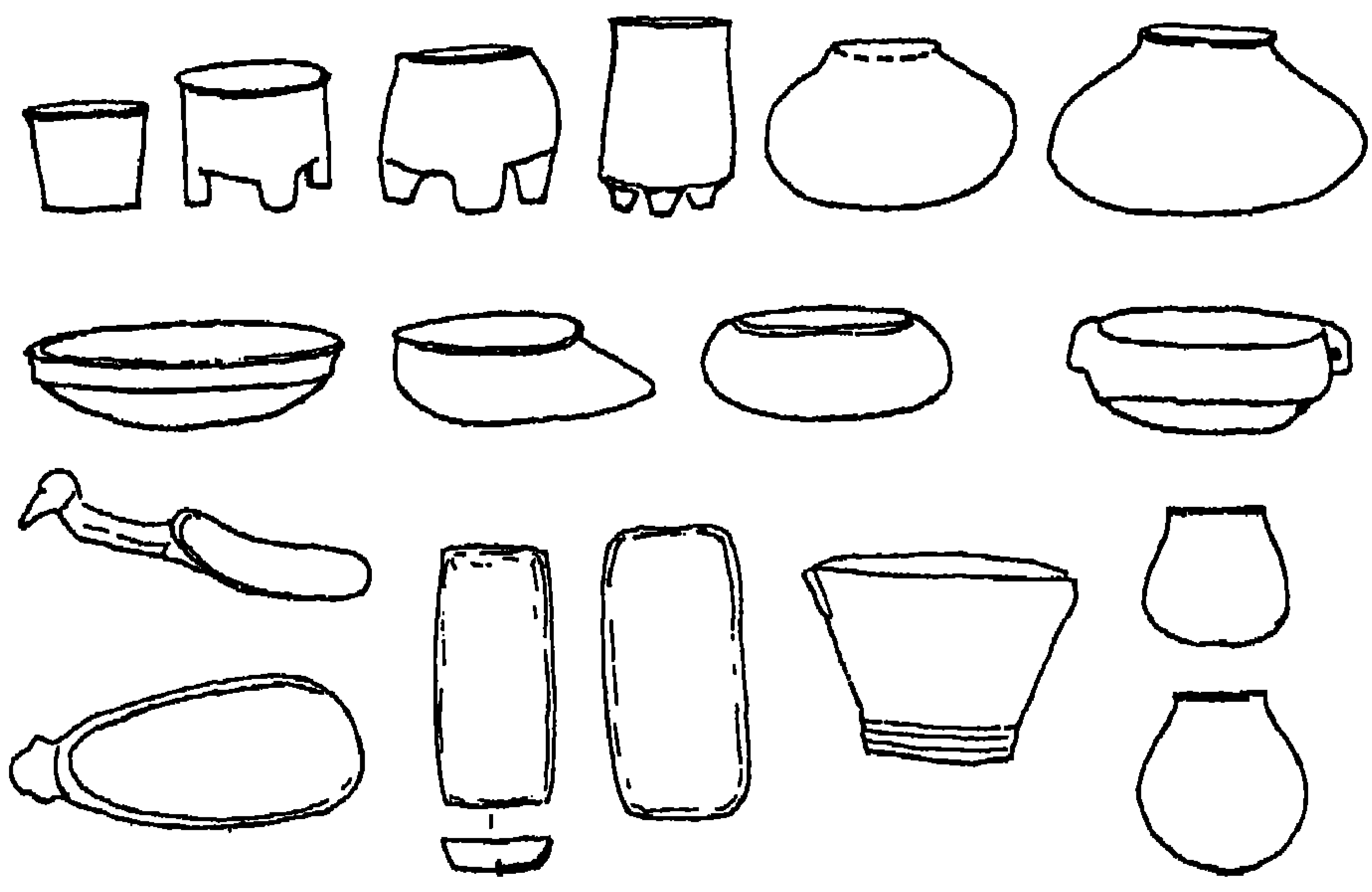
وشيد الإنسان مساكن مستقرة خلال هذه المرحلة ومواقد أعدت لطهي الطعام، وقد عثر في الطبقات الأولى من موقع حسونة على بعض هذه المواقد. وشيدت المنازل من كتل الطين وكانت ذات أحجام مختلفة وتكونت المنازل عادة من بعض الحجرات التي تحيط بفناء مكشوف، وضم المنزل عادة فرن لإعداد الخبز وعدد من الأواني الكبيرة التي استخدمت في تخزين الغلال وأواني أخرى أعدت لتخزين الطعام والشراب.

وتمثل المباني التي كشف عنها في موقع تل الصوان تطوراً ملحوظاً في تشييد المباني، إذ شيدت من قطع الآجر الكبيرة المستطيلة الشكل، وطليت الجدران من الداخل بطبقة من الطين ودفن الإنسان موتاه أسفل أرضيات المنازل وزودت الدفنات بأثاث جنزي يتكون بشكل رئيسي من الأواني المرمرية والحجرية والتماثيل الصغيرة والتي يمثل معظمها آلهة الأمومة .ولقد دفن الأطفال داخل أواني فخارية.

وفيما يتصل بالصناعات الفخارية فيعتبر فخار تل حسونة من أقدم النماذج التي عثر عليها في العراق القديم، وقدمت الحفائر تطوراً مستمراً للصناعات الفخارية في هذا الموقع، فتوضح أولى الطبقات ظهور الفخار المبكر المصنوع من مادة طينية غير نقية، وكانت صناعته خشنة إلى حد بعيد، وبعد ذلك ظهر الفخار المزين باللون الأصفر أو القرمزي وزخرف بواسطة عمل حزوز في شكل تصميمات اتخذت في الغالب شكل سعف النخيل أو سنابل القمح، وتلى ذلك ظهور الفخار المزين بالأشكال الحيوانية والخطوط المتموجة، ويطلق على هذا النوع فخار سامرا وذلك نسبة إلى هذا الموقع.

وبالإضافة إلى الصناعات الفخارية فقد كشف عن العديد من الأدوات الحجرية التي تتكون من الأسلحة القزمية ورؤوس السهام والفؤوس

الحجرية والمناجل ، كما كشف كذلك عن العديد من الأواني الحجرية والمرمرية في تل الصوان (شكل ٣) والتماثيل الصغيرة التي تمثل آلهة الأمومة. ومن أبرز ما كشف عنه العديد من صوامع الغلال التي عثر بداخلها على بقايا القمح المتكربن.



(شكل ٣) بعض الأواني المصنوعة من المرمر في تل الصوان

وقد استخدم الإنسان كذلك العظام في العديد من مصنوعاته وبخاصة الأبر، كما ظهرت العديد من أدوات الزينة مثل حبات العقود والدلايات وغيرها.

٤ ـ عصر الحجر والنحاس :

يمثل هذا العصر مرحلة جديدة من مراحل التطور الإنساني إذ خرج الإنسان عن نطاق قريته وأخذ في البحث عن إمكانيات مادية جديدة في البيئات المحيطة به ، حيث توصل إلى استخدام معدن النحاس وذلك منذ حوالي منتصف الألف الخامس قبل الميلاد ، وكان استخدام الإنسان لهذا المعدن في أول الأمر قليلاً ويفسر ذلك قلة المصنوعات النحاسية التي عثر عليها في المواقع التي تنتمي لبداية هذه المرحلة.

ويعتبر عصر حضارة حلف[1] هو العصر المميز لهذه المرحلة في العراق القديم وهو ينسب إلى موقع تل حلف على نهر الخابور والذي كان من أولى المواقع التي كشف فيه عن الإنتاج الحضاري لهذه المرحلة، وظهر الإنتاج الحضاري لحضارة حلف في عدد من المواقع الأخرى مثل موقع تل الاربجيه بالقرب من الموصل، وكذلك تبه يار يم بوادي سنجار. وتشغل حضارة حلف الفترة الزمنية من أواخر الألف السادس حتى أواخر الألف الخامس قبل الميلاد.

ويختلف المؤرخون في أصل حضارة حلف فيرى البعض أن مركزها في المنطقة الواقعة ما بين الموصل في شمال شرق العراق إلى منطقة الخابور، وهناك احتمال وهو إرجاع تلك الحضارة إلى أصل أرميني، أما الاتجاه التقليدي فهو اعتبار نشأتها كانت في تل حلف ذاتها وأنها تطورت تطوراً ذاتياً. ويلاحظ من جهة أخرى أن حضارة حلف لم تتصل بحضارة إيران وذلك لوجود الحواجز الطبيعية وخاصة جبال زاجروس التي عملت على منع حضارة حلف من دخول إيران، وكذلك لم تمتد تلك الحضارة في جنوب العراق القديم وذلك لعدم سكنى الجنوب بعد في ذلك الوقت، ولذلك امتدت تلك الحضارة في منطقة الموصل وكذلك في منطقة سنجار عبر نهر الخابور وفي منطقة جبل عبد العزيز وغرباً في سوريا حتى منطقة العمق ورأس الشمرا وكذلك في حدود الأناضول الجنوبية الشرقية[2].

وفيما يتصل بالإنتاج الحضاري فيلاحظ وجود بعض المظاهر الحضارية الجديدة وخاصة في العمارة والأواني الفخارية ونماذج النحت على الحجر، فضلاً عن استخدام النحاس.

ويتميز فخار حضارة حلف بألوانه وزيناته التي تمثل تفوقاً صناعياً في

---

(١) انظر: Mellaart, J., op. cit., pp. 276 - 281., Dabbagh, T., "Halaf Pottery" In Sumer, vol. 22 (1966), p. 23.

(٢) رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص ١٧٠.

هذا المجال، وقد لون الفخار بألوان متعددة منها البرتقالي والقرمزي والأحمر والبني والمصفر. وغطت الزينات كل سطح الإناء الفخاري الخارجي بالنسبة للجرار، أما الأطباق والسلاطين فكانت الزينات تغطي السطحين الداخلي والخارجي، وضمت تصميمات الزينة مجموعات مختلفة من الأشكال الهندسية، كما استخدمت في التصميمات الزخرفية كذلك أوراق الزهور ورؤوس الثيران. والظاهرة المميزة هي كثرة الأشكال الحية في الزينات من أشكال بشرية وحيوانية وطيرية ونباتية، وتميزت الرسوم بوجود حركة كبيرة في المناظر.

وتمكن إنسان حضارة حلف من صناعة العديد من أوانية من الحجر الذي صنع منه كذلك العديد من الأدوات الحجرية، واستخدم الطين في صناعة بعض أدوات الزينة كالخواتم كما صنع من الطين كذلك بعض المسامير الصغيرة وتماثيل آلهة الأمومة. ومن الصناعات المميزة في هذه المرحلة صناعة الأختام التي استخدمت في الطباعة على قطع الطين وكانت هذه الأختام من أقدم الأمثلة التي عثر عليها في العراق القديم.

وعثر على بعض المصنوعات النحاسية كالدبابيس والأزاميل، إلا أن عددها كان محدوداً في هذه المرحلة.

أما في مجال العمارة فقد سادت الأبنية ذات التصميم الدائري وكانت أساساتها من الحجر ويغلب أن تكون حيطانها من اللبن، ويتصل بتلك الحجرة الدائرية حجرات مستطيلة كانت أصغر حجماً، وغطيت جدران وأرضيات الحجرات بطبقة سميكة من الطين وطليت من الداخل والخارج بلون أحمر واحتوت المنازل على أفران ومواقد وأواني فخارية وبقايا حبوب.

وفيما يتصل بدفن الموتى فقد ظلوا يدفنون تحت أرضيات المساكن، فكان يدفن الميت على جانبه الأيمن في وضع مقرفص ويتجه رأسه نحو الغرب. ووضعت مع المتوفي احتياجاته الأساسية من الأواني الفخارية

والأواني الحجرية الصغيرة وحبات العقود من المرمر ودلايات من الحجر المزينة بصور الطيور ورسوم الحيوانات[1].

ولم يقتصر إنسان حضارة حلف على تشكيل تماثيله في شكل آلهة الأمومة بل لقد عثر على تماثيل إنسانية أخرى يحمل بعضها زخارف معينة ربما تعبر عن وشم خاص أو عن زينات في الملابس، وعثر كذلك على تماثيل حيوانية. ومن الأهمية الإشارة إلى أن استخدام إنسان تلك الحضارة للمواد الطينية والحجرية والأصداف وغيرها تؤكد خروجه عن الإطار المحلي واستكشافه الأقاليم القريبة والنائية مما وسع إدراكه وتجاربه المادية والفكرية وساعده على الانتقال إلى المراحل الحضارية التالية[2].

٥ ـ حضارات جنوب العراق القديم :

عند نهاية عصر حضارة حلف انتقل مركز الثقل الحضاري من القسم الشمالي للعراق إلى القسم الجنوبي. وتعتبر حضارة العبيد التي تقع إلى الغرب من أور بحوالي ستة كيلو مترات من أولى الحضارات التي ظهرت في القسم الجنوبي، ولقد اثبتت الحفائر وجود حضارتين أسبق عهداً من العبيد وهما حضارتي أريدو والحاج محمد، وقد اتجه بعض الباحثين إلى اعتبار هاتين الحضارتين مرحلتين مبكرتين من عصر حضارة العبيد. وعلى ذلك تصبح حضارة أريدو هي أولى المواقع الأثرية من الناحية الحضارية في جنوب السهل العراقي، يليها حضارة الحاج محمد ثم حضارة العبيد التي يليها عصر حضاري جديد هو عصر حضارة الوركاء ثم عصر حضارة جمدة نصر الذي يمثل آخر العصور التاريخية التي تسبق بداية العصر التاريخي.

وسنتناول فيما يلي هذه الحضارات بشيء من التفصيل.

---

(١) محمد عبد اللطيف محمد علي: المرجع السابق، ص ٦٨.
(٢) رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص ١٧٢.

حضارة أريدو:

تقع أريدو[1] على بعد حوالي ١٩ كيلو متر جنوبي غربي أور وعلى مسافة ٢٤٠ كيلو من الخليج العربي ويطلق عليها حالياً أبو شهرين، ولقد جاء في التقاليد الأدبية السومرية أن أريدو هي إحدى أقدم مدن خمس وجدت قبل الطوفان في جنوبي العراق. ويحتمل أنها كانت تتصل في العصور القديمة بالخليج العربي بواسطة سلسلة من البحيرات المالحة الصغيرة، إذ ورد في أحد النصوص القديمة التي ترجع إلى عهد شولجي أحد ملوك أسرة أور الثالثة أن أريدو تقع على شاطىء البحر، كما جاء في نص آخر «إن البلاد كلها كانت بحر ومن ثم تكونت أريدو». وتؤكد الآثار المكتشفة أهميتها وقدمها، كما تبين من دراسة هذه الآثار أنها أقدم المدن المكتشفة في جنوبي العراق.

وفيما يتصل بالإنتاج الحضاري لعصر حضارة أريدو فقد كشف عن العديد من نماذج الأواني الفخارية وكانت أشكالها السائدة هي الأكواب والسلاطين وأن ظهرت أحياناً الأطباق الكبيرة، ولقد تعددت ألوانها وزينت بتصميمات هندسية تكثر فيها الخطوط المستقيمة والمتعرجة والمثلثات والنقط، ويندر وجود الأشكال الطبيعية الحية (شكل ٤).

(شكل ٤) بعض نماذج الأواني الفخارية وزيناتها من حضارة أريدو



(١) Mallowan, M., "The Development of Cities from AL - Ubaid to the End of Urk 5", In C. A. H., vol. I, Part, PP. 335 - 338, 349 - 350.

ولقد كشف في الطبقات الأثرية لموقع أريدو على العديد من الآثار المعمارية المدنية والدينية ، ويتضح أن المنازل في أقدم طبقات هذا الموقع كانت عبارة عن أكواخ من البوص أو منازل من اللبن. أما المباني الدينية فلقد كشف عن العديد من المعابد ، ففي أولى الطبقات كشف عن أربعة حيطان من اللبن شيدت فوق تلة من الرمل وربما كان ذلك أول تعبير عن المنصة المرتفعة التي يعلوها المعبد (الزاقورة) وهو مظهر العمارة الدينية للبلاد ابتداء من عصر حضارة العبيد[1] . وكشف في الطبقات التالية عن بناء أكثر اتقاناً وهو قائم الزوايا وله دعائم داخلية ويتضمن مائدة قرابين وهيكل مما يشير إلى أنه استخدم كمعبد ، وهو لذلك يعتبر أول مثال واضح للمعبد في العراق القديم (شكل ٥) .

حضارة الحاج محمد :

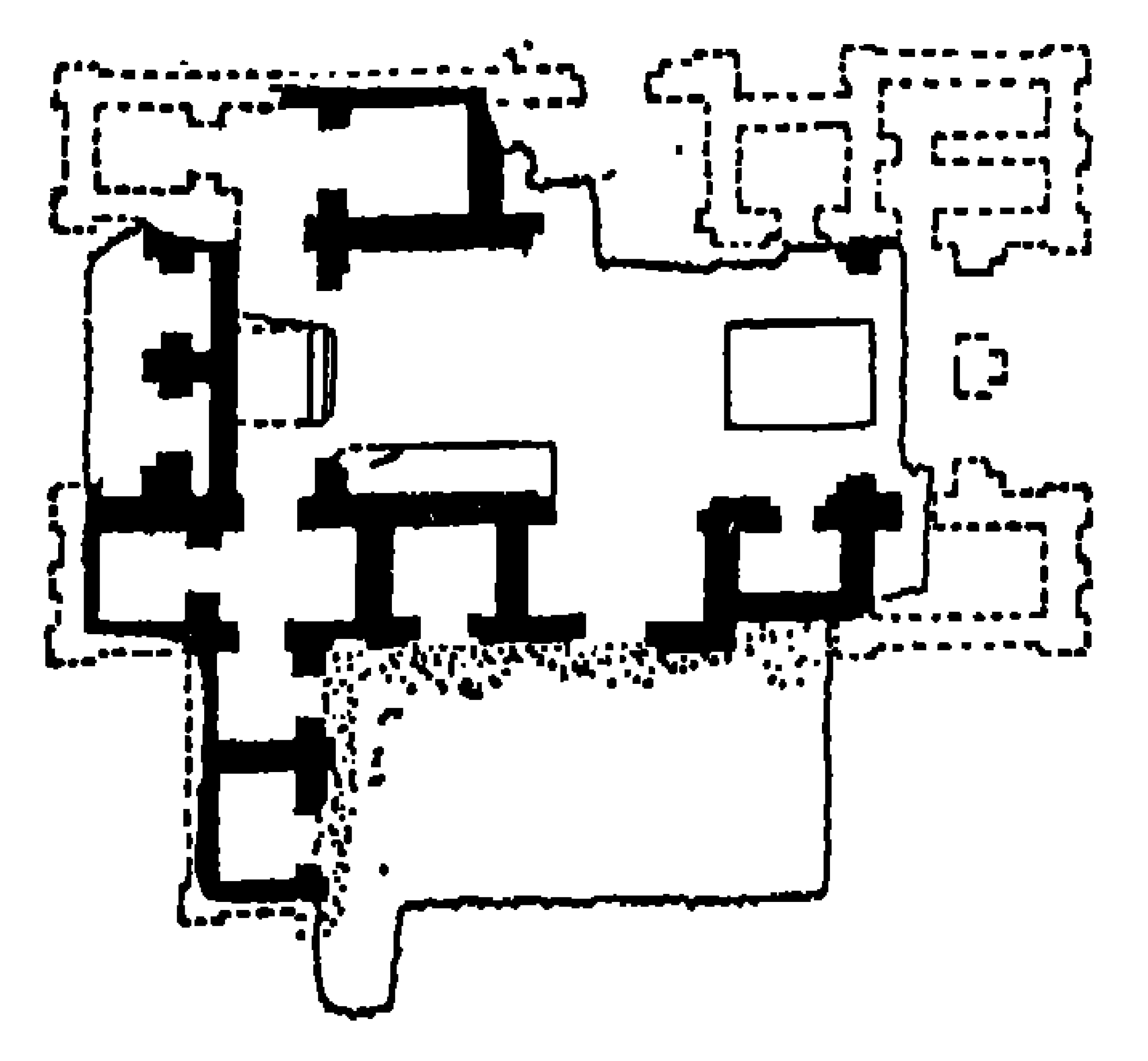
يعبر عن إنتاج حضارة الحاج محمد في الطبقات من ١٤ : ١٢ في موقع أريدو، وإنتاجها المميز هو الأواني الفخارية نظراً لعدم إمكانية التعرف على تفاصيل المباني في هذه الطبقات .

ويتميز فخار الحاج محمد بأوانيه الفخارية العميقة ذات الجوانب المقوسة والمزين بزينات هندسية في خطوط مائلة ومتعرجة ومربعات ، وقد لون بنفس ألوان فخار أريدو مع ظهور لون جديد هو اللون القرمزي الغامق ، ويتضح من دراسة زينات الأواني وأنماطها تأثرها بحضارات شمال العراق وبخاصة حضارة حلف[2] (شكل ٦) .

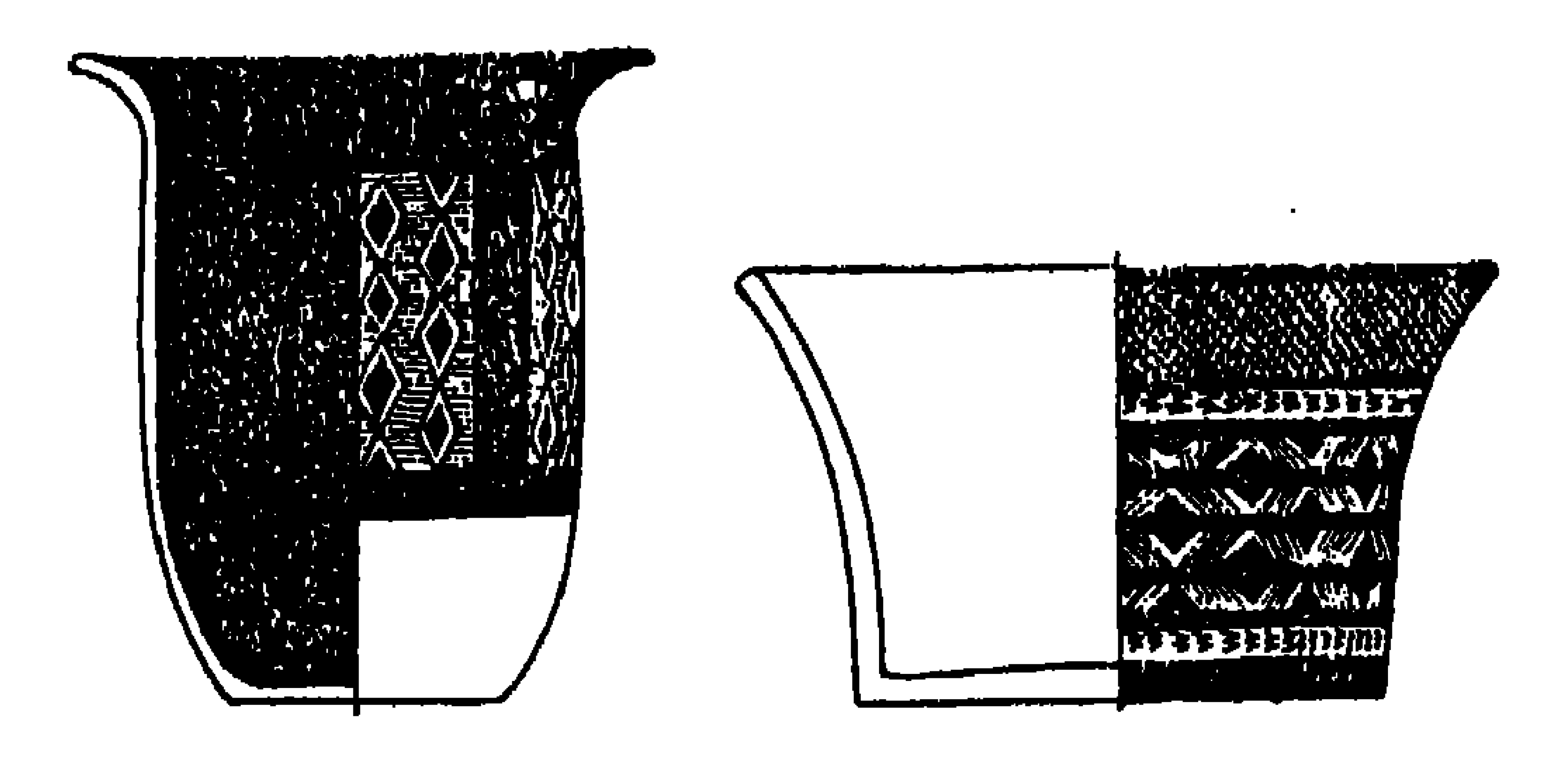
---

(١) محمد عبد اللطيف محمد علي : المرجع السابق ، ص ٧٧ ـ ٧٨ .

(٢) Mallowan, M., op. cit., PP. 345 - 365. (Fig. 27, P. 342).



(شكل ٥) رسم تخطيطي لمعبد من أريدو



(شكل ٦) بعض نماذج الأواني الفخارية وزيناتها من موقع الحاج محمد

حضارة العبيد(١):

تعبر حضارة العبيد عن استقلال جنوب السهل العراقي، إذ قدم من المظاهر الحضارية الجديدة ما أضفى عليها طابعاً مميزاً يتفق مع طبيعة القسم الجنوبي من العراق، وانتشر التأثير الحضاري لحضارة العبيد حتى استوعب معظم شمال العراق، ومن المواقع الرئيسية التي ظهر فيها الإنتاج الحضاري

(١) Mallowan, P. Op. Cit., PP. 335 - 339, 360 - 362, 408 - 413., Saggs, H. W. F., The Greatness that Was Babylon, London, 1962. P.18., H., The Art and Architecture of the Ancient Orient, P. 19.

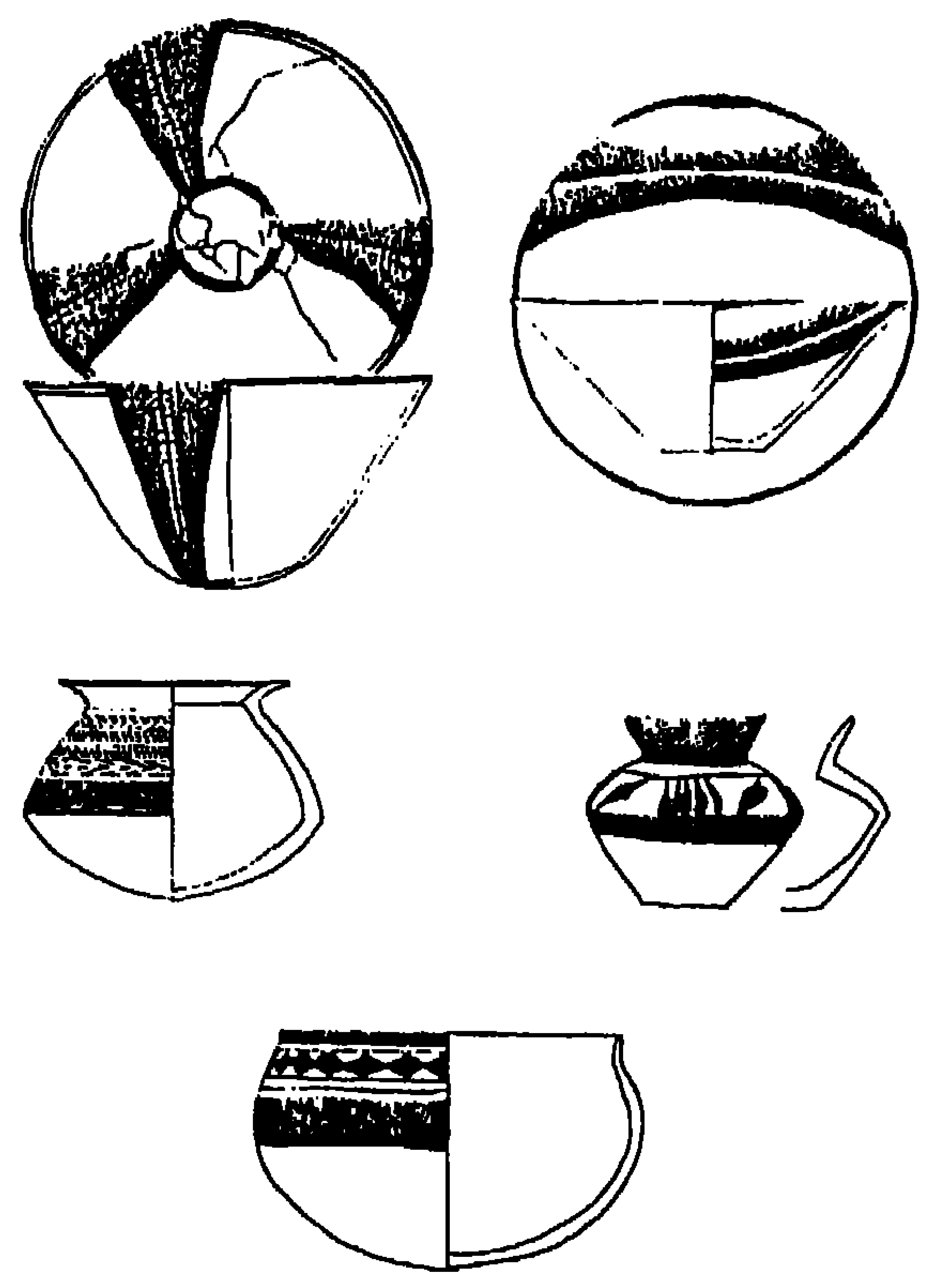
لحضارة العبيد تل العبيد وأريدو وأور والوركاء، أما أهـم مواقعها في الشمـال العراقي فتوجد في موقع تبة جاورا وتل اربجيه ونينوى وجبل سنجار وتل البراك.

وتعتبر حضارة العبيد أول حضارة في العراق القديم تنتشر في الشمال والجنوب رغم كونها جنوبية الأصل. ويظهر الإنتاج الحضاري الجـديد في العديد من المجالات مثل صناعة الأواني الفخارية الملونة والمزينة، والأواني الحجرية والأدوات النحاسية والعظمية والطينية والعمارة في مجالاتها الدينية والمدنية. كما ظهـر التفـوق الحضـاري كذلك في ظهـور بعض المفـاهيم الفكرية في كل من المراكز الحضارية لحضارة العبيد في الشمال والجنوب.

وفيما يتعلق بالمظاهر الحضارية لحضارة العبيد الشمـالية فيلاحـظ أن الأواني الفخارية فـي تبة جاورا قد زينت بزينات تصور أشكال حية وهي في ذلك قد تأثرت بحضارة حلف الشمالية، أما الفخار الذي عثر عليه في تل اربجيه فقد زين بتصميمات هندسية عبارة عن أشرطة وخطوط مستقيمة ومتعرجة ومثلثات ونقط، كما زين أحياناً بأشكال نباتية مثل أوراق الشجر (شكل ٧). ويمثل موقع تل البراك آخر المواقع التي انتشر فيها فخار العبيد في شمال العراق.

ولقد كشف عن العديد من الصناعـات في مواقـع العبيد الشمـالية ومنهـا بعض الأدوات النحاسية التي عثر عليها في موقع تبة جاورا ومنها خاتم صغير وإزميل من النحاس، ويتميز هذا القسم بإنتاج أختام الطابع، وقد عثر فـي تبة جاورا على أختام الطابع وهي تتكون من أقراص بسيطة وأزرار ومربعات من الحجر المتعدد الأنواع، وتحمل هذه الأختام أو طبعاتهـا من الـطين رسـوم بسيطة من خطوط مستقيمة أو متقاطعة، كما تتضمن أحياناً أشكالاً حيوانية.

وفيما يتعلق بالعمـارة فقـد شيدت المنـازل في مواقـع حضـارة العبيد الشمالية من الآجر، وقد وجدت بقايا المنازل في موقـع تبة جاورا مع المعابد في منطقة واحدة إذ لم تخصص منطقة للسكني وأخرى للمعابد وأقيمت بعض جدران المنازل فوق أساسات من الحجر، أما موقع تل الأربجييه فقد وجدت المنطقة السكنية في وسط الجبانة، وقد زودت معظم المنازل بالأفران والأواني

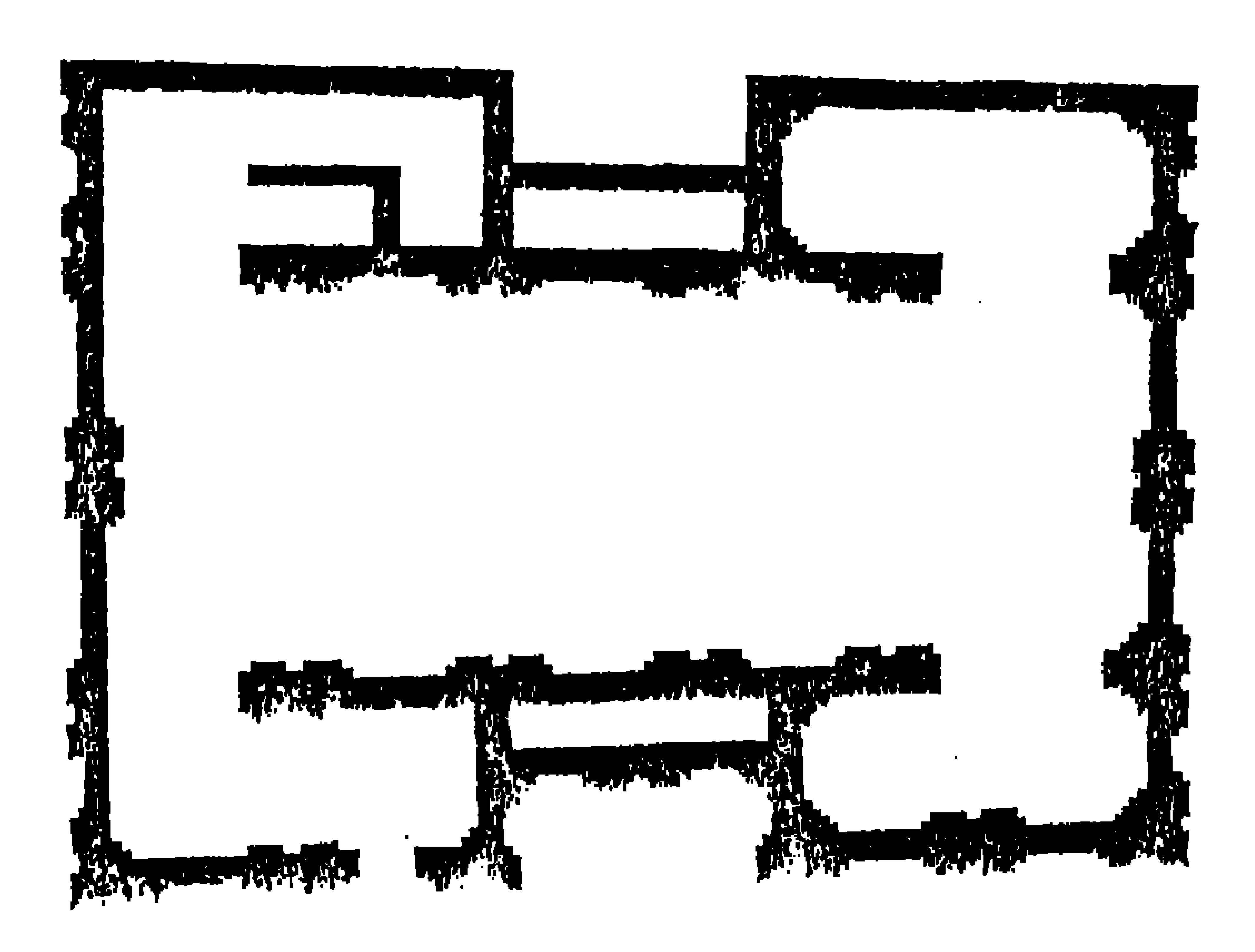


(شكل ٧) بعض نماذج زينات الأواني الفخارية من موقع تل الأربجية

الفخارية الكبيرة التي استخدمت في تخزين المياه والحبوب، كما احتوت على الكثير من بقايا الهياكل العظمية.

وتفوق إنسان حضارة العبيد في المجال المعنوي حيث عثر على أثار المعابد والمقابر فقد كشفت في موقع تبة جاورا الشمالي على العديد من المعابد التي يمكن تقسيمها إلى قسمين قسم مبكر ويتضمن معابد ذات أشكال مستطيلة مبنية من الآجر، وتشغل مساحة كبيرة وتتضمن فناء تتوسطه مائدة قرابين، ويتضمن هذا القسم كذلك معابد صممت على الشكل الدائري المأخوذ عن أسلوب حضارة حلف في البناء، أما القسم المتأخر فيعبر عنها ثلاثة معابد شيدت بحيث تواجه أركان كل منها الجهات الأربع الأصلية وقد زودت جدرانها بكثير من الركائز التي استخدمت كدعامات للجدران، وقد

طليت بعض جدران المعابد بلون أبيض (شكل ٨) .





(شكل ٨) رسم تخطيطي لمعابد تبة جاورا

وفيما يتصل بالمقابر فقد كان يدفن الموتى في موقع تبة جاورا أسفل أرضيات المنازل والمعابد، ويلاحظ أن الدفن أسفل أرضيات المنازل لم يكن هو المتبع دائماً في المواقع الشمالية إذ خصص سكان موقع تل الأربجيه منطقة للمدافن خارج نطاق المنطقة السكنية .

أما فيما يتعلق بالإنتاج الحضاري لحضارة العبيد الجنوبية التي تمثل أقدم حضارة في جنوب العراق حيث تستقر على الأرض البكر مباشرة . ففي مجال الصناعات الفخارية فقد تأثر الإنتاج المبكر من الفخار بشكل واضح بفخار حضارتي أريدو والحاج محمد السابقتين . أما الإنتاج التالي لذلك فقد تتضمن تصميمات من أشرطة وخطوط عريضة مستقيمة ومقوسة كما تتضمن أشكالاً نباتية مثل الورود وأوراق الأشجار . وزود فخار العبيد أحياناً بالصنابير والأذان الصغيرة والمقابض .

وتوجد العديد من الصناعات الأخرى مثل العثور على مسامير منثنية من

الطين كانت تستخدم في صيد السمك ، كما عثر على العديد من أدوات العمل الزراعي وبخاصة الفؤوس والمناجل.

وقد شيدت المساكن في القسم الجنوبي من حضارة العبيد من البوص والطين وبعضها كان من الأجر مما يناسب البيئة المستنقعية في هذه المنطقة ، وكانت الأكواخ المبنية من البوص تبطن من الجوانب بالطين واحتوت على صوامع غلال وأفران. أما المنازل المشيدة من الآجر فكانت بسيطة التصميم ، إذ تتكون من ممر لا يتجاوز عرضه القدمين وتطل عليه حجرتان من كل جانب ، وكانت تكسي الجدران بطبقة من الطين.

وتوجد المعابد في القسم الجنوبي لحضارة العبيد في موقع أريدو حيث شيد المعبد فوق تل صناعي يؤدي إلى منصته بعض المنحدرات ، وقد أصبح هذا التصميم هو المميز للأبنية الدينية للسومريين ، والتي أطلق عليها « الزاقورت » وكان المعبد غي أكمل مراحل تطوره يتكون من بناء مستطيل يتوسطه فناء تطل عليه بعض الحجرات ، ويقع هيكل المعبد في نهاية الفناء ، وتوجد مائدة قرابين في مواجهة الهيكل ويؤدي إلى المدخل الرئيسي للمعبد بعض الدرجات ، وازداد سمك الجدران وزودت بركائز من الداخل والخارج ، ويوجد بالمعبد العديد من الحجرات الجانبية ، وتجدر الإشارة إلى حقيقة العثور على عظام الأسماك في معبد أريدو مما يؤكد ارتباط ذلك التقليد الديني المبكر بالعقيدة الدينية التالية والمتصلة بعبادة المعبود أنكى إله الماء العذب ومعبود مدينة أريدو في العصر التاريخي.

وفيما يتصل بالمدافن فتضم جبانة أريدو ما لا يقل عن ألف مقبرة وكانت توضع الدفنات في توابيت من الفخار وقد وجدت بعض المدافن الجماعية بجبانة أريدو وزودت المقابر ببعض الأواني الفخارية والتي تمثلت في وجود فنجان وطبق مما يرجح أنهما كانا خاصين بأكله وشربه مما قد يعبر عن إيمان بالعالم الآخر. كما زودت المقابر كذلك بالعديد من التماثيل الصغيرة الخاصة بآلهات الأمومة ، وكانت لبعض هذه التماثيل رؤوس تشبه رأس

الضفدعة أو السحلية مما يعبر عن تأثر الإنسان ببيئته المستنقعية في الجنوب[1].

ويتضح من الدراسة المقارنة لحضارات العبيد الشمالية والجنوبية وجود بعض أوجه التشابه بينهما كما توجد كذلك بعض مظاهر الاختلاف ولكنهما في واقع الأمر ينتميان أصلاً إلى حضارة واحدة سرعان ما تأثرت بالبيئة المحيطة بها فأعطتها شكلها المميز الذي انطبع على مظاهر إنتاجها الحضاري في مجالاته المادية المتعددة وكذلك في مجالاته الفكرية.

عصر حضارة الوركاء[2]:

يعتبر عصر حضارة الوركاء هو العصر الحضاري التالي لعصر حضارة العبيد في العراق القديم، وتنسب هذه الحضارة إلى موقع الوركاء Warka واسمها القديم Uruk ، وقد ذكرت في سفر التكوين تحت اسم «ارك» Ereck . وتتمثل هذه الحضارة في العديد من المواقع الأثرية في جنوب العراق مثل أريدو وأور وتلو وتل العقير، كما انتشرت حضارة الوركاء في قسمها المبكر في شمال العراق وظهر ذلك على وجه الخصوص في مواقع تبة جاورا ونينوى وتل جراى رش بمنطقة سنجار.

وقد اختلف العلماء فيما يتعلق بأصحاب تلك الحضارة، هل هم ينتمون إلى العنصر السومري الذي ثبت دخوله جنوب العراق في عصور ما قبل الأسرات بوجه عام والذي كان له دوره الحضاري الهام المتصل بكل من وادي السند وجنوب العراق ومصر في عصر ما قبل الأسرات الأخير، أم إلى

---

(١) محمد عبد اللطيف محمد علي: المرجع السابق، ص ٩٥.

(٢) انظر: Frankfort. H., The Last predynastic Period in Babylonia" In C. A. H., vol: I, part II. 1971, pp. 73 - 81., Lloyd, S., "URK Pottery. A Comparative study in Relation to Recent Finds at Eridu" In Sumer, Vol., 4 (1948)., Mallowan, M., op. cit. pp. 360 - 366.
رشيد الناضوري المرجع السابق، ص ٢٠١ - ٢٠٦ وكذلك:

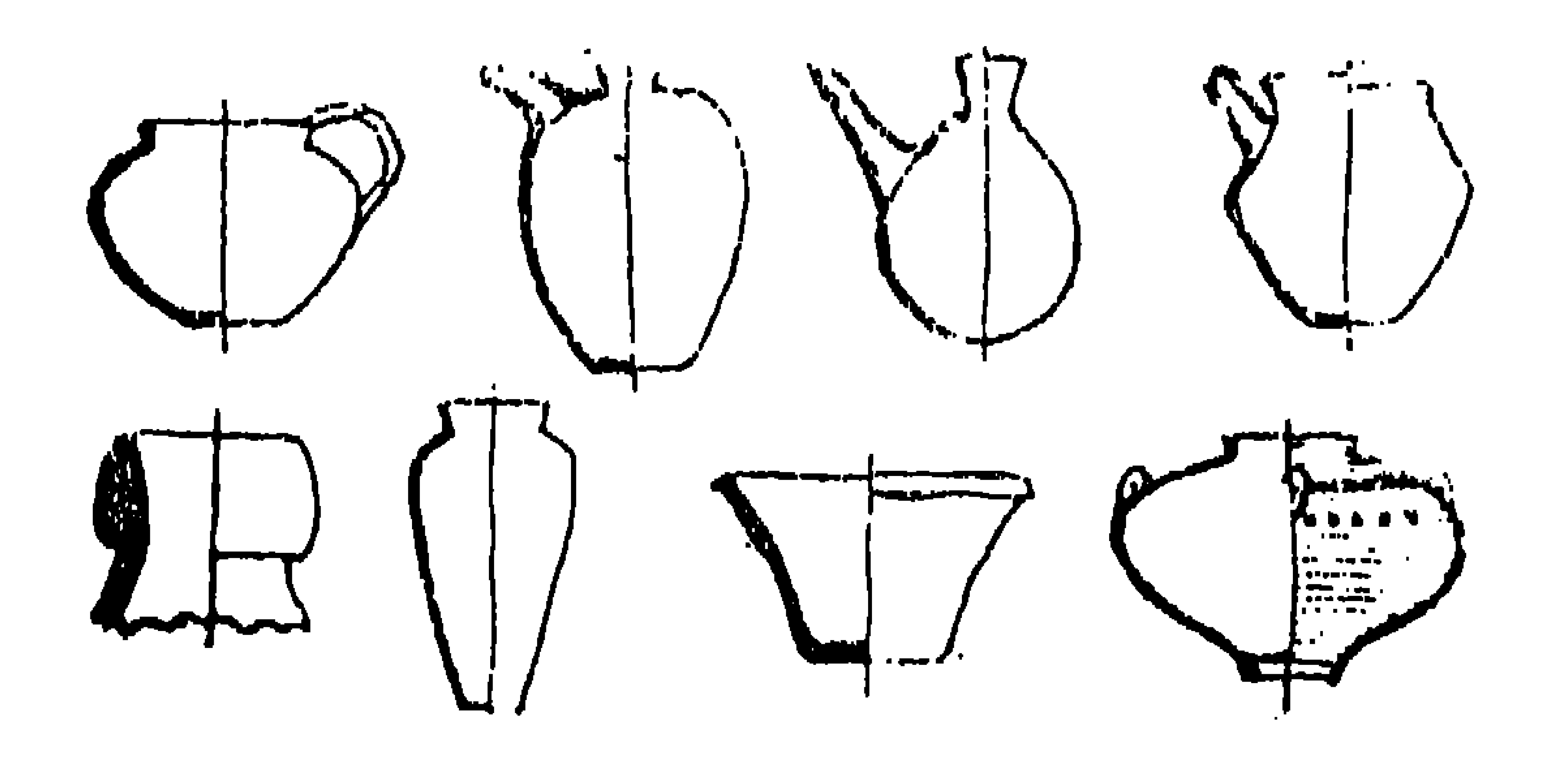
العنصر السامي الذي سبق له الاستقرار أيضاً في جنوب العراق ، والذي اتجه الرأي إلى اعتباره ذو مكانة خاصة في عصر حضارة الوركاء على أساس وجود وجه شبه بين فخار الوركاء والفخار السامي في المواقع الفلسطينية والسورية ، ويغلب أن العنصرين السومري والسامي وعناصر أخرى عيلامية وجبلية متسللة من منطقة جبال زاجروس في غربي إيران قد تواجدت في جنوب العراق في تلك الفترة ، ولكن كان للسومريين أولوية حضارية خاصة في تلك المرحلة ، وكذلك في عصر حضارة جمدة نصر التالية لها.

ويعتبر عصر حضارة الوركاء من أهم المراحل الحضارية في مرحلة التكوين الحضاري في تاريخ العراق. ويمكن تقسيم حضارة الوركاء إلى قسمين متميزين أحدهما مبكر ويدخل في نطاق ما قبل التاريخ ويتضمن الطبقات من ١٢ - ٦ والآخر يطلق عليه تسمية عصر ما قبيل الكتابة ويتضمن الطبقات من ٥ ـ ٤ ويلاحظ أنه يشترك معه في هذه الصفة العصر التالي له وهو عصر حضارة جمدة نصر.

وفيما يتصل بالإنتاج الحضاري المميز للمرحلة المبكرة من عصر حضارة الوركاء فيلاحظ أن معظم المادة الأثرية المتخلفة عنها تتكون من المصنوعات الفخارية ، ولقد تعددت أنواع الفخار وتنوعت ألوانه وأشكاله وزينت الأواني بزينات متعددة جمعت ما بين الأشكال الهندسية المتعددة. ومن طرز الأواني التي شاع استخدامها الأواني ذات الصنابير المستقيمة والمقوسة والأواني ذات المقابض والآذان (شكل ٩) .

وانتشر الإنتاج الحضاري لهذه المرحلة من حضارة الوركاء في القسم الشمالي من العراق ، ومن المظاهر المميزة للقسم الشمالي من العراق أثناء هذه المرحلة المبكرة من حضارة الوركاء التفوق في إنتاج المصنوعات المعدنية التي تضمنت بجانب النحاس الذهب والأحجار الكريمة وشبه الكريمة وغيرها والتي استخدمت في أدوات الزينة.

أما عن المرحلة الثانية من عصر حضارة الوركاء فلعل من أهم آثارها



(شكل ٩) بعض نماذج الأواني من عصر حضارة الوركاء

الفكرية التوصل إلى ظاهرة التعبير بالرموز التي أدت إلى اختراع الكتابة التي تعتبر من أهم بوادر عناصر النقلة إلى بداية العصر التاريخي ، ويطلق على هذه المرحلة كما سبق أن ذكرنا تعبير مرحلة ما قبيل الكتابة وهي تنقسم بدورها إلى قسمين أحدهما مبكر وهو يشمل الإنتاج الحضاري للمرحلة الأخيرة من عصر حضارة الوركاء والآخر أكثر تطوراً وهو ما يطلق على إنتاجه الحضاري تسمية عصر حضارة جمدة نصر والتي ستقوم بدراستها فيما بعد.

وأقدم تسجيلات كتابية وصلتنا من المرحلة الأخيرة لعصر حضارة الوركاء تتصل بالأغراض الاقتصادية وهي قوائم تتضمن إحصائيات خاصة بممتلكات المعبد من الحقول والأغنام وغيرها من الماشية ودخله من المحاصيل والسلع المختلفة وما يصرف عن طريقة ، وقد كتبت هذه الوثائق على ألواح طينية بواسطة قلم من البوص حفرت به العلامات الكتابية على المادة الطينية وهي لا تزال طرية ، وكانت أقدم العلامات الكتابية صورية وعبرت كثير من العلامات عن اختزال الصور الكاملة إلى خطوط بسيطة أو أجزاء منها فقط.

ومن أهم الأثار المادية لحضارة الوركاء ، العمارة الدينية وبصفة خاصة المعابد المبنية من الآجر والتي تتميز بكون أسسها من الحجر الجيري وتعرف هذه العمارة الدينية باسم عمارة الزاقورات وهي المعابد المدرجة ، والمعبد عبارة عن مبنى موجه إلى الجهات الأربع الأصلية وهو مبنى من اللبن من

ثلاث درجات يصل بينها سلم يؤدي إلى القمة حيث يوجد المكان المقدس الذي هو عبارة عن حجرة مستطيلة الشكل ملحق بها بعض الحجرات الجانبية ، ويتجه بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن أصل عمارة الزاقورات يرجع العناصر الجبلية المتسللة إلى جنوب العراق والحاملة لطابع الارتفاع إلى أعلى في العمارة الدينية بحكم تأثرهم بارتفاع الهضاب الوافدين منها ، إلا أنه يصعب تقبل هذا الرأي بسهولة إذ يغلب أن وجود المعبد فوق سطح البناء المرتفع المدرج يهدف إلى اقتراب المعبد وهو منزل الإله من السماء التي كان يعتبر تأليهها في ذلك الوقت ذو أولوية خاصة في الديانة السومرية . (شكل ١٠) .

مرحلة جمدة نصر[1] :

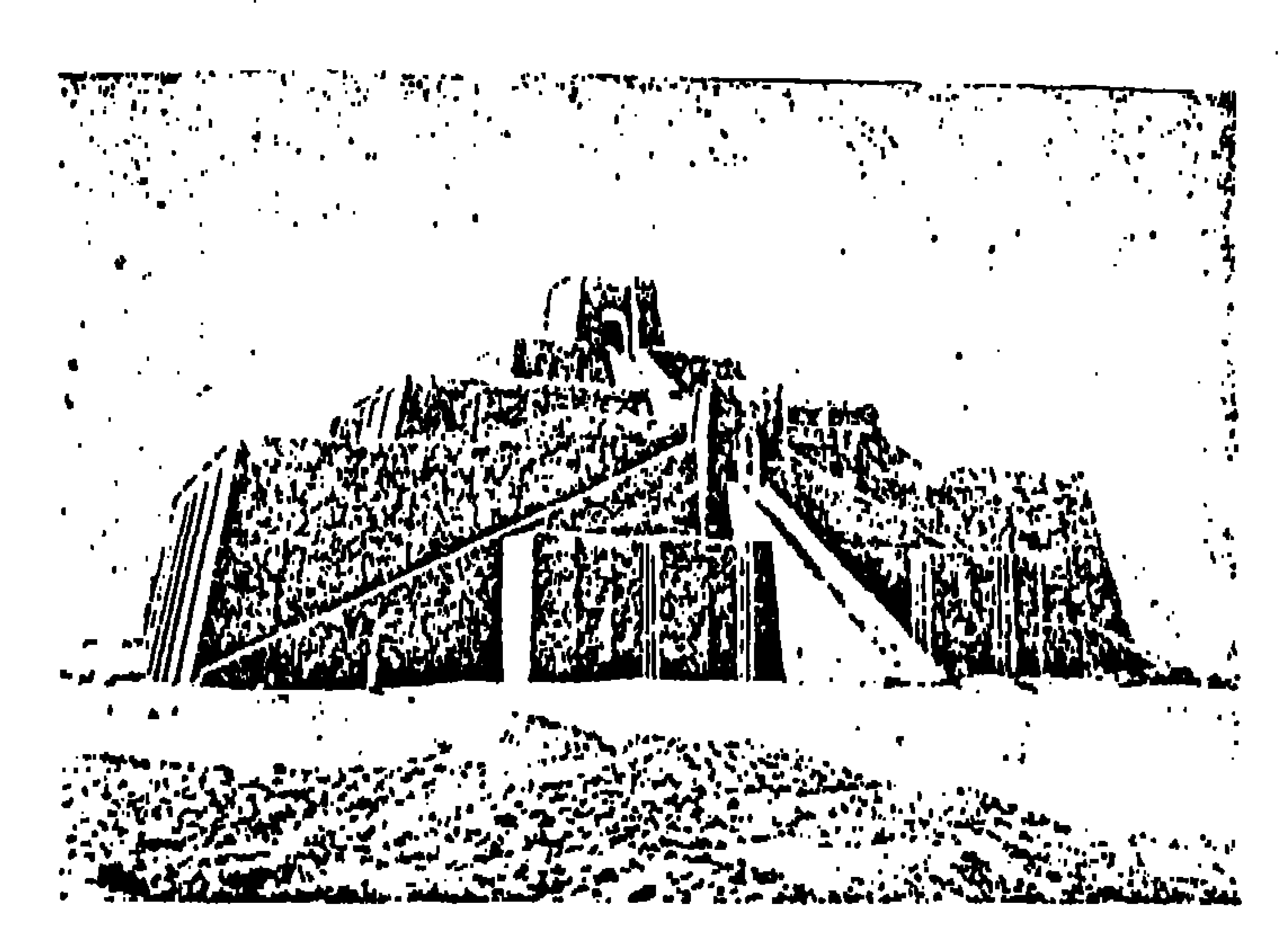
تمثل مرحلة جمدة نصر المرحلة الأخيرة لعصر ما قبيل الكتابة ، وهي تكمل بذلك عصر حضارة الوركاء ، ويظهر الإنتاج المادي لمرحلة جمدة نصر واضحاً في عمارة الزقورات ، ولقد كشف عن العديد من هذه المباني الدينية التي خصصت لإله السماء «آن» ومن هذه المعابد، معبد الوركاء ، ويعرف بناءه العلوي باسم «المعبد الأبيض» ، وهو مشيد من اللبن المجفف ومطلي بدهان أبيض ، وتؤدي إليه ثلاث مجموعات من الدرجات الصاعدة ، ودعمت جدرانه من الداخل والخارج بركائز ، ويوجد في فناء المعبد مائدة قرابين في مواجهتها يوجد الهيكل . وكان هذا التخطيط هو المتبع تقريباً في المعابد الأخرى .

وفيما يتصل بالأواني الفخارية ، فقد ظهر في هذه المرحلة نوعية مميزة من الفخار أطلق عليها «فخار جمدة نصر» وهو يتميز بكونه مصنوع على عجلة

---

(١) انظر : Mallowan, M., op. cit., PP. 360 - 361, 408 - 409., Frankfort, H., op. cit., pp. 78 - 81., Abu Al - Soof, B., "A Note on the Question of Painted Jamdat Nasr Pottery" In. Sumer.

وكذلك محمد عبد اللطيف محمد علي : المرجع السابق ، ص ١٤٢ - ١٦٠ .



(شكل ١٠) نموذج لإحدى الزقورات في أور

الفخار، وهو جيد الإحراق والصقل، وذو أحجام متعددة، وإن يغلب عليه الشكل الكروي المنتفخ وله قواعد مسطحة أو مقوسة، وزودت فوهاتها أحياناً بسدادات من الطين لتغطيتها.

وفيما يتصل بزينة الأواني الفخارية، فكانت الزينات تشغل غالباً الجزء العلوي من الإناء بما فيه الرقبة وهي تتكون من أشكال هندسية سوداء وحمراء فوق أرضية فاتحة اللون، أما باقي الإناء فلا تتجاوز زينته طلاء بلون أحمر أو مائل للحمرة، ومن هذه الأشكال الهندسية المثلثات والمربعات والأشرطة العريضة والخطوط المتقاطعة والمستقيمة والمموجة، كما أن منها ما يجمع بين الأشكال الهندسية والأشكال الطبيعية الحية.

وقدم عصر حضارة جمرة نصر العديد من النماذج الهامة للنحت على الحجر والتي تلقى بعض الأضواء على الفكر الديني والسياسي المبكر للعراق في أواخر عصور ما قبل التاريخ والانتقال إلى بداية العصور التاريخية، ومن هذه النماذج «لوح صيد الأسود» وهو من حجر الجرانيت الأسود ويبلغ ارتفاعه ٨٠ سم وعرضه ٥٧ سم وعثر على عدد من الأختام الأسطوانية واللوحات الطينية الكتابية، ويضم اللوح منظرين، المنظر الأول (السفلى)

يصور فيه مقاتل يجذب يجذب وتر قوسه الكبير ليطلق سهماً على أسد سبق أن أصابته سهامه، وأسفل هذا الأسد يوجد أسد آخر صرعته سهام هذا المقاتل، كما نرى خلف المقاتل أسداً ثالثاً صرع بهذه السهام، ويمثل هذا المقاتل بالزي والسمات المميزة للحاكم أو البطل. أما المنظر الثاني وهو في أعلى اللوح فهو يصور نفس المقاتل على الأرجح، إذ يمثل بنفس الزي والسمات المميزة، وهو يمسك في هذا المنظر برمح طويل ويتأهب لغرسه في عنق أسد يثب نحوه مهاجماً. ويرجح بعض الباحثين أن الهدف من هذا اللوح هو تخليد ذكرى الصراع مع البيئة في أرض القسم الجنوبي من العراق وتهيئته للاستقرار ثم التطور إلى مرحلة المدنية.

ويدخل إنتاج الأختام الأسطوانية في نطاق النحت على الحجر، إذ صنعت هذه الأختام، وهي بشكل الأسطوانة الصغيرة، من أحجار صلبة حفرت عليها أشكال معظمها حيوانية وبشرية، وقد ظهرت الأختام الأسطوانية في مرحلة الوركاء (٤) وكثر استخدامها بعد ذلك منذ مرحلة جمدة نصر. ويبدو أن الغرض الأول من الأختام الأسطوانية هو الدلالة على الملكية الشخصية، ثم استخدمت بعد ذلك في طبع الألواح الطينية واستخدمت لأغراض دينية وحربية. وقد انتشرت هذه الأختام الأسطوانية، عن طريق التجارة على الأرجح، في القسم الشمالي من العراق، كما انتشرت أيضاً في الشمال السوري وبلغت الأناضول ومصر وبعض مواقع الهضبة الإيرانية.

وتعتبر ظاهرة ازدياد مجالات الاتصال الخارجي من الظواهر الهامة في عصر حضارة جمدة نصر والتي اتضح امتدادها حتى مصر والهند، ويغلب أن الطريق البحري كان هو المستخدم في هذه الصلات، ومن المحتمل العثور على آثار المحطات الحضارية التي كان على تلك السفن التوقف عندها في سواحل عمان وحضر موت والبحر الأحمر ولا يمكن حسم هذا الموضوع دون إجراء المزيد من الحفائر لاكتشاف تلك المحطات الساحلية في شرق وجنوب شبه الجزيرة العربية وكذلك سواحل البحر الأحمر للوصول إلى حل نهائي يحسم موضوع هذه الصلات.

الفصل الثاني

السومريون

تقع بلاد سومر واكد في الوادي الأسفل لنهري دجلة والفرات وإلى جنوبها وغربها تقع الصحراء العربية والخليج العربي الذي كان يمتد في تاريخ سومر المبكر شمالي مجاورات أريدو. ومن المحتمل أن نهر دجلة كان يكون أصلاً حداً طبيعياً من ناحية الشرق وهي الناحية التي كان من الممكن التوسع من خلالها، وربما كان منشأ الصراع مع عيلام يرجع إلى الطمع في التوسع إلى شرق النهر، وعلى أية حال فإن مدى النفوذ السومري والسامي كان يمتد إلى المنحدرات السفلي للتلال العيلامية، وعلى ذلك فإن المساحة التي كان تشغلها سومر واكد لم تكن كبيرة.

وتتكون أرض سومر واكد من سهل فيضي، وتعتمد الحياة في هذه المنطقة على نهري دجلة والفرات. وكان النهران يغيران مجراهما باستمرار، وإن كان نهر دجلة أقل عرضة للتغيير بسبب ضفافه العالية المتينة نسبياً. ويتضح تغير مجاري النهران في بقايا المدن القديمة التي كانت موجودة على ضفافهما ثم أصبحت حالياً بعيدة عنهما. وعلى ذلك فإنه يجدر ملاحظة أن مدن سومر واكد كانت تقع جميعاً على ضفاف الفرات أو بعض روافده، وليس على ضفاف دجلة فيما عدا مدينة «أوبس» أبعد مدن اكدالي الشمال، ويفسر البعض ذلك بسرعة جريان نهر دجلة وارتفاع ضفافه مما حال دون استثماره في الري، بعكس نهر الفرات ذو الضفاف المنخفضة وبطء جريان مياهه نسبياً في شهور الصيف.

ولم يكن هناك فاصلاً طبيعياً بين سومر واكد.فكان النصف الشمالي الشرقي يحمل اسم اكد كما كان القسم الجنوبي الشرقي عند رأس الخليج

العربي يعرف باسم سومر، وطبقاً للنصوص السومرية فإن مدينة «لجش» و «أورك» و «أور» و «لارسا» و «أوما» و «ايسين» و «أريدو» كانت ضمن أرض سومر، أما مدينة «نيبور» فكانت تقع بين سومر واكد وشغلت مكاناً فريداً كمركز ديني متوسط.

ولعل أول ظهور لأسمى سومر واكد في النصوص العراقية القديمة يرجع إلى عهد ملوك أور الذين أطلقوا على أنفسهم لقب «ملوك سومر واكد». ولقد أطلق أهل الجنوب على بلادهم فيما قبل ذلك اسم «كلم Kalam» أي الأرض، وعرف حاكم البلاد باسم ملك الأرض[1].

ولقد اختلف المؤرخون في أصل السومريين، ولا يزال ذلك الأمر مشكلة يختلف بشأنها العلماء حتى أصبحت تسمى باسم «المسألة السومرية». وتقوم الدراسات في هذا الصدد على أساس لغوي وبشري، فمن الناحية اللغوية لا تنتمي اللغة السومرية إلى إحدى العائلات اللغوية الثلاثة وهي عائلة اللغات السامية وعائلة اللغات الحامية وعائلة اللغات الهندية الأوروبية، كما ثبت عدم اتصال تلك اللغة باللغات الأخرى مثل الصينية والتبتية والدرافيدية والمجرية والإفريقية والهندية الأمريكية ولغات جزر المحيط الهادي. وعلى ذلك فقد اتجه العلماء إلى البحث عن بعض العناصر التي يمكن تلمس وجه شبه بينها وبين بعض العناصر الأخرى سواء كان ذلك في المجال الفكري أو المادي. ويقدم العلماء العديد من الافتراضات بشأن أصل السومريين والتي يمكن إيجازها فيما يلي:[2]

فهناك من المؤرخين من يرى أنهم انحدروا من الأقوام التي قطنت العراق في عصور ما قبل التاريخ وهي العصور التي سبقت عصر فجر

(١) نجيب ميخائيل إبراهيم: مصر والشرق الأدنى القديم، حـ٥، الشرق الأدنى القديم، القاهرة ١٩٦٣، ص ٨٧ ـ ٩٥.

(٢) انظر: عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٣٨٦ ـ ٣٨٩، وكذلك: محمد عبد اللطيف محمد علي: المرجع السابق، ص ١٦٤ ـ ١٦٩، وكذلك: صمويل كرامر: من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، القاهرة، ١٩٥٧، اللوحات ١٤ ـ ١٦، ٧١، ٧٨، وكذلك: =

السلالات، وأنهم عرفوا باسم السومريين في الأزمنة التاريخية نسبة إلى الجزء الخاص من العراق الذي تمركزوا فيه وهو القسم الجنوبي الذي سمي باسم «شومر» أو «سومر» ولعل أقوى ما يجعل هذه الفرضية رأياً قريباً من الواقع أن أسس الحضارة التي سميناها بالحضارة السومرية والتي ازدهرت في عصر فجر الأسرات (السلالات) يمكن اقتفاؤها إلى المراحل الحضارية المسماة بعصر ما قبل الأسرات، مما يكون استمراراً حضارياً، أي أن أصول الحضارة السومرية نشأت في العراق ويمكن تتبع أسسها وأصولها فيه منذ أقدم الأزمنة فبإمكاننا أن ندعو أهل العبيد من السومريين قياساً على ظهور أبرز مقومات الحضارات السومرية فيه كالمعابد والقرى على الرغم من أننا نجهل اللغة التي تلكم بها أهل العبيد

ومنهم يرى أنهم جاؤا من المرتفعات التي في شرق بلاد النهرين أو شمالها الشرقي، عن طريق أرمينيا وإيران، ولوأنه يمكن أن نستبعد أرمينيا من هذا الفرض، على أساس أنه من المستبعد أن يهبط المهاجرون منها ويتجاوزون المناطق الصالحة للاستيطان القريبة منها في شمال العراق، وليذهبوا عنها ثم يستقروا في الأجزاء الجنوبية التي كانت أطرافها لا تزال حينذاك وحشية الطابع تتطلب مجهودات كبيرة لتهذيبها وتيسير الانتفاع بها، ومرة أخرى قد يتصل بهذا الأصل الجبلي المفترض، وصلة أسلاف السومريين المقترحة بمرتفعات إيران، وبصلة بعض الأرباب السومريين بدنيا المرتفعات، ثم ما أتت به أسطورتان لملك سومري يدعى (انمركار) اعتبرته القوائم السومرية المتأخرة ثاني ملوك الأسرة الأولى في مدينة «أوروك» بعد الطوفان. . . .

Speiser, E. A., "The Sumerian Problem Reviewed". In Hebrew Union College Annual, XXIIII =
(1950 - 1951), p. 339 ff.,

Langdon, S. H., "Sumerian Origins and Racial Characteristics" In Archaeologia, To (1920),
p. 1.54ff

وقريب من هذا الفرض رأي ذهب فيه «صمويل كرامر» إلى اعتبار السومريين بدوا مما وراء ـ القوقاز أو مما وراء بحر قزوين، اندفعوا إلى مناطق غرب إيران فيما يعاصر أيام العبيد أو أوائل الوركاء، ونجحوا في اقتباس حضارة النهرين التي امتدت منها (على حد رأيه) عبر حدود إيران ثم استعانوا بما تعلموه منها وبخفة الحركة البدوية في الاندفاع منذ الربع الأخير من الألف الرابع ق. م. ، إلى جنوب العراق وسيطروا عليه تدريجياً خلال فترة من فترات حضارة الوركاء، وكان لما أشاعوا به من الاضطراب حينذاك أثر في بداية ركود حضاري شامل وإن يكن قد نشأ في خلال هذه الفترة ذاتها (حوالي القرن الثلاثين ق. م) عصر البطولة السومري الذي قام على الشجاعة الفردية للقادة السومريين ومحاولتهم تملك زمام السلطة في المدن المغلوبة على أمرها وسيما إنه لم يكن عليهم أن يبسطوا سلطانهم عليها وحدها وإنما كان عليهم أن يواجهوا في الوقت نفسه هجرات سامية غربية لم تكن تنقطع اندفاعاتها على حدود العراق وعندما تمت الغلبة للسومريين وتم اندماجهم في السكان الأصليين الذين كانوا أرقى حضارة منهم بدأ العصر الشبيه بالكتابي في العراق حوالي القرن التاسع والعشرين ق. م.

وافترض رأي رابع أن السومريين هاجروا من منطقة تقع فيما بين شمال الهند وبين أفغانستان وبلوخستان، واستقروا بعض الزمن في غربي إيران ثم نزحوا منها إلى بلاد النهرين عن طريق الخليج العربي وجزره البحرية وزكي أصحاب هذا الرأي فرضهم بما لوحظ من تشابه أوائل طرز الفخار السومري القديم وزخارفه في بلاد النهرين مع نماذج الفخار القديمة التي انتشرت جنوباً حتى منطقة «خاربا» و «موهنجودارو» بسهل اكسند، وذلك مما يوحي بروابط جنسية وحضارية بدائية قديمة بين أهل هذه النواحي الذين سبقوا الأجناس الهندوأوروبية في سكناها والذين يكفي أن يقال عنهم من الفروع المبكرة للسلالات الآسيوية والإسيائية، وذلك مع تقدير ما ألمحت إليه الأساطير السومرية أن أصحابها الأوائل هاجروا من الجنوب عن طريق البحر في عصور كان الناس لا يزالون يسعون فيها على أربع على حد زعمها

واستقروا حيناً في جنة تلمون (أودلمون) وهي فيما يرجح جزيرة البَحرين الحالية. ثم نزحوا منها إلى «كالاما» بالعراق لأمر لم تسجله الأسطورة.

هذا ويمكننا أن نرى في كثرة استخدام السومريين للمادة الحجرية، وما سجلته العديد من نماذج النحت على الحجر من مناظر تمثل الحاكم ذي السمات المميزة التي لا تتغير، ومناظر الحروب التي لم تخل بأي حال من تمثيل هذا الحاكم، ما يعبر عن أن هؤلاء السومريين كانوا شعباً جبلياً مقاتلاً فرض نفسه عن طريق الحرب، ويرجح أن يكون المواطن الأصلي الذي وفدوا منه هو المنطقة الشمالية من التخوم الشرقية (جنوب ديالي) وهي منطقة متفوقة حضارياً، فضلاً عن طبيعتها الجبلية التي تتوفر فيها الأحجار والتي تضفي على ساكنها صفة المقاتل، وقد يؤكد هذا الموطن الأصلي أيضاً كثرة ما قدمته مرحلة ما قبل الكتابة من صناعة معدنية وخاصة النحاس الذي يمكن أن يكون مصدره المنطقة الجبلية الشرقية التي وفد منها السومريون.

وفيما يتصل بتاريخ دخول العناصر السومرية واستقرارها في جنوب العراق فقد تعددت وجهات نظر الباحثين بخصوص هذا الأمر، ويتجه بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن دخول السومريين كان عند نهاية الألف الرابع قبل الميلاد وذلك مع ظهور الكتابة في جنوب العراق، ويعتقد صمويل كرامل أن هذه الهجرة قد سبقت ظهور الكتابة مباشرة[1]، إلا أن الكتابة التصويرية البدائية قد نشأت في جنوب العراق بعد أن حتم ظهورها التطور الحضاري العام الذي ظهر في جنوب العراق من قبل ذلك التاريخ سواء كان ذلك قد تم على أيدي السومريين أو على أيدي جماعات أخرى. ولما كانت هذه الكتابة الأولى تعبر عن اللغة السومرية فيفترض أن أصحابها قد أتوا إلى البلاد منذ زمن بعيد يقدر بعشرات وربما مئات السنين.

(١) Kramer, S. N., "Newlights on the Early History of the Ancient East" In American Journal of Archaeology, vol. 52 (1948), p. 156 ff

ويتجه بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن السومريين كانوا أول من سكن جنوب العراق ويعتمدون في ذلك على التشابه الحضاري بين حضارة العبيد والمراحل السابقة لها والتي تمثلها حضارة أريدو والحاج محمد[1] . ويتجه رأي ثالث إلى الاعتقاد بأن هذه الهجرة قد حدثت في عصر حضارة العبيد وذلك ما بين عام ٤٠٠٠ و ٣٥٠٠ ق. م[2] .

ويصعب في ضوء المصادر المتاحة كشف الغموض الذي يحيط سواء بأصل السومريين أو تاريخ مجيئهم إلى جنوب العراق ، إلا أنه يتبين أن هؤلاء السومريون قد سكنوا إلى جانب جماعات أخرى وبخاصة العناصر السامية التي وفدت من شبه الجزيرة العربية في موجتها الشمالية الشرقية تجاه بلاد الرافدين ، وقد تمكن كل من السومريين والساميين من تكوين عدد من المدن الرئيسية ورد ذكرها في قائمة الملوك السومرية ، وكان لكل مدينة استقلالها الذاتي سواء في ملكية الأرض أو استغلال موارد المياه وكذلك الاستقلال السياسي والحضاري وذلك على أساس أن عملية الاستقرار في جنوب العراق لم تكن عملية متجانسة ، لما تتطلبه مجهودات تجفيف الأراضي وبناء المدن وحفر القنوات وتجهيز المكان من تفاوت من جهة إلى أخرى ، هذا بالإضافة إلى أن تلك التحركات البشرية الآتية على الإقليم لم تكن دفعة واحدة وأخيرة بل غلبت عليها الدفعات المتعاقبة حسب المتطلبات الاقتصادية والبشرية. وقد أدى كل ذلك إلى اتسام مرحلة بداية العصر التاريخي في العراق القديم وبصفة خاصة أثناء فجر الأسرات السومرية بظاهرة حكومات المدن المستقلة وعدم تواجد الدولة السومرية المتحدة في تلك الفترة ، ولكن على الرغم من تلك الفرقة السياسية فقد كان هناك تآلف حضاري وتعامل سياسي طبيعي بين كل من العناصر السومرية والسامية. فقد ثبت بالأدلة النصية تعاون كل العنصرين في كافة الجوانب دون أية تفرقة عنصرية بينهما مما أدى إلى تفاعل

---

(١) Oates, J., "Ur and Eridu", In Iraq, vol. 26 (1960).

(٢) Frank fort, H., Archaeology and the Sumerian Problem, Chicago, 1932, P. 21 ff.

الأصول الحضارية السامية والسومرية في بوتقة واحدة واتسام الحضارة العراقية منذ البداية بذلك الطابع الوحدوي، كما يتضح في المراحل التالية عندما يرث الأكديون الحضارة السومرية بل والخط والأدب والأفكار السومرية ويطبعونها بالطابع السامي المناسب لدولتهم الجديدة.

ولقد تكونت كل من حكومات المدن من مدينة ومجاوراتها من الأراضي التي قام سكان المدينة بزراعتها، وأحياناً ضمت حكومة المدينة أكثر من مدينة واحدة فضلاً عن عدد من القرى التي كانت تتبع المدينة الرئيسية، وتقع المدينة الرئيسية في وسط حكومة المدنية وكان يتوسطها معبد ألهها المحلي وهو الإله الرئيسي لحكومة المدنية، ويعتبر أكبر مالك للأراضي فيها وذلك بالإضافة إلى بعض معابد الآلهة الأخرى ذات الصلة بالآلهة الرئيسية، وكان لهذه المعابد أملاكها الضخمة، مما يرجح أن معظم أراضي حكومات المدن في مطلع العصر التاريخي كانت تعتبر أملاكاً للآلهة، وقد عبرت أقدم الأفكار الدينية لدى السومريين عن أن الإنسان قد خلق ليخدم الآلهة.

ويقوم التنظيم السياسي السومري على أساس نظام حكومات المدن الذي يجعل لكل مدينة استقلالها الذاتي في حكومته، ومن أولى المظاهر التي تعبر عن هذا التنظيم السياسي تواجد جمعية عمومية لجميع المواطنين في المدينة ووظيفتها الاجتماع في أوقات الحاجة للبت في الموضوعات التي تهم المدينة بأسرها كاختيار كبار المسؤولين في الحكومة واتخاذ قرارات الحرب، ويعتبر ذلك التنظيم السياسي مرحلة هامة في تاريخ الفكر الإنساني لأنه يشهد بتواجد التفكير الديمقراطي في بداية العصر التاريخي وانتخاب الحاكم الذي يرأس حكومة المدينة بناء على قرارات الجمعية العمومية[1].

دويلات المدن السومرية:

أن ما نعرفه عن دويلات المدن اضأل من أن يستطيع أن يقدم صورة كاملة للحياة السياسية بكل منها، بل ونشأتها وربما لا يعدوا ما لدينا أسماء ملوك تنظم

(١) رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص ٢٥٢.

إلى أسرات ، سجل جداولها الكتبة السومريون أنفسهم وذلك في تعاقب زمني يشير إلى مدة حكم الملك ثم الأسرة ، وقد قسمت الجداول إلى قسمين يفصلهما حادث هام هو «الطوفان» وما قبل عصر الطوفان هو العصر الأسطوري وما بعده هو العصر التاريخي ، وقد اعتمدت الحياة السياسية على إمارات أو دويلات المدن فعلاً - كما روت الأساطير دون أن تتطور إلى نظام الدولة المركزية الكبيرة الواحدة ، وترتب على ذلك أن تعاصرت دويلات وأسر حاكمة كثيرة في المدن في وقت واحد.

وتبدأ قائمة الملوك السومرية بإعطاء بيان عن المدن الخمس التي قامت فيها الملكية لأول مرة في البلاد ، وتشير إلى أسماء الملوك الذين حكموا في كل من هذه المدن وسنوات حكم كل منهم ، ويلاحظ أنها أعطت لهم سنوات حكم خرافية تفاوتت فيما بين ٤٣,٢٠٠ عام و ١٨,٦٠٠ عام وليست لدينا أية أدلة أثرية أو مادة نصية عن الملوك الأسطوريين لهذه المرحلة السابقة على الطوفان والذين ورد ذكرهم في قائمة الملوك السومرية فيما عد ملك شورباك الذي ورد اسمه في بعض الأساطير.

وتفيد قائمة الملوك السومرية أنه بعد الطوفان أنزلت الملكية مرة أخرى من السماء على مدينة كيش ومنها انتقلت إلى غيرها من المدن السومرية بالتوالي ، وبلغ عدد الأسرات الحاكمة لهذه المدن قبل قيام أسرة أكد أربع عشرة أسرة ، كانت أولها أسرة كيش الأولى وآخرها أسرة الوركاء الثالثة.

وبلغ عدد ملوك أسرة كيش الأولى - كما ورد في قائمة الملوك السومرية - ثلاثة وعشرون ملكاً يحمل بعضهم أسماء سامية ، ومن أشهر ملوك هذه الأسرة الملك «إتانا» الذي تصفه القائمة بأنه جعل كل الأراضي ثابتة ، مما قد يشير إلى امتداد نفوذه إلى الأراضي المجاورة لحدود مدينته[1] كما أشارت القائمة إلى صعوده إلى السماء ، وهو الأمر الذي رددته فيما بعد أسطورة أكدية وأشارت إلى أنه حرم من الذرية ، فحاول أن يحصل على نبات الولادة الموجودة في

---

(١) Kramer, S. N., The 'Sumerians, chicago and, London, 1970, p. 43.

السماء بعيداً عن متناول البشر، وتقص الأسطورة المصاعب التي قابلها في سبيل ذلك. ودخل آخر ملوك أسرة كيش وهو «أجا» في حروب مع جيلجامش خامس ملوك الوركاء، وكانت من نتيجة هذه الحروب انتقال الملكية إلى أسرة الوركاء الأولى وتجدر الإشارة إلى ما تمتع به جيلجامش من شهرة ترجع إلى كونه كان بطل الأسطورة الأكدية الشهيرة التي تحمل اسمه «ملحمة جيلجامش»، والتي جاء ذكرها في الروايات البابلية والأشورية والحيثية والحورية، وتدور حول الإنسان وما يحمله من عواطف إنسانية وإن الموت هو مصيره المقدر له[1] وينسب إلى جيلجامش بناء أحد أبنية بين أنليل في مدينة نيبور، وبناء السور المحصن لمدينة الوركاء. وتبع جيلجامش سبعة ملوك في أسرة الوركاء ثم انتقلت الملكية إلى مدينة أور بعد أن هزمت الوركاء.

وقد كشف سير ليونارد وولى على مجموعة من المقابر الضخمة في مدينة أور، وتؤرخ تسجيلاتها الكتابية بالفترة المبكرة من مرحلة عصر الأسرات المبكرة، وتضم الجبانة التي كشف عنها ما يزيد على الألفين وخمسمائة قبراً عثر في بعضها على بعض القطع الأثرية الهامة[2]، ومن الأشياء التي كشف عنها قطعة خشبية مطعمة يطلق عليها «علم أور» وهي تحوي مناظر على كلي وجهيها، وتعبر النقوش الموجودة على أحد الوجهين عن الحرب، والنقوش التي على الوجه الآخر عن السلام ويظهر فيه الملك جالساً مع أفراد عائلته وهم يحتفلون بأحد الأعياد.

ومن القبور الملكية الهامة التي عثر عليها قبر الملكة «شوب ـ أد» والذي عثر فيه على ختم إسطواني من اللازورد يحمل إسم هذه الملكة، كما احتوى أيضاً على قطع أثرية رائعة أهمها مجموعة الحلى التي كانت تغطي جمجمتها.

---

(١) انظر: Kramer, S. N.,"The Death of Gilgamesh", In ANET, pp. 50 - 52.

(٢) Woolley, L., Excavations at Ur, London, 1963, Pls. 7 - 11.

ولقد كـان أول ملوك أسرة أور هو الملك «مس أني باردا» الذي تشير نقوشه إلى تشييده لأحد الأبنية في بيت انليل بمدينة نيبور، ولقد خلفه في حكم أور ابنه «أأني ـ بادا» الذي يشتهر ببناء معبد الآلهة ننحر ساج فـي العبيد، ويعد هذا المعبد من أهم أثاره التي عثر عليها.

ولعل لجش كانت من أكبر منافسي أور وقد دلت نتائج الحفريات فيها على أنها بلغت حداً من التقدم جعلها تقف على قدم المساواة مع زميلتها أور، وتاريخ دولة لجش يبـدأ بملكهـا القـوي «أور نينا» الـذي اشتهـر بأعمالـه السلمية، وتذكره الوثائق على أساس قيامه بتشييد المعابد وصنع تماثيل الآلهة وشق القنوات وبنائه سور المدينة. وتفيد نقوشه أيضاً أن سفن دلمون كانت تحضر له شحنات الخشب من الجبال وهي أقدم إشارة في النقوش العـراقية إلى دلمون[1]. ويبدو أنه قد حكم مدينـة أور وأخضعها لنفوذه إذ أقام بهذه المدينة لوحاً حجرياً لا يزال يحتفظ ـ رغم ما تعرضت له نقوشه من محو ـ بآثار هذه النقوش التي تحتوي على صورة الملك واسمه.

وفي عهد «أيانا توم» قامـت الحـرب بين لجش وأومـا بسبـب تحـديد الحدود ومياه الـري ويبـدو أن المعـركة كانـت بالغـة العنف وأن النصـر تم للجش، ويبدو أن أهل أوما لم يستكينوا داخل أسوارهم بل خرجوا للقاء ملك لجش ليمنعوه من اجتياح مزارعهم ومراعيهم، وبعد الانتصار في السهل تقدم ملك لجش نحو الأسوار واستطاع أن يقتحمها فسقطت المدينة تحت سيطرته فأعمل فيها السيف في إبادة كاملة ثم جمع جثث القتلى من رجاله وترك القتلى من الأعداء في العراء إلا من وجده يشغل الطريق فألقى به خارج الأسـوار فريسة للطيور الجارحة والحيوانات الضارية، ومن هنا سميت هذه اللوحـة بلوحة العقبان، وقد فرضت الجزية على المهزومين وعدلت الحدود لصالح لجش[2].

(١) Kramer, S. N., The Sumerians, pp. 281 - 283, 308 - 309.

(٢) Ibid., p. 313.

ثم دفع هذا الانتصار «أياناتوم» إلى استئناف القتال ضد أور، وأوورك وكيش وأوبس، وهكذا توج ملكاً على سومر، إلا أنه مما لا شك فيه أن هذه الحرب قد تسببت في نهاية الأمر إلى ضياع دولته الصغيرة التي كونها، ذلك لأن «أوما» سرعان ما استأنفت القتال طلباً للثأر وكان «أياناتوم» قد مات فخلفه أخوه «أيناناتوم» الذي تقابل مع جيش أوما في (أوجيجا) حيث دارت رحى الحرب التي انتهت بهزيمة أوما وفرض عليهم تعويض من الشعير.

ولم يستلم «أورلوما» ملك أوما، فظل يثير المتاعب حتى تمت هزيمته وذبحه على يد (أنتمينا) ملك لجش، الذي خلف أباه «أيناناتوم» على عرشها، ثم ضم «أنتمينا» أوما إلى بلاده ونظم الأمور فيها، ويعد أنتمينا من أعظم ملوك أسرة لجش الأولى، فبالإضافة إلى جهوده الحربية حقق ازدهاراً داخلياً كبيراً، ثم مات «أنتمينا» وخلفه على العرش ابنه «أيناناتوم الثاني» آخر سلالة «أورنينا»، ولسنا نعرف الكثير عنه ولا عن خلفائه من بعده حتى عهد «أور كاجينا» المصلح وهو يشتهر بما أصدره من تشريع لإصلاح الشؤون الداخلية للبلاد، وتعد مجموعة قانينه أقدم ما سجله التاريخ من تشريعات[1]. ولقد قدر للمدينة في عهده أن تقاسي الكثير من المتاعب حيث استطاع «لوجال زاجيزي» أن يستولى على لجش وأن يدمرها ذلك لأنه فيما يبدو أن «أوما» لم تركن إلى الاستسلام بعد هزائمها السابقة، فأعادت الثورة تحت قيادة لوجال زاجيري واستطاعوا هذه المرة أن يجتاحوا بلاد لجش ودمروا المدينة نهائياً وبذا ورثت أوما مركز لجش بين المدن السومرية.

وهنا تجرأ «لوجال زاجيري» بنصره فبدأ في تنفيذ مشروع لم يجرأ أسلافه على المضي في تنفيذه وهو مشروع توحيد المدن السومرية تحت زعامته ونقل مركز نشاطه إلى أوروك واعتبر نفسه ملكاً على سومر، ولكن يبدو أن الرجل لم يكن قنوعاً فوصل في إغاراته حتى الخليج العربي في الجنوب وحتى سورية في الشمال حيث دون على إناء للآله إنليل في نيبور أن غزواته شملت كل

(١) Ibid., pp. 317 - 322.

بلاد النهرين وسورية أو «من البحر الأدنى» (الخليج العربي) حتى البحر الأعلى (البحر المتوسط) وهنا لنا أن نتساءل: هل اشتملت دولة لوجال زاجيري ملك أو ما حقا شمال العراق وسورية حتى شاطىء البحر المتوسط، الواقع أن ذلك مستبعد جداً فليس هناك من دليل عليه أو إشارة واضحة تؤكده بل أن علاقته بـ «أكد» ليس من دليل عليها كذلك، وأغلب الأمر أن حدوده لم تزد عن بلاد سومر نفسها وأن النص لا يحتمل هذا التخريج وبخاصة إننا سنلتقي بـ «كيش» بعد قليل تبسط سيادتها على بابل الشمالية وربما تمكن لوجال من الحصول على اعتراف الساميين في ماري بخوضعهم له أو الاتحاد معه، وكان هؤلاء بدورهم لهم نفوذ على الساميين في سوريا وعلى أية حال فإن إمبراطورية لوجال زاجيري لم تستمر أكثر من ٢٥ سنة حيث قضى عليه وعلى إمبراطوريته الأمير السامي «سرجون» ملك أكاد.

وبسقوط لوجال زاجيري، وأسرة الوركاء الثالثة ينتهي عصر الأسرات المبكرة لحكومات المدن في تاريخ العراق القديم، وتبدأ بعدها مرحلة جديدة مميزة يتغير فيها طابع البلاد من تاريخ حكومات المدن إلى تاريخ الدولة. وهي الدولة الأكدية.

الفصل الثالث

العصر الأكدي

يمثل قيام الأسرة الأكدية في العراق القديم سيادة العنصر السامي بدءاً من هذه المرحلة ، وحققت هذه الأسرة منذ قيامها وحدة سياسية للبلاد انهت بها عصر حكومات المدن الذي ساد خلال العصر السابق ، على أيام السومريين ، ونجحت في مد نفوذها على مناطق بعيدة خارج نطاق السهل العراقي .

فقد كان للساميين عدة مدن في العراق القديم بجانب المدن السومرية ، وقد تعايشوا جنباً إلى جنب مع السومريين بعد وفود السومريين إلى جنوب العراق منذ مرحلة ما قبيلة الكتابة على الأقل وأثناء عصر الأسرات المبكرة ، وذلك وفقاً لما يشهد به ورود الأسماء السامية في اللغة السومرية .

وقد احتوت أقدم الوثائق السومرية من الألف الثالث ق . م على كلمات لم تكن سومرية ، ويرجح أن أصحابها هم أسلاف الساميين الذين سبقوا السومريين في الاستيطان بالقسم الجنوبي من السهل العراقي وفرضوا كلماتهم على اللغة السومرية ، ومن أمثلة هذه الكلمات غير السومرية بعض أسماء الحرفيين مثل الفلاح والراعي والنساج وصانع السلال والنجار ، ولعل من أقدم هذه الكلمات كانت كلمة تاجر والتي كان يطلق عليها «مكر» .

وتكثر الأسماء السامية في اللغة السومرية منذ بداية العصر التاريخي ، ومن أهمها ما يدخل في تركيبه الكلمة السامية «إيل» التي تعني إله ، كما حمل أقدم ملك لأول حكومات المدن التي نزلت عليها الملكية وهي أريدو إسما ساميا هو «الوليم» . وكان نزول الملكية للمرة الثانية بعد الطوفان في مدينة كيش التي يبدو أنها كانت مركزاً للعناصر السامية إذ حمل مما يقرب من إثني

عشر ملكاً من ملوكها الثلاثة والعشرين أسماء سامية.

ولا يتبين من أحداث عصر الأسرات المبكرة في جنوب العراق القديم ما يشير إلى قيام منازعات أو عداء بين السومريين والساميين قبل قيام أسرة أكد السامية مما يعبر عن تعايشهم وقتئذ في سلام، وستبدوا مظاهر العداء واضحة بين السومريين والساميين منذ عصر أسرة أكد نتيجة لفقد السومريين سلطانهم وتفوقهم السياسي.

ويرجح أن القسم الشمالي من جنوب العراق كان منطقة تجمع العناصر السامية، وتوجد في هذه المنطقة مدن بابل وسيباروكشاك وكيش وأكد التي أسسها سرجون، ولذلك أطلق على هذا القسم تسمية أرض أكد، بينما حمل القسم الجنوبي الذي يمتد من مدينة نيبور شمالاً إلى مدينة أريدو جنوباً تسمية أرض سومر، ويصعب في الواقع تحديد فواصل محددة لمناطق الاستقرار السامي والسومري في عصر الأسرات المبكرة، وخاصة أن الأسماء السامية ترد في أسرات الوركاء وأور السومرية، كما ترد الأسماء السومرية في أسرات كيش وسبار، فضلاً عن أن المدينة الأخيرة وهي سبار ترد في أسطورة الطوفان السومرية كإحدى المدن السومرية الخمس التي أنزلت عليها الملكية من السماء[1].

ولقد قام بتأسيس «أكد Agade» (الاسم السامي لها) أو «أجادة» الإسم السومري له أو على الأقل من قام بتجديدها هو الملك سرجون السامي، وأصبحت عاصمة أطلق عليها اسم البلاد جميعاً، وأصبح هو «ملك البلاد» عندما تمت له هزيمة لوجال زاجيري، وبذا كون من العراق مملكة موحدة عام ٢٣٥٠ ق. م أو ٢٣٣١ ق. م، بينما هناك من يرجع ذلك إلى عام ٢٣٧١

(١) انظر: محمد عبد اللطيف محمد علي: المرجع السابق، ص ١٨٢ - ١٨٤، وكذلك عبد الكريم عبدالله: «ملامح الوجود السامي في جنوب العراق قبل تأسيس الدولة الأكدية» مجلة سومر، العدد ٣٠، ١٩٧٤، ص ٦٥، ٦٧، ٦٨.

وكذا: Kramer, S. N., op. cit., pp. 41, 288.

ق. م[1]. ويلاحظ أنه لم يتم التعرف على موقع مدينة أكد حتى الآن.

وقد استطاع الساميون الذين أسسوا أسرة بابل الأولى أن يضموا المنطقتين سومر وأكد معاً بصفة نهائية منذ أواسط الألف الثاني ق. م، وظلتا بعد سقوط الدولة البابلية الجديدة كما يتضح من نقوش الملك كيروش الفارسي، ولقد انهار الجنس السومري إثر الغزو وتراخي كفاحه ضد عيلام، وأحرقت مدنه لجش وأوما وأداب وغيرها واختفت اللغة السومرية، وإن ظلت لها بقايا في الطقوس الدينية وأصبحت أكد تعني القطرين معاً، وبهذا تجاوبت الوحدة السياسية مع الوحدة الجغرافية، ولم يعد اسم «سومر» للوجود مرة أخرى، بل إنها حين حاولت أن تعود إلى الأضواء السياسية مرة أخرى عرفت باسم «إقليم البحر»، أما اسمها الأول «سومر» فقد ضاع في غمار السلطان الجديد لأكد[2].

ويختلف المؤرخون بشأن المملكة الأكدية، فمنهم من يرى بأن وجود العنصر السامي في جنوب ووسط العراق يرجع إلى هجرة سامية حدثت في أوائل القرن الثامن والعشرين ق. م، وكانت مدينة كيش أهم مسرح لها، وما إن استقر الأمر لهؤلاء الساميين حتى عملوا على توسيع رقعة سلطانهم ونجحوا في ذلك حتى استطاعوا أن يغيروا مجرى التاريخ في العراق القديم. ومن المؤرخين من يرى أن الساميين كانوا بالعراق منذ أقدم العصور، وقد عاشوا جنباً إلى جنب مع السومريين بدليل وجود أسماء سامية لملوك سلالة كيش الأولى ـ كما سبقت الإشارة ـ ولكنهم كانوا من غير شك يكونون غالبية السكان في شمال العراق.

وليس هناك ما يعرف يقيناً عن تفاصيل الظروف التي هيأت لهذا الفرع من الساميين الاستقرار في بلاد العراق القديم والتأثير في مجريات أمورها، ولكن يحتمل أنهم قد بدأوا دخولهم إليها عن طريق التسلل البطيء، حيث وجدت

---

(١) نجيب ميخائيل إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٣١ ـ ١٣٢.

(٢) محمد أبو المحاسن عصور: المرجع السابق، ص ٣٥٥.

أسماء وكلمات سامية متفرقة في نصوص سومر منذ أواسط الألف الثالث ق . م ، وأن تطاحن المدن السومرية في جنوب العراق من أجل الزعامة الداخلية قد صرف أنظارهم عما كان يدور في أطراف أرضهم شمالاً ، وذلك على الرغم مما زعمته نصوص الملك السومري لوجال زاجيري من أنه قد استطاع أن يمد فتوحاته من البحر الأدنى إلى البحر الأعلى[1] .

وفي ظل هذه الظروف تمكن الساميون من السيطرة على بضع مدن سومرية النشأة كان من أهمها مدينة كيش فاستفادوا من حضارتها ، هي وأمثالها من المدن الأخرى ، وتأقلموا عليها شيئاً فشيئاً ، ولقد نجح العنصر السامي إلى أبعد الحدود ، وتركـز في المنطقة الوسطى من العراق ، وقد عرفت هذه المنطقة باسم «اكد» ولذا يطلق على الدولة التي أسسها سرجون باسم «الدولة الأكدية» .

سرجون الأول :

تشير قائمة الملوك السومرية إلى سرجون (وهو تحريف للإسم الذي اعتلى به العرش وهو شروكين Sharru - Ken الذي يفيد معنى الملك الصادق أو الملك الشرعي) كمشيد لمدينة أكد التي انتقلت إليها الملكية بعد قهر مدينة الوركاء (أسرة الوركاء الثالثة) وهي تقع بالقرب من كيش ، وربما اختار هذا المكـان باعتباره من المراكـز الرئيسية لعبادة عشتار التي اعتبرها راعيته منذ صغره ، وكان معبدها فيها يسمى «يولماش» .

وتهتم القائمة بإيراد بعض البيانات عن نشأة سرجون المتواضعة قبل أن تؤول إليه الملكية ، فتشير أنه نشأ بستانيا ثم أصبح ساقياً للملك أورزابابا (ثاني ملوك أسرة كيش الرابعة) وأنه ثار ضد مولاه واستطاع أن يخلعه ويعتلي العرش من بعده وتقدم أسطورة متأخرة بيانات أخرى عن نشأته المتواضعة[2] فتشير إلى أن أمه كانت كبيرة كاهنات في «أزوبيرانو» على الفرات ، وقد

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤١٥ ـ ٤١٦ .

(٢) Speiser, E. A., "The legend of Sargon", In ANET, P. 119.

حملت به من أب مجهول وولدته سرا ، وعند مولده أودع سلة من القصب دهنت بالغار وألقى به في نهر الفرات حيث انتشلها فلاح يدعى «أكي» فاتخذه ابناً له ورباه وجعله بستانياً ، ولما بلغ أشدة أحبته عشتار فجعلته ملكاً (شكل ١١) .

وإيا ما كان نصيب هذه الأساطير من الصحة أو عدمها ، فإنه بعد توليه العرش في كيش بعد القضاء على سيده بدأ في تكوين امبراطوريته ، ومهد لذلك بتوحيد العراق لأول مرة توحيداً ظل فترة طويلة نسبياً ، فاتخذ لقب «ملك (أرض) سومر وأكد» ثم مهد لأطماعه الخارجية بأن ادعى لنفسه لقب «ملك الجهات (أو المناطق أو الأوطان) الأربعة» وهو لقب اعتاد أسلافه أن يصفوا به آلهتهم الكبار ، فانتحله لنفسه ، وهدف من ورائه أن يقنع به نفسه ويقنع شعبه بأنه نائب الأرباب على جهات الأرض كلها[1] !

ويفيد أحد نصوص الملك سرجون أن المدن السومرية التي تمكن من السيطرة عليها وهي كما ورد في النص مدينة الوركاء التي دمرها وحطم سورها واقتاد ملكها لوجال زاجيري أسيراً وهو مربوط في طوق حول عنقه إلى بوابة معبد إنليل السومري ربما لإظهار تبجيله لهذا الإله ، واسترضاء السومريين الذين أجبروا على الخضوع له ، أو ربما كان يهدف من وراء ذلك أن يخلع عن لوجال زاجيري ألقابه الدينية والدنيوية أمام المعبود إنليل ويتخذها لنفسه . ثم تمكن بعد ذلك ـ حسبما ورد في النص ـ من إخضاع بقية المدن السومرية وهي أور وأوما وبلغ بجيوشه الخليج العربي .

وبعد أن تمكن سرجون من توحيد أرض سومر وأكد اتجه إلى توسيع رقعة بلاده وتكوين امبراطوريته وكان المجال الرئيسي الذي اتجه إليه ناحية الشمال العربي ، وحسبما ورد في نص كتب في أعقاب نهاية أسرة أكد[2] وذكر خط سير حملة سرجون ، وقد جاء فيه أنه قد بدأ حملته من مدينة

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤١٧ .

(٢) Oppenheim, A. L., "Sargon of Agade" in A NET, PP. 267 - 268.

توتول إلتي تقع إلى الغرب من بغداد بحوالي ١٥٠ كيلو متر، ومنها اتجه إلى مدينته ماري التي تقع إلى الشمال الغربي من توتول بحوالي مائتي كيلو متر، وهي تعتبر أولى المواقع الهامة التي سيطر عليها سرجون. وبعد ذلك يشير النص إلى استيلاء قوات سرجون على مدينتي يارموتي وإبلا، ويصعب تحديد موقع هاتين المدينتين. وفيما يتصل بمدينة «يارموتي» فترجح بعض الأمراء أنها في غرب البحر الميت بفلسطين، أو أنها تقع إلى جنوب مدينة جبيل وذلك طبقاً لما ورد من ذكر لها في خطابات العمارنة[1]، إلا أنه يرجح أن تكون يارموتي تقع فيما بين ماري وإبلا أي إلى الشمال والشمال الغربي من ماري. أما مدينة إبلا فيرجح أن تكون في وادي نهر بلخ بالقرب من أورشو إلى الشمال الشرقي من قرقميش.

ويذكر النص بعد ذلك، أنه بعد الاستيلاء على مدينة إبلا توجهت جيوش سرجون إلى غابة الأرز التي تقع إلى الغرب منها، والتي يرجح أن تكون جبال الأمانوس التي تقع في أقصى شمال سوريا، وتنتهي الحملة عند «أبل الفضة» وهي جبال طوروس إلى الشمال من جبال الأمانوس[2].

هذا ويتجه «بوتيرو» Bottero [3] إلى الاعتقاد بأن «يارموتي» تمثل الحد الجنوبي للتوسع الأكدي جهة الشمال الغربي، ، وإن إبلا تمثل الحد الشمالي لهذا التوسع، ويرى أن تعبير غابة الأرز الوارد في النص لا يشير إلى جبال الأمانوس، بل كان المقصود به غابة أخشاب الأرز عامة والتي تتوفر بالدرجة الأولى في لبنان.

ويستدل مما جاء في قصة متأخرة تعرف باسم «ملك المعركة» وعرفت معظم أحداثها من لوح عثر عليه مع خطابات العمارنة في مصر، أن نفوذ سرجون قد امتد في الشمال الغربي إلى ما وراء جبال طوروس في

(١) Smith, S., Early History of Assyria to 1000 B. C., London, 1928, PP. 375 (note 6), - 376.

(٢) محمد عبد اللطيف محمد علي: المرجع السابق، ص ٢٦١.

(٣) Bottero, J., "Syria Before 2200 B. C.", In C. A. H., Vol. I Part II, PP. 324 - 325.

الأناضول ، حيث مد نفوذه على مدينة بور.و شخاندا Purushkanda التي تقع بالقرب من تبة كول . ويرى Gadd أنه إذا كان لهذه القصة أصل تاريخي ، فإن نفوذ سرجون في هذه الحالة يكون قد امتد إلى آسيا الصغرى[1] .

وفيما يتصل بالجهود الحربية لسرجون في الشمال الشرقي ، فيستدل من النصوص أنه قد تمكن من الاستيلاء على «سوبارتو» وهي تقع في شمال العراق وتمتد من نهر بلخ غرباً حتى جبال زاجروس شرقاً ، كما كانت منطقة آشور خاضعة لنفوذه ، وامتد نفوذه إلى منطقة عيلام ، التي نهب ثروات مدنها العظيمة سوسة وأوان .

أما في الجنوب ، فقد امتد نفوذه إلى رأس الخليج العربي ، وأصبح له بعض الإشراف على المناطق التجارية المتصلة بالخليج العربي والقريبة منه ، مثل جزيرة دلمون (جزيرة البحرين) وماجان التي يحتمل أنها كانت تشغل عمان الحالية ، وملوخا ، التي يحتمل وقوعها بين المنطقتين السابقتين[2] .

ونتج عن انتصارات سرجون وفتوحاته تدفق ثروات البلاد المفتوحة على أكد ، ويعبر نص يطلق عليه تسمية «لعنة أكد» ، عن مدى ما نعم به مواطنوها من رخاء في عهد سرجون ، ولقد جاء فيه :

«في هذه الأيام (عهد سرجون) امتلأ مقر أكد بالذهب ،
واكتظت منازلها المتألقة الضياء بالفضة .
واحضر إلى مخازنها النحاس والرصاص وألواح اللازورد ،
وانتفخت جوانب صوامع غلالها (من كثرة ما بها من حبوب) ،
ووهبت نساؤها المسنات الرأي (السديد) ،
ووهب رجالها المسنون فصاحة (القول) ،
ووهب شبابها (قوة الأسلحة) ،

---

(١) Gadd, C. J.,"The Dynasty of Agade and the Gutian Invasion", In C. A. H., vol., I, part II, PP. 426 - 427.

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤١٨ .

ووهب أطفالها الصغار قلوباً مرحة ،
. . . وامتلأ داخل المدينة . . . وخارجها . . . بالموسيقى ،
. . . (ولم) يشهد أهلها (سوى) السعادة»[1] .

ولعل مما يشير كذلك إلى عظمة سرجون ما جاء في أحد النصوص ويشير إلى أنه قد أحاط نفسه بحرس خاص بلغ قوامه ٥٤٠٠ جندي كانوا يأكلون يومياً في حضرته ، وأن أهل بلاطه سكنوا حول قصره في مساحة لا تقل عن خمسة أميال .

ومع ذلك ، فعند نهاية حكم سرجون ، تعرضت دولته للعديد من المشاكل الداخلية والخارجية ، والتي ورد بعض أخبارها في بعض النصوص مثل ما يعرف باسم «ألواح الفأل» و «أخبار سرجون»[2] ، ويفهم من هذه النصوص أنه نشبت ضده عدة ثورات بتأييد من سكان سهل سوبارتو ، وأن عاصمته قد حوصرت ، ولكنه تمكن من هزيمتهم وسحق جيوشهم وانتقم من مدنهم . ولقد أرجع النص المعروف باسم «أخبار سرجون» أسباب هذه المتاعب التي تعرض لها سرجون في أواخر أيامه إلى غضب الإله مردوك عليه لتنكيله بمدينة بابل وهدمه معابد الآلهة وإزالة أساساتها وإعادة بنائها من جديد حسب هواه ، فبسبب هذا الانتهاك غضب عليه الإله مردوك فأهلك شعبه ، وحول عنه الشعوب من الشرق إلى الغرب ، وابتلاه بألا يستريح في قبره .

وتجدر الإشارة أنه ـ فيما يذكر الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح ـ أن هذا التفسير الديني ليس إلا صورة من تخيلات الشعوب القديمة عن أسباب زوال الدول ، وبخاصة أن عبادة مردوك لم يكن لها شأن في أيامه ، وأن نصوصه صورته حريصاً على التقرب من أربابه واعتبرته رئيس كهنة عشتار ، والكاهن المنتخب للإله آنو ملك الأرض ، والإنس العظيم لإنليل ،وذكرت أنه

---

(١) انظر : محمد عبد اللطيف محمد علي : المرجع السابق ، ص ٢٧١ . وكذا :
Kramer. S. N., "The curse of Agade", In ANET, PP. 646 - 647.

(٢) Gadd. C. J., op. cit., P. 433.

ركع ذات مرة في صلاته أمام المعبود داجان[1].

ومات سرجون بعد أن حكـم حوالي ٥٦ عاماً، وذلك حسبما ورد في قائمة الملوك السومرية، ولقد حظى بتقدير الأجيال التاليه له، فنسجت عن نشأته وأعماله وفتوحاته الأساطير، كما حمل بعض ملوك أشور اسمه تيمناً به وتقديراً له.

ريموش Rimush :

خلف سرجون الأول ابنه ريموش، الذي بلغت مدة حكمه طبقاً لقائمة الملوك السومرية تسعة أعوام (٢٣١٥ - ٢٣٠٧ ق. م). وكان عليه منذ توليه العرش مواجهة الثورات التي نشبت ضد أكـد سواء في داخل العراق أو خارجها. وعلى ذلك، فلقد وجه جهوده كلها في سنوات حكمه الأولى لقمع هذه الثورات.

وبدأ ريموش بقمع الثورات الداخلية التي نشأت من جراء تمرد المدن السومرية بعد موت سرجون محاولة التخلص من السيادة من السامية الأكدية، وتزعم التمرد السومري مدينة أور، وتمكن ريموش من قمع هذا التمرد وأسر ملك مدينة أور «كاكو». وتظهر النصوص المتخلفة من عهد «ريموش» أنه قد بالغ في إنزال العقاب بالمدن الثائرة، ففضلاً عن الأعداد الضخمة من القتلى والأسرى الذيـن أوردتهم قوائمه، فقد أنزل عقابه على المدن فحطم أسوارها.

وبعد أن تمكـن ريموش من إخضاع المدن السومريـة، وجه جهوده الحربيـة نحو المناطق الشرقيـة لإعادة إخضاعها لسيـادته، بعد أن حاولت التخلص من النفوذ الأكدي بعد وفاة والده. وفي العام الثالث من حكمه اتجه نحو الشرق حيث بدأ بمدينة كازالو التي أسر حاكمها وعدداً كبيراً من سكانها بجانب الأعداد الأخرى التـي قتلها، وبعد ذلك توجه إلى عيلام، حيـث

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٤١٩.

دارت الحرب بينه وبين العيلاميين في مكان بين أوان وسوسة ، حيث تمكن «ريموش» من تحقيق انتصار حاسم عليهم ، سجلته نصوص «ريموش» وعثر عليه على العديد من الوثائق في نيبور ، وطبقاً لما ورد في هذه النصوص فقد ألحق «ريموش» بالعيلاميين خسائر فادحة تمثلت في قتل ما لا يقل عن ستة عشر ألف قتيلاً ، وأسر ما لا يقل عن أربعة آلاف أسير ، واحضر «ريموش» من بلادهم غنائم تمثلت في جلبه كميات كبيرة من الذهب والنحاس والأواني المرمرية .

وفيما يتصل بالقسم الشمالي من العراق ، فقد تمكن «ريموش» من إعادته إلى حظيرة الدولة الأكدية ، فلقد عثر له في هذا القسم على بعض الآثار الخاصة به ومنها رأس صولج عثر عليه في مدينة أشور ، وقد نقش عليه عبارة «ريموش ، ملك العالم» ، كما عثر له على قطعة آنية في موقع تل البراك نقش عليها عبارة «ريموش ، ملك الجميع الذي ذبح عيلام ، وباراخش»[1] .

وقد خلد «ريموش» ذكرى انتصاراته بإقامة النصب التذكارية في أنحاء امبراطوريته ، وكذلك تسجيل ذكرى هذه الانتصارات على الأواني المرمرية التي غنمها من عيلام . وبعد حملة العام الثالث التي وجهها ضد عيلام لا تشير نصوصه إلى قيامه بحملات أخرى ، إذ يرجح أن تكون هذه الجهود الحربية التي بذلها في أعوام حكمه الأولى قد أدت إلى استقرار الأحوال في دولته ، ولقد انتهت حياة «ريموش »طريقة مؤسفة ، إذا مات نتيجة مؤامرة حيكت ضده من رجال قصره ، وربما كان لأخيه «مانيشتوسو» دخل فيها .

مانيشتوسو Manishtusu :

خلف مانيشتوسو» أخاه «ريموش» على عرش أكد ، ودام حكمه طبقاً لقائمة الملوك السومرية خمسة عشر عاماً (٢٣٠٦ ـ ٢٢٩٢ ق . م) ، وقد نعم في بداية عهده بهدوء نسبي في أجزاء دولته ، إلا أنه ما لبث أن ووجه بحركات التمرد

(١) Gadd, C. J., op. cit., pp. 434 - 437.



(شكل ١١) رأس الملك سرجون الأول

في شرق دولته وغربها أو على حد تعبيره هو نفسه «لقد سارت كل البلاد التي تركها أبي سرجون في عداء ضدي». وحتى يواجه هذا التمرد فقد قسم جيشه إلى قسمين، اتجه أحدهما إلى عيلام، حيث تمكن من قمع التمرد الذي قامت به مدينتان من مدن عيلام.

أما القسم الثاني من جيشه فقد اتجه حسبما تشير نصوص هذا الملك «إلى الجانب الآخر من البحر» حيث خاض حرباً ضد اثنين وثلاثين من ملوك المدن، وتشير النصوص إلى أنه قد انتصر عليهم وأخضع مدنهم وذبح قوادهم داخل بلادهم «حتى مناجم الفضة»، حيث أرسل الأحجار من هذه المنطقة

لعمل تمثال له أقيم في معبد إنليل بنيبور، كما أرسل الأخشاب لبناء معبد في هبار.

ويصعب تحديد مجال النشاط الحربي للملك مانيشتوسو ناحية الغرب، إلا أنه يمكن افتراض أنه شمل الجزء الشمالي من سوريا التي أحضر منها الأخشاب، وإن مجاله الحربي امتد حتى جبال طوروس حيث مناجم الفضة كما تشير إلى ذلك نصوصه[1].

وكان الجزء الشمالي من العراق خاضعاً لنفوذ مانيشتوسو، ولم تحدث به اضطرابات، وتشير النصوص إلى أنه قد بنى معبداً للإلهة عشتار في نينوى. ولقد دار الزمن دورته عليه هو الآخر، إذ مات - كما يشير أحد نصوص ألواح الفأل - مقتولا نتيجة مؤامرة بالقصر الملكي كما حدث لأخيه ريموش.

نارام - سن Naram - Sin :

خلف نارام - سن والده مانيشتوسو على عرش أكد، ودام حكمه طبقاً لقائمة الملوك السومرية ستة وخمسين عاماً (٢٢٩١ - ٢٢٣٥ ق. م) وإن كان هناك من يقدر هذه المدة بسبعة وثلاثين عاماً فقط ويجعل حكمه ينتهي في عام ٢٢٥٥ ق. م، بينما يجعل البعض الآخر مدة الحكم ستة وستين عاماً، ويجعلون حكمه ينتهي في عام ٢٢٢٥ ق. م.

ورغم ما عمر به عهد نارام - سن من أعمال إلا أن أثاره المتخلفة من عهده جد قليلة لا تكفي لمعرفة أحداث عهده، وعلى ذلك فإن الباحث يعتمد على الروايات المتأخرة، ويلاحظ أن هذه الروايات تضفي في ذكرها لأحداث عهد نارام - سن طابعاً بطولياً، وذلك مثلما أضفت من قبل على أحداث عهد سرجون الأول.

ويتميز عهد نارام - سن بظاهرة فريدة من نوعها في تاريخ العراق

---

(١) Ibid, PP. 437 - 440.

وكذلك محمد عبد اللطيف محمد علي: المرجع السابق، ص ٢٧٧.

القديم ، وهي حملة الصفة الإلّهية في ألقابه ، حيث ذكر في نصوصه أنه «نارام ـ سن المقدس إله أكد» ، ووضع المخصص الدال على الإله أمام اسمه ، كما لقب في نقوش بعض الأختام التي أهداها إليه رعاياه بـ «إله أكد». وتلك الحقيقة من الأهمية بمكان لأن نظام الملكية في العراق القديم كان يقوم على أساس الملكية الإنسانية وليست الملكية الإلهية ، بل إن التعبير السومري «لوجال» يعني الرجل العظيم وليس الإله العظيم . وتعتبر هذه الظاهرة من أهم الخصائص التي تميز بها نظام الحكم في العراق القديم بالمقارنة بنظام الحكم في مصر في العصر الفرعوني حيث كانت الملكية الإلهية من أهم أسس التاريخ والحضارة المصرية القديمة .

وفيما يتصل بسياسة نارام ـ سن الخارجية ، فقد كان أمامه في مطلع عهده خوض عدة معارك مع المناطق التابعة لأكد، فكعادة هذه المناطق في ثورتها في بداية عهد كل ملك جديد في أكد، فقد ثارت المدن التابعة له في الغرب والشمال والشرق. وفيما يتصل بالمناطق الغربية فحسبما ورد في إحدى الروايات المتأخرة ، فقد تزعمت مدينة كيش حلفاً تكون من عشرين حاكماً أو سبعة عشر حاكماً ، وامتدت بلاد هؤلاء الحكام من الأناضول في أقصى الشمال الغربي إلى ماجان (ساحل عمان) على الشاطىء الغربي للخليج العربي . وتشير النصوص إلى قمعه لهذا التمرد بالإضافة إلى مده حدود دولة أكد إلى مناطق جديدة لم تصلها فتوحات ملوك أكد السابقين ، إذ تشير هذه النصوص إلى مده لنفوذ أكد حتى ساحل البحر المتوسط، حيث سيطر على ميناء على الساحل اللبناني بالقرب من صور، وكذلك على ميناء في الشمال السوري ويذكر النص أنها مدينه ابيشال التي يرجح أن تكون في مجاورة أرمانوم .

وفيما يتصل بشمال العراق ، فيستدل من الأدلة الأثرية المتبقية من عهده خضوع هذه المنطقة لسيادته فقد عثر على اسمه موسوماً على العديد من الأدلة الأثرية والمباني المعمارية في العديد من المواقع الهامة في شمال العراق مثل موقع تل البراك ومعبد عشتار في مدينة نينوى .

ولم تكن المنطقة الجبلية الواقعة إلى الشمال الشرقي من أكد بأسعد حالاً، إذ اضطربت القبائل الجبلية القاطنة في هذه المنطقة وبخاصة قبائل الوللوبي والجوتيون. ولقد تمكن نارام - سن من تحقيق نصر حاسم على قبائل الوللوبي، وسجل ذكرى هذا الانتصار على أثرين من عهده، الأول نقش سجله في مكان المعركة، والآخر سجله على لوح يعرف باسم «لوح النصر» (شكل ١٢) وعثر عليه في مدينة سوسة العيلامية، وهو موجود حالياً بمتحف اللوفر في باريس. ويرجح أن يكون نارام - سن قد أرسل حملة أخرى إلى مناطق الوللوبي في أواخر عهده ولكنها منيت بالفشل، وذلك حسبما ورد في نقشه في «زهاب» بمنطقة جبال زاجروس إلى الشرق من نهر ديالي، إذ سجل ملك الوللوبي «أنو بانيني» انتصاره على القوات الأكدية. (شكل ٣٠).

ويستدل من الأدلة الأثرية وكذلك الروايات اللاحقة لعهد نارام - سن أن العديد من مناطق دولته قد تعرض للتخريب من جراء هجوم قبائل الجوتيين، ومن هذه المناطق أرض بابل ودلمون وماجان وملوخا وتل البراك ونينوى وأشور. ويذكر النص المعروف باسم «لعنة أكد» والذي يؤرخ ببداية الألف الثاني ق. م أن ذلك يرجع إلى غضب الآلهة على نارام - سن فخربت مدنه. ولقد تمكن نارام - سن من صد غارات القبائل الجوتية، إذ استمرت دولته ولم يصبها الانهيار إلا بعد نهاية حكم خلفه.

ولقد كانت العلاقات الودية السلمية، هي الطابع المميز لعلاقات نارام - سن مع العيلاميين إذ يفيد نقش على لوح عثر عليه وجود معاهدة ما بين الملك الأكدي نارام - سن والملك العيلامي، ومما جاء في هذه المعاهدة يستدل على أن نارام - سن أراد أن يستعين بعيلام في حروبه، وأن تكون حليفاً قوياً له، إذ أكد الملك العيلامي في هذه المعاهدة على أن «عدو نارام - سن هو عدوي، وصديق نارام - سن صديقي»، وتدعيماً لهذه المعاهدة فقد تزوج نارام - سن من ابنة ملك عيلام، ولقد أقام نارام - سن في مدينة سوسة العديد من الأبنية التي نقش عليها اسمه.

وأشارت أحد نصوص الملك نارام سن إلى أنه قد سار بقواته ضد بلاد



(شكل ١٢) لوح النصر للملك نارام سن

ماجان وأمسك بنفسه «ماندانو» ملك ماجان ، وأكد هذا الانتصار حقيقة العثور على بعض الأواني المرمريـة التي نقش عليها اسم ملك ماجان «ماندانو» ملحوقاً بعبارة «جزية ماجان».

ولقد أثار ذكر مدينة «ماجان» شك بعض المؤرخين في أن تكون «ماجان» هذه هي مصر، حيث أن النصوص البابلية كانت تشير إلى مصر باسم «مالوخـا» الغنية بالذهب ، كما يشكون في أن «نارام - سن» قد هاجم مصر في أوائل عهـد الأسرة السادسة ، ويستدلون على ذلك بأن الملك ببي الأول كلف وزيره «ونـي» بالدفاع عن مصر ضد غزوات قوية وجهت إليها في شمالها الشرقي ، ولكن «وني» استطاع أن يهزم العدو عند الحدود الشمالية الشرقية لمصر، وربما هذا هو الذي دفع بعض العلماء إلى القول بأن النفوذ المصري والأكدي كادا أن يصطدمـا في موانىء الشام ، لولا أن مصر قصرت نفوذها حينذاك على مجالات الثقافة والحضارة دون السيطرة والغلبة. ولكن توحيد «ماجان» بـ «ملوخا» وهذه الأخيرة بـ «مصـر» بعيد عن الصواب ، لأن ماجان - كما سبقت الإشارة - كانت تطلق على منطقـة عمان وهي منطقة غنية بالنحاس والحجر.

ولقد كان نارام - سن آخر ملك قوي من الأسرة الأكدية ، وقد عبر عن سعة ملكـه ونفوذه في أحد الألقاب التي اتخذها وهو لقب «ملك الجهات الأربع»[1] .

شاركالي شاري Sharkalisharri :

خلف نارام - سن على عرش أكد ابنه شاركالي شاري ، وطبقاً لما ورد

(١) فيما يتصل بالملك نارام - سن . انظر:

Gadd, C. J., Op. Cit., PP. 441 - 445., Bottero, J., (and Others)., The Near East, The Early Civilizations, London, 1967. P. 108., Bottero, J., "Syria at The Time of the Kings of Agade", In C. A. H., Vol. I, Part II, PP. 325 - 326., Kramer, S. N., "The Curse of Agade", In ANET., P. 468., Oppenheim, A. L., "Naram - Sim in the Cedar Mountain", In ANET., P. 268.

في قائمة الملوك السومرية فقد حكم لمدة خمسة وعشرين عاماً. ومنذ توليه العرش وجه اهتمامه إلى مدينة نيبور مدينة الإله انبيل فشيد بها المعابد الخاصة بهذا الإله.

ومنذ بداية عهده ازداد خطر القبائل الجبلية في الشمال الشرقي كما تحررت عيلام من سيادة أكد وانهت تبعيتها لها وارتباطها بها بموجب المعاهدة التي عقدت في عهد والده نارام ـ سن، وعلى ذلك فقد هاجمت الجيوش العيلامية أرض بابل نفسها، ولقد تمكن الملك الأكدي شاركالي شاري من صدها.

وبعد هذا الهجوم العيلامي كان على شاركالي شاري أن يواجه تمرد آخر في الشمال الغربي قام به الأموريون الموجدون في منطقة باصار في غرب دير الزور الحالية حيث قمع التمرد، وبعد ذلك تشير نصوصه إلى أنه قد وجه حملة ضد قبائل الجوتيون في الشمال الشرقي لدولته وأنه قد انتصر عليهم انتصاراً كبيراً وأسر ملكهم[1].

ولقد انتهى عهد شاركالي شاري نهاية مؤسفة مثله مثل بعض من سبقوه من ملوك أسرة أكد إذ قتل على يد اتباعه. وبنهاية عهده عاشت أكد في فترة من الخراب والفوضى حكم خلالها عدد من الملوك الضعاف وانتهى الأمر بنهاية الأسرة الأكدية وانتقال مقاليد الحكم فيها إلى قبائل الجوتيين.

(١) Gadd, C. J., Op. Cit., P..444., Bottero, J. (and Others)., Op. Cit., P. 120.

الجوتيون

كان لنجاح العناصر الجوتية في التدخل في جنوب العراق القديم أثره في إحلال الفوضى السياسية والاقتصادية مكان الاستقرار الذي ساد عصر الدولة الأكدية، ويعتبر العصر الجوتي من أغمض العصور في تاريخ العراق القديم، وقد دام أكثر من مائة عام حكم خلالها حسبما ورد في قائمة الملوك السومرية واحد وعشرون ملكاً.

وفيما يتصل بالمنطقة التي جاء منها الجوتيون فيرجح أنها كانت تتاخم أرض الوللوبي، وقد هدف الجوتيين من غاراتهم على سهول العراق القديم نهب الثروات التي تتمتع بها هذه المنطقة، ومعلوماتنا عن حكم الجوتيين محدودة للغاية نظراً لندرة المادة الأثرية والنصية المختلفة من عهدهم.

ويمكن القول اعتماداً على المادة المتاحة لنا، أن الجويتيين قد مارسوا حكمهم للعراق من أرض الجوتيين نفسها، وأنهم لم ينزحوا إلى السهل العراقي ويقوموا بحكمه مباشرة، وكان ذلك سبباً في قيام بعض الحكومات المحلية المستقلة بأرض سومر أثناء حكم الجوتيين لبعدها نسبياً عنهم، بينما لم تقم مثل هذه الحكومات بأرض أكد الأكثر قرباً والتي يبدوا أنها كانت تحت الإشراف المباشر للجوتيين.

وقد سادت العراق خلال العصر الجوتي مظاهر الفوضى السياسية وعدم تقدير حرمة الآلهة، وعلى الرغم من وراثة الجوتيين لبعض العناصر الحضارية الأكدية وكتابتهم باللغة الأكدية والخط المسماري، واتخاذهم بعض المعبودات الأكدية آلهة لهم مثل الإله سن والإله عشتار وحمل بعض ملوكهم للأسماء السامية، فإن ذلك لم يجدي أمام نزعاتهم القبلية الجبلية.

ونظراً لبعدهم في الشمال فقد تركــوا تصريف الأمور لأبناء البلاد الأصليين، إذا اكتفوا بفرض الجزية على أهل المدن السومرية، وقد اتبعوا في حكمهم الأساليب التي استعملها الأكديون ولم يغيروا شيئاً من النظم الحضارية فاستعملوا اللغة السومرية في رسائلهم ومكـاتباتهم، وتفاخروا بتلقيب أنفسهم بلقب «ملوك الجوتي وأركان العالم الأربعة»[1].


ولقد كان لهذا التصرف من جانب الجوتيين أثره في إتاحة الفرصة لأبناء البلاد الأصليين وبخاصة القسم الجنوبي في سومر البعيد عنهم في إعادة مجد الحضارة السومرية، وأن ينهضوا من جديد، فظهرت في ميدان القوة بعض المدن السومرية وخاصة لجش وأور. وتعرف هذه المرحلة باسم: النهضة السومرية أو عصر الإحياء السومري أو عودة نفوذ السومريين.

---

(1) Gadd, C. J., op. cit., P. 444., B. Tterce. J. and Others. Op. Cit., P. 120.

الفصل الرابع

العصر السومري الحديث



ظلت معظم المدن السومرية تحت حكم أسراتها الحاكمة وإن خضعت لسلطان الأكديين أو غيرهم ، وانتقل الحكم من أسرة إلى أخرى في المدن المختلفة وظهر فيها بعض الحكام الأقوياء بين حين وآخر، ومن هذه المدن أسرة لجش الثانية وأسرة الوركاء الخامسة وأسرة أور الثالثة .

أسرة لجش الثانية - (٢٢٣٠ - ٢١١٣ ق . م تقريباً) :

وفيما يتصل بأسرة لجش الثانية فقد استطاع حكامها تحقيق كياناً مستقلاً لمدينتهم أثناء حكم الجويتيين وبدأ دور هذه الأسرة في الظهور منذ عهد حاكمها المدعة «أور بابا Ur - Baba » الذي تمتع بقدر كبير من الاستقلال والثروة مما مكنه من إقامة العديد من المعابد والأبنية لآلهة لجش كما قام بشق العديد من القنوات لتيسير أمور الزراعة .

وقد خلفه في حكم لجش صهره «جوديا Gudea » الذي يعد أشهر حكام أسرة لجش ولقد جمع بين الحكمة والتقوى والورع والعمق مما أدى إلى اجتذابه احترام المجتمع السومري ولقد عبر الأدب والنحت السومري أجمل تعبير عن شخصية جوديا .

ولقد عرفنا الكثير من عهد جوديا عن طريق مجموعة تماثيله التي نقش عليها أنشطته الدينية المتصلة ببناء المعابد الهامة في مدينة لجش أو إعادة بنائها، ويستدل مما ذكره بشأن الخامات التي جلبها لبناء المعبد الرئيسي في مدينة لجش أنه قد أحضر الأخشاب من ماجان وملوخا ، وجبل أمانوس ، كما احضر النحاس من جبال زاجروس وتراب الذهب من أرمينيا والفضة من جبال

طوروس وأحجار الزينة من أنحاء مختلفة من سورية.

وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الموارد قد وردت إلى لجش بواسطة التجارة إذ لم تذكر نقوشه سوى قيامه بحرب واحدة مع دولة أنشان وذلك حسبما ورد في نقش على أحد تماثيله بأنه «ضرب انشان وعيلام بالأسلحة» وربما كانت هذه الحرب من أجل الحصول على المواد الخام[1].

ويلاحظ في تماثيل جوديا أنها اتبعت الأسلوب الواقعي التي بدأ نضوجه خلال العصر الأكدي وعبرت بخطوطها المرنة عن الطابع السومري ذي الرأس العريضة، وغلبت على ملامح جوديا وهيئته روح التقوى والتواضع (شكل ١٣) ولقد ظهر جوديا في أغلب تماثيله وهو واقفاً في هيئة المتعبد في أحكام تقل عن حجمه الطبيعي، ويذكر الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح[2] أن بعض تماثيل جوديا الجالسة تتشابه في بعض تفاصيلها مع تفاصيل التماثيل المصرية في عصور الدولة الوسطى من حيث نقش نصوص رأسيه فوق الجزء الأسفل من ثوبة، ووضع مسطح مستطيل على ركبتيه تضمن في إحدى المرات تصميماً لمعبد، ومن حيث نقش اسمه داخل مستطيل على كتفه.

وصاحب تعمير المعابد ورقي الفنون في عهد «جوديا» نشاط عمراني، كان من مظاهره الاهتمام بوسائل الري، فقد أشار في أحد نصوصه قيامه بشق قناة نسبها إلى إله لجش، وأطلق عليها «نين جرسو أو شومجال».

وخلف جوديا في حكم لجش ابنه «أورننجرسو Ur - Ningrisu» الذي عثر له على بعض التماثيل مع تماثيل والده وحفيده. إلا أنه يلاحظ أنه لم يظهر في

(١) Gadd, C. J., Op. Cit., 458 - 460., Bottero, J., (and others)., Op. Cit., P. 124., Oppenheim, A. L., "Gudea, Ensi of Lagash" In ANET, PP. 268 - 269.

(٢) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٤٢٨.



(شكل ١٣) جوديا حاكم لجش

خلفاء جوديا شخصية أخرى مناظرة له في مدينة لجش، وكان «ناماخني» Nammakhni هو آخر ملوك أسرة لجش الثانية، وربما كان معاصراً للملك «أوتو خيجال» ملك الوركاء و «أورنامو» حاكم أور.

أسرة الوركاء الخامسة :

ا عاصرت أسرة الوركاء الخامسة أسرة لجش الثانية ووقع عليها عبء الكفاح المسلح ضد الجوتيين ونتيجة لنجاحها في ذلك فقد اعترفت أغلب المدن السومرية بزعامتها الشكلية ومن هذه المدن مدينة أور، ومن أبرز ملوك الوركاء الملك «أوتوخيجال Utukhegal » الذي استطاع أن يهزم القبائل الجوتية في موقعه فاصلة وتمكن من نقل الملكية إلى مدينته، وتذكر قائمة

الملوك السومرية أن مدة حكمه استمرت سبعة أعوام وستة أشهر وخمسة عشرة يوماً، ولم تذكر القائمة سواه في أسرة الوركاء الخامسة، إذ يبدو أنهم قد تنازعوا من بعده فانتقلت الزعامة من مدينتهم إلى مدينة أور، ويوضح نقش للملك أوتوخيجال يؤرخ ببداية الألف الثاني قبل الميلاد جهوده في سبيل تخليص البلاد من الجوتيين، وكان لهذا النصر أثره في رفع مكانة أوتوخيجال بين المدن السومرية، إذ تشير أحد النصوص إلى تدخله لفض نزاع على الحدود بين مدينتي لجش وأور، كما كانت مدينة أور تابعة له. لكنه لم ينعم طويلاً بهذا النفوذ إذ انتقلت السيادة على سومر بعد عهده إلى أسرة أور الثالثة.

ونورد فيما يلي أهم الفقرات التي وردت في نقش أوتوخيجال والتي توضح جهوده ضد الجويتين: [1]

«إنليل، ملك كل البلاد، قد عهد إلى أوتو خيجال، الرجل القوي، ملك الوركاء، ملك الجهات الأربع (للعالم)، الملك الذي لا يستطيع أحد أن يخالفه، بأن يحطم اسم الجوتيين.

ولذلك ذهب (أوتوخيجال) إلى الإله إننا، ملكته، وابتهل إليها قائلاً: أي ملكتي... لقد عهد إلى إنليل بأن استعيد الملكية إلى سومر. فلتكوني حليفتي (في هذا). أن تيريجان Tirigan ملك الجوتيين... لم يسر أحد (بقواته) ضده. واستحوذ على الفرات وساحل البحر...

أوتو خيجال، الملك الذي وهبه إنليل القوة، الذي اختارته إننا في قلبها، الرجل القوي، قد اتجه قدماً من الوركاء ليخوض المعركة ضد (تيريجان)....

وكان أهالي الوركاء وأهالي كولاب قد غمرهم السرور، وتبعه (أهالي) مدينته كرجل واحد، وقاد الجيش زاحفاً إلى الأمام...

---

(١) انظر: محمد عبد اللطيف محمد علي: المرجع السابق، ص ٢٠٣ ـ ٣٠٥ وكذلك Kramer, S. N., the Sumarians, pp. 325 - 326.

وفي اليوم الخامس (من مسيرته من الوركاء) . . . أسر «أورنينازو» (و) «نابو إنليل» قائدي (؟) تيريجان اللذين كان (الأخير) قد رأسلهما إلى سومر كسفراء، ووضع (أوتو خيجال) «قيوداً» خشبية في أيديهم . . .

وفي مساء (اليوم السادس) . . . حشد الجوتيون قواتهم (؟) وأرسلوا فرقهم (المقاتنة) ضد أوتوخيجال، الرجل القوي، الذي قهرها وأسر قائدها (؟). وبعد ذلك فر تيريجان ملك الجوتيين هارباً بنفسه، ولجأ إلى (مدينة) دوبروم Dubrum حيث عامله الناس بعطف (!). (ولكن) عندم علم رجال دوبروم أن أتوخيجال هو الملك الذي منحه إنليل القوة، لم يطلقوا سراح تيريجان. (وجاء) رسل أوتوخيجال إلى دوبروم وأخذوا تيريجان وأسرته أسرى، ووضعوا القيود الخشبية في يديه واعصبوا (؟) عينيه (وبعد ذلك) احضر به (تيريجان) أمام أوتو خيجال فألقى بنفسه عند قدمي (أوتوخيجال) الذي وضع قدمه على رقبته . . . وهكذا عادت الملكية إلى سومر».

أسرة أور الثالثة :

تعد أسرة أور الثالثة آخر مرحلة للسومريين كحكام إذ انتهى نفوذهم السياسي بنهاية هذه الأسرة، إذ اندمجوا بعد ذلك مع الساميين ولكن ظل تأثيرهم الحضاري مستمراً وتمثل ذلك في لغتهم وأدابهم التي ظلت تؤثر في حياة العراق القديم، بل أن الدين نفسه كان نواة للديانات التي برزت فيما بعد.

ولقد حكم أسرة أور خمسة ملوك حكموا فترة غير ثابتة تماماً. فقوائم الملوك متباينة في هذا الصدد إذ يقدم بعضها مدة حكم للأسرة تبلغ ١٠٦ سنة، والبعض الآخر يقدم فترة حكم ١٢٢ سنة، وأما النصوص المتصلة بالمعاملات التجارية فلا تقدم سوى ١٠٩ سنة، وعلى أية حال فإن مدة حكم هذه الأسرة قد جاوزت المائة عام. وكان أول ملوك هذه الأسرة هو الملك أورنمو Our Nammou الذي بدأ حياته حاكماً من قبل أوتوخيجال ولكنه ثار عليه واستطاع أن يستقل بالحكم ويعلن نفسه ملكاً ثم ينتحل الألقاب القديمة «ملك سومر واكد»

و«ملك الأنحاء الأربعة» وذلك بعد أن تم له إخضاع الوركاء التي بدأ الاستيلاء عليها، وتبعها لجش ولارسا ونيبور وجانب من أكد[1].

ومن أهم الأعمال التي قام بها أورنمو تحصين مدينة أور التي كانت تطل على نهر الفرات، وكان يحميها الماء من ثلاث جهات، كما عني أورنمو بتشييد وإعادة بناء ما تهدم من معابد الآلهة، وتوضح نقوشه اهتمامه الكبير بشق القنوات.

ومن المآثر الهامة لهذا الملك تشييده زاقورة لإله القمر نانا في عاصمته أور، وقد سجل هذا البناء على إحدى لوحاته التي عثر عليها وقد نقش المناظر في مجموعة أفقية، وقد مثل الملك في أعلاها واقفاً أسفل رمز إله القمر نانا التي كان يمثل بهلال يتوسطه نجمة «شكل ١٤»[2].

ويعتبر أورنمو من أصحاب التشريعات المكتوبه في العراق القديم، ولقد عثر على جزء من صورة متأخرة لتشريعه نسخت على وجهي لوحة طينية بعد وفاته بحوالي ثلاثة قرون، ويستدل مما جاء فيها أنه عمل على توحيد الأوزان والمكاييل، كما استن قانون دفع الديات عاى الجروح التي لا تؤدي إلى الوفاة.

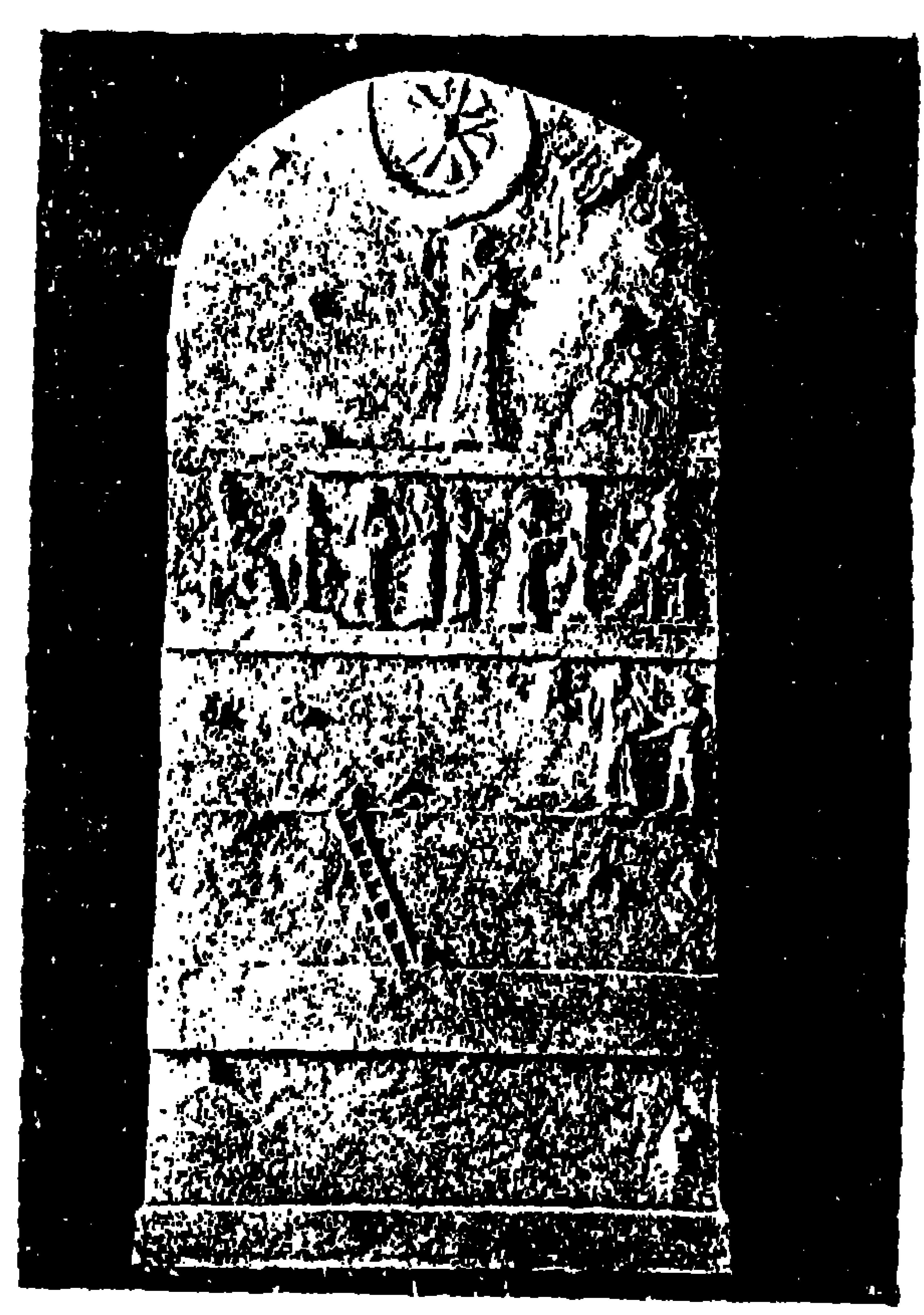
ولقد حكم أورنمو ثماني عشرة سنة، ثم خلفه علي عرش أور ابنه شولجي Shoulgi الذي يعتبر حكمه أطول حكم لملك في هذه الأسرة، إذ بلغ حوالي نصف قرن، وقد اتخذ شولجي لقبي «ملك سومر واكد» «وملك الأنحاء الأربعة»، وقد أطلق اسمه بعد توليه العرش على أحد شهور دولته ورفعه أهل بلاطه إلى مرتبة الألوهية أو ما هو قريب منها[3].

---

(١) Hallo, W. W., Early Mesopotamian Royal Titles, New Haven, 1957, p. 77 ff.

(٢) Frankfort, H., The Art and Architecture of the Ancient Orient, p. 103, figs 110 - 111.

(٣) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٤٣٣.



(شكل ١٤) لوحة بناء الزقورات للملك أورنمو

ولقد وجه شولجي عنايته في بداية عهده لبناء المنشآت الدينية وشق القنوات، فقام بإتمام ما بدأه أبوه فأعاد إلى المدن السومرية والأكدية المعبودات التي كانت قد رفعت منها، وقد وجه اهتمامه بصفة خاصة إلى مدينة أريدو.

وبعد أن استقر الأمر في الداخل، بدأ جهوده الحربية التي كان الهدف منها مد نفوذه حتى سفح جبال زاجروس، ومنذ العام العشرين من حكمه تبدأ نصوص عصره في ذكر حملاته الحربية التي قام بها في شرقي بلاده، ولم تكن سنوات حكمه كلها بعد عامه العشرين حرباً بل تخللتها سنوات من الهدوء نلمح في خلالها بعض أوجه العلاقات السلمية مع البلاد المجاورة له ومنها

زواجه من إحدى بنات ملك انشان وهي من الولايات العيلامية ، إلا أن ذلك الهدوء لم يلبث أن بددته بوادر الثورة التي ظهرت في الأقاليم التابعة له فاضطر إلى القيام بالعديد من الحملات لاخضاع هذا التمرد. ومن الولايات التي ثارت ضده كانت انشان التي اجتاحها في العام الرابع والثلاثين من حكمه .

ولعل أهم ما يميز عصر شولجي العلاقة المباشرة بعيلام والتي توطدت في عهده أكثر منها في أي عهده سابق ، إذ لم تتوقف جهوده عند حد الغارات التي تستهدف الاحتلال بل تعدت ذلك إلى إبراز السيادة والحكم من الحكومة المركزية في أور، وهناك الكثير من الوثائق التي تشير إلى تموين عمال الملك الذين يمرون بمدينة لجش في طريقهم من أور إلى عيلام. ونستطيع أن نتعرف من الأسماء التي وردت للمدن التي عين بها هؤلاء الموظفون على أن السلطان الملكي لأور امتد إلى كافة المدن الهامة هناك ، وربما كانت أبرزها جميعاً سوسة ، ويبدو أن شولجي خلع الحكام الوطنيين وأحل غيرهم موظفين بابليين وهو أمر تابعه فيه خلفائه .

وقد اهتم شولجي بربط الأقاليم ببعضها البعض عن طريق تنظيم حاملي البريد من العدائين الذين اعدت لهم محطات لضمان وصول تعليماته ، كما عني بتنظيم جمع الضرائب من مختلف الأقاليم وتسجيل ذلك كله على لوحات حفظت في دور المحفوظات[1] .

ولقد خلفه على العرش ابنه أمارسين Amar - Sin ، ويبدو أن طول الفترة التي حكمها والده قد جعلت من أمارسين رجلاً مسناً عند ولايته العرش ، وطبقاً لقائمة الملوك السومرية فقد بلغت مدة حكمه تسعة أعوام فقط، وقد تركزت جهوده الحربية في الشمال الشرقي والشرق ، وقد حرص على أن يحكم المنطقة الشرقية من دولته حكماً مباشراً عن طريق أتباعه المخلصين

---

(١) نجيب ميخائيل إبراهيم: المرجع السابق ، ص ١٦٦ - ١٦٨. وكذلك:

Gadd, C. J., op. cit., p. 601.

الذين أقامهم في مدن سوسة وخمازي وباراخش، وتخلفت من عهده العديد من التشييدات البنائية في المدن السومرية وبخاصة نيبور وأور وأريدو.

وقد خلفه على العرش أخوه شوسين Shu - Sin الذي دام حكمه حسبما ورد في قائمة الملوك السومرية تسع سنوات فقط، ومنذ توليه العرش ثارت ضده القبائل الجبلية في الشمال الشرقي حيث وجه إليهم حملتين قضت على هذه المتاعب، ومن ناحية أخرى فقد عمل شوسين على توثيق علاقاته بعيلام عن طريق المصاهرة أسوة بأبيه شولجي، فقام في العام الثاني من حكمه بتزويج إحدى بناته لحاكم انشان، كما اهتم بإقامة الأبنية الدينية في سوسة.

ويزداد في عهده خطر الأموريون في غرب دولته مما اضطره إلى بناء «حائط أمورو» لصدهم ولقد أقيم فيما بين نهري دجلة والفرات ربما قرب بغداد الحالية[1].

وخلف «شوسين» على عرش أور ابنه «**ايبي - سين**» **Ibbi - Sin** الذي يعد آخر ملوك أسرة أور الثالثة، وقد بلغت مدة حكمه أربعة وعشرين عاماً وذلك وفقاً لما ورد في قائمة الملوك السومرية.

وقد واجهته المتاعب من ناحية الشرق منذ العام العاشر من عهده، إذ تمردت مدن سوسةواوان وادامدوم، ولكنه تمكن من القضاء على هذا التمرد. وفي أواخره عهده انتهز العيلاميون وحلفاؤهم من القبائل الجبلية الشرقية ما واجهه إيبي - سين من ضغط العناصر الأمورية في الغرب فهاجموا أرض سومر وحاصروا إيبي - سين في عاصمته أور، وذلك في نفس الوقت الذي كان عليه فيه أن يصد زحف العناصر الأمورية نحو الجنوب.

ولقد استغل «إيشبي إرا» حاكم ماري هذه الظروف، واستقل بالحكم وأسس أسرة حاكمة خاصة به هي أسرة أيسن، وشمل نفوذه النصف الشمالي من أرض سومر، وامتد إلى أملاك «إيبي - سين» المتاخمة لأرض بابل[2].

(١) Ibid., pp. 608 - 611.

(٢) Gadd, C. J., "Babylonia c 2120 - 1800 B. C", In C. A. H., vol. I, part II, pp. 361 - 362.

وظل «إيبي- سين» يقاوم الحصار العيلامي مدة عشر سنين، حيث سقطت أور في أيدي العيلاميين بعد أن أصابها الخراب وحلت بها المجاعة، وأقيمت حامية عيلامية بالمدينة، واقتيد ملكها «إيبي - سين» أسيراً إلى عيلام حيث مات بمنفاه هناك.

وبانتهاء حكم «إيبي- سين» تنتهي المحاولات الأخيرة للسيادة السومرية، حيث يعد عهد أسرة أور الثالثة نهاية حياة السومريين السياسية، إذ لم تنشأ منهم بعدها أسرات حاكمة بل اندمجوا في الساميين، وإن ظلت لغتهم وأدابهم تؤثر في العراق القديم حتى آخر عصور حضارته[1].

وقد شجعت الكارثة التي حلت بأور مختلف المدن على إعلان استقلالها. فظهرت أسرتين حاكمتين في العراق إحداهما في أيسين وهي التي أسسها «أشي إيرا» والأخرى في لارسا وهذه يرجح أنها كانت خاضعة لنفوذ العيلاميين، وفي نفس الوقت كان الأشوريون قد بدأوا يكونون دولة مستقلة كما وجدت بعد فترة مملكة في بابل ينتمي ملوكها إلى أصل أموري، ومملكة أخرى عرفت باسم مملكة أشنونا.

وتعتبر أسرتا أيسين ولارسا من أهم الأسر ذات الخطر التي برزت في هذه المرحلة قبل أن يظهر سلطان بابل، وبدأت المنافسات بين الأسرتين وذلك عقب قيامهما مباشرة.

ومؤسس أسرة إيسين[2] هو «إيشبي إيرا» الذي اصطنع لنفسه الصفات الإلهية وانتحل لقب «ملك سومر وأكد». ومن أشهر ملوك هذه الأسرة «لبت عشتار»[2] الذي ينسب إليه تشريع مكتوب وصلتنا بعض ألواح منسوخة عنه، وقد بدأت التشريعات بذكر ألقاب «لبت عشتار» وأوصافه وما قام به من أعمال لرعاية المدن السومرية ومقاومة الفساد وعمله على تحرير أبناء مدن

---

(1) Le grain, L., Business Documents of the Third Dynasty of Ur, London and Philadelphia, 1947, p. 225ff.

انظر.

(2) Crawford, V. E., Surmerian Economic Texts from the First Danasty of Isin, New Haven, 1954.

سومر وأكد من الرق الذي فرض عليهم ، وما تبقى من تشريعاته يرتبط بدعوة تحرير الرق ، وبعض حالات الملكية والمواريث والتعويض .

وقد حكم في أيسين ١٥ ملكاً لمدة تقرب من ٢٢٥ سنة ، أما في لارسا فقد حكم ١٤ ملكاً مدة تقدر بنحو ٢٦٠ سنة ، وكان ملوك لارسا من البابليين الذين خضعوا لنفوذ العيلاميين ، وقد تدخل العيلاميون في شؤون لارسا وقضوا على آخر ملك فيها وعينوا بدلاً منه ابن ملك عيلام في مكانه ، ولما مات هذا الأخير عين أخوه «ريم سين» من بعده ، ولقد تمكن ريم سين من القضاء على أسرة أيسين وحكمها بنفسه ، وفي هذه الأثناء كان حمورابي سادس ملوك الأسرة البابلية الأولى يحكم في بابل وقد تمكن حمورابي من القضاء على العيلامين بعد حروب طاحنة - كما سترد الإشارة - كذلك قضى على مملكة أشنونا وتم له ذلك في السنة الثانية والثلاثين من حكمه كما استطاع أن يقضي على استقلال المملكة التي تكونت في أشور[1] ، وقبل تتبع أحوال العراق القديم في ظل الدولة البابلية الأولى نلقي بعض الضوء على مملكة أشنونا التي كانت إحدى الدول الهامة في هذه المرحلة .

فلقد كانت مملكة أشنونا من دويلات المدن التي قامت بدور هام في تاريخ العراق القديم ، فقد نشأت هذه الدولة التي كانت عاصمتها أشنونا (تل الأسمر الحالية) منذ عصر فجر الأسرات ثم قضى على استقلالها سرجون الأكدي ، ثم خضعت بعد ذلك لأسرة أور الثالثة وبعد انهيار أسرة أور استقلت وظلت محافظة على استقلالها حتى ضمها حمورابي إلى مملكته .

وبلغ عدد ملوك مملكة أشنونا حوالي عشرة ملوك ولعل من أشهرهم الملك «بلالاما» Bilalama الذي يرجح أنه قد استن قانوناً يعد من أقدم قوانين العراق القديم بعد المحاولة التي قام بها «أورنمو» ملك أور ، وبقيت من هذا

---

(١) انظر: محمد أبو المحاسن عصفور: المرجع السابق ، ص ٣٦٣ - ٣٦٤ ، وكذلك Gadd, C. J., op. cit., pp. 636 - 637.

القانون إحدى وستون مادة تتصل بتحديد أسعار المواد التموينية وأجور العربات والقوارب والعمال الزراعيين وتحديد العقوبات، وتجدر الإشارة في أن تحديدها للعقوبات قد جمعت فيما بين القصاص والدية، كما اهتمت هذه القوانين بتنظيم العلاقات الأسرية والمعاملات الخاصة.

ولقد حاول أحد ملوكها ويدعى «ايبق - أدد الثاني» Ibiq - Adad II توسيع رقعة بلاده، فأراد الاستيلاء على حوض الدجلة وأرض الجزيرة العليا حتى سفوح كردستان، وأنشأ جسر له على نهر الفرات حتى يتحكم في طرق التجارة الآتية من الشمال والغرب ولكن هذا التوسع كان وقتياً، ولم يتمكن الملوك الأخيرين في المملكة من المحافظة على الأراضي التي امتلكوها، إذ أحاطت الممالك القوية التي نشأت في بابل ولارسا في الجنوب وأشور في الشمال وماري في الغرب بها ووقفت سداً منيعاً أمام أطماعها، إلى أن قضى عليها حمورابي كما سبقت الإشارة[1].

---

(١) انظر:

محمد أبو المحاسن عصفور: المرجع السابق، ص ٣٦٤ - ٣٦٦.

الفَصْلُ الخَامِسُ

العَصر البَابلي القَديم



١ ـ الدولة البابلية الأولى

تقع بابل عند أسفل ملتقى النهرين على ضفة الفرات اليسري وذلك على رأس السهل الفيضي الذي يقع إلى جنوبها الشرقي والذي تتخلله شبكة من القنوات ، وكانت بابل بهذا الموقع بعيدة عن الهجمات المفاجئة من قبائل الصحراء ، ومما يزيد في أهمية موقعها الجغرافي مجاورتها للممرات والطرق التجارية الرئيسية التي تؤدي إلى شمال سورية والبحر المتوسط ومصر وكذلك الطريق المؤدي إلى كبادوشيا ، وكذلك الطريق المتجه شرقاً إلى عيلام ، وعلى ذلك فقد كانت بابل تقع في مركز التجارة العالمي وفي الوقت ذاته كانت تقع على الطريق المباشر لأي غزو يستهدف السهول الجنوبية .

ـ ولقد أسس الدولة البابلية الأولى الملك «سمو ـ ابوم» وكان ذلك في الفترة التي ظهرت خلالها دولتي ايسن ولارسا ، وفي الوقت الذي أقام فيه الأشوريون دولة في شمال العراق ، وقد كان «سموأبوم» يحكم في أول الأمر رقعة صغيرة في جنوب العراق ، ولقد بدأ توطيد سلطانه بالقضاء على أمراء المدن وأعلن نفسه ملكاً على بابل ، وقد بدأ جهوده الحربية في السنة التاسعة من حكمه حيث ضم إليه «دلبات» ثم غزا «سيبار» التي اعترفت بسيادته ثم تحالف مع لارسا لاخضاع كيش ولكنها ظلت تقاوم حتى خضعت على يد خلفه ، ولقد مات سمو ـ ابوم بعد أن حكم ما يقرب من خمسة عشرة عاماً . ثم خلفه على العرش ابنه «سمولا ايلو» .

ـ ولقد حكم «سمولا إيلو» عرش بابل لمدة تقرب من خمسة وثلاثين عاماً ، ويستدل من الوثائق التي تبقت من عهده قيامه ببعض الأعمال العمرانية

في دولته ومنها شقه قناة في العام الأول من حكمه وبنائه سور بابل وإقامته معبد للإله «أد د».

أما فيما يتصل بأعماله الحربية فقد ثارت مدينة «كازاللو» في عهده وتقدم ملكها نحو بابل بعد أن تحالف مع كيش، ولكن الملك البابلي استطاع أن يردهم عن مدينته ثم تقدم إلى كازاللو فدمر أسوارها واجتاح المدينة، وبعد ذلك بعامين أخضع «كوتة» ثم اتجه إلى «سومر» فاستولى على أحد الحصون الحربية الهامة في مدينة نيبور عاصمة سومر الدينية، ولقد تمكن من ضم كل مملكة اكد قبل وفاته.

ولقد خلفه على الحكم ابنه «صبوم» الذي حكم لمدة ثلاثة عشرة عاماً وقد حافظ على الدولة التي تركها والده، فلم يقم سوى بحملة واحدة ضد «كازاللو» وشغل بقية عهده ببناء المعابد وشق القنوات وصيانة الحصون، واستمر خليفته «ايبل - سن» على سياسته فقام بحفر القنوات ورمم الأسوار.

ولقد خلفه على عرش بابل ابنه «سن مبلط»[1] الذي قام بعدة حروب في أور ولارساوايسن.

وقد خلفه على عرش بابل الملك «حمورابي» الذي يعد من أعظم ملوك هذه الأسرة بل وأشهرهم جميعاً، وقد اختلف المؤرخون في التاريخ لعهد حمورابي، فهناك من يضعه في الفترة (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق. م) وهناك من يضعه في الفترة من (١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق. م) وأن كان أصحاب التاريخ المطول يرون أن حكم حمورابي كان من الفترة (٢٠٠٣ - ١٩٦١ ق. م) - وأيا ما كان الأمر، فإن الوضع في العراق إبان تولي حمورابي الحكم كالآتي: كانت دولة لارسا تتحكم في الأجزاء التي تقع جنوب بابل بعد أن أخضع ملكها «ريم - سن»

---

(١) نجيب ميخائيل إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٨٤ - ١٨٦.

Kupper, j. R., Les Nomandes en Mesopotamie au temps des Rois de Mari, Paris, 1957, P. 106 ff.

مملكة ايسن لسلطته ، كما كانت مملكة أشنونا تحكم المنطقة التي تقع شمال بابل مباشرة ، بينما كانت مملكة أشور تتحكم في الأجزاء التي تلي ذلك شمالاً .

كان برنامج حمورابي هو تقوية الإدارة الداخلية أولاً وتوطيد دعائم عرشه في الداخل ثم تقوية وسائل الدفاع حول المدن الهامة ، وفي السنة الخامسة من حكمه بدأ صراعه المنتظر بالاستيلاء على «ايسين» كما نجح في العام الثلاثين من القضاء على الد اعدائه وأخطرهم «ريم سن» ملك لارسا ، وكانت الحرب بينهما عنيفة قاسية مدمرة ، ولعلها كانت من أخطر الحروب في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، إذ خرج الملك العيلامي «ريم سن» على رأس جموع جرارة لا حصر لها من الجند العيلاميين ومن سكان المدن العراقية الخاضعة له ، وقد أظهر حمورابي من التدبير والحزم ما مكنه من تمزيق جموع العيلاميين وأحلافهم شر ممزق ، فكان انتصاره عليها حاسماً إلى درجة اعتباره حدثاً خطيراً في حياة العراق القديم ، ارخ به الناس الحوادث وتبارى فيه الشعراء في التغني بمجد حمورابي البطل ورتل الناس أناشيده في المعابد .

وتوالت الهزائم بعد ذلك على أعدائه ، فقضى على دويلات المدن الأخرى مثل مملكة اشنونا ثم تابع فتوحه ومدها إلى الشمال ، فأخضع بلاد الأشوريين وكذلك المناطق الجبلية إلى الشرق والشمال ، كما لاحق فلول العيلاميين إلى عقر دارهم فبسط سلطانه على بلاد عيلام[1] .

وعمل حمورابي كذلك على تنمية التجارة مع أقاليم البحر المتوسط[2] ليستورد منها الحجر والمعادن وأنواع الأخشاب التي لا وجود لها إطلاقاً في السهول المنخفضة لدجلة والفرات ، وكذلك شق القنوات داخل مملكته لتيسير التبادل التجاري وزيادة رقعة الأراضي الزراعية ، وتدل الرسائل التي

(١) Gadd. C. J., " Hammurabi and the end of his dynasty" ,In C. A. H., vol. II, part I, pp. 176 - 184:

(٢) Leemans. W. F., The Old - Babylonian Merchant, leiden, 1950, P. 79ff.

تبادلها مع حكام المدن أنه ركز في يده الشؤون الإدارية ، كما اهتم اهتماماً خاصاً بإدارة الشؤون القضائية ومشروعات المنافع العامة[1] .

وقد أثبتت الحفائر أنه كانت توجد منذ ذلك العهد قواعد لتخطيط مدينة بابل ، وقد اتبعت هذه القواعد حتى نهاية عهد الأمبراطورية الجديدة ، وأهم ما يميز هذا التخطيط أن الطرق الكبيرة كانت موازية جميعاً للطريق المقدس متعامدة مع الطرق الأخرى ، في حين أن بيوت المدن السومرية القديمة كانت مجتمعة دون ترتيب ، كما أنه لم يكن للطرق اتجاه ثابت .

ويشتهر حمورابي في التاريخ بتشريعاته الإدارية والقانونية ، ولقد بدأ في إصدار هذه التشريعات منذ العام الثامن من حكمه إلا أنها لم تكتمل إلا بعد ذلك بعدة سنوات ، وقد سجلت هذه القوانين على عدة نصب اشتهر منها نصب كبير من الديوريت يبلغ طوله ٢٢٥ سم ، وقد كتب في السنوات الأخيرة من عهد حمورابي ، وصور حمورابي في جزئه العلوي وهو يتلقى الإذن بإصدار تشريعاته من رب العدالة ورب الشمل المعبود «شمش» .

وتتألف المواد الباقية في تشريعات حمورابي من ٢٨٢ مادة تناولت أمور القضاء والأمن وحقوق المحاربين ومسؤولياتهم ، وعقود الزراعة ، وشروط القروض ، والأحوال الشخصية من زواج وطلاق ومواريث ، والقصاص والتعويضات ، وأجور أصحاب المهن ومسؤولياتهم[2] .

ولقد وصلت بابل في أخريات أيام حمورابي إلى قمة عالية من المجد ، وتمثل فترة حكمه التي بلغت ثلاثة وأربعين عاماً أزهى عصور العراق ، ولقد خلفه على العرش ابنه «سامو ايلونا» .

ولقد نعم **«سامو أيلونا»** في السنوات الأولى من عهده بفترة وسلام وهدوء

---

(١) Ibid., p. 22 ff.

(٢) انظر:

Wiseman, D. J., "The Laws of Hammurabi again", In J.S.S., vol. 7 (1962), p. 161ff

وكذلك عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦١ ـ ٤٦٧ .

استغلها في الإنشاءات والتشييدات، فتسجل الوثائق المتخلفة من عهده قيامه بشق قناتين في العامين الثالث والرابع من حكمه، كما قام بتجميل المعابد الكبرى وتزيينها وبخاصة في بابل وسيبار.

ولقد بدأت المتاعب تهدد دولته بدءاً من العام التاسع من حكمه، ففي ذلك الوقت بدأ الكاشيون يثيرون القلاقل على حدوده الشرقية حيث اندفعوا في طريقهم إلى بابل، ، ورغم تمكنه من هزيمتهم إلا أنهم بدأوا يتسربون إلى بابل كعمال واستمر هذا التسرب طيلة قرنين من الزمان حتى استطاعوا في نهاية الأمر أن يستولوا على السلطة في بابل.

ولم يكن الحال في جنوب بابل بأسعد حالاً إذ خرجت المناطق الجنوبية على سلطان سامو ايلونا منتهزة فرصة تقدم الكاشيين، إلا أن سامو إيلونا تمكن من استعادة لارسا إلى نفوذه، وبعد ذلك توجه نحو أور والوركاء حيث قضى على الثورة فيهما.

ولقد اضطر في حروبه هذه إلى استدعاء جزءاً من الحاميات العسكرية البابلية الموجودة في الأقاليم البعيدة، مما كان له أثره في ثورة بعض هذه الأقاليم في العام الثاني عشر من حكمه، وبخاصة القطر البحري الذي أعلن استقلاله بزعامة «ايلوما ايلوم» وذلك في إقليمه الواقع حول الخليج العربي، ولم يتمكن سامو ايلونا من إخماد ثورة القطر البحري نهائياً لانشغاله بالعديد من الاضطرابات في أماكن أخرى من دولته، وكان من أخطر هذه الاضطرابات ما حدث في مدينة بابل نفسها من محاولة خلعه عن عرش بابل وتنصيب شخص آخر مكانه. وأتاحت هذه المشاغل الفرصة لـ «أيلوما أيلوم» بتوسيع رقعة نفوذه فامتدت شمالاً حتى نيبور ولارسا.

ولقد أقدم سامسو ايلونا بعد إخماده ثورة بابل ضده على إعادة بناء الأسوار التي تهدمت في بعض مدن دولته، وتقوية قلاعها مثل سيبار وايسين التي كانت تمثل أقصى حدود دولته جنوباً بعد امتداد نفوذ ايلوما ايلوم شمالاً إلى جنوب ايسين.

وحاول سامسو ايلونا تعويض خسائره في الجنوب باستعادة سلطانه على الطريق التجاري إلى سورية ودعم علاقته التجارية معها ، ولقد قضى سنوات حكمه الأخيرة في الاهتمام بالمناطق الشمالية والغربية من دولته لعجزه عن السيطرة على الجنوب[1] .

ويعتبر سامسو ايلوما آخر الملوك العظام في الأسرة البابلية الأولى ، إذ لم يستطع خلفاؤه المحافظة على دولتهم ، فانصرفوا إلى رعاية المعابد والمعبودات أكثر من اهتمامهم بالحروب ، ودب الضعف في كيان ما تبقى من الدولة حتى تمكن الحيثيون في نهاية عهد الأسرة البابلية من القضاء نهائياً على دولتهم بعد أن حكم فيها إحدى غشر ملكاً لمدة تقرب من مائتين وخمس عشرة سنة .

(١) Feigin, S. I., and lands berger, B., "The date- list of the Babylonian king Samsuditana", in J. N. E. S, vol. 14 (1955), p. 137 ff.,

(٢) Thureau - Dangin, f., "L'inscription bilingue B dę Samsu - iluna', In R. A., 39 (1942 - 1944) P. 5ff.

٢ ـ مملكة بابل الثانية
(أسرة القطر البحري الأولى)

نشأت أسرة القطر البحري كما سبقت الإشارة في الشواطىء الشمالية للخليج العربي وحكم ملوكها حوالي ٣٦٨ عاماً، جلس على العرش خلالها عشر أو أحد عشر ملكاً، كان أولهم ايلوما ايلوم[١] الذي تمكن من مد نفوذه إلى عدد من المدن التي كانت خاضعة لبابل مثل لارسا ونيبور، واحداث الملوك الذين خلفوا ايلوما ايلوم في القطر البحري غامضة إلى حد يصل إلى الندرة، فلا توجد من عهودهم غير شذرات ضئيلة تلقى بعض الضوء الخافت عن أحداث قليلة تمت في عهود بعضهم وتتصل بعلاقاتهم العدائية تجاه بابل سواء كانت تلك الإشارات تتصل بمحاولات ملوك بابل استعادة الجنوب لسلطانهم وقيام ملوك القطر البحري بصد هذه المحاولات.

وتوضح المصادر الأثرية انهيار هذه الأسرة في العهد الكاش حيث استسلم الحاكم «ايا جميل» للكاشيين دون جهد كبير وهرب إلى عيلام، إلا أن أهل القطر البحري لم يستسلموا بسهولة للكاشيين فاستمرت ثوراتهم حتى استطاع الملك الكاشي «اجوم» من إنهاء عهد هذه الأسرة بالاستيلاء على أهم مدنها وهي مدينة «دور أيا» وتدمير معبد الإله «ايا» المعبود الرئيسي على الأغلب.

ولقد عاصرت أسرة القطر البحري الأسرة البابلية الأولى منذ عهد سابع أو ثامن ملوكها، كما عاصرت الأسرة الكاشية في قرابة نصف عهدها الأول.

---

(١) King, L. W., Chronicles concerning Early Baby lonian kings, vol II, London, 1907, P 21.

٣ ـ مملكة بابل الثالثة
(الدولة الكاشية)

بعد أن قضى الحيثيون على مملكة بابل الأولى وجد الكاشيون الفرصة سانحة لاخضاع بابل فأخذت جموع متتالية من رجال القبائل الجبلية الواقعة في شرق نهر دجلة تهبط من السهول لمهاجمة بلاد بابل وقد استطاعت بعد انسحاب الحيثيين أن تكون دولة قوية عرفت باسم الدولة الكاشية[1] أو دولة بابل الثالثة ، ومع أن حكمها يعد أطول احتلال مشهدته أي دولة قديمة ، إذ استمر ما يقرب من ٤٣٠ سنة ، إلا أن معلوماتنا قليلة نظراً لقلة الوثائق التاريخية المتخلفة عنه .

ـ والكاشيون من العناصر الآسيائية التي امتزجت في النصف الأول من الألف الثاني بالعناصر الهندوأوروبية وربما اكتسب الكاشيون اسمهم من إقليم في شمال عيلام يدعى «كاش ـ شن» وأطلق عليهم اليونان التسمية «كاسيوي» .

ـ وتعوز المؤرخ الأدلة النصية الكافية التي تتيح له التعرف على كيفية استيلاء أول ملوك الأسرة الكاشية وهو «جانداش» على العرش في بابل ، ويرى المؤرخون أن ذلك قد تم في عام ١٧٥٠ ق . م أو ١٧٤٦ ق . م .

ويتميز عصر هذه الدولة بحدوث الكثير من الغزوات والقلاقل في منطقة الشرق الأدنى القديم ، وقد كثرت السلطات المتنازعة على السيادة الدولية في أثنائه وكانت بعض القوى الجديدة تظهر ثم لا تلبث أن تختفي لتحل محلها

---

(١) Gadd, C. J., op. cit., pp. 224 - 227.

قوى أخرى ـ وهكذا نجد دولة البحر في جنوب العراق والكاشيين في الوسط والأشوريين في الشمال والشمال الشرقي، وبينما كان الأشوريون يجاهدون في الانفصال عن الكاشيين نجدهم لا يلبثون أن يخضعوا للميتانيين ـ ومن جهة أخرى كان الميتانيون ينافسون الحيثيين الذين استطاعوا القضاء على دولة بابل الأولى والسيطرة على شمال العراق وسوريا واتسعت إمبراطوريتهم تدريجياً حتى اصطدموا بالمصريين في عهد الدولة الحديثة التي كانت حينئذ تسيطر على أكثر مناطق العالم القديم المعروفة، أما عيلام فإنها لم تتمكن من أن تعيد قوتها مباشرة بعد أن قضى عليها حمورابي ـ وفي نهاية هذا العهد تعقدت العلاقات الدولية وتبادل الملوك الرسائل وكانت بينهم المعاهدات والمصاهرات الدولية[1].

ورغم تمكن الكاشيون من السيطرة على أجزاء كبيرة من مملكة بابل في سرعة كبيرة، إلا أنهم لم يتمكنوا من السيطرة على دولة القطر البحري بمثل هذه السرعة، إذ ظل ملوك القطر البحري يتمتعون بكيانهم المستقل لفترة طويلة ولم يتمكن الكاشيون من السيطرة عليهم إلا بعد جهود مضنية، وكان ذلك في عهد ملكهم «أولام ـ بورياش».

ونظراً لقلة أعداد الكاشيين بالنسبة لأهل بابل، فقد اعتبروا أنفسهم طبقة أرستقراطية حاكمة بين السكان الأصليين واعتبروا اللغة البابلية لغتهم الرئيسية وذلك إلى جانب لغتهم الخاصة، ومن المظاهر الجديدة التي تنسب لهم تأريخهم الأحداث بسني حكم ملوكهم بعد أن كان العراقيون يؤرخون بالأحداث الرئيسية أكثر من غيرها، كما شيدوا بعض المدن الجديدة والتي من أهمها مدينة «دور كوريجا لزو» وهي تبعد عن بغداد الحالية بحوالي ٣٢ كيلو متر وقد اتخذوها عاصمة لهم.

وقد عمل الملوك الكاشيون على ترميم المعابد البابلية وإعادة ما تهدم منها، وظهر ذلك بشكل واضح في مدينة الوركاء حيث رمموا معبداً للإلهة إنانا

(١) محمد أبو المحاسن عصفور: المرجع السابق، ص ٣٦٨ ـ ٣٧٠.

كما قاموا بإحداث بعض التطورات والإضافات لمحاور المقاصير الرئيسية وتشكيل الواجهات الخارجية ، وظهر ذلك في معبد الوركاء ، فقد دعمت أركانه الخارجية بأكتاف ذات مستويين لم يمارسها العراقيون إلا قبيل عصورهم التاريخية ثم هجروها بعد ذلك ، وأضافت العمائر المدنية الكاشية تجديداً آخر تمثل في بناء صفات ذات أعمدة حول أبنيتها الكبيرة وظهر لها ما يماثلها في عمائر الحيثيين في الأناضول[1] .

ــ وفي مجال العلاقات الخارجية فيلاحظ وجود علاقات ود وصداقة بين مصر وبابل خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد وتمثلت هذه العلاقات الطيبة في زواج الفرعون امنحتب الثالث بابنة الملك البابلي المعاصر له ، وبعد ذلك وفي عهد الفرعون اخناتون استنجد الملك البابلي به لتأمين تجارته في سورية وذلك نظراً لوجود اضطرابات في هذه المنطقة خلال هذه المرحلة وكان من نتيجتها تهديد التجارة البابلية .

ولقد تحكم الأشوريون في المناطق الشرقية والشمالية الشرقية من نهر دجلة . بينما تحكم الحوريون في المناطق الغربية والشمالية الغربية من نهر الفرات . وفيما يتصل بعلاقة الكاشيين بأشور فقد ساد الحذر العلاقات بينهما في أول الأمر ، ولم يمنع ذلك من حدوث تصاهر بين البيتين الحاكمين في بابل وأشور ، أما دولة ميتاني فقد تعرضت بعد فترة من الزمن لهجوم الحيثيين الذين كادوا يقضون عليهم لولا حدوث بعض الاضطرابات في الأملاك الحيثية في شمال الشام مما اضطر الحيثيون إلى الانسحاب بجيوشهم من العراق واستغل الأشوريون الفرصة فهاجموا العاصمة الميتانية واستردوا الكنوز التي كان قد اغتصبها الميتان من أرضهم . واكتفى الأشوريون بذلك إلا أن الأحداث سرعان ما أدت إلى نهاية دولة الميتان في منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

وفي ذلك الوقت واجهت بابل قوى دولية ذات وزن كبير على حدودها

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٨٥ ـ ٤٨٦ .

فكان هناك العيلاميون والأشوريون والخاتيون ودخلت بابل في صراع مسلح مع كل من عيلام وأشور لم تكن نتائجه حاسمة لطرف من الأطراف. أما بالنسبة للحيثيين فقد سادت علاقات الود الظاهري بينهم وبين البابليين وذلك نظراً لانشغال الحيثيين بصراعهم مع كل من أشور ومصر[1].

وفي أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد هاجم العيلاميون بابل وقضوا على الحكم الكاشي فيه ودمروا بابل نفسها ونقلوا معظم أثارها الفنية إلى عاصمتهم سوسة، إلا أن الاحتلال العيلامي لبابل لم يدم طويلاً إذ انتقل الحكم فيها إلى أسرة قوية من أمراء ايسين تعرف باسم الأسرة البابلية الرابعة أو أسرة ايسين الثانية، واستطاع ملكها نبوخذ نصر الأول من مهاجمة عيلام وتحقيق نصراً عليها إلا أنه كان غير حاسماً.

ولم تنعم بابل بالاستقرار بعد ذلك إذ جاء على عرشها أحد الأراميين وكان ذلك بداية فوضى شاملة في أرجاء الدولة حكم خلالها سبعة ملوك أسسوا ثلاث أسرات هي الأسرة البابلية الخامسة وأسسها كاش والأسرة البابلية السادسة وأسسها أرامي والأسرة البابلية السابعة وأسسها عيلامي، وبتولي أسرتها الثامنة العرش انحدرت بابل إلى الهاوية، ولم يصبح لها نفوذ خارج حدودها وظل الأمر كذلك إلى أن استولى الأشوريون على بابل وذلك خلال العصر الأشوري الحديث.

---

(١) King, L. W., op. cit., p. 22.



الفصل السادس

الأشوريون

ـــأطلق إسم «أشور» في النصوص القديمة على كل من المدينة وإلهها والدولة نفسها، وقد وردت كلمة «أشور» في المصادر الأرامية والعربية تحت اسم «أثور» وأما المصادر السومرية فقد عرفت بلاد الأشوريين باسم «مات أشور» أي بلاد أشور، كما وردت كلمة أشور في هذه المصادر من القرن ١٣ ق. م» «اش شر» كما وردت قبل ذلك تحت صورة «آ- شو-ار» و «اشر».

ويقع الإقليم الأشوري على طول دجلة من خط عرض ٢٧° شمالاً حتى مصبه جنوباً على صورة مثلث يحصره دجلة والزاب الأعلى والزاب الأسفل، وتحاده من الشمال والشرق جبال عالية وهضاب وأراضي تتخللها النجاد والأغوار، فهي ليست أرضاً منبسطة، بل هي بلاد ذات طبقة جبلية في أغلب الأمر تحصر بينها الرقعة الخصبة التي تمثل وديان الأنهار سالفة الذكر، وهذه الرقعة الخصبة من الأراضي صالحة للزراعة عرفت بها بضعة سهول من بينها سهل اربيل وسهل كركوك، وكان وجود الجبال من ناحية الشمال والشرق بمثابة حدود طبيعية للأقاليم، أما من الجنوب والغرب فالطريق مفتوح، إلى الجنوب بغير حدود طبيعية حتى الخليج العربي، وإلى الغرب حتى الفرات وروافده وما ورائه، ومن ثم فالحدود السياسية جنوباً وغرباً خاضعة لمدى التوسع الاستعماري فهي تتقلص مرة، وهي تمتد مرة أخرى تبعاً لمدى السلطان السياسي للإقليم، وكانت عاصمة أشور هي مدينة «أشور» كذلك،

وتعرف خرائبها اليوم باسم القلعة أو «قلعة شرقاط» على مبعدة ١١٠ كيلو مترا من الموصل[١].

والأشوريون في الأصل فرع مس الأقوام السامية التي هاجرت من مهد الساميين الأصلي، وهو جزيرة العرب على ما يقول به جمهور الباحثين، إلا أنهم لم يأتوا رأساً من جزيرة العرب إلى شمالي العراق وهم بدو غزاة، وإنما حلوا في موطن مؤقت بعد هجرة أجدادهم من الجزيرة وانتقلوا منه إلى البلاد التي صارت فيما بعد موطناً ثابتاً لهم، ويفترض العلماء لذلك فرضين أولهما: إن الأشوريين جاؤا من الجنوب من أرض بابل - وربما في العهد الأكدي - معتمدين في ذلك على التقارب بين اللغتين الأشورية والبابلية، رغم وجود بعض الاختلافات بينهما، وثانيهما: إن الأشوريين موجه أرامية جاءت من سورية، أي أنهم من السامين الغربيين، وربما كان الرأيان صحيحان، بمعنى أن الأشوريين فرع من الساميين الذين جاؤا من سورية، كما أنهم فرع من الساميين الذين جاءوا من الجنوب من بابل. بل إن «ول ديورانت»[٢] يرى أنهم خليط من هؤلاء الساميين، ومن قبائل غير سامية جاءت من الغرب (ولعلهم من الحيثيين أو من قبائل تمت بصلة إلى قبائل ميتاني) ومن الكرد سكان الجبال الآتين من القوقاز، وأخذ هؤلاء كلهم لغتهم المشتركة وفنونهم من «سومر» ولكنهم صاغوها فيما بعد صياغة جديدة جعلتها لا تفترق في شيء عن لغة أرض بابل وفنونها.

— ويقسم المؤرخون تاريخ أشور القديم إلى ثلاثة عصور متميزة هي:

١ - العهد الأشوري القديم ويبدأ من فجر التاريخ الأشوري إلى نهاية حكم أسرة بابل الأولى.

٢ - العهد الأشوري الوسيط أو عصر المملكة الأشورية ويبدأ من نهاية مملكة بابل الأولى وذلك في عهد الملك «أشور أو بلط الأول» وينتهي في بداية القرن التاسع قبل الميلاد وذلك بنهاية عهد الملك «أشور دان الثاني».

(١) نجيب ميخائيل إبراهيم: المرجع السابق، ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة، الجزء الثاني من المجلد الأول، الشرق الأدنى، ترجمة محمد بدران، القاهرة ١٩٦١، ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

٣ ـ العهد الأشوري الحديث أو عصر الأمبراطورية ويمكن أن يقسم بدوره إلى قسمين:

أ ـ الأمبراطورية الأشورية الأولى وتمتد من حوالي عام ٩١٣ ـ ٧٤٥ ق. م وتبدأ بعهد الملك «ادد نيراري الثاني» وتنتهي بعهد الملك «أشور نيراري السادس».

ب ـ الأمبراطورية الأشورية الثانية وتمتد من حوالي عام ٧٤٥ ـ ٦١٢ ق. م وتبدأ بالملك «تجلات بلاسر الثالث» وتنتهي بالملك «أشور أو بلط الثاني».

وسنقوم فيما يلي بتتبع تاريخ دولة أشور في هذه العهود الثلاثة:

ـ العهد الأشوري القديم

حكم أشور خلال هذه المرحلة سبعة عشر ملكاً وذلك حسبما ورد في القائمة التي عثر عليها في خورسباد، إلا إنه يرجح أن بعض هؤلاء الملوك كان يعاصر بعضهم البعض، ومن الناحية السياسية فقد خضع الأشوريون في بداية هذه المرحلة لحكم ملوك أسرة أور الثالثة، ولكن بعد سقوط أسرة أور انتهز الأشوريون الفرصة واستقلوا وذلك مثلهم مثل كثير من المدن الأخرى، وفي ذلك الوقت بدأ الملك الأشوري «بوزور ـ أشور الأول» الذي حكم حوالي عام ٢٠٠٠ ق. م من إقامة سلسلة جديدة من الملوك الأشوريين الذين يحملون أسماء أكدية بحتة.

وفي عهد الملك «ايلوشلوما» تمكن الأشوريون من التوغل في جنوب بلاد النهرين وذلك أثناء حكم مملكة ايسين. ومن المحتمل أنه وسع مملكته حتى شملت نينوى، ولكن المؤسسين الحقيقيين لقوة أشور كانوا من الساميين الغربيين الذين تدفقوا على شمال وجنوب بلاد النهرين في القرون الأولى من الألف الثاني ق. م حيث بدأ أحد زعماء الأموريين في الاستقرار في المنطقة ما بين نهري الخابور والدجلة وحكمها خلفاؤه كاتباع للأشوريين، ثم تمكن أحدهم من الاستيلاء على آشور واعتلاء العرش، وفي نفس الوقت تقريباً

تمكن أموري آخر من أن يصبح ملكاً في ماري ـ ومنذ ذلك الحين ارتبط مصير المملكتين الشماليتين العظيمتين كل منهما بالأخرى، فقد بدأت بينهما علاقات حسن الجوار أولاً ولكنها سرعان ما انفصمت ـ وتمكن الأشوريون بفضل «شمس أدد» من وضع يدهم على ماري[1]. ولقد توسع بعد ذلك ناحية الغرب حتى وصل إلى ساحل البحر المتوسط، ولكن لم يستمر الحال طويلاً إذ تمكن الملك حمورابي في العام الحادي والثلاثين من عهده وبعد أن انتهى من حروبه مع العيلاميين من اخضاع أشور لسلطانه، واستمر ذلك الوضع فترة من الزمن حتى تمكن الأشوريون من استعادة استقلالهم وبدأوا مرحلة جديدة من تاريخهم هي العهد الأشوري الوسيط.

٢ ـ العهد الأشوري الوسيط

استغرقت هذه المرحلة أكثر من أربعة قرون ونصف القرن (١٣٨٠ ـ ٩١٣ ق. م تقريباً) حكم خلالها ستة وعشرون ملكاً وذلك منذ نهاية أسرة بابل الأولى وحتى بداية العهد الأشوري الحديث ويعاصر العهد الأشوري الوسيط في مصر عصر الدولة الحديثة، وفي خاتى عصر الأمبراطورية الحيثية وفي جنوب العراق كان هناك الكوشيون.

ويبدأ العهد الأشوري الوسيط باستقلال آشور من نفوذ البابليين بعد سقوط دولة بابل الأولى في أيدي الحيثيين الذين ما إن تراجعوا عنها حتى احتلها الكاشيون، ولقد انتهز الأشوريون الفرصة وأعلنوا استقلالهم وكان ذلك في عهد الملك «شمش أداد الثاني» الذي جعل من الأشوريين قوة لها كيان في ذلك الوقت، إلا أن خلفاءه لم يستطع الحفاظ على القوة التي حققها شمش أداد الثاني وذلك نظراً لتطور الأحداث الخارجية بجوار دولة أشور تطوراً سريعاً.

تكونت بجوار الأشوريين في ذلك الوقت من جهة الغرب قوة فتية جديدة هي

---

(١) Kupper, J. R., "Northern Mespotamia and Syria", In C. A. H., 1973. P.1 ff.

قوة الميتانيين التي أنشأها الحوريون في منتصف الألف الثاني ق. م، ولقد أخذت قوة الميتابيين تزداد حتى أصبحت لهم اليد الطولي في أحداث الشرق الأدنى القديم خلال هذه المرحلة، ولقد تمكن الميناniون من فرض سيطرتهم ونفوذهم على دولة أشور واستمرت تلك السيطرة زهاء قرن من الزمان.

ولقد ساعدت الظروف آشور في التخلص من ميتاني بل والقضاء عليها، وتمثلت تلك الظروف في الصراع الذي نشب ما بين الميتانيين والحيثيين مما أرهق الطرفين، وزاد الأمر سوءاً بالنسبة للميتانيين انقسام البيت المالك الميتاني إلى فريقين متناحرين، وعاصر هذه الأحداث الملك الأشوري «**أشور - أوبلط الأول**» الذي انضم لأحد الفريقين المتنازعين.

وكنتيجة للمؤامرات والدسائس بين الفريقين قتل الملك الميتاني «**توشراتا**» المعارض للفريق الموالي للأشوريين. وفر ولده إلى بابل ولكن ملكها «**بورنابورياش**» تمسك بمبدأ الحياد ورفض منحه حق اللجوء السياسي، فاضطر إلى الذهاب إلى البلاط الحيثي، بينما اقتسمت أشور، ودولة صغيرة في حوض دجلة الأعلى تدعى «الشي» بلاد ميتاني، وهكذا تمكن «أشور أوبلط» دون أن يدخل في أي معركة حربية من أن يحرر بلاده من سيطرة الميتانيين، بل وتمكن كذلك من أن يتسبب في القضاء على الدولة التي كان أباؤه يدفعون لها الجزية وقد اتبع سياسة حكيمة مع جيرانه فتصاهر مع ملك الكاشيين الذي تزوج بابنته أملاً في أن يصبح حفيده يوماً ملكاً على بابل[1].

وسارت الدولة الأشورية في نموها وتوطيدها ثم توسعها في عهد الملوك الذين خلفوا «أشور أوبلط» وكان هؤلاء الخلفاء من طراز مؤسس الدولة حيث التزموا السياسة الحكيمة في تقوية الدولة دون الدخول في مغامرات حربية وفتوحات جديدة تستنزف قوى الدولة ونهجوا نهجه وعمل بعضهم على توسيع سلطان الأشوريين إلى جهات الشرق الأوسط فنشأت بذور الأمبراطورية الأشورية التي نمت ونضجت فيما بعد منذ القرن التاسع ق. م وكان أول - هؤلاء الذين خلفوا

---

(١) محمد أبو المحاسن عصفور: المرجع السابق. ص ٣٧٦.

أشور أوبلط الملك «**إنليل نيراري**» الـذي خلفه «**أداد نيراري الأول**» **الذي تمكن من ضم مساحات من أرض الجزيرة إلـى مملكته ثم خلفـه «شلمنصر الأول» (١٢٦٦ - ١٢٤٣ ق. م) والذي يعد واحداً من ملوك أشور العظام ولقد قام بعدة حملات في الغرب والشرق وحين استقرت له الأمور واتسعت دولته اتخذ عاصمة جديدة هي** «كالح» (نمرود الحالية) بدلاً من العاصمة القديمة أشور.

وخلف شلمنصر الأول ابنه «**توكلتي - ننورتا**»[1] (١٢٤٣ - ١٢٢١ ق. م) الذي عمل على توطيد حكم الأسرة وتوسيع حدود بلاده، ونجح في أن يضم إلى أشور مملكة بابل وأن يهزم ملكها «كاشتيلياش» وحق له حينئذ أن يتخذ لقب «ملك سومر واكد» ثم أقام لنفسه عاصمـة جديدة هي «كار - توكلتي - ننورتا» في مواجهة أشور.

ولكن أخريات أيام توكلتي - ننورتا لم تكن طيبة إذ طمع ابنه في عرشه فقتله وكان من أثر ذلك اضطراب شؤون الأسـرة فتعاقـب عدد من الملـوك الضعاف (١٢٣٢ - ١١٧٥ ق. م) مما يسر لبابل أن تخرج عن سلطان أشور وتستعيد استقلالها بل وتعكس الآية وتفرض نفوذها على أشور فترة من الزمن.

واستمرت فترة الانتكاس هذه في أشور حتى اعتلى عرشهـا «**تجـلات بلاسر الأول**» (١١١٦ - ١٠٩٠ ق. م) الذي قام بغزوات ناجحة في الشمال الشرقي والشمال ووصل إلى البحر الأسود ثم اتجه غرباً نحو سواحـل آسيا الصغرى وفينيقية وبعد ذلك أخضع بابل فأصبح يحكم معظم أنحاء الشـرق الأدنى من البحر الجنوبي إلى البحر الشمالي وساحل البحر المتوسط.

وأدت حروب «تجلات بلاسر الأول» إلى إحضار جزى كثيرة إلى آشور مما كان له أثره في انتعاش الحركة المعمارية، فشيدت العديد من معابد الآلهة، كما أعاد تعمير أسوار العاصمة القديمة «آشور»، واتخذها عاصمة لدولته مرة ثانية بعد أن نقل منها «شلمنصر الأول» مركز الحكم إلى عاصمته «نمرود».

(١) Weidner, E. F., "Studien zur Zeitgeschichte Tukulti - Ninurtas I", In Arch. F. or. 13 (1939 - 41), P. 109 ff.

ولقد خلف «تجلات بلاسر» أحد عشر ملكاً بلغوا حداً من الضعف والاستكانة جعل الانحلال يدب في جسم أشور ولم يستطيعوا الصمود أمام هجمات الأراميين القوية وانتهى الأمر بأن أصبحت سلطة الدولة الأشورية لا تتعدى المدن الأشورية نفسها.

وكان الآراميون يستوطنون المنطقة مابين آشور والساحل الفينيقي، فوجد فرع منهم في وسط الشام وشرقه من دمشق إلى حماة، وقد كون هذا الفرع فيما بعد دويلات تجارية ازدهرت ولكنها اصطدمت بالتوسع الأشوري منذ القرن التاسع ق. م. واستوطن فرع ثاني من الأراميين منطقة الفرات الأوسط والمراعي الواقعة في شمال العراق، وكان هذا الفرع الأخير هو الذي اصْطدم به الأشوريون في أول مرة بعد «تجلات بلاسر الأول»، وتمكن هذا الفرع من الآراميين من التضييق على الأشوريين وهدد دولتهم بالزوال.

ولقد كانت هذه المرحلة من أخطر ما تعرض له الأشوريين وهدد دولتهم بالزوال.

ولقد كانت هذه المرحلة من أخطر ما تعرض له الأشوريون في تكوينهم السياسي، ولقد استطاع الأشوريون مع نهاية القرن العاشر ق. م ومطلع القرن التاسع ق. م من الخروج من أزمتهم، بل واستطاعوا خلال القرن التاسع من تكوين امبراطورية عظيمة، وهي المرحلة التي تعرف باسم «العهد الأشوري الحديث».

٣ ـ العهد الأشوري الحديث

استغرق العهد الأشوري الحديث ما يقرب من ثلاثة قرون، وينقسم إلى امبراطوريتين تخللتهما فترة ركود وضعف، وتبدأ الأمبراطورية الأولى بعهد «أدد نيراري الثاني» وتنتهي بعهد «أشور نيراري السادس» وذلك من حوالي عام ٩١٣ ق. م ـ ٧٤٥ ق. م وحكم خلالها تسعة ملوك، وتبدأ الأمبراطورية الثانية بعهد الملك «تجلات بلاسر الثالث» وتنتهي بعهد الملك «أشور أوبلط الثاني» وذلك من حوالي عام ٧٤٥ ـ ٦١٢ ق. م وقد حكم خلالها عشر ملوك.

أ ـ الأمبراطورية الأشورية الأولى :

تمكن «**أدد نيراري الثاني**» (٩١٣ ـ ٨٩٠ ق . م) من تثبيت قواعد حكمه واسترجع الإشراف الفعلي لدولته على تخومها الغربية حول نهري الخابور والفرات ، وإشعار أهل هذه التخوم وبخاصة الأراميين بسلطانه ، ويبدوا أن هؤلاء الأراميين الشرقيين وإن أخذوا بحضارة العراقيين وعمل بعضهم بالزراعة واستطاعوا أن يرهبوا دولة أشور فترة طويلة وكادوا يسيطرون على طرق تجارتها إلا أنهم ظلوا يؤثرون النظام القبلي وحياة التنقل في جماعات منفصلة ، فشجع تفرقهم الأشوريون على محاولة إخضاعهم .

وفيما يتصل بحدوده الجنوبية ، فقد حارب بابل مرتين ، وانتهت حربه معها بانتصاره عليها ، ووقعت معاهدة حدودية معها اعترفت فيها بابل بسيادته على أرض السواد من الخابور في الغرب إلى ما يجاور بغداد الحالية في الجنوب الشرقي[١] .

وخلفه ابنه «**توكلتي ننورتا الثاني**» (٨٩٠ ـ ٨٨٤ ق . م) على عرش أشور ، وقد سار على نهج أبيه فوجه همته لإقامة الحصون على الحدود حيث وضع حاميات قوية يستطيع بها السيطرة على المنافذ المختلفة إلى الشمال والغرب لتأمين طرق التجارة عبر طوروس والي سورية ، ولضمان عدم حدوث تسرب من القبائل من هذه المنافذ ، وقد قام بعدة حملات حربية كان الهدف منها استعراض قوته لتأمين الدولة التي أقامها والده ، فقام بعدة حملات ضد الأراميين في وسط العراق وغربها ثم اتجه إلى الشمال بغية إرهاب الجماعات الجبلية والوصول إلى مناطق يسهل احتلالها أو يسهل الدفاع عنها.

ومنذ ذلك الحين اتجهت سياسة أشور نحو توطيد بلطان الدولة على حدودها الغربية وإخضاع القبائل الجبلية في الشمال والشرق ومحاولة السيطرة الكاملة على الطرق التجارية والحربية التي تتجه غرباً إلى سورية

---

(١) Smith, S. M. A., "The Foundation of the Assyrian Empire". In C. A. H., vol. III. the Assyrian Empire, Cambridge, 1965, PP. 7 - 9.

وشمالاً وغرباً إلى جبال طوروس وآسيا الصغرى مع محاولة إضعاف الفروع الأرامية الغربية التي استمرت في شرق سورية وأواسطها وامتد نفوذها إلى موانيها البحرية[1].

وجاء بعده ابنه «**أشور ناصر بال الثاني**» (٨٨٣ ـ ٨٥٩ ق. م) وهو يعتبر من أعظم ملوك الأشوريين رغم شهرته بالقسوة وقد شغل حكمه بعدد من الحملات في الشرق والغرب لتوطيد دولته وقد سجل أعماله الحربية في لون من الزهو والمبالغة أحياناً وهي سنة بدأها والده واتبعها ملوك أشور بعد ذلك، ولقد عثر على هذه الحوليات في معبد ننورتا في كالح، ويفهم مما ورد فيها. أن فتوحاته قد وصلت إلى شواطىء البحر المتوسط وإلى جبال أمانوس وأنه قد استطاع أن يخضع كل البلاد الواقعة بين أشور وبين البحر وأن يسيطر بذلك على الأقاليم الغربية.

ولقد أدخل تحسينات كثيرة في الجيش والإدارة حيث استخدم الخيالة على نطاق واسع وقسم بلاده إلى ولايات يحكم كل منها أحد الولاة، وجدد بناء مدينة كالح (نمرود) وبنى فيها قصراً فخماً زينه بألواح كبيرة من الرخام نقشت عليها مناظر تمثله في حروبه وصيده وقدوم الأمراء الخاضعين له ومعهم هداياهم وجزيتهم[2].

وخلف «**شلمنصر الثالث**» (٨٥٨ ـ ٨٢٤ ق. م) أباه على العرش الأشوري ولم يكن أقل اعتزازاً بجبروته من أبيه فوصفته نصوصه بأنه «الأفعوان الكبير» (أوشوم جال» وأنه طحن أعداءه جميعاً كما لو كانوا من طين وأنه المقتدر الذي لا يعرف الرحمة في الحروب... الخ كما أنه لم يكتف بامبراطورية أبيه الواسعة، بل أضاف إليها مستعمرات جديدة وصلت إلى منابع دجلة والفرات كما ساعدته الظروف فتدخل في عرش بابل ولم يكن ذلك بغير ثمن لصالحه وصالح دولته فقد أصبحت له اليد العليا على صاحب عرشها بعد أن ناصره وسمح له ذلك بأن يتعداها بجيوشه إلى كلديا حتى الخليج العربي ويتلقى هدايا ملوكها أو جزاهم على حد قول نصوصه وقد قام

---

(١) Ibid., PP. 9 - 10.

(٢) Ibid., PP. 12 - 18.

بسلسلة من الحملات الحربية في سورية وفلسطين.

وقد دون شلمنصر أخبار حروبه على مسلة تعرف باسم «المسلة السوداء» وهي توجد بالمتحف البريطاني حالياً، وقد سجلت بها الحروب التي قام بها شلمنصر حتى العام الحادي والثلاثين من حكمه، وبالإضافة إلى هذه المسلة توجد نقوش أخرى سجلت على البوابات البرونزية أو على اللوحات الطينية التي عثر عليها في أشور، أو على تماثيل لثيران عثر عليها في كالح، كما عثر على نقوش أخرى له سجلت على بعض الألواح الحجرية وكذلك على قطع من الرخام، ويلاحظ أن بعض الأحداث قد سجلت على أكثر من مصدر، وعلى ذلك فلدينا عن بعض الأحداث أكثر من نسخة.

ولقد تجرأ شلمنصر الثالث في العام السادس من حكمه على مهاجمة دمشق - أكبر الإمارات الأرامية الغربية - بعد أن أرهب هو وأبوه الإمارات الأرامية الأخرى التي توزعت بين الفرات وقلب الشام ولكن دمشق لم تكن صيدا سهلاً على الرغم من طول منافستها مع جيرانها من الأراميين والبدو والعبرانيين فعزمت على الوقوف في وجه الأشوريين وهناك وفي قرقر عام ٨٥٣ ق. م تجمع حلف من الملوك السوريين يضم اثني عشر ملكاً على رأسهم «بنحدد» (حدد عزر) الذي كان جيشه كما يقول نص شلمنصر الثالث نفسه: -

«للخصم ١٢٠٠ مركبة، ١٢٠٠ فارساً، ٢٠ ألف من المشاة من قبل (حدد عزر) الدمشقي وكذلك ٧٠٠ عجلة ٧٠٠ من الفرسان، ١٠ الاف من المشاة من (ارخوليني) صاحب حماة وكذلك ألفين من العجلات وعشرة الآف من المشاة من قبل اخاب الإسرائيلي وكذلك ٥٠٠ جندي من «قي» وألف جندي من «موصري» وكذا عشرة الآف جندي من ارقناتا وكذا ٢٠٠ جندي من «متينو بعلو» الأروادي وكذا ٢٠٠ من أوزاناتا وكذا ٣٠ عربة وعشرة آلاف جندي من ادونوبعلو» آل«شياني» وكذا ألف راكب جمل من «جنديبو» من بلاد العرب. . وعدتهم اثني عشر ملكاً دخلوا ضدي في معركة حاسمة وحاربتهم بعون «أشور» وقوى أشور التي أمدني بها وأسلحة ترجال قائدي الذي أهداني إياها وأوقعت بهم الهزيمة بين مدن قرقارة وجلزوار وذبحت

أربعة عشر ألفاً من جنودهم واجتحتهم كسيول «ادد» حين يبعث بها ونثرت جثثهم في كل مكان وملأت السهل كله بجندهم الفارين وقد جعلت دماؤهم تسيل خلال المعركة في «خور بالو» في تلك الناحية وكان السهل أصغر من أن يجعل كل أرواحهم تنزل إلى العالم السفلي وأما ساحة الوغى فقد ضاقت عن أن يدفنوا بها، وعبرت الأورنت فوق جثثهم قبل أن يكون هناك معبر بل إنني خلال المعركة أخذت منهم عرباتهم وخيولهم المدجنة».

هذه هي معركة قرقارة أو «قرقر» الشهيرة في العام السادس من حكم شلمنصر الثالث (٨٥٣ ق. م) التي تعد إحدى المواقع الحاسمة تم خلالها اندحار حلف من اثني عشر ملكاً تكتلوا جميعاً للوقوف في وجه قواته المنتصرة ولكنهم لم يفلحوا بل حاقت بهم جميعاً الهزيمة ومع ذلك ورغم تفاخر شلمنصر الثالث بالنصر في قرقر - فإن الحقائق التاريخية تقول إن نصره لم يكن حاسماً ولم يؤد أبداً إلى استسلام دمشق بل كان على الأشوريين أن ينتظروا سنين طويلة أخرى قبل أن يتمكنوا من إخضاع دمشق على أيام تجلات بلاسر الثالث في عام ٧٣٢ ق. م.

ورغم الانتصارات الواسعة التي حققها شلمنصر الثالث والحملات الكثيرة التي قام بها إلا اننا نجد أن الأحوال في أخريات عهده تنذر بتهديد العرش من الداخل حين طمع فيه أكبر أبنائه المدعو «أشور دان ايلي» وكان من نتيجة ذلك نشوب الحرب الداخلية إذ استطاع هذا الابن أن يضم إلى جانبه بعض الناقمين على أبيه وقد مات شلمنصر الثالث خلال هذه الاضطرابات الخطيرة التي هددت - لا العرش وحده بل الأمبراطورية كلها - بالانقسام والتفكك[1].

ذلك أنه رغم أن ولي عهده المدعو «شمش اداد الخامس» (٨٢٤ - ٨١٠ ق. م) تغلب على أخيه الثائر، إلا أن تلك الظروف كانت سبباً في فقدان

(١) Ibid., PP. 18- 31,

وكذلك نجيب ميخائيل إبراهيم: المرجع السابق، ص ٢٥٩ - ٢٦٢.

أشور لبعض مستعمراتها البعيدة ، وفي تلك الأثناء ظلت بابل على ولائها لأشور ، ، وتحسنت العلاقات بينهما بزواج ملك أشور من أميرة بابلية تدعى «شمورامات» حظت بشهرة كبيرة حتى عرفها اليونان باسم «سميراميس» وقد صارت وصية على ولدها «اداد نيراري الثالث» (٨١٠ ـ ٧٨٢ ق . م) الذي اعتلى العرش وهو صغير بعد وفاة والده ، وكان حكمها هو الأساس التاريخي الراهن لأسطورة «سميراميس» اليونانية ، والتي تجعل منها نصف إلهة ونصف ملكة ، وقائدة باسلة ، ومهندسة بارعة ، وحاكمة محنكة مدبرة ، وتلك الأسطورة هي كل ما نعرفه عن هذه الملكة ، وقد وصفها «ديودور الصقلي» وصفاً مفصلاً بديعاً .

وجاء بعد ذلك على العرش الأشوري ملوك ضعاف من أمثال «شلمنصر الرابع» (٧٨٢ ـ ٧٧٢ ق . م) ، أشور دان الثالث (٧٧٢ ـ ٧٥٤ ق . م) «وأشور نراري السادس» (٧٥٣ ـ ٧٤٦ ق . م) الذي قامت ضده ثورة أهلية في مدينة «كالح» (نمرود) قتل فيها وتولى العرش بعده «تجلات بلاسر الثالث» الذي بدأ عهد جديداً في تاريخ الأشوريين تكونت فيه آخر وأعظم أمبراطورية أشورية وبدأ كذلك عهد الأمبراطورية الثانية .

ب ـ الأمبراطورية الأشورية الثانية :

بدأ عهد الأمبراطورية الأشورية الثانية بالملك **«تجلات بلاسر الثالث»** (٧٤٥ ـ ٧٢٧ ق . م) وبعد توليه الحكم عمل على توسيع رقعة دولته وإحلال هيبتها في نفوس الشعوب المجاورة له . وبدأ أعماله العسكرية ضد الميديين في فارس ، وبعد ذلك اتجه نحو بابل التي أعلن نفسه ملكاً عليها في عام ٧٢٩ ق . م تحت اسم «پولو» .

وتشير حوليات «تجلات بلاسر الثالث» إلى أن جهوده الحربية الفعلية كانت موجهة ضد الأقاليم الواقعة غرب دولته ، حيث قضى سنوات حكمه في توجيه الحملات إلى هذه المناطق ، فحارب اربد أربع مرات ، وتدخل في شؤون مملكة يهوذا ، ووصلته الجزية من العديد من البلدان مثل صور وصيدا

ودمشق وسبأ وكذلك من بعض المناطق في آسيا الصغرى، ولقد تمكن من إخضاع دمشق عام ٧٣٢ ق. م ولم يكتف بتبعيتها لنفوذه، بل قام بنقل أهلها إلى مناطق أخرى، وبذلك قضى على المملكة الآرامية فيها، ثم عين بها حاكماً أشورياً، وهو بهذا العمل إنما قد استن سنة نقل الشعوب وتشريد أهلها من مواطنهم، وهي السياسة التي سار خلفاؤه على نهجها.

وقام بتنصيب «هوشع» (٧٣١ - ٧٢٢ ق. م) ملكاً على إسرائيل ولكن قامت ضده ثورة جعلت أشور تتدخل وتجتاح الجليل، وقد نزل «تجلات بلاسر» إلى عسقلان التي كان ملكها قد مات واضطر خلفه أن يتنازل عن جانب من مدينته للملك الأشوري اتقاء لشره، وهكذا ينتهز «تجلات بلاسر» كل فرصة ليتدخل في الشؤون الداخلية للبلاد المتاخمة، بل إنا نراه يسعى جاهداً لتعيين حكام من أشور في كل مكان، ، حتى في بلاد العرب، أما في فينيقيا فنرى اهتمامه بها يبلغ حد تعيين ابنه الأكبر «شلمنصر» حاكماً عليها منذ حملة عام ٧٣٣ ق. م وهكذا قضى «تجلات بلاسر» الثالث معظم حكمه في الحروب، ولكنه ترك من بعده لابنه امبراطورية واسعة الأرجاء[١].

ويخلف «**شلمنصر الخامس**» (٧٢٧ - ٧٢٢ ق. م) أباه على عرش أشور وقد نحى منحى أبيه تجاه العرش البابلي حيث توج نفسه ملكاً على بابل وعرفه البابليون باسم «أولولاي» - كما ورد في إثبات ملوكهم - وذكر المؤرخ اليهودي يوسفيوس أن شلمنصر حاصر مدينة صور وأخضعها بعد أن ثارت عليه ونزل شلمنصر ليتسلم الجزية من «هوشع» ولكن هوشع كان قد غير ولاءه للأشوريين، ويقال أنه نفذ مكيدة سرية مع هذا أو ذاك من الملوك، أو بالأحرى مع «سوا» ملك مصر، وهنا رأى «شلمنصر الخامس» أن يؤدب هوشع هذا، فاستمر ليحاصر السامرة، حيث استمر حصاره لها أعواماً ثلاثة، ولكنه لم يفلح في الاستيلاء عليها إذ عاجلته المنية، ويبدو أنه لم يمت ميت طبيعية،

---

(١) Smith, S. M. A., "The Superemacy of Assyria", In C. A. H., vol. III, PP. 32 - 42.

بل يظهر أن العرش تعرض لمحنة نتيجة لثورة في الداخل فانتقل العرش إلى خلفه الذي يعرف باسم «سرجون» ـ وهو أخوه ـ الذي دخل المدينة ونفى أغلبية أهلها وسباهم.

ويعتبر «**سرجون الثاني**» (شاروكين ـ الملك الصادق) (٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق. م) في نظر بعض المؤرخين مؤسساً لأسرة جديدة، والواقع أنه ليس كذلك فهو عضو من الأسرة التي حكمت في أشور، وهو أخ للملك السابق، على الأرجح.

ولقد انتهزت مصر وبابل فرصة قيام ملك جديد على آشور لتثير المتاعب، وكانت الأولى تستهدف إعادة نفوذها الذي ضاع في فلسطين، أما الأخرى فكانت تسعى لرفع النير عن كاهلها وينتهز «مردوخ بلادان الثاني» (مردوك ـ ابل ـ دين) ملك بيت ياكين في إقليم البحر الفرصة[1]، فيتزعم القوم ويوحد القبائل الكلدانية للثورة ضد البابليين، وقد بدأ «مردوخ بلادان»، نشاطه في بداية حكم سرجون، فعاهد العيلاميين وحصل منهم على مساعدة عسكرية، فهجم على البابليين في عام ٧٢١ ق. م، وعزم سرجون على تأديب الثائرين فقاد حملة بنفسه وسار لمنازلة العيلاميين في مدينة «الدير» (القريبة من بدرة الان)، وقد جاءوا من إيران (إقليم خوزستان) لمساعدة حليفهم «مردوخ بلادان» الذي لم يحضر في الوقت المناسب فالتحم بالعيلاميين، ويؤكد كلا الفريقين انتصاره، ولعل الواقع أن سرجون فضل الانسحاب لمشاغل أخرى طرأت، وإن لم ينتصر أحد الفريقين على الآخر، وأياً ما كان الأمر، فقد ظفر «مردوخ بلادان» بتاج بابل وتمتع بالسلطة فيها عشر سنوات، ولم يتسن لسرجون أن يعيد منازلته إلا في عام ٧١٠ ق. م بعد انتهاء حملاته في الغرب (الشام) والتجأ «مردوخ بلادان» إلى العيلاميين، ولكن يبدو أنه لم يحصل منهم على مساعدة عسكرية، فهرب إلى منطقة الأهوار في الجنوب، ومن العجيب أن سرجون عفا عنه وعينه حاكماً على ولاية «بيت ياكيني» الجنوبية، ثم توج سرجون ملكاً على بابل ـ كما فعل تجلات بلاسر وشلمنصر من قبل ـ وبذلك

(١) Ibid., PP. 49 - 50.

حلت المشكلة البابلية حلاً مؤقتاً في أيام سرجون واستتب الهدوء في بلاد بابل طوال أيام حكمه الباقية.

وأما في الغرب فإنه استمر في محاصرة السامرة حتى سقطت في نفس العام الأول من حكمه (٧٢٢ ق. م) وحينئذ سقطت دويلة إسرائيل وانتهت من الوجود كدولة. ووضعت البلاد تحت أمرة ضابط أشوري. ويسجل سرجون في حولياته أنه «في بداية حكمي وفي السنة الأولى منه حاصرت السامرة واستوليت عليها ونقلت من أهلها ٢٧,٢٩٠ مواطناً واستوليت على خمسين عربة من السلاح الملكي، ثم ملأتها بسكان أكثر مما كان بها فأحللت بها مواطنين جدداً من بلاد كنت قد استوليت عليها، وعينت حكاماً عليها وفرضت الجزية والضرائب كما يفعل الأشوريين».

وفي عام ٧٢٠ ق. م نشبت ثورة عاتية بتحريض ملك مصر، وقد اشترك فيها ملك حماة وملوك دمشق والأراضي الساحلية والعربية و «سيبة» (أوسوا) ملك مصر، وتقابل الفريقان في معركتين حاسمتين، الواحدة في الشمال عند «قرقر» (المشهورة منذ معركة ٨٥٣ ق. م)، والأخرى عند «رفح» على الحدود الجنوبية، جنوب غزة وقد أسر فيها «حانون» (أوهنو) ملك غزة، وفر «سيبة» واستلمت الجزية من «بيرو» (فرعون) ملك مصر - كما يزعم - وهي من الذهب والجمال والخيول، وكذلك من «سامسي» ملكة بلاد العرب، و - «ايتامارا» ملكة سبأ، ولكن الثورة استمرت بين القبائل الصحراوية، وبعد بضعة سنوات، وفي عام ٧١٥ ق. م أمكن لـ «سرجون» أن يؤمن طرق التجارة الجنوبية، ثم هزم وهجر أهالي بيت عمري «افرايم» - كما ذكرنا - وقبائل «ثمود» و «ابايدي» و «مارسيمان» و «خياما» وعرب أقصى الصحراء. ولعل الهدف من حملاته الحربية هذه، هو تأمين طرق المواصلات التجارية والحربية المارة بسورية وكانت بعض هذه الطرق تصل إلى اليمن وحضرموت[١].

(١) Ibid., PP. 56 - 60.

وأما في الشمال[1] فإن ملك «شنوكتو» في طوروس، رفض دفع الجزية، وانضمت له ولاية «اتونا» ورأى سرجون أن هذا الحلف يسند دعوى «ميداس» واستطاع أن يهزمهم وأن يمنح إقليم «كومانو» إلى حاكم ملاطيه في عام ٧١٨ ق. م وفي العام التالي ضم قرقميش وكان ملكها حليفاً لـ «ميداس» كذلك فسجنه، ثم ركز جهوده في الأعوام التالية ضد إقليم «اوراتو» (ارارات) ومجاوراته وبخاصة «روشا» التي ظلت تحيك المؤمرات مدى عشر سنوات سابقة لهذه المرحلة وفي عام ٧١٤ ق. م قام بغارة على «اورارتو» ونهب المدينة، وفي العام التالي احتل «تابال» التي تحولت إلى ولاية أشورية ثم احتل قبرص وأقام في «ستيون» إحدى المستعمرات اليونانية، لوحة نصر وكأنما يتحدى العالم اليوناني، وفي عام ٧١٢ ق. م خلع ملك ملاطية ودمر مدينته. . . ثم تحول إلى «اشدود» في فلسطين على الحدود المصرية فجعل منها مدينة أشورية.

وبعد أن فرغ من شؤون الشمال والغرب تفرغ لشؤون الجنوب، لينهي ـ كما رأينا ـ صراعه مع «مردوخ بلادان» وبعد انتصاره نقل أهل «بيت ياكين» بعد اجتياحها إلى «كوماجين» ثم حصن الحدود بينه وبين عيلام، واضطر ملك دلمون (جزر البحرين) أن يرسل بهداياه لـ «سرجون» اتقاء قوته وخشية عدوانه واجتياح مدينته.

وفي أخريات عهده نراه يشغل مرة أخرى بالشمال إذ تعرضت «تابال» للكمريين المهاجرين من القوقاز إلى آسيا الصغرى، ولكن سرجون مات ميتة عنيفة في الشهور الأولى من عام ٧٠٥ ق. م. حين كان يتأهب لحملة على الحدود الشرقية وإن كان قد نجح في السنوات الثلاثة السابقة في تثبيت الحدود عند آسيا الصغرى من الغرب ثم ضم «كوماجين» نهائياً في عام ٧٠٨ ق. م. والواقع أن ميتة المفاجئة غدراً جاءت مبكرة لأن الأمور في جميع الأطراف كانت تحتاج إلى جهود أخرى متتابعة من ناحيته لتثبيت أقدام

---

(١) Ibid., PP. 55 - 57.

الأمبراطورية في الأطراف البعيدة وللقضاء على كل محاولة للانفصال أو الخروج على حكمه.

ورغم حروبه المتصلة في شمال وجنوب وشرق وغرب دولته، فقد لقي بعض الوقت ليعنى بالتعمير في الداخل ويؤسس لنفسه عاصمة جديدة هي مدينته المشهورة «خرسباد» ولقد استقر في أول الأمر في مدينة «أشور» ثم انتقل منها إلى «كالح» (نمرود) وقبل منتصف الحكم انتقل إلى «نينوى»، وفي العام التاسع (عام ٧١٣ ق. م) بدأ في تشييد عاصمة جديدة له هي «دور شروكين» أي «مدينة سرجون» على مبعدة ١٦ كيلو متر شمال شرقي «نينوى» وهي «خرسباد» الحالية، وقد أحاطها بسور حصنه بالأبراج العالية التي بلغت أكثر من ١٥٠ برجاً، وكان للمدينة ثماني بوابات عرفت كل منها باسم معبود أشوري وزين كل مدخل بوابة بثيران مجنحة ذات رؤوس بشرية لتحرس المدينة وتقيها المخاطر، وكان يؤدي إلى المدينة طريق مرصوف كما كانت شوارعها متعامدة مستقيمة وقد تم بناء المدينة في سبع سنوات فانتقل منها ليجعل منها عاصمة له في عام ٧٠٦ ق. م، ولكن المنية عاجلته في العام التالي دون أن يكمل بعض المباني التي كان قد ارتأي تجميل المدينة بها، وبموته هجرت المدينة، بل عمل بعض خلفائه - فوق إهمالها - على تشويه كثير من التماثيل والنقوش التي كانت تزينها.

،خلف **سنحريب** (سين أخى ريبا) (٧٠٥ - ٦٨١ ق. م) أباه سرجون الثاني على العرش الأشوري وقد أرجع مركز المملكة إلى العاصمة المقدسة نينوى فجدد أبنيتها وبنى فيها قصوره وجعلها مركز الأمبراطورية وجملها بالمنحوتات الكثيرة.

ولقد سار «سنحريب» على نهج الملوك الأشوريين السابقين في إعادة إخضاع الأقاليم التابعة للأمبراطورية ولا سيما تلك التي ثارت في بداية حكمه، وعلى ذلك فقد قام بإخضاع مدن قيليقية وفتح المستعمرات الإغريقية على سواحل آسيا الصغرى واتصل بالإغريق الأيونيين، وبنى في طرطوس مدينة أشورية ليحكم منها مستعمراته الجديدة، وكذلك أعاد فتح المدن

الفينيقية والسورية ومملكة يهوذا، حيث أبدت في أوائل حكمه بوادر العصيان.

وكانت مصر وبابل تحرضان ولايات سورية وفلسطين على التخلص من الحكم الأشوري حتى تشغل الأشوريين عنها، فتوجه سنحريب أولاً إلى بابل حيث قام بدك حصونها وخربها وعين ابنه «أسرحدون» حاكماً على جنوب العراق، وبعد ذلك توجه إلى أقصى الجنوب حيث توجد دويلات أهل البحر والذين كانت لا تهدأ ثوراتهم، واستعان في القضاء عليهم بسفن صنعها له الفينيقيون واليونان.

وبعد أن أمن جانبه من ناحية الجنوب توجه إلى الولايات السورية والفلسطينية حيث استولى على مدنها، ثم حاصر مدينة بيت المقدس وأخضعها، واضطر ملكها «حزقيا» إلى دفع ضريبة ضخمة كان من جرائها أن جردت المعابد من كنوزها، وبعدئذ عاد الأشوريون إلى بلادهم حيث يبدو أن وباء انتشر في صفوف جيشهم.

وأما نهاية «سنحريب» فقد كانت نهاية محزنة، إذ اغتيل بواسطة أحد أبنائه، مما أدى إلى اضطرابات داخلية وتنافس بين أبنائه على العرش الأشوري، حتى تمكن أحد هؤلاء الأبناء وهو «أسرحدون» من القضاء على الفتنة وتولى العرش خلفاً لوالده. وقد وجه اهتمامه للانتقام من مصر لتدخلها في شؤون مستعمراته في سورية وفلسطين[1].

أسرحدون (أشور أخادين) (٦٨٠ - ٦٦٩ ق. م):

تمكن «أسرحدون» من القضاء على الفتنة التي أعقبت اغتيال والده، وبعد ذلك أعاد الهدوء والاستقرار إلى دولته وبدأ في إعادة تنظيم الخدمات العامة بعد أن أصابها التوقف نتيجة للاضطرابات وأعاد جمع الضرائب بعد أن توقف دفعها.

(١) Smith, S. M. A., "Sennacherib and Esarhaddon", In C. A. H., vol. III, PP. 61 - 79.

وبعد ذلك وجه «أسرحدون» اهتمامه للخارج، وكان أول ما قام به في هذا المجال هو قضائه على ثورة أرض البحر، ثم توجه نحو الغرب للقضاء على الحلف الذي تكون ضده من صيدا وقيليقيا وكوندي وذلك بتحريض من مصر، ولقد تمكن من الاستيلاء على صيدا عام ٦٧٧ ق. م حيث أباد المدينة وسبى أهلها وبنى إلى جوار مكانها مدينة سميت «كار أشور أخادين» أي مدينة أسرحدون. ولما رأى ملك صور ما حل بمدينة صيدا، فإنه أعلن ولاءه للعاهل الأشوري وبذلك أصبح الساحل الفينيقي تحت سيطرة الأشوريين.

وفي أعقاب ذلك قام بسلسلة من العمليات الحربية في الصحراء، إذ قام بغزو بعض المناطق في شمال الجزيرة العربية وذلك بهدف تأمين طريق جيوشه إلى مصر، ومن هذه المناطق التي قام بغزوها منطقة ورد ذكرها في الأخبار الأشورية باسم «أدمو» الواقعة في الواحات، ولعلها دوقة الجندل المذكورة في أخبار الفتوحات الإسلامية، وكان قد سبق لأبيه أن حاربها لتأمين حدود الأمبراطورية والمحافظة على طرق مواصلاتها البرية.

ثم وجه «أسرحدون» جهوده للانتقام من مصر لتدخلها المستمر في شؤون مستعمراته في سورية وفلسطين، وقد استعد الملك طهراقا لمقابلتهم، ولقد خرج «أسرحدون» في عام ٦٧٥ ق. م متوجهاً نحو مصر حيث تمكن من الوصول إلى شرق الدلتا، ولكن المصريين استماتوا في الدفاع عن بلادهم حتى تمكنوا من هزيمة الأشوريين وردوهم عنها، واضطر الملك الأشوري إلى العودة إلى بلاده لإعادة الاستعداد لمصر، كما يبدو كذلك أن الأمور في دولته كانت تتطلب عودته، إذ تعرضت حدوده لتهديد الماديين والإسكيزيين، فدخل معهم في حرب أبعد تهديدهم عن بلاده، كما أجبر الحكام على دفع الجزية التي كانوا قد امتنعوا عن دفعها.

وبعد أن تم له تأمين حدود بلاده، أسرع بالعودة إلى مصر حيث تمكن من دخول منف في صيف عام ٦٧١ ق. م، واضطر طهراقا إلى الهرب إلى الجنوب، وبعد أن نظم «اسرحدون» الإدارة في الأقاليم وثبت بعض الحكام

في أماكنهم واستبدل بعضهم بغيرهم من الوطنيين عاد إلى بلاده. وبمجرد عودته بدأ المصريون في الثورة ضد الحكم الأشوري، وحالت وفاة «اسرحدون» المفاجئة دون العودة لقمع الثورة المصرية، فوقع عبئها على خليفته أشور بانيبال[1].

ويخلف «**أشوربانيبال**» (٦٦٨ - ٦٢٦ ق. م) أباه على العرش وإن كان ذلك لم يكن أمراً سهلاً، إذ حدث في بلاط أسرحدون خلاف على وراثة العرش لأن الملك الأشوري لم يختر أكبر أولاده «شمش شوم - أوكين» لولاية العهد والأمر كذلك بالنسبة للابن الثاني وإنما كان ذلك من نصيب الابن الثالث «أشور بانيبال» على أن يكون أخوه الأكبر ملكاً على بابل.

وقد كان «أشوربانينال» قد نال تهذيباً وتربية في صغره فاق بهما سواه من الملوك الأشوريين، ومن هنا نشأ أديباً ميالاً للعلوم بجانب كونه محارباً من الطراز الأول، وقد تعلم إلى جانب ذلك ممارسة السياسة والإدارة حتى اتقنها على خير وجه، وقد فرغ لهذه الشؤون خلال خروج أبيه إلى حروبه وساعده على ذلك أن الملكة الأم «نيكووا» كان يترك لها عبء إدارة الشؤون أثناء غيبة زوجها، فكانت تشرك معها «أشور بانيبال» أشراكاً فعلياً في إدارة البلاد.

وهكذا ورث «أشور بانيبال» عرش أبيه عقب وفاته وكان أخوه الأكبر «شمش - شوم - أوكين» قد عين عقب الحملة على مصر وريثاً شرعياً للمملكة في بابل، ولم يكن من الممكن أن تقسم الدولة علي هذه الصورة دون أن تثور المطامع في نفس كل من الأخويين فيحاول كل منهما أن يغتال نصيب الآخر من هذه الدولة المترامية الأطراف، وهو أمر كان له أثره لا في تمزق الدولة فحسب، بل وفي ضياعها نهائياً، ولم يكد أشور بانيبال يجلس على العرش حتى وصلته أنباء ثورة المصريين ضد الأشوريين، فجهز حملة كبيرة سارت إلى مصر ودخلت العاصمة المصرية طيبة وخربتها، ولم يبق الأشوريون بمصر طويلاً، بل عادوا إلى بلادهم واكتفوا بأخذ الجزية،

---

(١) Ibid., PP. 79 - 87.

واضطر أشور بانيبال إلى إرسال حملة أخرى إلى مصر نتيجة لحدوث ثورة أخرى فيها، فدخل الجيش الأشوري طيبة مرة أخرى.

واستمر التعاون قائماً بين أشور بانيبال وأخوه ملك بابل مدة عشرين عاماً إلى أن ثار عليه أخوه ملك بابل.

وقد بدت بوادر ذلك بعد فراغ «أشور بانيبال» من حروب له في عيلام، ومما شجع ملك بابل على تحدي سلطة أخيه، انحياز الزعماء الكلدانيين إليه بعد أن عرفوا ما بين الأخوين، وعلى هذا فقد أخذ ملك بابل يتهيأ للصدام، فبدأ بالمفاوضات السرية مع ملك عيلام واتصل بأمراء العرب وكثير من أمراء فلسطين وبملك مصر (نخاو).

وفي عام ٦٥٢ ق. م نشبت بين الأخويين حرب قاسية طويلة، لعلها كانت أخطر الحروب الأهلية في تاريخ الأشوريين، وقد أظهر فيها «شمشي ـ شوم ـ أوكين) مزايا عسكرية فذة ونصره البابليون بحرارة وانضم إليه بعض الأمراء الأشوريين وحكام المناطق، واشترك معه العيلاميين ضد أخيه، ولكن كل ذلك لم يجد نفعاً تجاه جيوش أخيه المتفوقة، فاضطر إلى الاعتصام في عاصمته بابل حوالي سنتين، حتى عملت المجاعة والحصار الشديد فعلهما في سقوط المدينة بيد الجيش الأشوري بعد أن لحقها كثير من التخريب والتدمير، وقضي «شمش ـ شوم ـ أوكين» نحبه وسط النيران التي نشبت في قصره.

وهكذا اختتمت حوادث النزاع بين الأخوين في عام ٦٤٨ ق. م، وتلا ذلك أن وجه «أشور بانيبال» همه لتأديب القبائل العربية التي اشتركت في مساعدة أخيه ضده، ثم التفت إلى عيلام وكان غضبه شديداً، فقضى على المدن العيلامية ودمر عاصمة البلاد «سوسة» ونبشت قبور الموتى وأرسلت عظام ملوك عيلام وأمرائها إلى (نينوى) وبهذا انتهت حياة مملكة عيلام.

وظل «أشور بانيبال» يحكم حتى عام ٦٢٦ ق. م، ولكن أخباره الرسمية انقطعت عنا قبل ما يزيد عن عشر سنوات من هذا التاريخ، وكانت ظواهر الأمور جميعها تدل على أن الأمبراطورية كانت وطيدة الأركان في

سائر أنحائها ، ولكن مع كل هذا فإن الملك «أشور بانيبال» نفسه قد أخبرنا في نصوصه بأن أياماً سودا حلت في أرجاء مملكته وأنه كان يقاس آلاماً جسمية وروحيه سلبت راحته ، ولقد حدث بعد وفاته مشاكل واضطرابات حول وراثة العرش ووقع عبء ذلك على ابنه وخليفته «أشور ـ اتل ـ ايلاني»[1] .

أشور - إتل - إيلاني :

خلف والده على عرش أشور ، وقد قضى سنوات حكمه التي لم تتجاوز ست سنوات (٦٢٦ ـ ٦٢١ ق . م) في محاولات مستميتة للدفاع عن عرشه ضد الطامعين فيه ، حتى تمكن أخوه الأصغر «سن شار اشكون» من اقصائه عن العرش واستأثر به لنفسه مدة تقرب من ثماني سنوات (٦٢٠ ـ ٦١٢ ق . م) .

وقد أثرت هذه الحروب الداخلية على سمعة الدولة الأشورية وهيبتها ، فانفصلت كثير من ولاياتها عنها ، فانفصلت مصر وكثير من المدن الساحلية في فلسطين وسوريا وأرمينية وفي بابل تكونت أسرة جديدة تعرف باسم «الأسرة البابلية الأخيرة» أو «المملكة الكلدانية» ، واستطاع الملك الميدي «كي اخسار» الاستيلاء على شمال إيران وشمال العراق ثم توغل إلى سهول آشور حيث قامت بينه وبين الجيش الأشوري حروب طاحنة ، وبعد أن اتفق مع ملك بابل هاجما العاصمة الأشورية نينوى فسقطت في أيديهما بعد حروب عنيفة ، واقتسما مملكة أشور ، حيث استولى الميديون على قسمها الشمالي الشرقي واستولى البابليون على جنوبها ، وبذلك دمرت العاصمة الأشورية نينوى ونهبت وأحرقت ، ولم يستطع آخر ملوك أشور «أشور ـ أوبلط الثاني» (٦١١ ـ ٦٠٩ ق . م) الذي استقر في حران أن يفعل شيئاً ، فقد زال مجد الدولة الأشورية وانتهى ودخل العراق القديم في آخر مراحله السياسية ، وهو الذي يعرف باسم «العهد البابلي الأخير» أو «المملكة الكلدانية»[2] .

---

(١) Smith, S. M. A., "Ashurbanipal and the fall of Assyria", In C. A. H., vol. III, PP. 113 - 126.

(٢) Ibid., PP. 131.

الفَصْلُ السَّابعُ

العهد البابلي الأخير
المملكة الكلدانية

- كان الكلدانيون فرعاً من الأموريين استوطنوا جنوب العراق منذ النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد وعرفوا بالكلدانيين. وقد رأينا من قبل كيف انهار كيان البابليين السياسي منذ أواخر الألف الثاني ق. م. وصاروا مرة تحت النفوذ الأشوري ومرة تابعين للدولة الأشورية، ولكن البابليين كانوا يثورون ويتحينون الفرصة للتخلص من الأشوريين، فجاءت هذه الفرصة الأخيرة في أواخر أيام الدولة الأشورية.

وكان يحكم بابل في حوالي عام ٦٢٦ ق. م الأمير الكلداني **«نبو بولاسر»** (٦٢٦ - ٦٠٥ ق. م)، وقد تزعم الثورة ضد الأشوريين ولم تتمكن القوات الأشورية الموجودة في نيبور من هزيمته فأعلن نفسه ملكاً على بابل ومؤسسا الأسرة الحادية عشرة البابلية وهي التي تعرف باسم «الأسرة البابلية الأخيرة» أو «المملكة الكلدانية».

وحمل «نبو بولاسر» لواء تحرير بابل من سيطرة الأشوريين. واستمرت الحرب قائمة ضد الأشوريين نحو إحدى عشر عاماً، تمكن بعدها من الاستيلاء على نيبور وتحرير كل بلاد سومر وأكد، واستمر في فتوحاته شمالاً على طول الفرات حتى وصل إلى منطقة حران، ومنها تقدم على طول دجلة إلى كركوك وأشور، وتمكن من فرض حصاره على أشور ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها، وفي ذلك الوقت كان الميديون قد بدأوا غزو الأراضي الأشورية، فتحالف «نبو بولاسر» مع الملك الميدي. «كي أخسار» ودعم هذا التحالف بزواج «نبوخذ نصر» بن «نبو بولاسر» من إبنة الملك

الميدي . وساعد هذا التحالف على سقوط دولة أشور ، ويبدو أن الميديين لم يهتموا بامتلاك أشور فقنعوا بنصيبهم من الغنائم ثم حولوا أطماعهم إلى أرمينيا وآسيا الصغرى ، أما البابليون فقد امتلكوا أشور ولكنهم لم يحتلوها ، ولم يحاولوا إصلاح ما أتلفوه فيها حيث كرسوا جهودهم لإعادة إحياء المجد الديني والثقافي لجنوب العراق .

ـ ويتفق المؤرخون على عدد ملوك الأسرة البابلية الأخيرة وعدتهم ستة ملوك حكموا لمدة ثمانية وثمانين عاماً .

ـ ولعل من أهم الأحداث السياسية في عهد نبو بولاسر بعد تخلصه من أشور ، هي تلك الحملة التي أرسلها بقيادة ابنه «نبوخذ نصر» لاسترجاع سورية وفلسطين من النفوذ المصري ، وحتى يبقى طريقهم إلى البحر المتوسط مفتوحاً .

فلقد تحرك الملك المصري «نخاو الثاني» لنجدة الملك الأشوري ، وفي طريقه إلى العراق هزم الجيش اليهودي وذلك في موقعه عند «مجدو» واضطر أورشليم إلى دفع الجزية وبعد ذلك تمكن «نخاو الثاني» من فرض نفوذه على فينيقيا وسورية وبلاد العرب الشمالية وأدوم التي دفعت له الجزية ، وبعد ذلك بعامين ، وبعد أن وطد «نبو بولاسر» نفوذه في العراق أرسل ابنه «نبوخذ نصر» على رأس جيشه لاستعادة النفوذ الأشوري في سورية وفلسطين حيث قابل الملك المصري عند قرقميش ، واضطر «نخاو الثاني» إلى الانسحاب إلى وادي العريش بعد هزيمته من «نبوخذ نصر» ، وقام «نبوخذ نصر» ، بالتقدم نحو مصر ، ولكن والده «نبو بولاسر» مات في ذلك الوقت ، فقام «نبوخذ نصر» بالإسراع بالعودة إلى بابل حيث خلف والده على العرش[1] .

(١) Thompson, R. C.,"The New Babylonian Empire". In C. A. H., vol. III, Cambridge, 1965, 206 - 212.

نبوخذ نصر الثاني (٦٠٥ - ٥٦٢ ق . م):

يعد «نبوخذ نصر الثاني» من أبرز ملوك العهد الكلداني، ويستغرق حكمه قرابة نصف حكم هذه الأسرة. ولقد عمل منذ توليه العرش على إعادة تجميل بابل وإعادتها إلى سابق مجدها، واستخدم في ذلك كل الإمكانيات الفنية والمادية المتاحة في عصره.

ووجه اهتمامه لجميع معابد الآلهة فجددها وزينها وأوصل ما بين منطقة المعابد ومنطقة القصور بشارع واسع ينفتح على بوابة «عشتار» الذي يقع من ورائها قصره الملكي ودواوين الحكومة ثم ترتفع فوق الجميع مباني «الزاقورة» وقد خصص جزءاً من حدائق القصر لزرع الأشجار والنباتات في طبقات تعلو بعضها البعض حتى تصل إلى مستوى بوابة عشتار فتزيد المنظر بهجة وجمالاً كما قام بعمل حدائق فوق القصر الملكي هي التي عرفت باسم «حدائق بابل المعلقة» والتي عدها اليونان من عجائب الدنيا السبع.

ولقد خدمت الظروف «نبوخذ نصر» ليتفرغ لأعماله العمرانية وذلك لأنه كان لا يخشى جانب الميديين فقد كانوا أصهاره، وبالنسبة لمصر فقد رأيناه في أواخر عهد والده ينهي حربه معها بمعاهدة استعادت بابل بموجبها أملاك أشور في الناحية الغربية، وهكذا فقد تلقى جزية هذه المنطقة منذ بداية عهده مما كان له أثره في تفرغه لشؤونه الداخلية.

ولكن ما لبثت الأمور أن تطورت في فلسطين عندما رفضت ولاية يهوذا أداء الجزية لنبوخذ نصر مما حدا بالملك البابلي إلى محاصرة يهوذا حتى اضطر الملك اليهودي إلى التسليم مع أمه وزوجاته وكل أهل بيته حيث نقلوا إلى المنفى وكان ذلك في عام ٥٩٧ ق . م، وتعتبر هذه أول عبودية كبيرة لمملكة يهوذا لابعاد الرؤساء والحرفيين، وكان من بينهم النبي الكاهن (حزقيا) ونُهب المعبد جزئياً، وبقي الملك اليهودي أسيراً في بابل حوالي أربعين سنة، وعين نبوخذ نصر أخوه مكانه وكان اسمه «متانيا» وغير نبوخذ نصر اسمه إلى (صدقيا) وجعله يقسم على أن يكون حليفه وقد بقي «صدقيا»

مخلصاً لفترة ما ثم يعمل للتخلص من الحكم البابلي وحنث بالقسم الذي أقسمه، وفي ذلك الوقت كانت مصر في عهد بسمايتك الثاني تعمل على اسعادة نفوذها في فلسطين واستمر الحال في عهده خلفه «ابريس» وهو الأمر الذي شجع بعض حكام فلسطين بزعامة صدقيا على مناوئه الحاكم البابلي.

واضطرت الأحوال المضطربة في فلسطين الملك نبوخذ نصر إلى القيام على رأس جيشه لاخماد هذه القلاقل حيث حاصر أورشليم وحاول صدقيا الهرب بجشيه عبر الأردن ولكن محاولته فشلت وتمكنت جنود نبوخذ نصر من أسره حيث أحضر أمام العاهل البابلي وذبح أبنائه أمامه ثم سملت عينيه وحمل بعد ذلك أسيراً إلى بابل. وبعد ذلك دمرت أورشليم فهدم معبدها والقصر والمباني الهامة وأشعلت النار في المدينة وأبعد خدم المعبد وجميع الأسرى استعداداً لترحيلهم عن المدينة.

وبعد أن فرغ نبوخذ نصر من مملكه يهوذا وجه عنايته الحربية إلى المدن الفينيقية التي شقت عصا الطاعة عليه فاستطاع إخضاعها جميعاً إلا مدينة «صور» التي حاصرها فترة طويلة حتى عقد صلح بين الطرفين - على ما يبدو - قبلت بموجبه صور دفع الجزية للعاهل البابلي. وهكذا تم توطيد الأمبراطورية البابلية الأخيرة وأصبحت حدودخا تمتد من الخليج العربي جنوباً حتى تخوم مصر[1].

وتوفي نبوخذ نصر بعد أن حكم بابل ما يقرب من ثلاثة وأربعين عاماً، وخلفه على العرش ابنه «**أويل مردوك**» (٥٦٢ - ٥٦٠ ق. م) وقد أظهر رحمة واضحة بالملك صدقيا اليهودي فعامله كأمير وليس أسير، كما سمح لليهود بممارسة طقوسهم الدينية بحرية وعلى نطاق واسع، فكان لذلك أثره في ثورة الكهنة عليه فقتلوه وجاء مكانه على العرش صهره. «**نرجال شار أوصر**» (٥٥٩ - ٥٥٦ ق. م) وكان أحد القواد العسكريين في عهد والده، ولم يعمر طويلاً، ولا يوجد من عهده ما يستحق الذكر، ولما مات خلفه ابنه الصغير الذي لم

---

(١) Ibid., P ff. 212.

يحكم سوى أسابيع قليلة حيث تتدخل الكهنة وأبعدوه عن الحكم بعد أن **ذبحوه**[1] ، **وعينوا في مكانه أحد أبناء طائفتهم ويدعى «نبونيد»** .

ويمثل عهد **«نبونيد»** (٥٥٦ ـ ٥٣٩ ق . م) خاتمة المطاف لسيادة بابل في التاريخ القديم . ولقد اهتم نبونيد في أول عهده بالجانب الغربي من امبراطوريته ، كما حالف الملك الفارسي كوروش ضد الميديين ، ولقد قضى السنوات من السابعة وحتى الحادية عشرة من حكمه في مدينة تيماء في بلاد العرب وكانت هي المركز السياسي الذي أدار منه شؤون الحكم في الشطر الغربي من دولته ، بينما ترك ابنه يدير شؤون الحكم في بابل .

ولقد عرف نبونيد بورعه وتقواه واهتمامه بجمع أخبار الملوك السابقين ، فقام بالعديد من أعمال الحفائر بهدف البحث عن الأحجار المنقوشة وبخاصة أحجار أساسات المعابد القديمة .

ولقد جاءت نهاية بابل على يد الملك **كوروش** الفارسي الذي تمكن من دخول بابل عام ٥٣٩ ق . م حيث استقبلته جميع الطبقات وبخاصة الكهنة والنبلاء واعتبروه محررا لهم . ولقد أعاد كوروش تماثيل المعبودات إلى أماكنها بعد أن كان قد جمعها نبونيد من معابدها بالأقاليم وجاء بها إلى العاصمة مما أغضب الكهنة ضده وجعلهم يرحبون بـ كوروش وينضمون إلى جانبه ، ولقد أصدر كوروش أوامره بإعادة ترميم المعابد المختلفة كما تشير إلى ذلك نقوشه .

ـ ولم يغير سقوط بابل شيئاً من مظاهر الحياة بها حيث ترك الفرس للبلاد المغزوة حرية ممارسة عقائدها والاحتفاظ بعاداتها ، واستمر الأمر على ذلك حتى انتشرت الثورات في الأمبراطورية الفارسية في عهد الملك الفارس «دارا» ومنذ ذلك العهد أخذت بابل في الانحدار ، وفي عهد الملك الفارسي «خشيا رشا» (كسركسيس) هدم أسوارها ونهب معابدها وحول كثير من مبانيها إلى خراب .

---

(١) Ibid., PP. 217 - 218.

ـ وهكذا زالت اخر سلالة بابلية وانتهى رمز الحضارة البابلية رغم بعض محاولات الفرس لاحياء مجد مدينة بابل ومـن بعدهـم حاول الإسكنـدر أن يجعلها مركز إمبراطوريته ولكنها سرعان ما أهملت بعد وفاته وتحولت إلـى أطلال[١] .

(١) Thompson, R. C., "Decay and Fall of Baby lonia under Nabonidus", In C. A. H., vol.III, PP. 218-225.

البَابُ الثاني

إيـرَان

الفصل الأول

جغرافية ايران ومواردها الطبيعية



يتكون القسم الأكبر من إيران من منطقة واسعة تعرف باسم «هضبة إيران»[1]. وهي تبدو كمثلث محصور بين منخفضين هما: الخليج العربي في الجنوب وبحر قزوين[2] في الشمال، وهي توصل ما بين وسط آسيا

(١) تجدر الإشارة إلى أن الهضبة الإيرانية تتضمن من الناحية السياسية معظم دولة أفغانستان وجزءاً كبيراً من غربي باكستان. وزيادة على ذلك فإن تعبير «الهضبة» قد استخدمه بشكل عام العديد من الكتاب الأمريكيين والإنجليز للإشارة إلى المنطقة المرتفعة من الأرض كلها، بينما يتجه الجغرافيون الفرنسيون والألمان إلى قصر هذا التعبير على الأحواض الداخلية في وسط دولة إيران، وعلى ذلك فإنهم يشيرون إلى دائرة الأرض المرتفعة المحيطة بها كسلسلة جبلية منفصلة. هذا ويتجه و. ب. فيشر W. B. Fisher إلى الاعتقاد بأنه ليس هناك ما يدعو لاشتمال الهضبة الإيرانية على منطقة الهضاب في أفغانستان وغرب باكستان، لأنه سيكون تعبيراً خاطئاً من الناحية السياسية، كما أن هذه المنطقة الشاسعة لا توجد فيها وحدة طبيعية واضحة المعالم يمكن الإشارة إليها. ومن ثم فإنه يتجه إلى قصر تعبير الهضبة الإيرانية على منطقة الهضاب الواقعة داخل حدود دولة إيران الحالية فقط. انظر:

Fisher, W. B., "Physical Geography", In **The Cambridge History of Iran, Vol. I, The Land of Iran**, Cambridge, 1968, P. 5.

(٢) يطلق عليه أحياناً «بحر الخزر» نسبة إلى الأقوام التي استوطنت الشاطىء الشمالي الغربي منه لعدة قرون وكانت تعرف باسم «الخزر». وأطلق عليه الأوروبيون "Caspian" وذلك اشتقاقاً من اسم سكان عرب إيران المعروفين باسم «كاس سو»، ويسميه الجغرافيون العرب «قزبين». انظر:

حسن بيرنيا: **تاريخ إيران القديم، من البداية حتى نهاية العهد الساساني**، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم، والسباعي محمد السباعي، ومراجعة وتقديم يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٨ حاشية ١.

ولقد أشار ابن خلدون إلى بحر قزوين في مقدمته الثانية بقوله: «وقالوا: وفي هذا المعمور بحر آخر منقطع من سائر البحار في ناحية الشمال بأرض الديلم يسمى بحر جرجان وطبرستان (يقصد بحر قزوين) طوله ألف ميل في عرض ستمائة ميل، غربيه آذربيجان،

وغربها، كما أنها بمثابة جسر إلى آسيا الصغرى وإلى قارة أوروبا فيما وراءها. ويوضح ذلك أهمية العوامل الجغرافية للهضبة الإيرانية في قيامها بدورها التاريخي الذي قدر لها أن تقوم به على مدار آلاف من السنين في التاريخ الإنساني. ويحيط بالهضبة الإيرانية سلاسل من الجبال الشاهقة من كل جانب، ويبلغ متوسط ارتفاع إيران فوق مستوى سطح البحر حوالي ٣,٠٠٠ قدم. (خريطة ١).

ويلاحظ من دراسة المظاهر الجغرافية العامة لإيران، أنها يمكن أن تقسم من الناحية الجغرافية إلى أربعة أقسام رئيسية هي: منطقة جبال زاجروس التي تتضمن السهول الخارجية الصغيرة (وبصفة خاصة في منطقة خوزستان) وهي تكون جزءاً من بلاد النهرين والأرض المنخفضة الواقعة على الخليج العربي. ويتكون القسم الثاني من سلسلة جبال البرز والمنطقة المحيطة ببحر قزوين. أما القسم الثالث فيتضمن الحافة المرتفعة في الشرق والجنوب الشرقي، وأخيراً المنطقة الصحراوية المنخفضة في الوسط. ويجب ملاحظة أن كل قسم من هذه الأقسام يمكن أن يقسم إلى عدة أقسام، ولكن هذا التقسيم يعتمد على المظاهر والمعالم الرئيسية، ومن ناحية أخرى، فإن الحدود بين هذه الأقسام ليست دقيقة تماماً، فإنها تتداخل فيما بينها بشكل كبير.

وسنحاول فيما يلي تتبع المظاهر الجغرافية العامة لإيران على أساس هذه الأقسام[1]. (خريطة ٢).

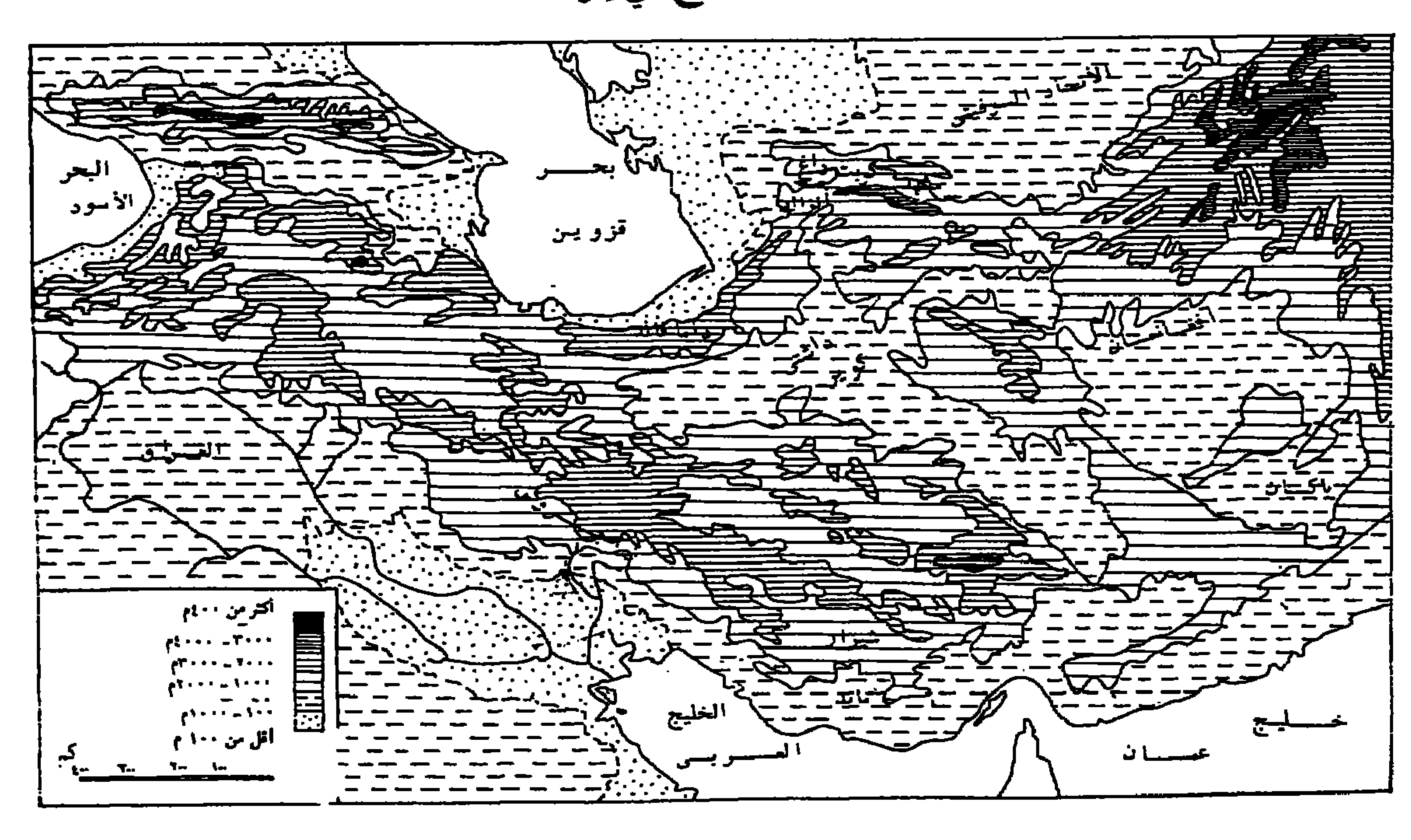
= والديلم، وفي شرقيه أرض الترك (يقصد تركستان) وخوارزم، وفي جنوبيه طبرستان، وفي شماليه أرض الخرز واللآن». انظر:

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمه ابن خلدون، نشر وتحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي، حـ١، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٢٨٢.

(١) Fisher, W. B., op. cit., pp. 6-7.

خريطة رقم (١)

مظاهر السطح في إيران



١ ـ منطقة زاجروس:

تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، ويبلغ طولها نحو ٩٩٨ كيلومتر، وعرضها نحو ١٩٣ كيلومتر وتتراوح ارتفاعاتها بين ١٠٠٠ م و ١٧٠٠ م، وهي تتألف من جملة سلاسل متوازية تخترقها أودية تتراوح في أطوالها من ٩٧ كيلومتر إلى ٤٨ كيلومتر طولاً، ومن ١٩ كيلومتر إلى ١٠ كيلومتر عرضاً[١] ويمكن القول بأنها تحد إيران من جهة الغرب.

وإذا نظرنا إلى منطقة زاجروس من ناحية البنية ومظاهر السطح، فإنه يمكن تمييز منطقتين فرعيتين بمنطقة زاجروس، وهما القطاع الشمالي الغربي ويمتد من الحدود التركية ـ الروسية حتى منطقة حمدان ـ كرمنشاه. وتمتد المنطقة الثانية حتى بندر عباس وهرمز على مضيق عمان. وفي الحقيقة فإن تسمية «زاجروس» تقتصر على هذه المنطقة الأخيرة، ولكن من الأفضل إطلاقه على المنطقتين معاً[٢].

ويمكن وصف القطاع الشمالي الغربي من زاجروس بأنه على هيئة مستطيل تقريباً، وهو يتكون من مجموعة من التركيبات الجيولوجية المعقدة التي حدثت بصفة خاصة أثناء العصر الكريتاسي الأعلى Upper Cretaceous وعصر الميوسين Miocene، وعصر البلايستوسين (الزمن الرابع) Pleistocene.

ويبدو المظهر الطبوغرافي العام له كسلسلة غير منتظمة من الهضاب يتراوح ارتفاعها من ٥٠٠٠ قدم إلى ٦٠٠٠ قدم، ويقع أكثرها ارتفاعاً في أقصى الشمال والغرب، حيث يتراوح ارتفاعها ما بين ٧٠٠٠ قدم و ٩٠٠٠

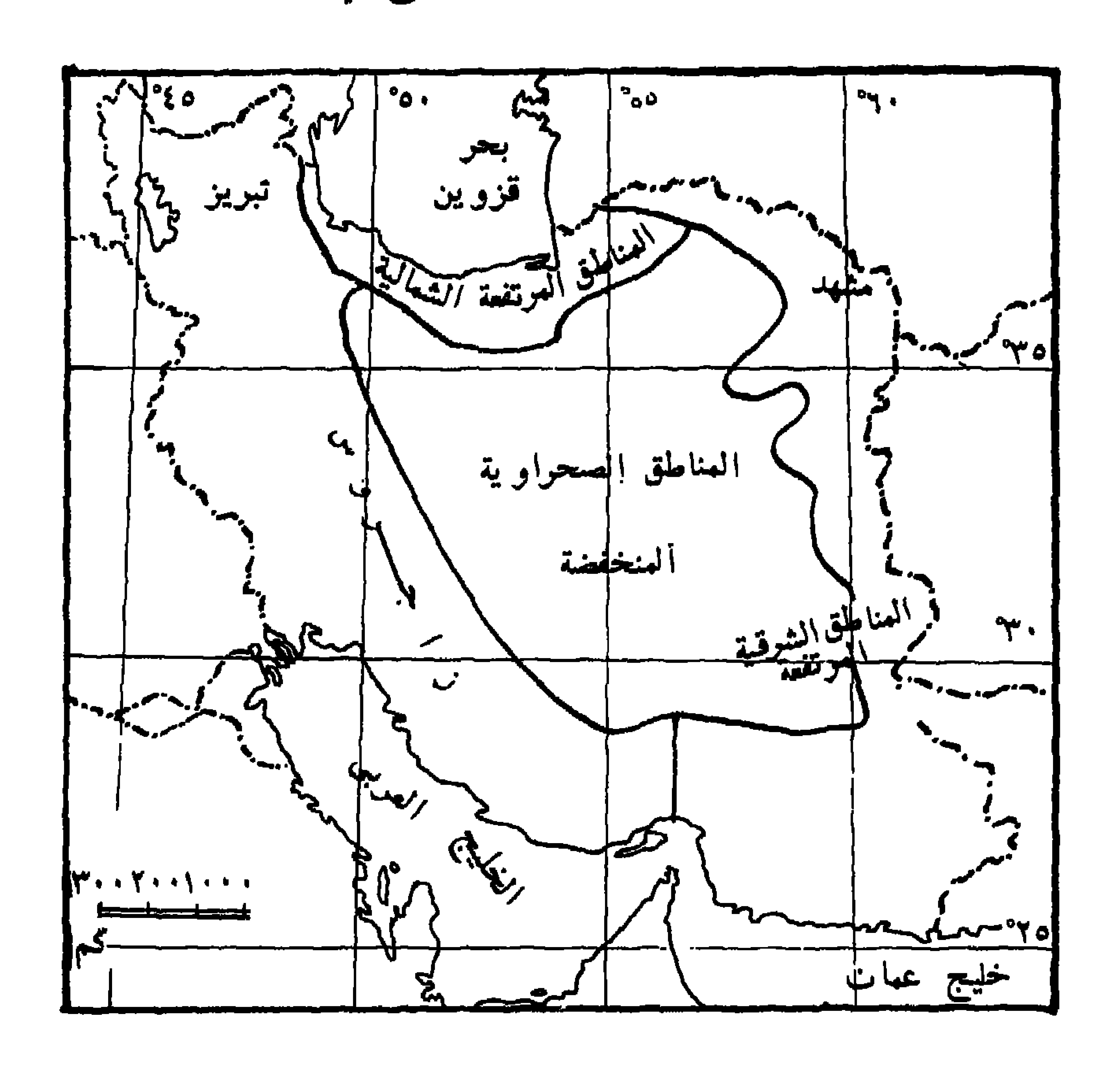
---

(١) Ghirshman, R., **Iran from the Earliest Times to the Islamic Conquest**, Translated from the French by Miss Margared Mum-Rankin, (Pelican Books), London, 1978, p. 21.

(٢) Fisher, W. B., **op. cit.**, p. 8.

خريطة (٢)

الوحدات الرئيسية لمظاهر السطح في إيران



قدم. وينحدر سطح الهضبة بشكل رئيسي في اتجاه الجنوب والشرق.

ومن العوامل الرئيسية التي أثرت على شكل المنطقة الشمالية الغربية من زاجروس، النحت النهري، ويرجع ذلك إلى الارتفاع الكبير وغزارة سقوط الأمطار على هذه المناطق المرتفعة. ولقد أدى ذلك إلى وجود بعض مجاري الأنهار التي ازداد عمقها غوراً بمرور الأعوام. وتوجد أبرز الأمثلة للتأثيرات الناتجة عن ازدياد قوة النحت النهري في الشمال والغرب تجاه الحدود مع تركيا والعراق. وفي هذه المنطقة التي تتميز بارتفاعها الشاهق تنحرف الهضبة بميل شديد، وكان لذلك تأثيره في نشأة العديد من مجاري الأنهار القوية التي تتجه بسرعة نحو الأرض العراقية المنخفضة[١].

ورغم العقبات الضخمة في هذه المنطقة والمتمثلة في المياه الملحة، وصعوبة طبوغرافية المنطقة، وتأرجح مناخها ما بين الحرارة والبرودة، فإن الاستقرار السكاني بها يعتبر من أكثف مراكز الاستقرار في إيران. فلقد أدى الارتفاع الشديد في بعض المناطق إلى سقوط الأمطار الغزيرة مما أدى إلى وجود مناطق شديدة الخصوبة، وفي المناطق المنخفضة المحمية من رياح الشتاء القارصة، وحيث تكون التربة مستوية، تصبح هذه المناطق صالحة للزراعة على مستوى أكبر من أي منطقة أخرى في إيران، وذلك باستثناء منطقة الأراضي المنخفضة الموجودة بجوار بحر قزوين. وفي المناطق شديدة الارتفاع على سطح الهضبة، يكون المناخ شديد البرودة والمياه قليلة (بسبب تسرب المياه إلى الطبقات السفلى) فلا ينمو فيها سوى نباتات قليلة وهي مغطاة بحشائش قصيرة وشجيرات قليلة الارتفاع. وأدى ذلك إلى وجود نوعين مختلفين من الحياة في المنطقة الشمالية الغربية من زاجروس: حياة رعوية في المناطق المرتفعة، وحياة زراعية في المناطق المنخفضة، حيث

---

(١) Ibid., pp. 8-10.

تنمو العديد من الغلات الرئيسية كالقمح والشعير والذرة والخضروات والفاكهة التي توجد زراعتها في حوض البحر المتوسط، وكذلك القطن والدخن والبذور الزيتية[1].

واكتسبت المنطقة الشمالية الغربية من زاجروس أهميتها لكونها مركزاً رئيسياً لطرق المواصلات. فهي تضم العديد من الطرق التي تربط ما بين الشرق والغرب، فهي تربط ما بين اليونان وآسيا الصغرى ووسط آسيا والهند.

أما المنطقة الثانية في زاجروس وهي التي تبدأ من حمدان ـ كرمنشاه في الشمال والتي يمكن أن يطلق عليها منطقة زاجروس الرئيسية، وهي التي يطلق عليها مع المناطق المتصلة بها والتي تكون الفاصل المائي الجنوبي الغربي لبحيرة أورمية التسمية «كردستان»، فيلاحظ أن الثنيات الجبلية بها منتظمة إلى حد بعيد، وهي ذات هيئة مستقيمة، وضيقة نسبياً، وتمتد السلاسل الجبلية فيها بجوار بعضها، ويزداد اتساعها ناحية الجنوب، حيث تصبح المجموعات الجبلية أقل كثافة، ويتغير شكلها فتتحول من الهيئة المستقيمة إلى الشكل المقوس. ومن المظاهر المميزة لهذه المنطقة المجاري المائية الموجودة بها. ففي الشمال أدى تساقط المياه بقوة إلى تكوين العديد من الأنهار التي قطعت العديد من الأودية المتباينة والمعقدة. وفي بعض الحالات تشق الأنهار طريقها في شكل متعرج حول نهايات السلاسل الجبلية، ثم تتجه ناحية الغرب لتصب في نهر دجلة والخليج العربي. وقطعت بعض مجاري المياه طريقها في السلاسل الجبلية في ممرات ضيقة. وهذه الممرات أو التشققات كانت عادةً على هيئة مستقيمة. ومن أفضل الأمثلة لهذا النوع نهر Saidmarreh والذي يعرف في أجزائه الدنيا باسم نهر الكرخة. أما في الجنوب فإن معدل سقوط الأمطار تقل كميته

(١) Ibid., pp. 12-13.

تدريجياً كلما اتجهنا جنوباً، ومن ثم فإن وجود التيارات المائية والأنهار الدائمة طوال العام تقل في وجودها أكثر فأكثر، ويصبح معظمها موسمياً، أو تجري لمسافات قصيرة لتنتهي في أحواض مغلقة، وتتسرب مياهها كلها في أعماق الأرض[١].

وتمتد سلسلة جبال زاجروس في جنوب شرق إيران، وتسمى هذه المنطقة تانجستان، ومن أهم ما يميز هذا الجزء هو انخفاض كمية سقوط الأمطار بالنسبة لباقي أجزاء منطقة زاجروس مما تتطلب من الإنسان في هذه المنطقة العمل على الاستفادة قدر الإمكان من كميات المياه المتجمعة لديه باستخدام أفضل الوسائل المتاحة للري. ومن المحاصيل التي تتوافر زراعتها في هذه المنطقة الشعير والذرة، وأحياناً يزرع الأرز حينما تتوافر المياه اللازمة لزراعته. ويضاف إلى فقر هذه المنطقة في الإنتاج الزراعي، أن المناطق المرتفعة تطل على شاطىء الخليج العربي مباشرة ولا يتخللها سهول ساحلية مما أدى إلى ندرة وجود الأماكن التي تصلح كموانىء، وكان ذلك من العوامل التي أدت إلى قلة السكان في هذه المنطقة، كما أثرت هذه العوامل البيئية القاسية على طبيعة الإنسان القاطن في هذه المنطقة فأصبحت طباعه خشنة نوعاً ما[٢].

٢ ـ المناطق الشمالية المرتفعة ـ البرز وتاليش:

يحد الناحية الشمالية من إيران سلسلة جبال البرز وتاليش، وتبدو هضبة البرز كنتوء ثانوي متجه ناحية الشرق من سلسلة الجبال الرئيسية الواقعة في شمال غرب إيران، وهي تكمل حافة السلسلة المرتفعة التي تشكل حدود المناطق الوسطى لإيران. وفي الحقيقة فإن سلسلة جبال البرز

(١) **Ibid.**, pp. 17-18.

(٢) **Ibid.**, pp. 26-30.

تمتد كقوس ضحل، ولا يتجاوز عرضها في أقصى اتساعه ١٣٠ كيلومتر، أما متوسط عرضها فلا يتعدى مائة كيلومتر. ويوجد في سلسلة البرز أعلى قمة جبلية في إيران، وهي قمة جبل دامافاند Damavand الذي يبلغ ارتفاعه ١٨,٩٥٥ قدماً، وهو يقع في وسط سلسلة جبال البرز شمال شرق طهران بحوالي ٦٤ كيلومتر. وتجدر الإشارة أن قمة جبل دامافاند أعلى من أي قمة جبلية تقع إلى الغرب منه سواء في آسيا أو في أوروبا[1]. ولقد أطلقت المصادر المسمارية على جبل دامافاند التسمية «بكني» أي جبل اللازورد[2].

ومن الأفضل دراسة سلاسل جبال البرز على أساس أنها تتكون من قسمين مختلفين، وهما: هضاب تاليش في أقصى الغرب والشمال الغربي، ثم سلاسل جبال البرز الرئيسية في الوسط والشرق.

وفيما يتصل بهضاب تاليش فيتراوح اتساعها ما بين ١٦ كيلومتر و١١٣ كيلومتر، ويبلغ أقصى ارتفاع لها ١٠,٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، ويصل متوسط ارتفاع معظمها إلى مستوى ٧,٠٠٠ قدم. وتوجد بها العديد من الأودية الضيقة التي تكونت نتيجة المجاري المائية الغزيرة المندفعة بسرعة من الجهة الشمالية الشرقية باتجاه بحر قزوين. وتتجه بعض المجاري المائية القصيرة نحو الجنوب والغرب. وتسقط الأمطار بغزارة على هضاب تاليش وذلك في أجزائها الواقعة على بحر قزوين بدون وجود فصل جفاف حقيقي، ولكن في المناطق الواقعة أسفل الهضاب توجد اختلافات واضحة بين الفصول. وتركز الاستقرار الإنساني بشكل كبير في الأودية الواسعة حيث تجود زراعة الحبوب كالقمح والشعير والذرة وكذلك أشجار الفاكهة. كما تكثر أيضاً أراضي المراعي، وتوجد بعض مناطق المراعي على المنحدرات

---

(١) Ibid., p. 38.

(٢) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٥٦، ص ٣٧٤.

المرتفعة، حيث توجد القرى أسفل هذه المنحدرات، ومنه أكبر المناطق المزروعة في هذه المنطقة، هي منطقة كارجان رود Kargan Rud التي تتحكم في عدد من المجاري المائية الصغيرة.

وتصل هضاب تاليش في نهايتها الغربية إلى منطقة آذربيجان التي تتوسطها بحيرة أورمية الملحة، ويمتاز إقليم آذربيجان بكثرة سكانه، ويطلق على آذربيجان عبارة «برزخ ميديا»، إذ يمكن الدخول إليها بواسطة عدة طرق تأتي من الشمال الغربي، والشمال، والشمال الشرقي. وتتمتع هذه المنطقة بشهرة تاريخية خاصة، إذ ظهرت فيها سلالات الميديين والفرس، كما استوطنته أقوام أخرى كالكرد والمغول والتتار. ونظراً لطبيعة هذه المنطقة التي تعتبر باباً مؤدياً إلى إيران فقد عملت الدول الفارسية على المحافظة عليه وحمايته وتحصينه إزاء الغزاة القادمين عبر القوقاز من جنوب روسيا، ولا تزال بقايا الحصون التي أقيمت في هذه المنطقة باقية حتى الآن[١].

وعند ثنية جيلان بشتى كوه Gilan Pas̲ht - i - Kūh الضيقة تنتهي هضاب تاليش. ويقطع المجرى المائي الضخم المسمى سافيد رود Safid Rūd ويتفرع من هذا المجرى المائي رافدين مهمين وهما Qizil Ūzun و S̲hahrūd . ولقد أدى النحت الضخم الذي قام به هذا النهر الكبير إلى إيجاد وادياً كبيراً، وهو الذي يفصل هضاب تاليش عن سلسلة جبال البرز الرئيسية التي تقع إلى الشرق منه[٢].

وتتكون منطقة البرز من مجموعة من الثنيات الضيقة نسبياً، وتأخذ شكلاً أقرب إلى الشكل الهلالي على امتداد الحد الجنوبي لبحر قزوين.

---

(١) Ghirshman, R., op. cit., pp. 22-23.

(٢) Fisher, W. B., op. cit., pp. 38-42.

ورغم ضيقها فإن السلاسل الجبلية شديدة الانحدار إلى أبعد حد، وتوجد فيها العديد من القمم الجبلية التي يصل ارتفاعها إلى ما يزيد عن ١٠,٠٠٠ قدم في مساحة لا تتعدى ٤٨ كيلومتر من شاطىء بحر قزوين ومن أعلى القمم الجبلية الموجودة جبل دامافاند، الذي سبقت الإشارة إليه، وجبل Alam Kūh الذي يبلغ ارتفاعه ١٥,٥٠٠ قدم، وهو يقع شمال غرب طهران بحوالي ٩٧ كيلومتر.

وتنمو الأشجار على المنحدرات الشمالية لجبال البرز حتى ارتفاع ٧٠٠٠ إلى ٨٠٠٠ قدم، ولكن يحدث تغيير حاد في الجهيات الجنوبية البعيدة، إذ تصبح الحياة النباتية أقل نماء. أما في أقصى الجنوب فتوجد مناطق محدودة تتوزع فيها شجيرات قصيرة، وفي أقصى جوانب التلال تصبح جرداء. وعندما يكون الماء متاحاً تصبح العديد من مناطق البرز الجنوبية خصبة إلى حد كبير، وبصفة خاصة المناطق الغرينية والمدرجات النهرية، حيث توجد بقايا سميكة من الأرض الخصبة[١].

ويوجد شمال سلاسل جبال البرز سهل خارجي تكون تدريجياً نتيجة تراجع مياه بحر قزوين التي كانت تمتد جنوباً حتى أطراف سلاسل البرز. ويصل طول هذا السهل إلى ما يقرب من ٦٤٤ كيلومتر، ويتراوح اتساعه في الغالب ما بين ٢٤ كيلومتر، و٣٢ كيلومتر، بينما لا يزيد اتساعه في بعض المناطق عن كيلومتر ونصف.

وتوجد في هذه المنطقة ثلاثة أقاليم إدارية متميزة وهي جيلان في الغرب وعاصمتها راشت، وهي تتميز بخصوبتها الشديدة، حتى أنه يقال أن جيلان تعني «الطمى» ويرجع ذلك إلى سقوط الأمطار بغزارة عليها،

---

(١) Fisher, W. B., The Middle East, A physical, social, and Regional Geography, London, 1966, pp. 283-284.

وذلك نظراً لوقوعها بين تاليش وزاجروس، وإلى الشرق منها سلاسل البرز. وتجود بها زراعة المحاصيل المقصور زراعتها في المناطق المدارية من العالم. ومن أهم المحاصيل التي تنمو بها الأرز والقطن والذرة الشامي والتبغ والبرتقال والليمون والتين، وتمد هذه المنطقة ما يقرب من ثلث سكان إيران بالطعام اللازم لهم.

أما المنطقة الثانية فهي مازانداران Mazandarān وهي تقع في الوسط ويحيط بها عدد من المدن الصغيرة، ويزرع فيها القمح والأرز والخضروات والفاكهة. وتتميز هذه المنطقة ومعها منطقة چيلان بأنهما من مناطق إيران ذات الكثافة السكانية العالية.

وتقع المنطقة الثالثة وهي جورجان Gurgān إلى الشرق، وتتميز شواطئها بوجود الأغوار الكثيرة، وأثر ذلك على قلة كثافتها السكانية، وتمتاز التلال بوجود تربة خصبة وبعض الأمطار، وكان لذلك أثره في أن معظم المدن والقرى توجد في مناطق التلال[1]. (خريطة ٣).

٣ ـ المنطقة الشرقية والجنوبية الشرقية:

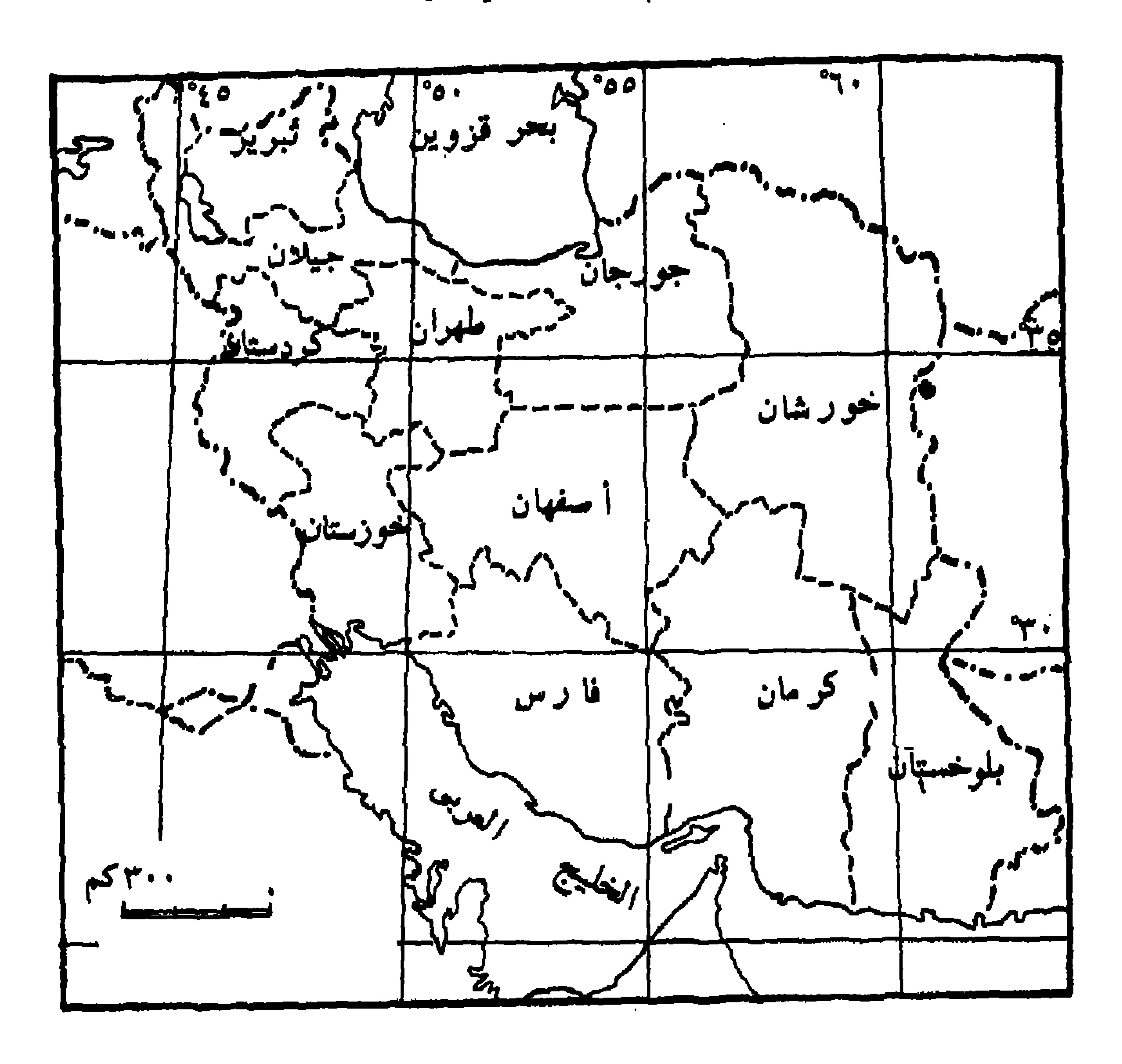
تقع هذه المنطقة من إيران بين سلاسل جبال البرز، والحد الجنوبي الشرقي لسلاسل جبال زاجروس. وتتميز هذه المنطقة بعدم وجود وحدة جغرافية تربط فيما بينها، فالمناطق المرتفعة تتباين من حيث اتجاه محاورها واتجاهاتها، كما أنها في كثير من المواضع تتباعد عن بعضها تاركة العديد من المناطق المنخفضة. ويمكن القول، بشكل عام، أن المنطقة الشرقية تتميز بالقحولة، وعدم وجود إنتاج زراعي بها. ويرجع ذلك إلى طبوغرافيتها غير المنتظمة، وتحركات الرمال، والعوائق المناخية.

ومناطق الاستقرار في هذه المنطقة قليلة، وهي توجد فقط في الأماكن

(١) Fisher, W. B., "Physical Geography", in **C H I**, vol. I, The Land of Iran, pp. 47-53.

خريطة رقم (٣)

الأقاليم السياسية في إيران



المحمية من الرياح الشديدة. وفي الأراضي المنخفضة بالقرب من منحدرات التلال، حيث ينتشر الغرين الناتج عن تفتت الحصى توجد الزراعة، كما توجد أيضاً بعض الأراضي الزراعية بجوار الأنهار القليلة الموجودة في هذه المنطقة. ومن أهم هذه المناطق، المنطقة المنخفضة لحوض نهر هيلماند والذي يطلق عليه سستان، وتصل المياه إلى منطقة سستان من أنهار أفغانستان[1].

وترتب على هذه المظاهر الجغرافية للمنطقة الشرقية من إيران، والتي تعرف بجبال خراسان، أنه كان من السهل اجتيازها، ولذا فهي تمثل المدخل الثاني إلى إيران، نقد عبرها الغزاة الفاتحين خلال العصور التاريخية، الذين جاءوا إليها من سهول وسط آسيا. ولقد أقام الملوك الساسانيون في هذه المنطقة جداراً سميكاً من الآجر يبلغ طوله عدة أميال لدرء الخطر عن أنفسهم من هذه الناحية، وما زالت بعض بقايا هذه السور قائمة حتى الآن. وتجدر الإشارة إلى أن هذه المنطقة من إيران كانت مهد العديد من السلالات الحاكمة المشهورة كالفرثيين والصفويين والقاچاريين.

وأخيراً فإن الجبال التي تحدد المثلث الإيراني تكتمل بالسلسلة الجنوبية المعروفة باسم جبال «مكران». ويخرج من هذه الجبال ممران يؤدي أحدهما إلى بندر عباس على خليج عمان، ويؤدي الآخر إلى بلوخستان في الشرق[2].

٤ ـ وسط الهضبة الإيرانية:

تحيط سلاسل الجبال المرتفعة بالمنطقة الوسطى من إيران، وهي ذات شكل غير منتظم وتضم عدداً من المناطق المنخفضة الداخلية، بعضها كبير

---

(١) Fisher, W. B., **The Middle East**, pp. 285-287.

(٢) Ghirshman, R., **op. cit.**, p. 23.

جداً، والبعض الآخر صغير. ويبلغ ارتفاع معظم المنطقة الداخلية حوالي ٣٠٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر، بينما يصل ارتفاع بعض المناطق إلى ١٠٠٠ قدم فقط، وأحياناً أقل من ذلك. ويوجد في بعض أجزائها سلاسل جبلية مرتفعة يصل ارتفاعها من ٨٠٠٠ ـ ١٠,٠٠٠ قدم.

وتصل مساحة المنطقة الداخلية من إيران إلى ما يقرب من ٣٠٠,٠٠٠ ميلاً مربعاً. وكان يشغل سطحها البحيرات الضخمة المتتالية والتي كانت تمتد شرقاً حتى أفغانستان ووسط آسيا، ولم يتبق من هذه البحيرات حالياً سوى أجزائها السفلى التي تكون بحيرات ملحية أو أحراش مليئة بمخلفات الحصى والرمال وحطام الأحجار والغرين[1].

وتعد هذه المنطقة الداخلية من أشد بقاع العالم قحولة وجفافاً، وهي تنقسم إلى صحراوين شاسعتين، تسمى إحداهما «دشتي كافر- Dasht - i Kavir» في الشمال، والأخرى «دشتي لوط Dasht - I - Lut» في الجنوب[2] وتتكون دشتي كافر في معظمها من الطين والملح، ولا ينمو عليها شيء، ومظاهر الحياة عليها نادرة، وهي تنخفض عن سطح البحر من ٢٠٠ ـ ٢٥٠ قدم[3]. وتبلغ مساحتها ما يقرب من ربع المنطقة الداخلية من إيران. وفي بعض مناطقها يمكن الحياة حيثما تقل درجة الملوحة في التربة، حيث توجد

---

(١) Fisher, W. B., "Physical Geography" in C H I, vol. I, pp. 90-92.

(٢) تجدر الإشارة إلى أن كلمة «لوط Lut» كلمة فارسية تشير عادة إلى المناطق الصحراوية المنخفضة، ولكنها تطلق في الغالب بشكل أوسع على المناطق القاحلة في الجنوب والشرق. أما كلمة «دشت Dasht» فتشير إلى الصحراء الجافة التي توجد فيها عادة بقايا حجرية صغيرة مثل الحصى والظران. انظر:

Ibid., p. 93.

(٣) Butzer, K. W., "Physical Conditions in Eastern Europe, Western Asia and Egypt, Before the Period of Agricultural and Urban Settelment", in C A H., vol. I, part I, Cambridge 1970, p. 52.

بعض الواحات القليلة. أما «دشتي لوط» فهي صحراء قاحلة تماماً، وتعد من أشد جهات العالم قحولة[1].

يتضح من هذه الدراسة الجغرافية لسطح إيران، أن المناطق التي يمكن أن تتطور عليها الحياة على سطح الهضبة تنحصر في أودية السلاسل الكبرى الرئيسية وفي الواحات والسهول الواسعة، مثل سهل خوزستان في الجهة الجنوبية الغربية، وهي بلاد السوس القديمة التي تعد من الناحية الجغرافية امتداداً لسهل ما بين النهرين الأسفل، لأنها تتكون من الأرض الرسوبية التي كونها نهر كارون وروافده. وتعتبر هذه المنطقة من أقدم المناطق التي استوطنها الإنسان في إيران، كما ظهرت فيها البواكير الأولى لفجر حضارته. وحينما امتدت الحدود السياسية للامبراطورية الفارسية إلى الغرب من زاجروس نشأت في هذه المنطقة العاصمة الكبرى «سوسة».

ويلاحظ كذلك أن السهول الواقعة خارج الهضبة، مثل السهول الواقعة على حدود بحر قزوين، لم تقم بدور رئيسي في التطور الحضاري لإيران الذي تركز منذ أقدم العصور في الواحات المنتشرة في سلاسل الجبال المحيطة بالهضبة، وتمكن الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ من التغلب على المشاكل التي تواجهه في إمكانية زراعة هذه الواحات. ومن أهم هذه المشاكل كيفية تزويدها بالمياه، ولقد استطاع التغلب على هذه المشكلة الحيوية بتجميع مياه الأمطار، ثم شق القنوات المؤدية إلى الواحات[2].

---

(١) Ghirshman, R., op. cit., p. 24.

وتجدر الإشارة إلى أن ابن خلدون قد وصف هذه المنطقة، وذلك في مقدمته الثانية بأنها قليلة المسالك لصعوبتها وقد أسماها المفاوز العظمي. انظر:

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: المرجع السابق، ص ٣٠٥.

(٢) Beaumont, p., The Middle East, A Geographical Study, London, 1976, pp. 449-450.

ولقد أدى وجود سلاسل الجبال الضخمة التي تحيط بإيران وبخاصة في الوسط، إلى عدم وجود وحدة في تطورها الحضاري سواء في مناطق السهول أو الهضاب، ويضاف إلى ذلك أنه لم يوجد في إيران نهر ضخم يوحد إحدى طرف البلد بالطرف الآخر، وأدى تفرق الأنهار الضخمة إلى تركيز تطور النشاط الإنساني في إطار مناطق محدودة.

وكان للعوامل الجغرافية تأثيرها الهام في توزيع مناطق الاستقرار البشري على الهضبة وظهور المدن الكبرى. وظهر ذلك بوضوح على امتداد سلسلتي جبال زاجروس والبرز، وبخاصة على حوافهما الداخلية المواجهة للصحراء. فمن المدن التي ظهرت على الطريق التجاري الواقع على امتداد سلاسل البرز، مدينة أكبتانا وطهران ودمغان وهيرات، ومن المدن التي نشأت على الطريق الجنوبي أصفهان وباسارجادا وبرسپوليس وشيراز.

وتم نفس الأمر كذلك في عصور ما قبل التاريخ، حيث أوضحت التنقيبات الأثرية الحديثة، أن الإنسان منذ أن اتجه إلى السهول قد استقر على امتداد نفس هذا الخط الذي يشبه قوساً حول المنطقة الداخلية القاحلة من إيران (صحراء الملح). ومن المواقع الرئيسية التي كشف عنها سيالك ودمغان وقم[1].

ومن الأمور الهامة التي أثرت في تاريخ إيران وحضارتها، الثروات الطبيعية التي تثرى بها أرضها، فبالإضافة إلى وجود مساحات كبيرة من الأراضي الخصبة بها، فإنها تملك العديد من المحاجر والمناجم الغنية، فهي غنية بأنواع الأحجار الجيدة كالمرمر والرخام، وكذلك الأحجار الثمينة كاللازورد، والفيروز، والعقيق. وتشير الأدلة الأثرية إلى أن الإنسان الإيراني القديم قد استخرج هذه الأحجار منذ أقدم العصور، كما كان لها

(١) Ghirshman, R., op. cit., pp. 24-25.

دور كبير في طبيعة العلاقات ما بين العراق وإيران منذ أقدم العصور، وذلك نظراً لحاجة الإنسان العراقي إليها في صنع حضارته. ويتوفر بالهضبة الإيرانية، العديد من المعادن كالنحاس والحديد والقصدير والرصاص. ويضاف إلى ذلك أيضاً أن سفوح سلاسل جبال زاجروس ومنحدراتها تتكون من حجارة كلسية تحتوي على النفط الذي كان معروفاً بالفعل في عصر هيرودوت[1]. ووجدت بوفرة الأخشاب الجيدة الموجودة في الغابات التي كانت تغطي الجبال، وكانت الأخشاب من المواد الهامة التي كان سكان العراق القديم في حاجة إليها، فقد استوردوا الأخشاب من إيران منذ أقدم عصورهم، وبصفة خاصة منذ الألف الثالث ق. م.

وعلى الرغم من إحاطة السلاسل الجبلية بإيران، فإنها في حقيقة الأمر مفتوحة من كل جانب، إلى سهول بلاد النهرين وروسيا والهند والخليج العربي. ولقد قامت منذ عصور ما قبل التاريخ بدور هام كوسيط بين الشرق والغرب. ولقد قامت الطرق الوصلة ما بين الشرق والغرب بدور حيوي في الصلات والتأثيرات الحضارية ما بين بلاد النهرين وإيران. واتصلت إيران بالعراق بواسطة عدة طرق رئيسية: منها الطريق الذي يبدأ من المنطقة الواقعة شمال بحيرة أورميا والذي يضم الأناضول وقزوين، وهو الطريق الذي يتجه جنوباً إلى وسط الهضبة. والطريق الثاني، يتجه من شمال العراق متخذاً طريق كيلي شين Kel - i - Shin ـ رواندوز Rowanduz ـ الزاب الأصغر، ثم يتجه إلى المنطقة الواقعة جنوب بحيرة أورميا، ومنها يحتمل أنه يتجه ناحية الشرق أو الجنوب الشرقي إلى منطقة الهضبة. أما الطريق الثالث، فإنه يبدأ من جنوب آشور أو أكد ويتجه خلال وادي كرمنشاه إلى همدان ومنها شرقاً إلى الهضبة الإيرانية. ويتجه الطريق الرابع من أكد أو سومر

---

(١) Ibid., pp. 25-26.

في الجنوب خلال مستنقعات وأحراش نهر دجلة إلى ديلوران Deloran وخوزستان[1].

وتمت الصلة بين إيران والعراق كذلك من خلال أودية الأنهار التي تصب في نهر الفرات، وبصفة خاصة نهري الزاب وديالي. ولقد انتشرت بواسطة هذين النهرين العديد من المظاهر الحضارية بين البلدين، وبصفة خاصة بعض أنواع الأواني الفخارية وزيناتها. وكان لامتداد سلاسل زاجروس ناحية الشرق عند نهايته الجنوبية أثر كبير في اتساع الصلات ما بين منطقة السهول في جنوب العراق ومنطقة سوسيانا الإيرانية. فهذه المنطقة من إيران ـ من الناحية الجغرافية ـ لا يمكن التفرقة بينها وبين المنطقة المجاورة لها في جنوب العراق، ووجدت بالفعل في عصر حضارة الوركاء في العراق القديم صلات مميزة في الفنون والمنحوتات بين المدن السومرية ومنطقة سوسة، ويمكن ملاحظة ذلك بشكل واضح في نماذج الأختام الأسطوانية التي كانت تنحت أحياناً في أشكال متطابقة في كلا المنطقتين[2].

وأثبتت الحفائر الأثرية حصول العراق على أحجار اللازورد من محاجر بادخشان (شمال أفغانستان) وذلك بواسطة الطريق الممتد على طول جنوبي جبال البرز، وذلك منذ عصر حضارة جمدة نصر في العراق القديم، إذ كشفت الحفائر التي أجريت في العديد من المواقع العراقية القديمة عن وجود كميات كبيرة من أحجار اللازورد.

وتوجد العديد من الأدلة الأثرية التي توضح اتصال العراق بالهند عن طريق إيران، وذلك منذ حوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد. ومن

---

(١) Dyson, R.H., "Problems in the Relative Chronology of Iran, 6000-2000 B. C." in **Chronologies in Old World Archaeology**, U. S. A., 1967, p. 215.

(٢) Mallowan, M. E. L., **Early Mesopotamia and Iram**, London, 1965, p. 20.

أفضل الأمثلة التي توضح هذه الصلات نقوش آنية مصنوعة من حجر الاستيتيت عثر عليها في العراق القديم. وقد ظهر التأثير الهندي في النقوش واضحاً[١]. كما أثبتت الحفائر التي أجريت في موقع تبة يحي Tepe Yahya في جنوب إيران عام ١٩٧٠، أن هذه المنطقة كانت تقع على الطريق التجاري ما بين العراق والهند، وأنها كانت همزة وصل فيما بينهما[٢].

وأدت هذه الصلات إلى زيادة الحركة على الطرق التي توازي جبال البرز في شمال إيران، والتي تفرعت إلى شعبتين نحو الجنوب إلى بلوخستان. ونشطت كذلك التجارة عن طريق البر بين بلاد ما بين النهرين وأنهار إيران.

وبالإضافة إلى ذلك فقد وجدت العديد من الطرق التي توصل إلى داخل إيران، وأدى ذلك إلى تعرضها للغزو ولعبور القبائل منذ عصور ما قبل التاريخ، وجاء الغزاة والقبائل إليها من وسط آسيا وشمال الهند طمعاً في العثور على مراعي غنية في مناطق إيران.

فمن خلال البوابة الضخمة التي يبلغ اتساعها ما يقرب من ٩٧ كيلومتر، والتي تفتح في شمال غرب آذربيجان بين البرز وزاجروس، دخل إلى الهضبة الإيرانية الميديين والفرس والتتار والأتراك. وعند النهاية الغربية للسلسلة الجبلية تكون خراسان معبراً آخر دخل من خلاله العديد من الأقوام من آسيا العليا. ولم يقتصر دور هذه البوابات على دخول الأقوام والشعوب الأخرى إلى إيران، فقد خرج منها الفرس واتجهوا غرباً حيث كونوا أضخم امبراطورية لهم في العالم القديم[٣].

---

(١) Ibid., Figs. 6-7, pp. 22-23.

(٢) Beaumont, p., op. cit., p. 192.

(٣) Nollet, R., Farzami, S., Iran, in Larousse Encyclopedia of World Geography, London, 1967, p. 384.

وبالإضافة إلى هذه الطرق التي ربطت إيران بالعالم الخارجي المحيط بها، فقد قامت الطرق الداخلية بها بدور هام وفعال في انتقال التأثيرات الحضارية بين أجزاء الهضبة الإيرانية، وكان لها دورها الكبير كذلك في التحركات البشرية بها، ومن أهم هذه الطرق، الطريق الذي يبدأ من خوزستان ويتخذ اتجاهاً شمالياً شرقياً إلى لورستان والهضبة، أو يتخذ اتجاهاً جنوبياً شرقياً إلى منطقة فارس. أما الطرق التي تبدأ من شمال غرب زاجروس ووسطها فإنها تلتقي حول كازفين ـ كاشان ـ وتتجه من هذه المنطقة ناحية الشرق على امتداد الناحية الجنوبية لسلسلة جبال البرز حتى مشهد. ويوجد طريق يتجه من فارس جنوباً إلى بلوخستان، ويوجد هناك طريق آخر يربط منطقة فارس بمنطقة كاشان[١].

---

(١) Dyson, R. H., op. cit., p. 215.



الفصل الثاني

مصادر الدراسة



يعتمد المؤرخ في دراسته لتاريخ إيران وحضارتها في العصور القديمة على عدة مصادر رئيسية ، يأتي في مقدمتها المصادر الأثرية ، ثم ما سجله المؤرخون والرحالة اليونان والرومان ، والمصادر المعاصرة في منطقة الشرق القديم ، ويلي ذلك في الأهمية المصادر الدينية الفارسية والتوراة ثم القصص الفارسي. ويبدأ الباحث باستعراض المصادر الأثرية .

أولاً : المصادر الأثرية

على الرغم من أن المصادر الأثرية تعتبر المصدر الرئيسي الذي نعتمد عليه في دراستنا للتطور السياسي والحضاري في إيران في العصور القديمة ، فإن الحفائر العلمية المنظمة لم تدخل إيران إلا في وقت متأخر، وينطبق ذلك أيضاً بالنسبة لدراسة البقايا الأثرية المتخلفة فوق سطح الأرض. فحتى الثلاثينات من القرن العشرين ، كانت إيران مغلقة إلى حد بعيد أمام الباحثين الأجانب .

وعندما فتحت إيران أبوابها أمام بعثات الآثار الأجنبية وذلك منذ عام ١٩٣٠ م حينما أصدرت حكومة إيران قانون الآثار الذي سمحت به لبعثات الآثار الأجنبية بعمل حفائرها في إيران ، بدأت العديد من البعثات الأثرية حفائرها في العديد من المواقع في مختلف المناطق الإيرانية . ومنذ عام ١٩٥٠ م بدأت الحفائر المنظمة ذات الأهداف الواضحة وذلك برعاية وتشجيع مصلحة الآثار الإيرانية ، وتمثل هذه البعثات العديد من الدول مثل الدانمارك والسويد وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان وإنجلترا و إيطاليا وفرنسا. وذلك بالإضافة إلى مصلحة الآثار الإيرانية . وسنشير فيما يلي إلى

بعض أعمال الحفائر التي أجريت في بعض المواقع الأثرية الإيرانية.

ومن أولى المواقع الأثرية الإيرانية التي حظيت باهتمام الباحثين موقع بيهستون Behistun [1] إلى الشرق من كرمنشاه بحوالي ٤٨ كيلومتر، وقامت بالعمل في هذا الموقع بعثة إنجليزية وذلك في الفترة من ١٨٣٦ - ١٨٤١ م برئاسة السير هنري رولنسن[2] حيث تمكنت منه الكشف عن نقش للملك الفارسي داريوش[3] منحوت في صخرة عالية في هذه المنطقة. وبعد ذلك بأكثر من مائة عام جاءت بعثة من الولايات المتحدة الأمريكية قامت بالعمل في بيهستون في الفترة من ١٩٤٨ - ١٩٤٩.

وفي عام ١٨٥١ م قامت بعثة إنجليزية بعمل حفائر في موقع مدينة سوسة (شوش) - تقع في غرب منطقة خوزستان على نهر الكرخة - برئاسة السير وليام كنت لوفتر Sir William Kennet Loftus واستمر عملها حتى عام ١٨٥٣ م. ثم تتابعت الحفريات بعد ذلك، ولكن بواسطة البعثات الفرنسية. وبدأت أولى البعثات عملها في سوسة عام ١٨٨٤ م، واستمر عملها حتى عام ١٨٨٦ م برئاسة مارسيل دي لافو Marcel Dieu Lafoy ، وأثمرت حفائرها عن الكشف على قصر داريوش الأول. ثم تبعه بعد ذلك دي مورجان J. De Morgan عام

---

(١) تنطق أحيانا «بيستون Bisutun» ولكن النطق «بيهستون» هو النطق الأصلي لها، وهو يفيد معنى «مكان الآلهة». انظر:

Coon, C. S., **Seven Caves**, London, 1957, p. 98.

(٢) يعتبر السير هنري رولنسن من الشخصيات الرئيسية التي وضعت أساس علم الآشوريات حتى لقبه البعض بـ «أبي الآشوريات» وقد ساعده في دراسة نقوش بيهستون أنه كان ضابطا بالجيش البريطاني في فارس، ثم أصبح فيما بعد قنصلا لبريطانيا في بغداد. انظر:

Kramer, S. N., **The Sumerians**, Chicago, 1970, pp. 13-14.

(٣) إن التسمية «داريوش» هي التي وردت في المصادر الفارسية، وأطلقت عليه المصادر العربية «دارا». انظر:

عبد النعيم محمد حسنين: الإيرانيون القدماء، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٢٢.

١٨٩٧ م. واستمرت البعثات الفرنسية في عملها في موقع مدينة سوسة، ومن أولئك الذين قاموا بالحفائر نذكر كل من R. de Mecquenem الذي بدأ حفائره بعد عام ١٩٢٤ م، ثم رومان جيرشمان R. Ghirshman الذي بدأ حفائره منذ شتاء ١٩٤٧ م.

وفي عام ١٨٧٨ م قامت بعثة ألمانية بالعمل في موقع برسپوليس الذي يقع في إقليم فارس في سهل ميرف داشت بجنوب غرب إيران، ومن أهم نتائجها ما قام به المصور الألماني Stolze من عمل سجل مصور لآثار ونقوش برسبوليس، وقد نشر في مجلدين عام ١٨٨٢ م في برلين(Stolze and Andreas, Persepolis, 2 vols, Berlin, 1882) وهو يعتبر حتى اليوم من الأعمال النادرة. ومن أهم من قاموا بزيارة برسپوليس بعد Stolze كان George Nathaniel Curzon [1]. وقام برحلته إليها في عامي ١٨٨٩ - ١٨٩٠. ووصف في كتابه الذي نشره عام ١٨٩٢ تحت عنوان "Persia and the Persian Question" آثار برسپوليس وناقش بعض الأمور المتصلة بها. وجاء في ركابه Mr. Herbert Weld - Blundell الذي قام بإزاحة الأتربة عن بعض المناطق وأعاد بعض الكتل الحجرية إلى أماكنها. وبعد صدور قانون الآثار في إيران قامت بعثة المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو بالعمل في موقع برسبوليس، وبدأت حفائرها عام ١٩٣١، حيث استمر العمل أربعة مواسم أثرية حتى عام ١٩٣٤ تحت إشراف إرنست هرزفلد Ernst Herzfeld حيث قام بالكشف عن بعض أجزاء قصر الملك خشيارشا[2]، وفي نفس الوقت قام بعمليات ترميم له وإعادة بعض أجزائه. وبعد انتهاء موسم ١٩٣٤ تخلى إرنست هرزفلد عن الإشراف

---

(١) أصبح لوردا فيما بعد، وكان يشغل منصب نائب الملك في الهند، وينسب إليه الفضل في تأسيس مصلحة الآثار الهندية.

(٢) أطلق عليه اليونان كزركسس Xerxes.

علـى أعمـال الحفائـر، حيث قام بالإشـراف عليهـا بدلاً منـه Erich Schmidt حيث استمرت الحفائر من عام ١٩٣٥ وحتى عام ١٩٣٩ م، وتمكن خلال هذه الفترة من الكشف عن مئات من اللوحات العيلامية، كما كشف عن مقبرة ترجع إلى العصر الأخميني، وذلك بالإضافة إلـى ما قام به من كشوف أماطت اللثام عن الكثير من معالم برسپوليس. ومنـذ عام ١٩٤٠ م قامت مصلحة الآثار الإيرانية باستكمال الحفائر في موقع برسپوليس.

وقامت بعثة فرنسية بإشراف دي مورجان بعمل حفائر في تبـة موسيان التي تقع في مقاطعة دي لوران بمنطقة خوزستان وذلك إلى الشرق من نهر Tib بحوالـي ١٢ كيلـومتر، وتمت هذه الحفائر بشكـل جزئي في عام ١٩٠٢ - ١٩٠٣.

وفي عام ١٩٠٥ م قامت بعثة أمريكية بعمل حفائر في موقع تل نخادي Tell - i - Nukhudi الـذي أطلـق عليه في العصـر الأخمينـي التسـمية «باسارجادا» Pasargadae، وهو يقع بالقرب من نهر بولفار Pulvar في إقليم فارس شمال برسپوليس. وفي عام ١٩٢٨ قامت بعثة أمـريكية أيضـاً بعمـل حفائر في هذا الموقع، وفي عام ١٩٤٩ قامت بعثة من مصلحة الآثار الإيرانية باستكمال الحفائر لمدة موسم واحد، ومنذ ذلك الوقت لم تجر حفائر هامة في هذا الموقع حتى عام ١٩٦١ حينما قامـت بعثـة إنجليزية بمواصلـة أعمـال الحفائر فيه.

وفي عام ١٩٣١، ١٩٣٢ قامت بعثة فرنسية بعمل حفائر في موقع تبـة جيان جنوب غرب مدينة نهاوند شرق كرمنشـاه بمنطقـة لورستـان بإشـراف جورج كونتينو Georges Contenau ورومان جيرشمان، وذلك برعاية متحف اللوفر.

وفي نفس الوقت (عام ١٩٣١م) قامـت بعثـة أمـريكية برعـاية متحف

جامعة فيلادلفيا ومتحف مدينة كانساس بعمل مجسات أثـرية في موقـع تبـة تورنج بالقرب من أسترأباد شمال دمغان جنوب شرق بحر قزوين بإشراف فردريك ولسن Fredrik Wulsin ، ثم قامت بعثة فرنسية بإشراف آرن T.J. Arne بعمـل حفائر في هذا الموقع منذ عام ١٩٥٩ م، واستمرت في حفائرها بالموقـع لعـدة مواسم أثرية متتالية.

وفي الوقت الذي كانت فيه بعثة أمريكية تقوم بعمل مجسات في تبـة تورنج ، كانت هناك بعثة أمريكية أخرى تقوم بالحفائر في موقع تبـة حسـار بالقرب من دمغـان وهـي تقـع إلى الشرق من طهـران بحوالي ٣٦١ كيلومتراً. وقام برعايـة هذه الحفائر بعثة مشتركـة من متحف بنسلفانيـا للفـن في فيلادلفيا والمعهد الأمريكي للفنون والآثار الفارسية وذلك تحت إشراف أريش ف. سشمدت Erich F. Schmidt ، وبـدأت الحفائـر أعمالهـا في ربيع ١٩٣١م واستمرت حتى العام التالي ١٩٣٢م.

وقامت بعثة أمـريكية أخـرىٰ بالعمـل في موقـع تل باكون عام ١٩٣٢ برعاية المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو، وأشرف عليها إرنست هرزفلد الأستاذ بجامعة برلين، وساعده من المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو كل من ألكسندر لانجسدورف Alexander Langsdorff ودونالد. ي. ماك كونDonald E. Mc Cown ثم استكملت الحفائر في هذا الموقع بعثة يابانية عام ١٩٥٦، برعاية معهد الحضارات الشرقية بطوكيو، وأشرف عليها ن. إيجامي N. Egami .

كما قام متحف المتروبوليتان في نيويورك بعمل حفائر في موقع قصر أبو نصر بالقرب من شيراز وذلك في الفتـرة من ١٩٣٢ ـ ١٩٣٤م بإشـراف م. أويتون M. Upton ، ولم تقتصر أعماله على موقع قصر أبو نصر بل امتدت أعمال متحف المتروبوليتان إلى المواقع الأثرية الموجـودة جنـوب شيراز، وأشرف على أعمال هذه الحفائر سير أورل ستين Sir Aurel Stein .

وفي عام ١٩٣٣م دخلت السويد في ميدان أعمال الحفائر في إيران ، فقامت بعثة سويدية بأعمال الحفائر في موقع تبة شاه عند الركن الجنوبي الشرقي لبحر قزوين بإشراف ت . ج . آرن T. J. Arne .

وفي عام ١٩٣٣ م كذلك قامت ثلاث بعثات فرنسية بعمل حفائر في إيران . قامت أولاها بالعمل في موقع تبة جامشيدي Tepe Jamshidi جنوب تبة جيان ، وقامت الثانية بالعمل في تبة باد هورا Tepe Bad Hora جنوب همدان . أما البعثة الثالثة فقامت بالعمل في موقع تبة سيالك جنوب غرب كاشان بحوالي ثلاثة كيلومترات حيث استمرت الحفائر في هذا الموقع حتى عام ١٩٣٧ م وذلك تحت إشراف رومان جيرشمان .

وقامت بعثة إنجليزية عام ١٩٣٦م بعمل حفائر في موقع حسنلو Hasanlu جنوب بحيرة أورميه بالقرب من الحدود العراقية ، وفي عام ١٩٤٧ قامت مصلحة الآثار الإيرانية بالعمل في هذا الموقع كذلك ، ثم جاءت بعثة من متحف جامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا عام ١٩٥٧م ، واستكملت الحفائر في الموقع ، واستغرق هذا العمل أربعة مواسم أثرية تحت إشراف روبرت ديسون Robert Dyson .

وفي عام ١٩٤٨م قامت بعثة إنجليزية تابعة لمتحف مانشستر بجامعة مانشستر بالعمل في موقع تبة جوى Geoy Tepe في إقليم آذربيجان جنوب شرق بحيرة أورمية . وذلك بإشراف برتون براون Burton - Brown .

وشهدت إيران بعد عام ١٩٥٠م نشاطاً مكثفاً للبعثات الأجنبية ، ومنها على سبيل المثال البعثات الفرنسية التي عملت في العديد من المواقع مثل موقع شوجا زامبيل Choga Zambil جنوب شرق سوسة ، وموقع خرج Kharg في جزيرة خرج قبالة الشاطىء الفارسي للخليج العربي ، وتبة تورنج Turang Tepe في الركن الجنوبي الشرقي لبحر قزوين . والبعثات

الأمريكية التي عملت في العديد من المواقع مثل كهف بلست Belt Cave وكهف هوتو Hutu Cave جنوب بحر قزوين، وفي منطقة كرمنشاه، وفي موقع شوجا ميش Choga Mish شمال شرق سوسة وغرب أصفهان. والبعثات الإنجليزية التي قامت بالعمل في بعض المواقع مثل تبة يانيك Yanik Tepe شمال غرب بحيرة أورمية، وتبة ياريم Yarim Tepe جنوب شرق بحر قزوين قرب الحدود الروسية. والبعثات البلجيكية التي قامت بالعمل في الكثير من المواقع بالقرب من شيراز في إقليم فارس، مثل تل جاري Tell Jari، وتل موشكي Tell Mushki، وتل القلعة، وتل شوجا Tell shuga، وتل تامران Tell Tamuran وكذلك في موقع خورفين Khurvin شمال شرقي مدينة طهران، والبعثات اليابانية التي قامت بالعمل في تل باكون وتل جاري.

وظهرت ثمار هذه الحفائر في الكشف عن معالم تاريخ إيران القديم، ومع أن هذه المعالم موجزة في كثير من تفاصيلها إلا أنها مكنتنا من معرفة الخطوط المميزة لتاريخ وحضارة إيران في العصور القديمة، وما زالت نتائج الحفاير المتتابعة تزيد من عمق معرفتنا وتوضح ما غمض منها.

ويمكن تقسيم الأدلة الأثرية التي كشف عنها إلى قسمين رئيسيين: الأول منهما، الأدلة المادية ويأتي في مقدمتها الأواني الفخارية، والآخر النقوش المدونة بمختلف اللغات الإيرانية. ولقد أمدتنا الأواني الفخارية بنماذجها المتعددة وزيناتها المختلفة والرسوم التي سجلت عليها بدليل مادي أمكن بواسطته تتبع الحضارات الإيرانية القديمة في عصور ما قبل التاريخ، وذلك على أساس مقارنة ما عثر عليه في المواقع الإيرانية المتعددة، إذ كان لكل مقاطعة ولكل مصنع في أغلب الأحايين الشخصية المغايرة من ناحية شكل الآنية وكذلك زينتها، وكان لتنوع نماذج الفخار جماله الخاص، إذ أدى ذلك إلى ثراء هذا الفن البدائي. وبالإضافة إلى الصناعات الفخارية،

فهناك كذلك بقايا الآثار المعمارية بأنواعها المتعددة سواء كانت مباني دينية أو بقايا منازل أو مقابر أو عمائر حربية ، وتوجد أيضاً العديد من الأعمال الفنية كالنقش والنحت والتصوير، والتي أمكن بواسطتها معرفة الكثير من المظاهر الحضارية الإيرانية في العصور القديمة.

وفيما يتصل بالنقوش ، فيلاحظ أنه باستثناء عدد من النقوش التي تنسب غالباً وبشكل رئيسي إلى داريوش (دارا) وخشيارشا (كزركسس) والكتاب الديني الأوستا Avesta [1] ، فإن الفرس لم يكتب لهم النجاح في كتابة تاريخهم ، ولم توجد لديهم بيوت كبيرة لحفظ كنوز الوثائق والتسجيلات مثلما وجدت في مصر وآشور وخاتي، وعلى ذلك فإن الجزء الأكبر من التاريخ الفارسي يستمد من مصادر الكتاب اليونان وكذلك من الإشارات التي وردت في الوثائق التاريخية الآشورية والبابلية والمصرية [2].

ولقد بدأ التعرف على النقوش الإيرانية منذ القرن الخامس عشر الميلادي حينما زار إيران بعض المبشرين والرحالة ، وقد ذكر بعضهم أن النقوش التي شاهدوها لا تمت للفارسية الحديثة بصلة ، ولا تشبه العربية أو الآرامية أو العبرية. وربما كان إنجلبرت كيمبفر Engelbert Kaempfer الذي رافق بعثة سويدية إلى إيران عام ١٦٨٣م هو أول من حاول وصفها وصفاً علمياً وأطلق عليها اسم «الكتابة المسمارية». وفي عام ١٧٦٥م نسخ كارستن نيبور ـ وكان ضمن البعثة العلمية التي أرسلها ملك الدانمارك إلى الشرق ـ بعض النقوش الموجودة في برسپوليس، وكانت مكتوبة بثلاثة كتابات مختلفة ، هي الفارسية القديمة والعيلامية المتأخرة والبابلية ، ولقد أدرك نيبور أن هذه النقوش بها ثلاثة كتابات مختلفة ، كما قام

(١) ينطق حرف الواو في كلمة «الأوستا» مثل حرف « V » في اللغة الإنجليزية. انظر:
أمين عبد المجيد بدوي: **القصة في الأدب الفارسي**، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ١٠.

(٢) Dicks, B., **The Ancient Persians, How They Lived and Worked**, London. 1979. p. 11.

ببعض المحاولات لمعرفة بعض علاماتها. وأسهمت محاولاته في مساعدة من جاءوا بعده في معرفة هذه الكتابات، ومن أهم ممن جاءوا بعده الألماني جروتفند Grotfend الذي خطا خطوات كبيرة في هذا المجال، وهناك كذلك راسك Rask الدانماركي، وبرنوف Bernouf الفرنسي ولاسن Lassen الألماني، وأخيراً السير هنري رولنسن [١].

ومن أقدم النقوش التي وصلتنا، نقوش الملوك الهخامنشيون، فقد عثر على بعض النقوش المختصرة للملك كوروش الكبير، كما كشف في باسار جادا عن تمثال ناقص لكوروش الكبير، نقشت عليه عبارة «أنا كوروش الملك الكبير». ووصلنا من عهد الملك داريوش عدداً كبيراً من النقوش، منها تلك التي قام السير هنري رولنسن في الفترة من ١٨٣٧ - ١٨٤٣م بمحاولة تفسيرها، وقد سجلت بثلاث لغات على صخور بيهستون، في مكان يصعب الوصول إليه وذلك على ارتفاع يصل من ٣٠٠ - ٥٠٠ قدم، واللغات الثلاث التي سجل بها النقش هي: الفارسية القديمة، والعيلامية العتيقة، والبابلية السامية، وكتب النقش بالخط المسماري، ولقد كتب النص الفارسي بالحروف الأبجدية الفارسية القديمة المكونة من ثلاثة وأربعين علامة، وهي التي كان من الممكن إلى حد ما حل رموزها منذ بداية القرن التاسع عشر. وعلى ذلك فلقد زود النص المكتوب بالفارسية القديمة الباحثين بمفتاح لحل رموز الخط المسماري القديم، فوضع أساساً يمكن الاعتماد عليه في تفسير هذا الخط [٢]. ويذكر داريوش في هذا النقش نسبه والاضطرابات التي نشبت

---

(١) محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت، ١٩٨٤، ص ٣٩٩ - ٤٠١.

(٢) Glover, T.R., **The Ancient World**, Pelican Books, 1948, p.88.,

Iliffe, J. H., "Persia and the Ancient World" in **The Legacy of Persia**, Edited by A. J. Arberry, Oxford, 1963, p. 19-20.

في بداية توليه مقاليد الملك والحملات التي قام بها والحروب التي خاضها لإخماد تلك الثورات.

ومن النقوش الهامة التي وصلتنا من عهد داريوش كذلك، النقش المعروف باسم «نقش رستم» والذي يستفاد منه في معرفة اتساع إيران وحدودها في ذلك الوقت. ووصلنا من عهد الملك خشيارشا (كزركسس) بعض النقوش الصغيرة المختصرة، وذلك بالإضافة إلى بعض النقوش الصغيرة التي ترجع إلى بعض ملوك هذه الأسرة، ويتصل بعضها بالناحية الدينية[1].

وهناك من المؤرخين[2] من يتجه إلى القول بأنه من الصعب تصور إمبراطورية في امتداد الإمبراطورية الفارسية وحضارتها والتي أنجبت رجال دين ورجالاً مهرة مبرزون في مجال العمارة والفنون والإدارة، قد فشلت في إنجاب رجال أدب ومؤرخين، أو حتى من يقومون بتسجيل الأحداث اليومية لهذه الإمبراطورية المترامية الأطراف، ومن ثم فإنه يفترض وجود وفرة من الوثائق التاريخية، ولكن هذه الوثائق قد دمرت من جراء ما تعرضت له إيران من الغزو اليوناني، ثم الفتح العربي بعد ذلك بحوالي ألف عام. إلا أن هذا الرأي رغم ما يبدو فيه من وجاهة إلا أنه يفتقر إلى أسانيد تؤيده. ولقد أدت الندرة الشديدة في الوثائق الإيرانية المعاصرة للأحداث إلى اعتماد الباحثين في دراسة تاريخ إيران القديم على ما سجلته المصادر اليونانية والرومانية، وكذلك على المصادر المعاصرة في منطقة الشرق الأدني القديم وبخاصة العراق ومصر وخاتي، وأدى ذلك من الناحية العملية إلى أن أصبح الكثير من الأحداث التاريخية موضع خلاف حسب وجهات النظر المتعددة ورؤيتها ومفاهيمها.

---

(١) حسن بيرنيا: المرجع السابق، ص ١٥٦ - ١٥٩.

(٢) انظر: Armajani, Y., **Iran**, New Jersey, 1972, pp. 21-22

ثانياً : المصادر اليونانية والرومانية

تعتبر المصادر اليونانيـة والرومانيـة من أهـم المصادر الخارجيـة التي نعتمد عليها في دراستنا لتاريخ إيران القديم، وترجع أهميتهـا إلى معاصرتهـا للأحداث التي سجلتها في معظم الأحايين، فعلى الرغم من بعد المدن الفارسية الكبرى وشهرتها شهرة تقارب الأساطير، فإن اليونان لم يعدموا الفـرص للحصـول على معلومات صحيحة عن فارس، فقد ولد كثير منهم وعاشوا رعـايا لهـا، وأتيح لبعضهم الذهاب إلى البلاط الفارسي، كما أُخـذ بعضهـم رهائـن أو أسرى، وبالإضافة ألى هؤلاء وأولئـك فقـد كان هنـاك الـكثير من الصنـاع اليونان الذين جمعهم داريوش الأول لتزيين قصره في سوسة، ولا ريب في أن هؤلاء قد عادوا إلى بلادهم بروايات طويلة عما شاهدوه، وهي لاتعدم الصحة تماماً فيما ذكرته[1] .

ورغم الأهمية القصوى للمصادر اليونانية والرومانية في دراسة تاريخ إيران القديم، فإنه يؤخذ عليها بعض المآخذ التي منها: (أولاً) إنه لا يوجد الدافـع لدى مؤلفي هذه المصادر الـذي يجعلهـم على ود أو عادلـين مع الإمبراطورية التي استولت على المستعمرات اليونانية في آسيا الصغرى، ولم تكتفي بذلك، بل هاجمت الإغريق في عقر دارهم، ومنها (ثانياً) أن الكثير مما ورد في المؤلفات اليونانية اقتصر على وصف المعارك الحربية البـرية والبحـرية التي دارت رحاها بين اليونان والإمبراطـورية الفـارسية، وذلك من وجهـة النظر الإغريقية[2]، ومنها (ثالثاً) أنهم قد اهتموا بتذكر الوقائع التي تربط ما بين بلادهم وإيران أو التي حدثت على حدود إيران الغربية، ولم يشيروا إلى

---

(1) Lockhart, L., "Persia as Seen by the West" in **the Legacy of Persia**, Edited by A. J. Arberry, Oxford, 1963, pp. 319-320.

(2) Dicks, R., op. cit., p. 11.

الأحداث التي جرت داخل إيران أو على حدودها الشمالية أو الشرقية [1]، ومنها (رابعاً) اعتمادهم على الروايات المنقولة والأساطير التي حيكت حول الأحداث البعيدة زمنياً، مما يجعل كتاباتهم حول الأحداث غير المعاصرة لهم يشوبه عدم الدقة إلى حد بعيد، ومنها (خامساً) روح التعصب التي عرفت عن الغربيين لحضارتهم، وإظهارها وكأنها أرقى من غيرها، وذلك عن طريق عرض نواحي الغرابة في الحضارات الشرقية التي عاصرتها أو سبقتها [2].

ومن أهم هؤلاء الرحالة والمؤرخين اليونان والرومان الذين نعتمد عليهم في دراسة تاريخ إيران القديم:

١ ـ هيكاتيوس الميليتي: Hekataios of Miletos :

ينسب إلى مدينة ميليتوس الإغريقية في آسيا الصغرى، وكان من أوائل مؤرخي اليونان في القرن السادس قبل الميلاد الذين انتقلت الكتابة التاريخية على أيديهم نقلة كبرى، فقد أخذ بمبدأ نقد الأساطير واستبعاد خرافات أبطالها [3]. قام برحلات في أنحاء الإمبراطورية الفارسية وكذلك في بلاد اليونان وسواحل البحر الأسود ومصر وربما وصل حتى جنوب إسبانيا. تتميز كتاباته التي وصلتنا عن إيران بأنها أقرب إلى الجغرافية التاريخية أو الوصف الجغرافي، فلقد كان أولاً وقبل كل شيء جغرافي، حتى أنه قد أطلق عليه «أبو الجغرافيا» ويعتبر من مؤسسي علم الجغرافيا، ألف كتاباً أسماه «خريطة العالم» أو «رحلة حول البحر» احتوى بجانب الوصف الجغرافي للبلدان والأقاليم دراسة لتاريخها، كما قدم قائمة بتتابع الملوك

(١) حسن پيرنيا: **المرجع السابق**، ص ٥٥.

(٢) محمد بيومي مهران: **دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم**، حـ ١، مصر، الكتاب الأول ـ التاريخ ـ الإسكندرية، ١٩٨٢، ص ٦١.

(٣) عبد العزيز صالح: **حضارة مصر القديمة وآثارها**، الجزء الأول، في الاتجاهات الحضارية العامة حتى أواخر الألف الثالث ق.م، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٢٤١.

والحكام وخاصة في آشور وميديا وفارس، وقيل أنه ضمنه خريطة لرحلته أو على الأقل ضمنه صورة من خريطة الفيلسوف الجغرافي أناكسيمندر الميليتي، وأثبت عليها البلاد التي زارها. (خريطة رقم ٤) وكان له مؤلف آخر يتصل بالتاريخ المبكر لليونان وهو «الأنساب». ولم تصل إلينا كتابات هيكاتيوس كاملة، ولكن وصلتنا فقرات فيها كتابات المؤرخين اللاحقين له، ويستدل مما وصلنا منها أنه مارس في كتاباته نوعاً من النظرة الناقدة للمعلومات التي تجمعت لديه [١].

٢ - أيسخولوس Aeschylus (٥٢٥/ ٤ - ٤٥٦ق.م):

كان أيسخولوس شاعراً ومؤلفاً مسرحياً تراجيدياً، ألف على الأقل ثمان مسرحيات، بقيت منها سبعة [٢]، ما يهمنا منها في دراستنا المسرحية التي كتبها عن الفرس، واعتمد في بعض ما كتبه على تجربته الشخصية في معركة ماراثون التي اشترك في القتال فيها عام ٤٩٠ق.م. وورد في هذه المسرحية كذلك بعض المعلومات عن معركة سلاميس التي جرت عام ٤٨٠ق.م والأحداث التي سبقتها مباشرة [٣]. ولقد كتب أيسخولوس مسرحيته عن الفرس بعد انتهاء معركة سلاميس بثماني سنوات [٤] أي في عام ٤٧٢ق.م.

وتبدأ المسرحية في القصر الملكي بسوسة، حيث نجد الملكة الأم، ورجال الحاشية تملؤهم الهواجس بعد أن انقطعت عنهم طويلاً أخبار الملك خشيارشا (كزركسس) وجيشه. ونجد رجال الحاشية الذين يكونون جوقة

---

(١) Bury, J. B., **The Ancient Greek Historians,** New York, 1958, pp. 11-18.

(٢) Radice, B., **Who's Who in the Ancient World,** London, 1971, p. 3.

(٣) سيد أحمد علي الناصري: **الإغريق، تاريخهم وحضارتهم**، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨١، ص ٢٤٨.

(٤) Hammond, N. G.L., "The Battle of Salamis", in **Journal of Hellenic Studies,** vol. Lxxvl (1956), p. 38.

الغناء في ثياب فخمة تجاوزت المألوف، لإعطاء فكرة عن فخامة البلاط الفارسي وبهائه. وصور أيسخولوس في مسرحيته نزعة الفرس إلى التطرف في الانفعال، وذلك حينما وصلت إليهم في القصر أخبار تدمير الأسطول الفارسي. ويحسب له أنه في مجال تصويره لمعركة سلاميس وصف الجنود الفرس بالشجاعة والإقدام(١).

٣ ـ شارون اللامبسكوسي Charon of Lampsacus :

عاش في بداية القرن الخامس قبل الميلاد، كتب عن تاريخ إيران القديم حتى حملة خشيارشا (كزركسس) التي كان معاصراً لها، ويعتبر مؤلفه من أوائل الأعمال التاريخية التي وصلتنا، وترهص بظهور الكتابة التاريخية. ولقد سمى شارون مؤلفه "Horoi of Lampsacus" وربما يفهم من هذا العنوان أنه قاصر على التاريخ الوطني لمدينته، ولكنه في الواقع كان أكثر اتساعاً وشمولاً، فرغم أن عمله عبارة عن حوليات تؤرخ لسنوات حكام مدينة Lampsacus ، إلا أنه سجل بالإضافة إلى الأحداث المحلية لهذه المدينة الأحداث الأخرى ذات الأهمية التاريخية العامة(٢).

٤ ـ ديونوسيوس الميليتي Dionysios of Miletos :

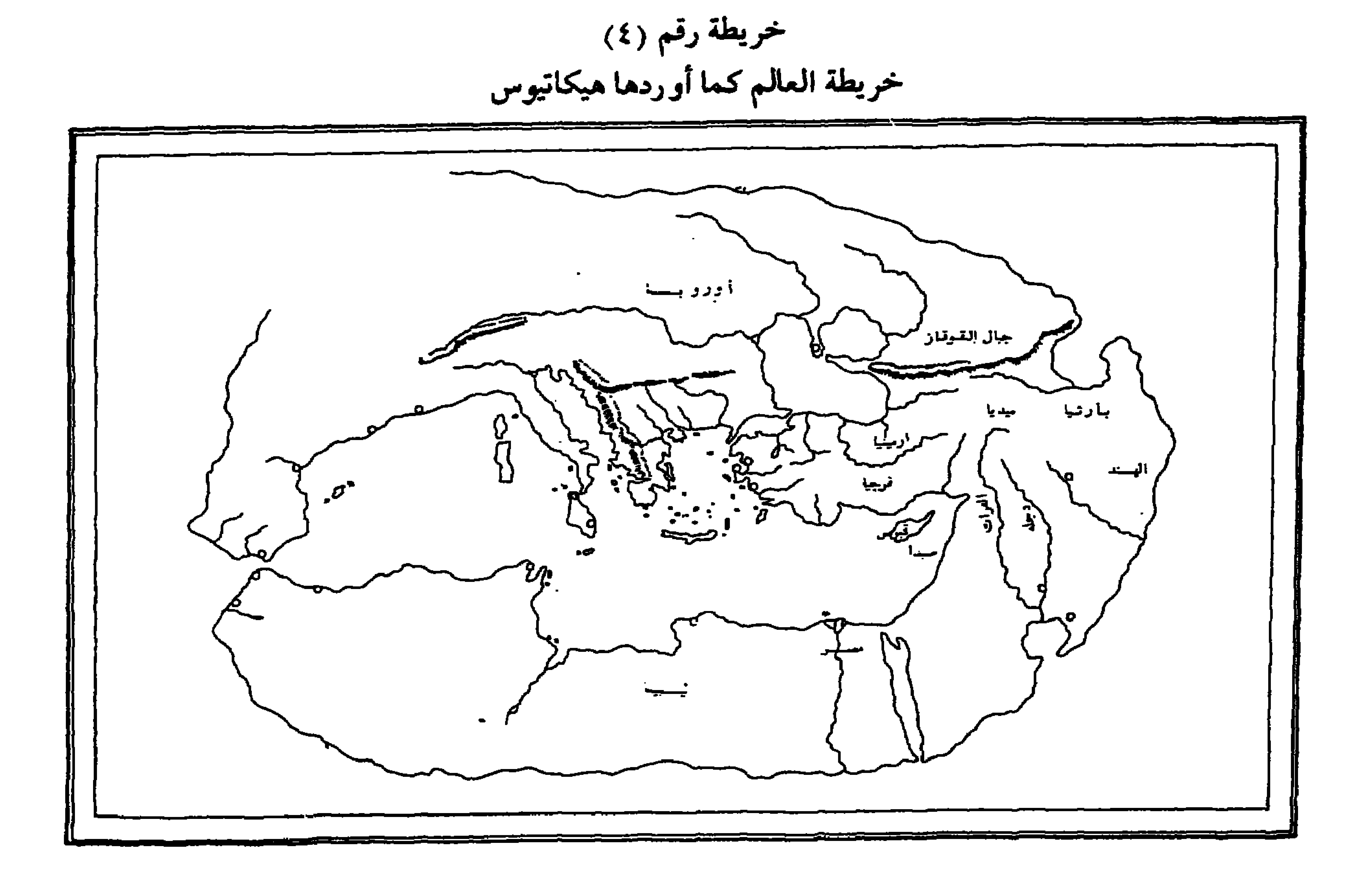
عاش في بداية القرن الخامس قبل الميلاد، ألف كتاباً عن تاريخ إيران القديم حتى وفاة داريوش، ويرجح أن يكون هيرودوت قد راجع كتابه، ويتجه بعض المؤرخين إلى الاعتقاد بأن هيرودوت قد اعتمد على ما جاء في كتاباته، بل ويذهب البعض إلى أبعد من ذلك فيدعون أن كل ما هو ذي قيمة في مؤلف هيرودوت إنما هو مأخوذ منه. ولكن هذه الآراء مبالغ فيها إلى حد ما، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب لعل من أهمها: إنه إذا كانت مؤلفات

(١) Aeschylus., **The Persians**, Translated by, S. G. Benardete, U. S. A., 1973, pp. 43-86.

(٢) Bury, J. B., op. cit., pp. 22, 29.

خريطة رقم (٤)

خريطة العالم كما أوردها هيكاتيوس



ديونوسيوس مهمة جداً، فلماذا اختفى معظمها دون أن نجد لها أثراً في الكتابات اللاحقة؟ ويضاف إلى ذلك أيضاً، أنه إذا كان هيرودوت قد اعتمد على ما جاء في كتاباته بشكل كبير، فإنه كان من المتوقع في هذه الحالة أن يستشهد بها بلوتارخ وغيره في محاولاتهم لهدم مؤلف هيرودوت [١]. ورغم كل ذلك، فإننا يمكننا الاستفادة مما تبقى من كتابات ديونوسيوس في دراسة تاريخ إيران القديم وذلك فيما يتصل بالحروب الفارسية اليونانية التي عاصرها.

٥ ـ هيرودوت Herodotus :

ولد هيرودوت عام ٤٨٤ق. م. حسبما يرى معظم المؤرخون [٢]، وإن كان هناك من المؤرخين من يجعل مولده قبل ذلك بخمسة أعوام [٣]. وكان مولده في مدينة هاليكارناسوس، وهي مدينة دورية في إقليم كاريا تدعى الآن Budrnn، في الركن الجنوبي الغربي من آسيا الصغرى. أما اسمه فهو في الغالب من الأسماء المركبة، فهو مركب من صدر وعجز، صدره «هيرا» وعجزه «دوت» أو «دوتاً» أي «أهدى» أو «أعطى»، وعلى ذلك فإن اسمه يفيد معنى «هدية هيرا» أو «عطاء هيرا» [٤].

وكان والداه من أصل نبيل، كما كان عمه أو خاله ويدعى «پانياس» من الشعراء المعروفين، والسياسيين، وقد تعرضت أسرته من جراء مشاركتها في السياسة التي اشترك فيها هو الآخر لألوان من المحن أثرت في حياته فهاجر إلى ساموس [٥] أو نفي إليها [٦] وأقام بها حتى بدأ رحلته التي جاب فيها

(١) Hignett, C., **Xerxes Invasion of Greece,** Oxford, 1963, pp. 12-13.

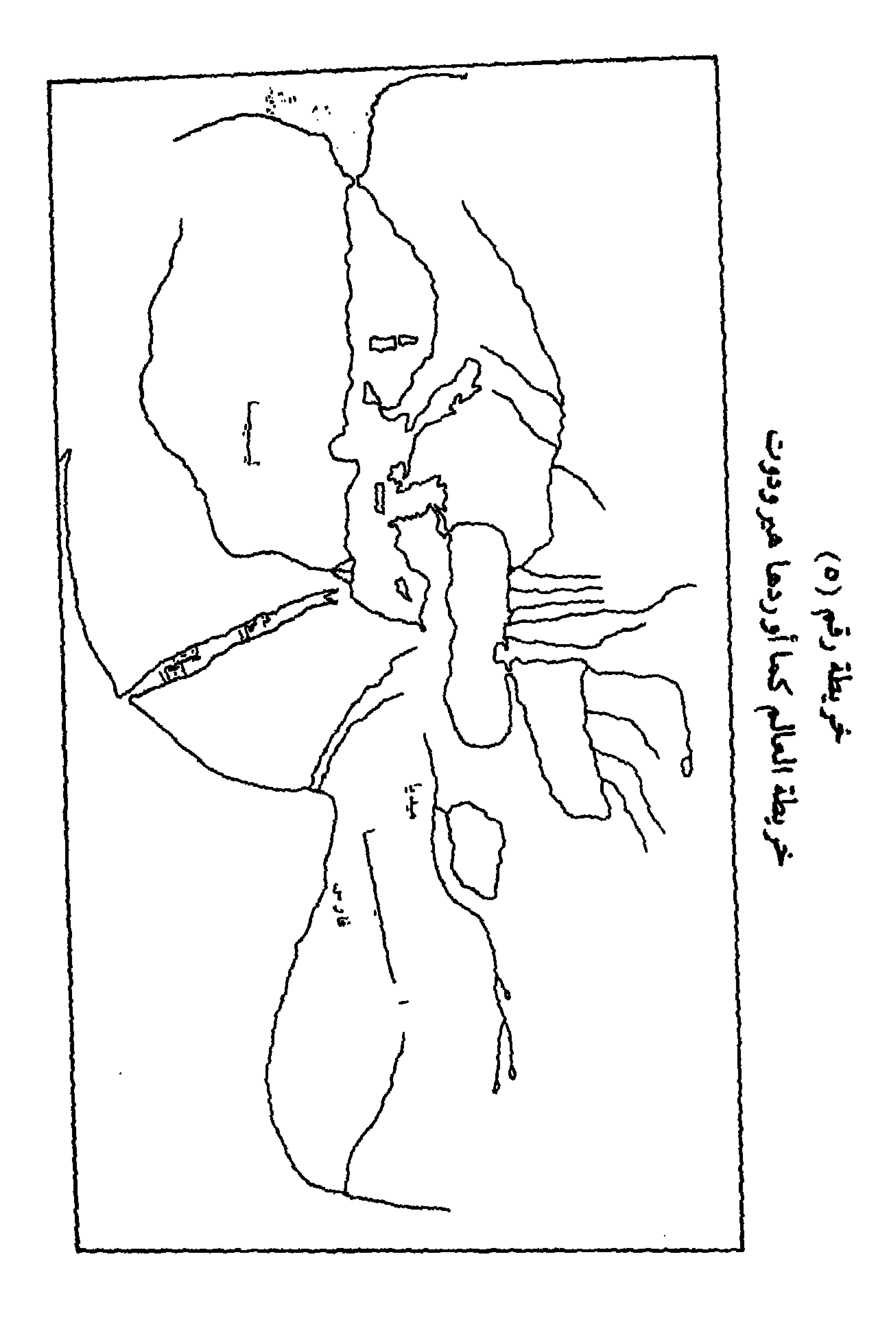
(٢) **Ibid.**, p. 25., Gardiner, A. H., **Egypt of the Pharaohs,** Oxford, 1961, p. 3.

(٣) أحمد بدوي: **هِرُدوت يتحدث عن مصر**، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٢.

(٤) نفس المرجع السابق، ص ١٢.

(٥) نفس المرجع السابق، ص ١٣.

(٦) Hignett, C., **op. cit.**, p. 26.



خريطة رقم (٥)

خريطة العالم كما أوردها هيرودوت

العديد من أقطار شرقي حوض البحر المتوسط، حيث زار مصر وسورية، بل وجاوز بابل وهمدان، ثم تنقل بين شواطىء البحر الأسود وجنوب روسيا، وبعد أن انتهى من رحلاته استقربه المقام أخيراً في مدينة ثوري Thurii بجنوب إيطاليا، وهي إحدى المستوطنات التي أقامتها أثينا في إيطاليا، حيث كان من أوائل مستوطنيها، وبقي فيها حتى أدركه الموت حوالي عام ٤٢٥ق.م[١]، حيث أن تاريخ وفاته غير معروف بالضبط، ومن ثم فإن المؤرخين يجعلونه بشكل تقريبي في أواخر الربع الأخير من القرن الخامس قبل الميلاد، إذ لا توجد أي إشارة في مؤلفه تدل على أنه قد عاش بعد سن الستين[٢]. وهناك بعض النظريات الحديثة التي ترى أنه قد عاد من ثوري إلى أثينا مرة أخرى عام ٤٣٢ أو ٤٣١ق.م[٣].

ويتضح من كتابات هيرودوت وأسلوبه أنه قد تأثر بالمعارف والثقافة الإغريقية، وبخاصة شعر الملاحم «ملاحم الأبطال» الذي شاع بين القرنين الثالث عشر والحادي عشر قبل الميلاد، وكذلك فن القصص المنثور الذي حل محل القصص المنظوم في بلاد اليونان في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد. ويذكر إيفانز[٤] أنه يبدو مما كتبه هيرودوت أنه اتبع خطى هومير، ويبدو ذلك جلياً من تصميم وخطة مؤلفه، وترتيب ونظام أجزائه، وروح وطبيعة أفكاره، وأخيراً، من عشرة آلاف مصطلح وكلمة استعملها.

---

(١) سيد الناصري: المرجع السابق، ص ٥.

ومما هو جدير بالذكر أنه نظراً لطول إقامة هيرودوت بهذه المدينة، فقد نسبه بعض المؤرخين إليها، فأسموه أحياناً «هيرودوت الثوري». انظر:

أحمد بدوي: المرجع السابق، ص ١٦.

(٢) ا. ج. إيفانز: **هيرودوت**، ترجمه أمين سلامة ومراجعة كمال الملاخ، ص ٧.

(٣) Hignett, C., op. cit., p. 26.

(٤) ا. ج. إيفانز: المرجع السابق، ص ٥.

وبالإضافة إلى ذلك، فلقد استفاد هيرودوت في مؤلفة من الكتابات التاريخية التي سبقته.

ويبدو مرجحاً - حسبما يرى Hignett [1] - أن هيرودوت حينما قام برحلاته الواسعة في بلاد اليونان وممالك الشرق القديم، كان هدفه في المقام الأول جمع المعلومات لعمله التاريخي الذي كان قد خطط له بالفعل. وبعد أن انتهى من جولاته أخذ معه إلى ثوري الملاحظات التي سجلها خلال رحلاته، والتحقيقات التاريخية التي أجراها، حيث شرع في كتابة مؤلفه، ورغم أنه قد أكمله، فأنه لم يقم بتنقيحه بصورة نهائية حينما واتته المنية [2].

ونظراً لاهتمامه الكبير بالصراع بين إيران وبلاد اليونان ومحاولته كتابة تاريخ الحروب الفارسية لغزو بلاد الإغريق، ذلك النزاع الذي بدأ بحملة ماردونيوس الأولى، وانتهى بحملة الملك خشيارشا (كزركسس) التي انهزم فيها الفرس، فإنه قد عمل على جمع العديد من المعلومات المتصلة بهذا الموضوع. ففي أثناء وجوده في آسيا الصغرى جمع الكثير من المعلومات عن الحرب التي دارت رحاها عام ٤٨٠ - ٤٧٩ق.م وذلك من اليونانيين الذين حاربوا في جانب الفرس. ومن المؤكد كذلك أنه قد اعتمد على المصادر الأدبية، ولكنها في المقام الأول ليست مصادر تاريخية، وعلى ذلك فإن المعلومات التي استقاها منها تصبح ذات أهمية ثانوية، وهي تتضمن أعمالاً عن الأنساب والجغرافية. ومن المحتمل أن يكون هيرودوت قد قرأ كتاب أيسخولوس عن الفرس واستفاد منه، وإن أضاف إليه بعض المعلومات التي أخذها من المصادر الشفوية.

---

(١) Hignett. C., op. cit., p. 28.

(٢) Hauvette. A., Herodote, **Historien des Guerres Mediques**, Paris, 1894, p. 47, 54, FF.

وعندما كان هيرودوت يكتب عن بلاد لم يقم بزيارتها، فإنه كان دائماً يحاول الحصول على معلومات من أولئك الذين قاموا بزيارتها وشاهدوها بأنفسهم، ومما لا شك فيه أنه قام بهذا العمل عندما قام بكتابة تاريخ الحروب الفارسية، فقد قام بسؤال من هم على قيد الحياة، كلما أمكنه ذلك، عن ذكرياتهم ومعلوماتهم عن الأحداث التي شاركوا فيها، إلا أنه لم يشر إلى أسماء هؤلاء الأشخاص إلا في القليل النادر.

ومن المصادر التي اعتمد عليها هيرودوت كذلك في دراسته للتاريخ الفارسي وتنظيمات الإمبراطورية الفارسية، المعلومات التي زودوه بها خلفاء أرتابازوس Artabazos أحد قواد الفرس في حملة خشيارشا (كزركسس) والذي عين فيما بعد حاكماً للمنطقة الشمالية الغربية لآسيا الصغرى[1].

ويشير هيرودوت في أكثر من موضع في مؤلفه أنه قد اعتمد في كتابة تاريخه على أساس أن يسجل كل ما يقوله الناس، ولكنه ليس ملزماً بتصديق كل ما يقال[2]. ومع ذلك، فهناك أحياناً روايات متنوعة وفي أغلب الأحوال متناقضة لحوادث خاصة، وإذا جمعها هيرودوت جميعاً، فإن كمية الروايات الشفوية في هذه الحالة تصبح السيطرة عليها غير ممكنة، وهو أحياناً يذكر العديد من الروايات المتضاربة جنباً إلى جنب، ويبدو أنه كان يلجأ إلى ذلك حينما يجد أحد الرأيين متعارض مع الآخر وأنه عاجز عن معرفة الحقيقة ليختار بين الآراء المتعارضة، أو قد يكون ذلك لرغبته في التأكيد على

---

(١) Hignett, C., op. cit., pp. 29-31.

(٢) انظر في ذلك ـ على سبيل المثال ـ ما ورد في كتابه الثاني الفقرة ١٢٣ والكتاب السابع الفقرة ١٥٢، انظر:

Herodotus, The Persian Wars, Translated by George Rawlinson, with an introduction by Francis R. B. Godolphin, N. Y., 1942, II. 123, p. 178., VII. 152, pp. 556-557.

أفضلية رواية آمن بها على الروايات الأخرى ، خاصة عندما يكون تواقاً إلى تكذيب رواية شعبية غير موافق عليها ، إلا أنه يلاحظ أنه في بعض الأحيان يكون تفضيله لرواية معينة لا يعتمد على اعتبارات تاريخية موثوق فيها ولها اعتبارها[١] . ويلاحظ كذلك أنه في ثنايا مؤلفة قد بحث في الجوانب الإيجابية للملوك والحكام الذين تعرض لهم ، مثلما بحث في جوانبهم السلبية ، وكان يصف الصفات الطيبة ، ثم قد يتبعها بأسطر مبتذلة[٢] . وأدى ذلك بطبيعة الحال إلى أن أصبح كتابه حاوياً للغث والثمين من المعلومات .

وسمى هيرودوت مؤلفه «تمحيص الأخبار»[٣] . والكتاب في صورته التي وصلنا إليها من حيث وضعه في تسعة أجزاء ليس من عمل هيرودوت ، ولكنه من عمل النحويين السكندريين ، الذين نسبوا كل جزء منها لإحدى عرائس العلوم والفنون من بنات «زيوس» التسع ، أما هيرودوت فإنه كان يشير إلى أجزاء كتابه بكلمة «الأحاديث» أو «الروايات»[٤] .

ولقد نسب الكتاب الأول إلى «كليو» Clio ربة التاريخ ، والكتاب الثاني إلى «يوتربي» Euterpe ربة الأغاني ، والكتاب الثالث إلى «ثاليا» Thalia ربة الكوميديا ، والكتاب الرابع إلى «ميلبومين» Melpomene ربة التراجيديا ، والكتاب الخامس إلى «تربسيخوري» Terpsichore ربة الرقص والكتاب السادس إلى «إراتو» Erato ربة الشعر الغزلي ، والكتاب السابع

---

(١) Hignett, C., op. cit., p. 32.

(٢) Waters, K. H., **Herodotos the Historian: His Problems, Methods and Originality**, Oklahoma, 1985, esp. pp. 119-151.

(٣) أحمد بدوي : **المرجع السابق**، ص ١٤ .

ويسجل لهيرودوت أنه أول من أطلق على العمل التاريخي الكلمة "Historia" التي تعني «الفحص» أو «البحث» واستعمل هذه الكلمة من بعده كل من كتب تاريخاً . انظر:

حسان حلاق: **مقدمة في مناهج البحث التاريخي**، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٣٦ .

(٤) أحمد بدوي : **المرجع السابق**، ص ١٦ - ١٧ .

إلى «بوليمنيا» Polymnia ربة الترانيم المقدسة، والكتاب الثامن إلى «أورانيا» Urania ربة الأجرام السماوية والكرة الأرضية، والكتاب التاسع ألى كاليوبي Calliope ربة الشعر الملحمي(١) .

ويرى J.B.Bury (٢) أن هذا التقسيم يتفق تماماً مع مضمون الكتاب، ولا يمكن إضافة شيء إليه، ولكنه يذكر أنه يمكن تقسيمه بشكل طبيعي إلى ثلاثة أقسام يضم كل واحد منها ثلاثة أجزاء: القسم الأول، أو الكتب الثلاث الأولى تتضمن عهود كل من كوروش وكمبوجيه (قمبيز) وتولى داريوش العرش. أما القسم الثاني، فأنه يتناول عهد داريوش، ويتناول القسم الثالث عهد خشيارشا. ويهتم القسم الأول بشكل رئيسي بآسيا متضمناً مصر، والقسم الثاني بأوربا، والقسم الثالث ببلاد اليونان.

ويرجح أن يكون هيرودوت هو أول من كتب قصة الحروب الفارسية بأسلوب تاريخي، ولكنه اعتمد فيما كتب على من سبقوه وبخاصة أن الرواية الشعرية التي ألفها إيسخولوس عن الفرس كانت تتردد في أثينا قبل كتابته لمؤلفه، كما لا يستبعد كذلك اعتماده على مؤلفات من سبقوه وبخاصة ديونوسيوس الميليتي وشارون اللامبسكي(٣) .

ويؤخذ على هيرودوت أنه اعتمد بشكل كبير على كتابات من سبقوه دون الإشارة إليهم، إذ لم يذكر منهم سوى هيكاتيوس فقط، وحتى حينما أشار إلى Scylas ، فإنه لم يشير إليه ككاتب، رغم أنه من الواضح أنه اعتمد عليه. ونظراً لفقدان معظم كتابات هؤلاء المؤرخين، فأنه من الصعب معرفة ما أضافه هيرودوت نفسه إلى البحث التاريخي(٤) . وكان لذلك أثره في

(١) سيد الناصري: المرجع السابق، ص ٣٠٥ حاشية «١».

(٢) Bury, J. B., op. cit., p. 38.

(٣) Ibid., pp. 67-68.

(٤) Ibid., p. 69.

تشكك الكثيرين في قيمة عمله، بل إن منهم من اتهمه صراحة بالسرقة والانتحال والكذب. ومن أوائل الذين اتهموه «بلوتارخ» (٤٦ ـ ١٢٠م) الذي رماه بالخبث[1]. ويؤخذ عليه كذلك جهله بلغات الشعوب التي كتب عنها وتحدث عن تاريخها، وقيامه بعمل واسع غير محدود، كما مال إلى إرجاع الحوادث التاريخية إلى مسببات مباشرة فقط، أو إلى دوافع فردية، وأغرق نفسه في عالم الخرافات الأسطورية، والغيبيات الدينية[2]. ومن نقاط الضعف كذلك عند هيرودوت الهنات الموجودة في تحديده لتواريخ الأحداث وبخاصة فيما يتصل بالجزء المبكر من تأريخه لبلاد اليونان[3].

وتوجد في كتاباته آثار من التحيز لا يمكن أنكارها، وإن كان هناك من المؤرخين من يرمون بدائرة اللوم على مصادر معلوماته وليس عليه هو، فيذكرون أنه قد بولغ بشكل كبير في هذا الموضوع، وأنه حيثما توجد آثار من التحيز فإنها توجد في الروايات كما تلقاها، وأنه لم يضعها كوثيقة أصلية، وأنه إذا ارتبط به لوم، فإنه يكون فقط بسبب عدم كفايته في دفاعه عن التحامل الممكن على مصادر معلوماته[4]. وحتى مع صحة هذا الرأي، فإن ذلك لا يعفيه إطلاقاً من المسئولية، فقد كان من المفروض عليه فحص المصادر التي يعتمد عليها وتقدير ما بها من معلومات.

ومما يحسب لهيرودوت، أنه رغم تقديره الكبير لطريقة اليونان في الحياة، فإنه قد استطاع تقدير المزايا الطيبة الموجودة في الشعوب المعادية بما في ذلك الفرس، فنراه يصف الشعب الفارسي بالنشاط والشجاعة والحيوية والمرح ورقة الأخلاق والذكاء، وأنه قادر على قول الحكم

(١) أحمد بدوي: المرجع السابق، ص ١٩.

(٢) سيد الناصري: المرجع السابق، ص ٣٠٦.

(٣) Hignett, C., op. cit., p. 34.

(٤) Ibid., pp. 36-37.

والأمثال في مواضعها الحقة ، وأنه قادر على الردود المقنعة[1] . ويشير إلى أنهم يدربون صبيانهم على ركوب الخيل والرماية بالقوس وقول الصدق من سن الخامسة وحتى العشرين ، وأن هذا الحب للصدق يتمثل في حرص الفرس على احترام المعاهدات ، وحرص ملوكهم على الوفاء بالوعود[2] .

وفيما يتصل بهيرودوت كمؤرخ عسكري ، فإن ناقديه تناولوه بقسوة في هذه الناحية ، ووصفوه بالجهل بالأمور العسكرية ، فهو لا يمكنه أن يقارن في هذا المجال مع ثوكوديدس ، ومع ذلك فإنه كان ملماً بالتكتيكات العسكرية اليونانية ، وكانت له إشارات صائبة عن الأساليب الفارسية في القتال البري ، أما وصفه للمعارك البحرية فكان أقل توفيقاً من وصفه للمعارك البرية ، وربما يرجع ذلك إلى المصاعب الكثيرة التي تحيط بعملية وصف المعارك البحرية[3] .

إن من السهل الإسهاب في الحديث عن ضعف هيرودوت كمؤرخ ، ولكن من المهم كذلك ، أن نذكر فضله الذي لا يمكن إنكاره ، فلقد كان رائداً في مجال كتابة التاريخ ، وكان لإنجازاته الفضل في تذليل الصعاب أمام من جاء بعده وبخاصة ثوكوديدس . وإذا نظرنا إلى مؤلفه من حيث اعتماده في كتابته على ارتياد الأماكن التي تستحق المشاهدة وتتصل بالأقاليم التي يتحدث عنها ، وعلى الروايات الشفوية لمن عاصروا الأحداث التي تتضمنها ، فإنه يكون قد أنتج كتاباً جيداً في التاريخ ، وتعتبر كتبه الثلاث الأخيرة التي تصف حملة خشيارشا من أنجح كتبه من وجهة النظر التاريخية ، وذلك نظراً لأنه تعامل مع أحداث تدخل في نطاق ذاكرة من عاصروها ونقل عنهم . وفي حالة وجود اضطراب في الروايات ، كان يأخذ مواضع

(١) **Herodotus**, I, 37 FF.

(٢) Lockhart, L., **op. cit.**, p. 321.

(٣) Hignett, C., **op. cit.**, p. 37-38.

الاضطراب ليراجع أدلتها بمهارته الممتازة ويزودها بفحوصه الشخصية على الواقع، وساعده على ذلك أن المظاهر السطحية لشمال ووسط اليونان كانت مألوفة لديه، كما يرجح أنه قد قام بزيارة المواقع التي حدثت فيها المعارك[١] .

وتجدر الإشارة إلى أن هيرودوت قد توصل من خلال محاولته البحث في أسباب قيام الحروب الفارسية إلى نظرية لها أهميتها، وهي فكرة الصراع بين الشرق والغرب، وذلك على أساس أن فارس تمثل الشرق واليونان تمثل الغرب[٢] .

ويمتاز أسلوب هيرودوت بالبساطة والسهولة، وكان يتحاشى استخدام المحسنات اللفظية والصور البلاغية، ويكثر من استعمال الكلمات الشائعة والمألوفة[٣] . ويرى J. B. Bury أنه هومير الحرب الفارسية، وأن هذه الحرب كانت أساس إلهامه[٤] ، ولذا فلا غرو إن أسماه الرومان "Pater Historiae" أي «أبو التاريخ» فهو رغم أخطائه التي وقع فيها والهنات الموجودة في مؤلفه، كان أول من جمع المادة ثم نقحها بقدر ما يستطيع، ثم صاغ منها مادته التاريخية في شكل مترابط وهادف[٥] .

ولعل من المفيد ـ فيما يتصل بهيرودوت ـ أن نورد الخريطة التي ألحقها هيرودوت بمؤلفه عن العالم، حتى نتبين منها مدى تصوره لمناطق الشرق القديم وبخاصة إيران. (خريطة٥) .

---

(١) Ibid., p. 33.

(٢) Godolphin, F. R. B., in Herodotus, **The Persian wars**, p. xx11.

(٣) أ. ج. إيفانز: المرجع السابق، ص ١٢ .

(٤) Bury, J. B., op. cit., p. 74.

(٥) سيد الناصري: المرجع السابق، ٣٠٦.

٦ ـ ثوكوديدس Thucydides (٤٦٠ ـ ٤٠٠ق . م تقريباً) :

ينتمي ثوكوديدس إلى إحدى الأسر النبيلة التي جاءت أصلاً من إقليم تراقيا في شمال بحر إيجة ، وكان والده ثرياً يمتلك العديد من مناجم الذهب في تراقيا ، درس ثوكوديدس الفلسفة والبلاغة في أثينا ، وكان بها عندما اندلعت الحرب البلوبونيزية عام ٤٣١ق . م . وفي عام ٤٢٤ق . م عين ضابطاً كبيراً في قيادة الحرب ضد إسبرطة ، وأدت هزيمته إلى طرده من الخدمة العسكرية ونفيه من مدينة أثينا ، حيث قضى في المنفى عشرين عاماً عاد بعدها ألى أثينا عام ٤٠٤ق . م . وعمل ثوكوديدس أثناء فترة منفاه على دراسة الحروب البلوبونيزية وتحليل أسبابها ونتائجها ، فزار المناطق التي دارت عليها رحى الحرب ، وتمكن من جمع مادة علمية غزيرة مكنه من جمعها صلات أسرته القوية في أثينا ، وساعده على تفهمها ثقافته العسكرية واشتراكه في هذه الحرب . وظل ثوكوديدس بأثينا حتى وافته المنية بها . وتختلف الآراء حول عام وفاته ، ولكن من المؤكد أنه لم يبق على قيد الحياة بعد عام ٣٩٦ق . م . وقد توفي قبل أن يتم كتابة مؤلفه التاريخي[١] الذي بلغ ثماني مجلدات ، وكان آخر ما سجل فيه الانتصار الخاطف للأسطول الأثيني عام ٤١١ق . م[٢] .

وقدم ثوكوديدس في مؤلفه مستوى جيداً في دقة عرض الحقائق ، ونموذجاً جديداً لبحث التاريخ ، فقد أراد أن يسجل عرضاً تاريخياً له قيمة خالدة ، وهو يُذكر قراءه أنهم سوف لا يجدون في تأريخه شيئاً من الأساطير . وكان حريصاً على عدم ذكر رواية هو في شك منها ، وفي الحالات

(١) Thucydides, **History of the Peloponnesian War**, vol, I., with an English Translation by C. F., Smith, London, 1962, p. VII ff.,

Bury, J. B., **op. cit.**, pp. 75-77.

(٢) سيد الناصري : المرجع السابق ، ص ٣٢٠ .

القليلة التي أورد فيها أخباراً ونفى عنها صفة اليقين، كان يلحق بها عبارة «كما يقال» حتى يجعل الأمر في دائرة الاحتمال. وقد امتاز ثوكوديدس بمقدرة فذة على النقد العقلي والمنطقي، واستطاع أن يرتقي بكتابة التاريخ، حتى ليمكن اعتباره مؤرخاً علمياً بمعنى الكلمة[1] .

وفيما يتصل بالحروب الفارسية، فلقد ألقى عليها بعض الضوء في مؤلفه، وجاءت هذه الإشارات بشكل عارض، وأورد في كتابه الثامن نصوصاً كاملة للمعاهدات المبرمة ما بين فارس وإسبرطة، ويرجح أنه قد قابل بعض من شهدوا هذه الحروب، ويلاحظ أنه قد انتقد هيرودوت عدة مرات دون الإشارة إليه بالاسم، وإن كان قد وافق على ما جاء عند هيرودوت ويتصل بالحرب الكبرى دون مناقشة، رغم ما تعرضت له من نقد بعد ذلك[2] .

٧ ـ كتسياس Ktesias :

كان طبيباً في بلاط الملك أردشير الثاني[3] الذي أطلق عليه اليونان ارتكسركسيس الثاني Artaxerxes II (٤٠٤ ـ ٣٦٠ق. م) وصاحبه في معركة كوناكسا Kunaxa عام ٤٠١ق. م، وبعد ذلك بعدة سنوات عاد إلى بلاد اليونان حيث كتب مؤلفه Persika في ثلاثة وعشرين كتاباً، ولكن للأسف لم يبق منه شيء، ولكن الموجز الذي كتبه عنه Photios كان مطولاً بدرجة تكفي لتكوين فكرة طيبة عن طبيعة هذا المؤلف. ويتضح منها أنه اعتمد على

(١) فيما يتصل بمنهجه في التاريخ والقواعد والأسس التي قام عليها، انظر:

Finely, J. H., **The Complete Writings of Thucydides, The Peloponnesian War**, N. Y., 1951, p. VII ff.,

Bury, J. B., **op. cit.**, p. 81 ff.

(٢) Hignett, c., **op. cit.**, pp. 7-8.

(٣) كان اسمه قبل تولي العرش «أرشك».

الروايات الشفوية التي سمعها من الفرس وذلك فيما يتصل بالأحداث السابقة لعهده والتي جاءت في كتابه الأول[1] ، أما في الفترة التي عاصرها ، فإن كتاباته جديرة بالتقدير والاهتمام ، ويرجح أن يكون قد أنهى مؤلفه بأحداث عام ٣٩٨ ـ ٣٩٧ق . م[2] .

٨ ـ أكسينوفون Xenophon (٤٢٩ ـ ٣٥٤ق . م تقريباً)[3] .

نشأ اكسينوفون في أسرة أثينية عريقة ، كان فيها رجال الحرب والفلاسفة والمؤرخون والأدباء . وهو من المؤرخين الكلاسيكيين القلائل الذين حفظت أعمالهم . وهو يتميز بجانب قدراته التاريخية بمعرفته بفنون كثيرة من المعرفة كالاقتصاد والاجتماع والسياسة والشؤون العسكرية ، وكان في شبابه من أتباع سقراط (٤٩٦ ـ ٣٩٩ق . م) ومعتنقي أفكاره . كتب العديد من المؤلفات التاريخية ، ولكنه كان يميل إلى الوصف والعرض العام للتاريخ ، فلم يكن باحثاً عميقاً يهتم بالتحليل الدقيق والتفسير المنطقي للأحداث التاريخية ، حاول إكمال أعمال ثوكوديدس فسجل تاريخ اليونان منذ عام ٤١٢ق . م وحتى عام ٣٦٢ق . م . وذلك في مؤلفه الذي أسماه «تاريخ الهيلينيين Hellenica »[4] إلا أنه لم يبلغ في كتابته إلى مقدرة وكفاية ثوكوديدس . ومن أعماله الأخرى التي تهمنا في مجال دراستنا لتاريخ إيران القديم مؤلفه المعروف باسم «الأناباسيس Anabasis » أو «الصعود» أي التوغل في أعالي الشرق داخل قلب آسيا الصغرى ، وإلى قلب الإمبراطورية

---

(١) **Ibid.**, pp. 9-10.

(٢) **Ibid.**, p. 9 no. 2.

(٣) Miller, W., in **Xenophon Cyropaedia**, vol. I, London, 1960, p. VII-xIII., Bury, J. B., **op. cit.**, pp. 151-154.

(٤) Xenophon, **Hellenica**, Books VI-VIII, with an English Translation by, C. L. Brownson, London, 1961, pp. 1-225.

الفارسية فيما وراء دجلة والفرات[1] ، وهو يصف فيه سيرة الأمير الفارس كوروش الذي كان «سترابا» على آسيا الصغرى ، واستطاع أن يجند جيشاً من المرتزقة الإغريق ، كان من بين صفوفه اكسينوفون ، للإطاحة بأخيه الأكبر أرتاكسركسيس الذي تولى العرش بعد والده داريوس الثاني ، وقدم اكسينوفون وصفاً رائعاً لهذه الحملة منذ قيامها وما صادفها من أهوال بعد مقتل كوروش ، إذ تولى اكسينوفون قيادة الجنود الإغريق في طريق العودة من فارس إلى بلاد اليونان.

ويعتبر هذا المؤلف الذي سجل فيه اكسينوفون يوميات هذه الحملة من أنجح كتبه التي ألفها ، فقد تمكن فيه من التعبير عن العديد من المشاعر الإنسانية ، وهو حافل بالشجاعة والمغامرة والنظام والتصرف العاقل الرزين في مواجهة الأخطار ، كما أنه سجل تاريخي معاصر للأحداث التي مرت بالإمبراطورية الفارسية بعد وفاة داريوس الثاني وصراع أولاده على العرش . ولقد تتبع في مؤلفه تربية كوروش منذ طفولته ، وأشار في ثنايا ذلك إلى نظام التعليم في فارس في مراحله المتعددة ، كما أشار إلى الرحلات التي قام بها كوروش وبعض هواياته بتفصيل كبير ، وذلك في الجزء الأول من مؤلفه Cyropaedia [2] .

٩ - إفوروس Ephoros (حوالي ٤٠٥ - ٣٣٠ق . م) :

يتكون مؤلف إفوروس عن تاريخ العالم من تسعة وعشرين كتاباً ، كل كتاب منه يكون وحدة مستقلة في حد ذاته ولكل كتاب مقدمة خاصة به ، وأضاف ابنه إليها الكتاب الثلاثين وهو يؤرخ حتى حصار بيرنثوس

---

(١) Xenophon, **Anabasis**, Books I-III, with an English Translation by C. L. Brawnson, London 1961, pp. 229-493., Books IV-VII, pp. 1-371.

(٢) Xenophon, **Cyropaedia.**, with an English Translation by W. Miller, London, 1960, pp.1-129.

(٣٤٠ - ٣٣٩ق.م)[١]. وعلى ذلك فإنه يتبـع نظام الحوليـات التاريخة، إذ يبدو أن إفوروس كانت لديه معرفة بما كتب في التاريخ والجغرافية، وكـان مقتنعاً تماماً بقيمة المصادر الأصلية للمعلومات. وتمتع بمقـدرة كبيرة في التحليل والنقد التاريخي، وتوصل من خلال قواعد النقد التاريخي التي انتهجها إلى عدم الاهتمام نهائياً بالعصور المبكرة التي غلبت عليها الأساطير، ولذا فقد بدأ مؤلفه التاريخي بالغزو الدوري لبلاد اليونان.

ولقد تأثر إفوروس في كتابته لمؤلفـه بإيسوقـراط Isocrate [٢] الـذي تتلمذ عليه، ومن مظاهر هذا التأثر التي يمكن ملاحظتها اعتراض سياق القصة بأمثال أخلاقية لا قيمة لها، وكذلك إدخال خطب إيسوقراط على الأحـداث التاريخية حتى عندما يواجه الجيش الأعداء، وكذلك الاتجاه للإطراء[٣] .

وتعتبر كتابات إفوروس عن الحروب الفارسية من أهـم ما كتـب عن هذه الحروب في القرن الرابع قبل الميلاد. ورغم أن الجزء الذي تحدث فيه عن هذه الحروب لم يصل إلينا، ألا أن العلماء الحديثيين يتفقون على أن ديودورالصقلي قد اعتمد عليه اعتماداً كامـلاً وذلك في فصول مؤلفه المتصلة بالحروب الفارسية وذلك في كتابه الحادي عشر[٤] . فلقد كان إفوروس هو المصدر الأول لديودور الصقلي، كما ظل تأثيره قويـاً كذلك على المؤرخين الرومان إبان عصر الإمبراطورية[٥] .

(١) Bury, J. B., op. cit., p. 163, no. 1.

(٢) إيسوقراط (٤٣٦ - ٣٣٨ق.م) خطيب أثيني اشتهر بخطبه القانـونية، كمـا كانـت له آراؤه السياسية التي عبر عنها في مقالاته العديدة التي ألفها، وقد افتتح مدرسة في أثينا كان من بين تلامذتها إفوروس، ويعتقد أنه قد قتل نفسـه بعـد هزيمـة الإغـريق أمـام فيليب في موقعـة خايرونيا. انظر:

Radice, B., op. cit., p. 74.

(٣) Bury, J. B., op. cit., p. 164.

(٤) Hignett, C., op. cit., p. 14.

(٥) سيد الناصري: المرجع السابق، ص ٥٨٥.

١٠ ـ تيمايوس Timaeus (٣٤٠ ـ ٢٥٦ق . م) :

عاش تيمايوس في وقت حدثت فيه متغيرات سياسية كثيرة ، فقد ولد قبل موقعة خايرونيا بعامين ، وظل على قيد الحياة حتى اندلاع الحرب البونية الثانية ، ولقد نفي من صقلية عام ٣١٧ق . م لأسباب سياسية حيث وجد في أثينا وطناً جديداً له ، وبقي فيها حتى توفاه الأجل ، ولقد كرس حياته في أثينا لكتابة تاريخ صقلية وإيطاليا ، فقام بزيارة العديد من المناطق للحصول على مصادر لمادته التاريخية . ويقع مؤلفه في ثلاثة وثلاثين كتاباً ، ووصل في تأريخه حتى عام ٢٦٤ ق . م[١] ، وتعرض في ثنايا مؤلفه للحروب الفارسية[٢] ، ويستطيع الباحث الاستعانة بما جاء في مؤلفه ويتصل بهذا الموضوع .

١١ ـ ديودور الصقلي Didorus Siculus (حوالي ٨٠ق . م ـ ٣٠ق . م) :

كتب مؤلفا في التاريخ العام ، أوتاريخ العالم بعنوان «المكتبة التاريخية Bibliotheke » وتناول فيه تاريخ العالم منذ العصور الأسطورية وحتى ٦٠ ـ ٥٩ق . م . ويقع مؤلفه في أربعين كتاباً ، لم تصلنا منها كاملة سوى الكتب من ١ ـ ٥ ، ١١ ـ ٢٠ ، ووصلت شذرات من بقية الكتب ٢١ ـ ٤٠ ضمن مؤلفات اللاحقين . وما يهمنا في مجال دراستنا لتاريخ إيران القديم كتبه من ١١ ـ ٢٠ وهي التي وصلتنا كاملة ، وقد استعرض فيها تاريخ الفترة من عام ٤٨٠ ـ ٣٠٢ق . م وتناول فيها الحروب الفارسية ، وقد استقى معلوماته من العديد من المؤرخين وبخاصة هيكاتيوس وإفوروس[٣] كما سبق القول .

١٢ ـ سترابو Strabo (حوالي ٦٣ق . م ـ ٢١ق . م) :

ولد سترابو في أماسيا في بونتوس وذلك حوالي عام ٦٤ أو ٦٣ق . م ،

(١) Bury, J. B., op. cit., pp. 167-169.

(٢) Hignett, C., op. cit., p. 18.

(٣) عبد اللطيف أحمد علي : مصادر التاريخ الروماني ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٦٠ ـ ٦١ .

ورث عن أسرته ثراء عريضاً مما مكنه من القيام برحلاته الكثيرة ، وتتميز كتاباته بأنها من نوع الجغرافية التاريخية ، وينقسم مؤلفه إلى سبعة عشر جزءاً وزع عليها أقاليم العالم ، وتتميز كتاباته بالموضوعية والبعد عن العاطفة ، زار كثيراً من أقاليم الإمبراطورية الرومانية ، وكان أول رحلة يقوم بها إلى روما ، وكان ذلك في عام ٤٤ق . م ، وعمره حينذاك لم يناهز التاسعة عشرة أو العشرين ، وزار مصر عام ٢٥ق . م ، حيث تتبع مجرى النيل جنوباً حتى أثيوبيا ، ولقد عاش بالإسكندرية ما يزيد عن خمس سنوات نهل فيها من مكتبتها الشيء الكثير وهو الأمر الذي انعكس في كتاباته[١] . ولقد وصف الكثير من المناطق التي شهدت الحروب الفارسية وسجل بعض أخبارها[٢] : وتحدث عن الخليج الفارسي أو البحر الفارسي ، حيث اعتبره أحد أربعة خلجان كبرى[٣] ، وأشار إلى الفرس ولغاتهم وعاداتهم وديانتهم وبعضاً من تاريخهم ، وذلك في كتابه الخامس عشر ، ولقد أشار إلى الهخامنشيين (الإخمينيين) بقوله إنهم دون سائر البرابرة جميعاً خير من يعرفهم اليونان ، فإن أحداً غيرهم من البرابرة الذين حكموا آسيا لم يسيطر مثلهم على بلاد اليونان ، كما أنهم يضارعون اليونان في قدرتهم على تقبل حضارة المدن[٤] .

١٣ - ديونيسيوس الهاليكارناسي Dionysius Halicarnassius (حوالي ٦٠ق . م - ٧ق . م) :

وفد من مسقط رأسه بآسيا الصغرى إلى روما حوالي عام ٣٠ق . م ،

(١) Jones, H. L., in **The Geography of Strabo**, vol. I, London, 1960, pp. XI-XXVIII.

(٢) Hignett, C., **op cit.**, p. 19.

(٣) Strabo, **The Geography of Strabo**, with an English Translation by H. L. Jones, London, 1960, Book II, 18, p. 467.

(٤) Strabo, **The Geography of Strabo**, with an English Translation by H. L. Jones, London, 1961, Book XV, pp. 155-189.

كتب مؤلفاً في التاريخ بعنوان «الآثار الرومانية Romaike Archaiologia » في عشرين كتاباً، واتبع فيه طريقة الحوليات مستعرضاً فيه تاريخ روما منذ تأسيس المدينة حتى بداية الحرب البونية الأولى عام ٢٦٤ق.م، وليس لدينا من مؤلفه سوى الكتب من ١ ـ ١٠ ومعظم الكتاب الحادي عشر، وفقرات من بقية الكتب[١] .

ومما يسجل له أنه سجل في مؤلفه العديد من مؤرخي القرن الخامس قبل الميلاد والذين لم تصل أعمالهم إلينا، وكان لمؤلفاتهم قيمة عظمى في تزويد الكتاب اللاحقين لهم بمعلومات عن الحروب الفارسية لم تكن واردة في مؤلف هيرودوت[٢] .

١٤ ـ بلوتارخ Plutarch (حوالي ٤٦م ـ ١٢٠م):

نستمد معلوماتنا عن بلوتارخ من الإشارات المتفرقة التي وردت عنه في كتاباته، ولا يمكن تحديد سنة مولده أو سنة وفاته بالضبط، وحتى اسم والده فإنه غير معروف، ولقد ولد في بلدة خيرونيا في شمال إقليم بويوتيا في بلاد اليونان، درس الفلسفة ولا سيما الفلسفة الأخلاقية والعلوم الطبيعية والبلاغة في أثينا، ثم رحل إلى روما حيث تعلم اللاتينية[٣] .

وفيما يتصل بكتاباته عن تاريخ أيران القديم، فيعتبر بلوتارخ من أكفاء المؤرخين بعد إفوروس الذين كتبوا عن الحروب الفارسية، حيث اعتمد في كتابته على مصادر عديدة معاصرة. ويرجع الفضل إليه في حفظ العديد من المعلومات الهامة التي ترجع إلى الحروب الفارسية[٤] . ولقد أشار كذلك

---

(١) عبد اللطيف أحمد علي: **المرجع السابق**، ص ٦.

(٢) Hignett, C., **op. cit.**, p. 10.

(٣) Plutarch, **Moralia**, vol. I, with an English Translation by F. C. Babbitt, London, 1960, p. IX ff.

(٤) أشار إلى الحروب الفارسية في العديد من مقالاته، ومنها مقالته التي أسماها «القصص =

في مقالته التي أسماها "Regum Et Imperatorum Apopthegmata" (أقوال الملوك والقواد)، إلى العديد من ملوك الفرس[1] .

ثالثاً: المصادر المعاصرة

يعتمد الباحث في دراسته لتاريخ إيران القديم على المصادر المعاصرة في منطقة الشرق القديم، فلقد ألقت الوثائق والتسجيلات التاريخية التي كشف عنها في العديد من مناطق الشرق القديم الكثير من الضوء على تاريخ إيران القديم وبخاصة أثناء الفتوحات الفارسية، ومن أهم هذه المصادر النقوش السومرية التي أمدتنا بالكثير من المعلومات عن الأحوال السياسية والحضارية في الهضبة الإيرانية، فقد اتصلت سومر منذ أقدم العصور بالهضبة الإيرانية لحاجتها للمواد الخام والمعادن الموجودة بها، وساعد على ذلك قرب سومر من عيلام إذ لا تزيد المسافة بينهما عن مائة ميل وسهولة الاتصال بينهما، وأدى ذلك إلى وجود كثير من أوجه التشابه في الإنتاج الحضاري بينهما وهو ما يظهر بوضوح في الأواني الفخارية[2] ، كما وردت في النقوش الآشورية والبابلية الكثير من الإشارات إلى تاريخ إيران القديم، وهي توضح طبيعة العلاقات السياسية ما بين إيران والعراق.

وبالإضافة إلى المصادر النصية العراقية، فإن الباحث يعتمد كذلك على ما ورد في المصادر النصية المصرية وبخاصة أثناء فترة الاحتلال الفارسي لمصر. ومن هذه النقوش، النقش الخاص بالملك داريوش

= اليونانية والرومانية المتقابلة "Parallela Graeca et Romana". انظر:

Plutarch, **Moralia**, vol. IV, with an English Translation by F. C. Babbet, London, 1962, p. 253 ff.

(1) Plutarch, **Moralia**, vol. III, with an English Translation by F. C. Babbett, London, 1961, p. 8 ff.

(2) Iliffe, J. H., **op. cit.**, pp. 3-4.

والمتعلق بالقناة التي أمر بحفرها لربط البحر الأحمر بالبحر المتوسط، وتوضح النسخة المصرية لهذا النقش سلوك داريوش مع البلاد التابعة له .

رابعاً : المصادر الدينية

أ ـ التوراة :

التوراة أو «التورة» كلمة عبرية تعني الهداية والإرشاد، ويقصد بها الأسفار الخمسة الأولى (التكوين والخروج واللاويون والعدد والتثنية) والتي تنسب إلى موسى عليه السلام، وهي جزء من العهد القديم ، والذي يطلق عليه تجاوزاً اسم «التوراة» من باب إطلاق الجزء على الكل ، أو لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى ـ عليه السلام ـ، والتوراة أو العهد القديم ـ تمييزاً له عن العهد الجديد كتاب المسيحين المقدس ـ هو كتاب اليهود الذي يضم إلى جانب تاريخهم ، عقائدهم وشرائعهم[1] .

وقسم أحبار اليهود العهد القديم إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ الناموس : وهو أسفار موسى الخمسة .

٢ ـ الأنبياء : وهم الأنبياء الأولون أي يشوع والقضاة وصموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثاني. والمتأخرون وينقسمون إلى الأنبياء الكبار : وهم أشعياء وأرمياء وحزقيال. والأنبياء الصغار وهم : هوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجى وزكريا وملاخي .

٣ ـ الكتب : وهي المزامير والأمثال وأيوب ونشيد الإنشاد وراعوث والمراثي

---

(١) قدم الأستاذ الدكتور محمد بيومي مهران دراسة مفصلة عن التوراة في مؤلفه القيم :
محمد بيومي مهران : **دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم**، حـ ١٠ ، اسرائيل ، الكتاب الثالث، الحضارة، الإسكندرية، ١٩٧٩، ص ١ ـ ٣٨٠.

والجامعة وأستير ودانيال ونحميا وعزرا وأخبار الأيام الأول والثاني[1] .

هذا وقد تحدثت التوراة في كثير من أسفارها عن الفرس وعلاقتهم بالإسرائيليين، كما جاء في أسفار التكوين وأشعياء وأستير ودانيال ونحميا وعزرا وأخبار الأيام الأول والثاني.

إلا أنه يلاحظ أن الصورة التي ترسمها التوراة للفرس تنطوي عامة على محاسن كثيرة، ولكن يجب أن نحتاط فلا نصدق كل ما ورد في أسفارها عن فارس وملوكها وأهلها، فقد أظهر كوروش وبعض خلفائه تسامحاً مع اليهود وعطفاً عليهم، فلا غرو أن يتحدث هؤلاء خيراً عن الفرس، ويظلوا أوفياء لهم زمناً طويلاً. فعندما فتح كوروش بابل عام ٥٣٩ق.م سمح لليهود المنفيين فيها بالعودة إلى فلسطين والاستقرار فيها. وفي عهد داريوش أصدر مرسوماً أيد فيه مرسوم سلفه فتمت إعادة بناء المعبد في السنة السادسة من حكمه[2] .

وعبر العديد من أسفار التوراة ـ على سبيل المثال ـ عن هذه الحالة، فقد أشار سفر عزرا إلى الأمر الذي أصدره كوروش بعودة اليهود من المنفى: «هكذا قال كوروش ملك فارس: جميع ممالك الأرض دفعها إلى الرب إله السماء، وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا، من منكم من كل شعبه ليكن إلهه معه ويصعد إلى أورشليم التي في يهوذا فيبني بيت الرب إله إسرائيل هو الإله، الذي في أورشليم»[3] .

ويتضح في مكان آخر الاحترام الشديد الذي عومل به كوروش، فقد جاء في سفر أشعياء: «هكذا يقول الرب فاديك وجابلك من البطن. أنا الرب

(١) فؤاد عقاد: قاموس الكتاب المقدس، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧١، ص ٧٦٤.

(٢) عزرا: الإصحاح السادس.

(٣) عزرا: ١: ٢ ـ ٤.

صانع كل شيء ناشر السموات وحدي باسط الأرض . . . القائل عن أورشليم ستعمر ولمدن يهوذا ستبنين وحربها أقيم . . . القائل عن كوروش راعي فكل مسرتي يتمم»[1] . إلا أنه يتضح مما ورد في التوراة ويتصل بتاريخ إيران قبل العهد الهخامنشي، أن كاتبي التوراة لم تكن لديهم دراية كافية به، ولذلك جاءت معلوماتهم عنه مشوبة بالاضطراب إلى حد كبير.

وتجدر الإشارة، أننا حين نتعامل مع التوراة كمصدر تاريخي أن نتخلص تماماً من الهالة التي أسبغها عليها المؤمنون بها، وأن ننظر إليها كما ننظر إلى غيرها من المصادر التاريخية، وأن نناقش ما جاء بها، نتقبل ما تقوله بصدر رحب إن كان يتفق مع الأحداث التاريخية، ويوافق المنطق والمعقول، ونرفضه حين تذهب بعيداً عن ذلك[2] .

ب : الكتب الدينية الفارسية :

يعتبر الأوستا أو الأبستاق كتاب الزْرتشتيين الديني نسبة إلى زرتشت من أهم الكتب الدينية الفارسية القديمة. ولم يتمكن العلماء من تحديد الوقت الذي عاش فيه زرتشت على وجه اليقين، وكذلك المنطقة التي نشأ فيها، والوقت الذي كتب فيه الأوستا، وإن كان معظم العلماء يتجهون إلى الأخذ بالرأي الذي نادى به جاكسون A. V. W. Jackson [3] وهو أن زرتشت قد ولد في النصف الثاني من القرن السابع ق.م وتوفي في النصف الأول من القرن السادس ق.م. وهناك من الباحثين من يرجع الفترة التي ظهر فيها زرتشت إلى حوالي عام ١٠٠٠ق.م . إن لم يكن قبل ذلك[4] . بينما يتجه

(١) أشعياء : ٤٤ : ٢٤ ـ ٢٨ .

(٢) محمد بيومي مهران : المرجع السابق، ص ٢٦٣ ـ ٢٩٦ .

(٣) Jackson, A. V. W., **Zoroaster**, the Prophet of Ancient Iran, N. Y., 1919.

(٤) من هؤلاء الباحثين، انظر:

Meyer, E., in **Encyclopaedia Britannica**, 11th Ed., xx1, 205 b.

بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأنه قد ظهر في النصف الثاني من القرن السادس ق.م[1] .

أما عن المكان الذي نشأ فيه، فكان الرأي يتجه إلى أنه ولد في بلخ، ولكن الرأي الغالب أنه ولد في منطقة آذربيجان وفي شيز على وجه التحديد، هذا ويذكر بعض المؤرخين الإسلاميين كالبلاذري[2] وابن الفقيه[3] والمسعودي[4] وأبي الفداء[5] أن زرتشت من آذربيجان وأنه ولد في (أرميه) ، وعلى ذلك فإنه طبقاً للروايات الزرتشتية والإسلامية وأقوال غالبية المستشرقين يكون موطن زرتشت في غربي إيران، ومن هناك هاجر شرقاً إلى بلخ حيث قام بنشر دعوته[6] .

ويتجه بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن الموجود بين أيدينا من الأوستا القديمة هو ما يعادل ربعها فقط، وأن الباقي مفقود، وطبقاً لما ورد في كتاب «دينكرت» (أحد الكتب البهلوية المشهورة) فإن الأوستا التي كانت موجودة في العصر الهخامنشي قد احترقت عندما أشعل الإسكندر المقدوني النيران في قصر الحكم، وحصل اليونانيون على نسخة أخرى لها وترجموا أقسامها العلمية الخاصة بالطب والنجوم إلى اللغة اليونانية وألقوها بعد ذلك في

---

(١) من هؤلاء الباحثين، انظر:

Gray, G. B., "The Reign of Darus" in C. A. H., vol. IV, Cambridge, 1930, p. 207.

(٢) البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر): **فتوح البلدان**، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٤٦٢.

(٣) ابن الفقيه (أبي بكر أحمد بن محمد الهمذاني): **مختصر كتاب البلدان**، ليدن، ١٣٠٢هـ، ص ٣٨٥.

(٤) المسعودي (أبي الحسن علي بن الحسين بن علي): **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٢٢٩.

(٥) أبو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل): **كتاب المختصر في أخبار البشر**، الجزء الأول، بيروت، ١٩٥٦، ص ٥٩.

(٦) أمين عبد المجيد بدوي: **المرجع السابق**، ص ٢٩ ـ ٣٠.

النار، وفي العصر الساساني تم جمع ما حذف من الأوستا من علم الطب والنجوم والفلسفة والجغرافيا من اليونان والهند وأضيف إليها، وتم الاعتراف بهذه الأوستا رسمياً في عهد سابور الكبير (٣١٠ - ٣٧٩م) واعتبرت قانوناً للدولة[١] .

وتتكون الأوستا أو الأبستاق حالياً من خمسة أجزاء هي:

١ - يستا: وهي أهم الأجزاء، ومعناها العبادة والتسبيح والصلاة والعيد، وهي تتكون من ٧٢ فصلاً.
٢ - ويسپرد: ومعناها (كل السراة) وهو ليس كتاباً مستقلاً بذاته، بل يمكن القول أنه من ملحقات اليستا.
٣ - ونديداد: ومعناه (قانون ضد الشياطين) وهو يتكون من ٢٢ فصلاً، الفصل الأول منه في خلق الأرض والأقاليم.
٤ - يشتها: جمع كلمة «يشت» ومعناها (العبادة والتسبيح)، فهي تسابيح للخالق وملائكته، وفيها العديد من الفقرات التي تشير إلى بعض الأحداث التاريخية التي صيغت في قالب أسطوري.
٥ - خردة أوستا: أي الأبستاق الصغير، أو مختصر الأبستاق، وهو كتاب للصلاة والأدعية الخاصة بكل وقت من اليوم، والأيام المباركة من الشهر، والأعياد الدينية في العام وغيرها، وفصول هذا الكتاب وأدعيته مستخرجة من الأبستاق الكبير مع إدخال تعديل في أول وآخر كل منها يلائم الصلاة والدعاء في كل مناسبة[٢] .

وتقوم ديانة زرتشت على أصول ثلاثة: (أولاً) عمارة العالم، فبناء

---

(١) حسن پيرنيا: المرجع السابق، ص ٣١١ - ٣١٢.

(٢) أمين عبد المجيد بدوي: المرجع السابق، ص ٣٣ - ٣٥، ١٠٢ وكذلك.

Browne, E. G., **A Literary History of Persia,** vol. I, Cambridge, 1964, pp. 99-102.

البيت وتكوين الأسرة وكثرة النسل وزراعة الأرض وتربية الماشية والقضاء على الحيوانات المؤذية والهوام والعناية بصحة البدن والطهارة وعدم الصوم (لأنه في رأيه يؤدي إلى ضعف الإنسان فلا يستطيع العمل) أوجب الواجبات (ثانياً) الثنوية، فالخير الممثل في الإله أهورا مزدا يقابله الشر الممثل في أهريمن، إلا أنه يجعل الانتصار في النهاية للقوي الخيرة، (ثالثاً) تقديس العناصر الأربعة: النار والهواء والأرض والماء، والاحتراز من كل ما يدنسها[1] .

ومن أهم خصائص الفكر الزرتشتي الاهتمام بالجوانب المعنوية والسلوكية الخيرة وخاصة في مجال المعاملات، وقد أدى ذلك إلى الاعتقاد في وجود أرواح خيرة تساعد الإنسان على التغلب على الجوانب الشريرة في الحياة. وقد عبر عن ذلك أحياناً في الاعتقاد في مخلوقات تجمع في أشكالها بين الإنسان والطير وأحياناً الحيوان[2] .

ولقد كان زرتشت مصلحاً اجتماعياً هدف بالقواعد التي أتى بها إلى بعث الشعب الإيراني لكي ينهض، ولم يتخذ من الدين وسيلة إلى التصوف أو الانقطاع إلى العبادة وترك العمل، فكان من مبادئه أن العبادة هي العمل، والعمل المثمر في حدود الطبقة التي ينتمي إليها الفرد، وكان يحث على مكارم الأخلاق، فهو يطلب من الفرد أن يعمل عملاً طيباً، وأن يقول قولاً طيباً، وأن يفكر فكراً طيباً، وهو يجعل الكذب شر الرذائل. وبجانب ذلك وضع نظاماً للطبقات، كما أقام الأسرة على أسس كانت مقبولة في وقته[3] .

---

(١) أمين عبد المجيد بدوي: المرجع السابق، ص ٢١ - ٢٢.

(٢) رشيد الناضوري: المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا، الكتاب الثالث، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، بيروت، ١٩٦٩، ص ١٥٥.

(٣) يحيى الخشاب: «فصل في إسلام فارس» في مؤلف تراث فارس، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٤. وكذلك: =

وعلى ذلك فنحن نعتمد على ما وصلنا من أفكار زرتشت في التعرف على النواحي الأخلاقية والسلوكية والفكرية وبعض النظم الاجتماعية المعترف بها والتي كانت مقبولة في إيران أثناء العصر الهخامنشي، وقت ظهور هذه الأفكار على الأقل، ومدى تأثيرها والتمسك بها في الفترات التاريخية التاليه.

خامساً: القصص الفارسي

ومن المصادر التي نعتمد عليها كذلك في دراسة تاريخ إيران القديم، القصص التي تناولتها وحفظتها الصدور جيلاً بعد جيل، والتي جمعت في العصر الساساني ثم دونت وأضحت مصدراً للتأليف في العصور الإسلامية. ومن أشهر تلك الأعمال ما أبدعه أبو القاسم الفردوسي في قمة أعماله وهي «الشاهنامه». ولقد اعتمد الإيرانيون لفترة طويلة في معرفة تاريخ بلادهم القديم على ما أورده الفردوسي، وكانوا شديدي الإعجاب بما جاء فيه.

وفيما يتصل بالفردوسي، فهو أبو القاسم منصور بن مولانا فخر الدين أحمد بن مولانا فُرخ الفردوسي. وتتفق الروايات على أن لقبه الفردوسي وكنيته أبو القاسم، ثم تختلف في اسمه بين منصور وحسن وأحمد، وفي اسم أبيه بين على وفخر الدين أحمد وإسحاق، وبعضها يسمي جده فُرخ وبعضها يسميه شرفشاه، وليس في الشاهنامه ذكر اسمه ولا اسم أبيه. والفردوسي لقبه الشعري كدأب شعراء الفرس، ولقد ولد الفردوسي في قرية أسماء باتر من ناحية طبران، وطبران إحدى مدينتي طوس، وذلك حوالي عام ٣٢٩ هـ، وتوفي حوالي عام ٤١١ هـ. ويقال أنه أتم نظم الشاهنامه في خمسة وثلاثين عاماً، كان آخرها عام ٤٠٠هـ، أو قبلها بقليل، ويبلغ عدد أبياتها ما

= Gray, G. B., op. cit., pp. 207-208., Frye, R. N., **The Heritage of Persia**, London, 1962, p. 51 ff.

بين خمسين ألف وستين ألف بيت شعري[1] .

وتجمع الشاهنامه معظم ما وعي الفرس من أساطيرهم وتاريخهم من أقدم عهودهم حتى الفتح الإسلامي، وهي مرتبة ترتيباً تاريخياً، فحينما تذكر الأسرة تبدأ بأول ملوكها فتوضح تأريخه، وما كان في عهده من الأحداث ثم تذكر الملك الثاني، وهلم جراً، حتى نهاية الأسرة. وقد قسمت الشاهنامة تاريخ الفرس منذ أقدم العصور وحتى الفتح الإسلامي إلى أربع دول حكمت لمدة ٣٨٧٤ عام وذلك على النحو الآتي:

١ ـ الدولة البيشدادية (ومعناها صاحب العدل أو القانون الأول): وعدد ملوكها عشرة حكموا لمدة ٢٤٤١ عام، وهم أول من تعرفهم الأساطير الفارسية، وقد اختلطت في هذا العصر أساطير الهند بأساطير إيران، والتبس فيه الآلهة بالملوك، وكانت العاصمة في طبرستان وأصطخر. وجعلت الشاهنامة أول ملوك هذه الأسرة من يدعى «كيومرث» الذي اعتبرته أول إنسان مُلك على الناس، وجاء من نسله الأمم الآرية، وأطلق عليه العديد من الألقاب مثل: ملك الجبل، وملك الطين، والملك العظيم[2] . ومن أشهر ملوك هذه الأسرة «جمشيد بن طهمورت» وجمشيذ كلمة مختصرة من «يما خشتيا» ومعنى اسمه (المتلألىء) وينسب إليه، أنه هو الذي جهز آلات الحرب وأول من اتخذ الملابس، فاستعمل ثياب الكتان، كما أنه تعرف على خواص الأدوية، وهو الذي فكر في اتخاذ المراكب وتسيرها على وجه الماء،

---

(١) انظر في ذلك التقديم الذي كتبه الدكتور عبد الوهاب عزام للشاهنامة في:
أبو القاسم الفردوسي: **الشاهنامة**، ترجمها من الفارسية نثراً الفتح بن علي البنداري، وقارنها بالأصل الفارسي وأكمل ترجمتها في مواضع وصححها وعلق عليها وقدم لها عبد الوهاب عزام، حـ١، طهران، ١٩٧٠، ص ٤٩ ـ ٥٢، ٧٠.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ١٤ ـ ١٥.

وهو الذي استن عيد النيروز[1] .

٢ ـ الدولة الكيانية : وعدد ملوكها عشرة حكموا لمدة ٧٣٢ عاماً، وهي تتصل بالدولة البيشدادية ، وتنتهي بدخول الإسكندر المقدوني إيران[2].

٣ ـ الدولة الأشكانية : ومدتها مائتا عام ، ولا يذكر الفردوسي منها إلا أسماء قليلة ، وتعدهم الأساطير الفارسية أجانب .

٤ ـ الدولة الساسانية : ومدتها ٥٠١ سنة ، وعدد ملوكها في الشاهنامة ٢٩ ، وهي موصولة النسب والمآثر بالدولة الكيانية[3] .

ومما يؤخذ على هذا المصدر، أن ما ورد به من معلـومات قد انتقلت شفاهاً جيلاً بعـد جيـل ، مما أضفي عليهـا كثيراً من الزيـادات ، ففقدت الصدق وضاعت الحقائق التاريخية فيها ، فنسبت أحداث كثيرة وأضيفت إلى فترات أخرى ، ونقلت أسماء أشخاص من عصر لآخر، كما أن كثيراً من الأحداث الهامة والملوك لم يرد لهم ذكر في هذه القصص . وعلى ذلك ، فإن اعتمادنا على هذا المصدر ، لا بد وأن يسبقه الاعتماد على المصادر الأخرى ، ثم ننظر بعد ذلك في القصص القديم ، علنا بمقارنتها معها نستطيع أن نصل إلى تصور كلي لها .

وتجدر الإشارة في نهاية الحديث عن مصادر تاريخ إيران القديم، أن هذه المصادر لا تقدم لنا صورة متكاملة عن التاريخ السياسي والحضـاري لإيران في العصور القديمة ، فما زالت هناك العديد من مظاهر الحياة الإيرانية في السلم أو الحرب غامضة حتى الآن . كما أن هناك الكثير من الفجـوات التي يحاول المؤرخون معرفتها ، ويرجع ذلك بشكل رئيسي ـ كمـا سبقـت

---

(١) نفس المرجع السابق، ص ٢١ ـ ٢٣.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ٩٩ ـ ١٠٣ .

(٣) نفس المرجع السابق، ص ٧٤ . ويلاحظ أن الشاهنامه قد أخطأت في مدة حكم الدولة الساسانية ـ=

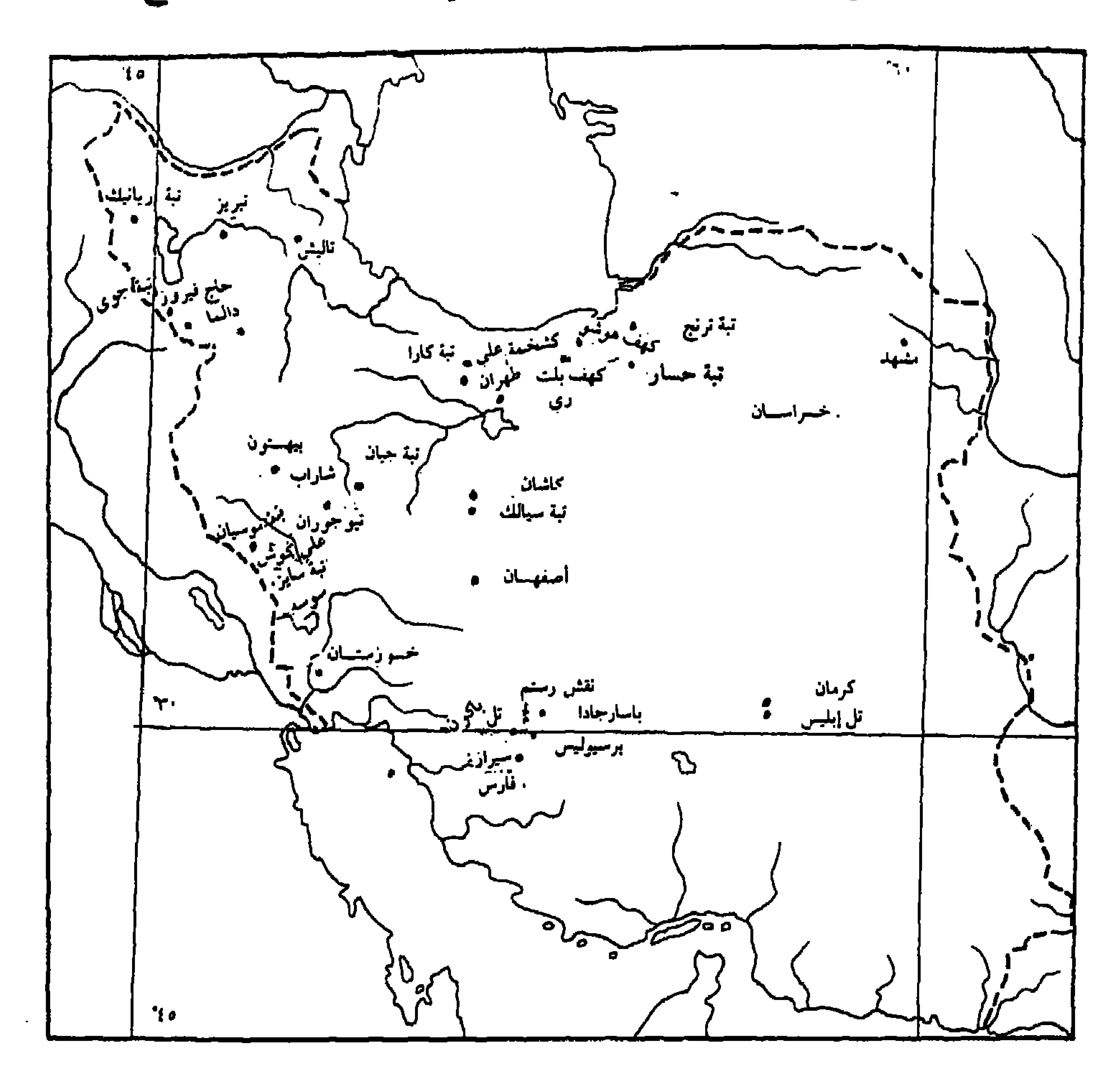
الإشارة ـ إلى قلة الوثائق المتخلفة من إيران القديمة. فإننا في الواقع ـ وكما أشار R. N. Frye[1] ـ لا نملك حتى بقايا مليئة بالفجوات، فكل الذي بين أيدينا نذر قليل جداً من المعلومات علينا أن نحاول ضمها إلى بعضها لتظهر في قالب تاريخي.

ـ وذلك مثلها مثل بقية الكتب الفارسية، إذ يلاحظ أنها حكمت في الفترة من ٢٢٤ ـ ٦٥١/ ٦٥٣ م.

(١) Frye, R. N., op. cit., p. 7.

خريطـة (٦)

بعض المواقـع الأثـرية الـرئيسية في إيران في عصـور ما قبـل التاريخ



الفصل الثالث

عصور ما قبل التاريخ



١ ـ العصر الحجري القديم

يميز العصر الحجري القديم (الباليوليتي Palaeolithic) بداية الحضارة الإنسانية، وذلك حينما استطاع الإنسان الأول أن يصنع أدواته عن قصد وهدف، واعتمد في صنع أدواته بصفة رئيسية على الحجر الذي شكله بما يناسب مطالبه المحدودة، واستخدام بجانبه مواداً أخرى كالعظم والخشب والعاج والأصداف البحرية.

ويرجع اعتماد الإنسان في بداية أمره على الحجر في صنع أدواته، إلى أن الحجر، وبصفة خاصة، حجر الظران له مزاياه الخاصة بالإضافة إلى كونه متوافراً بسهولة في البيئة، فهو حجر وحيد التركيب يسهل قطعه إلى شظايا تؤدي وظيفة القطع مما يساعد الإنسان على تحقيق أغراضه المختلفة. ولا شك أن الإنسان لم يتوصل إلى هذه الحقيقة بمحض الصدفة، بل جاء ذلك نتيجة خبرة طويلة بالبيئة المحيطة به، حيث أدرك ملاءمتها لتحقيق أغراضه، واستخدم الإنسان هذه الأدوات الحجرية في كافة مظاهر حياته السلمية والدفاعية[١].

وقد بدأت عمليات الدراسة العلمية لآثار هذه المرحلة في أوروبا، ولذلك يلاحظ أن اصطلاحات العصور الحضارية المنتمية إلى هذه المرحلة تحمل أسماء أماكن أوروبية، وبصفة خاصة فرنسية مثل الحضارات الشيلية والآشولية والموستيرية وغيرها. ولقد قام العلماء بتصنيف المادة الأثرية الخاصة بالعصر الحجري القديم وذلك حسب التقاليد الصناعية المتبعة في

(١) رشيد الناضوري: المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا، الكتاب الأول، بيروت، ١٩٧٧، ص ١٠١.

تشكيلها، وكذلك كميتها ووظيفتها، إلى ثلاث مراحل حضارية رئيسية وهي: أ ـ مرحلة العصر الحجري القديم الأسفل. ب ـ مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط. جـ ـ مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى. وسنحاول فيما يلي دراسة هذه المراحل الثلاث بشيء من التفصيل.

أ ـ مرحلة العصر الحجري القديم الأسفل:

تمثل هذه المرحلة الجهد الإنساني الأول في مجال صنع حضارته، ويعتبر الفأس اليدوي Hand Axe الأثر المميز لهذه المرحلة، وسادت خلال هذه المرحلة حضارتان هما: الأبيفلية[1]، وهي أقدم الحضارات الإنسانية، ثم الحضارة الأشولية.

ولقد أصبحت الفأس اليدوية في الحضارة الأشولية أكثر اتقاناً وأصغر حجماً، ووجه الإنسان اهتمامه بتحديد حوافها وتهذيب سطحها كله تاركاً أقل مساحة ممكنة من القشرة الأصلية في أسفل الأداة لكي يجعل شكلها متناسقاً، ويلاحظ أن الإنسان قد بدأ في هذه المرحلة في صنع بعض أدواته من الشظايا، كما استعمل بعض الأدوات الخشبية والعظمية.

ويلاحظ قلة المادة الأثرية المتصله بهذه المرحلة في منطقة جنوب غربي آسيا بشكل عام، وفي إيران بوجه خاص، وهو الأمر الذي أدى ببعض الباحثين إلى الاعتقاد بأنه لم يعثر في إيران على أية أدلة أثرية تتصل بهذه المرحلة[2].

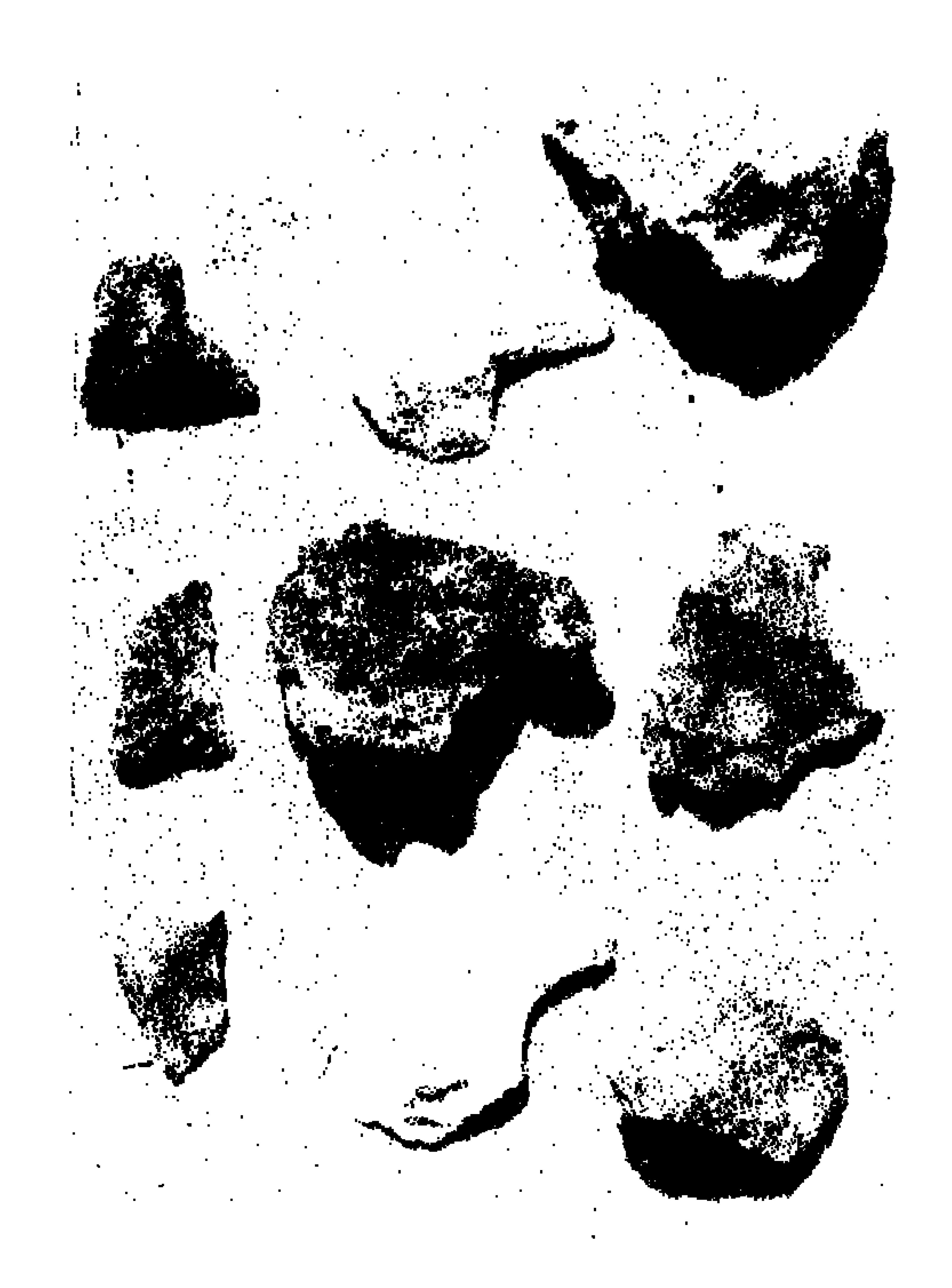
---

(١) كانت تسمى بالحضارة الشيلية نسبة إلى بلدة Chelles على نهر المارن في فرنسا، ولكن نظراً لأن الموقع الشيلي وجدت به آلات خليطة من الحضارتين الشيلية والآشولية، فقد تركت تسمية الحضارة الشيلية. انظر:

محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت، ١٩٨٤، ص ٣٤ ـ ٣٦.

(٢). Sunderland, E., "Early Man in Iran", in **CHI**, vol. I, Cambridge, 1968, p.396.

ولقد عثر رومان جيرشمان R. Ghirshman على بعض الأدوات الحجرية في كهف تانجي بابدا Tang-i-Pabda في جبال بختيار[1] والتي يرجح نسبتها إلى نهاية هذه المرحلة وبداية المرحلة التالية لها. (شكل ١٥)



(شكل ١٥) بعض الأدوات الحجرية من كهف تانجي بابدا

ب ـ مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط:

يطلق على الإنتاج الحضاري المتصل بهذه المرحلة «الأدوات الموستيرية» وذلك نسبة إلى كهف موستييه بفرنسا. واعتمدت صناعة الأدوات في هذه المرحلة على أساس استخدام الشظايا التي تنفصل عن جوانب

---

(١) Ghirshman, R. op. cit., pp. 27-28, pl. Ia.

الفأس اليدوي حين صناعته. وتتميز هذه الأدوات الحجرية بصغر حجمها وتنوع أشكالها حتى تمكن الإنسان من تحقيق أغراضه المتعددة. فصنع من هذه الشظايا السكاكين والمكاشط والمخارز وغيرها، وتمكن الإنسان من صنع هذه الأدوات، وذلك بفصلها عن النواة الأصلية حتى تؤدي الوظيفة التي يحتاجها إليها.

ورغم التقدم النسبي الذي حققه الإنسان في صناعة أدواته في هذه المرحلة، فإنه من الناحية الاقتصادية، ظل جامعاً للطعام متنقلاً من مكان إلى آخر بحثاً عن البيئة المناسبة لصيده ومعيشته المؤقتة في الأماكن التي تتناسب مع الأحوال الجوية السائدة في ذلك الوقت[1] والتي كانت في غالب أوقاتها حقباً مطيرة.

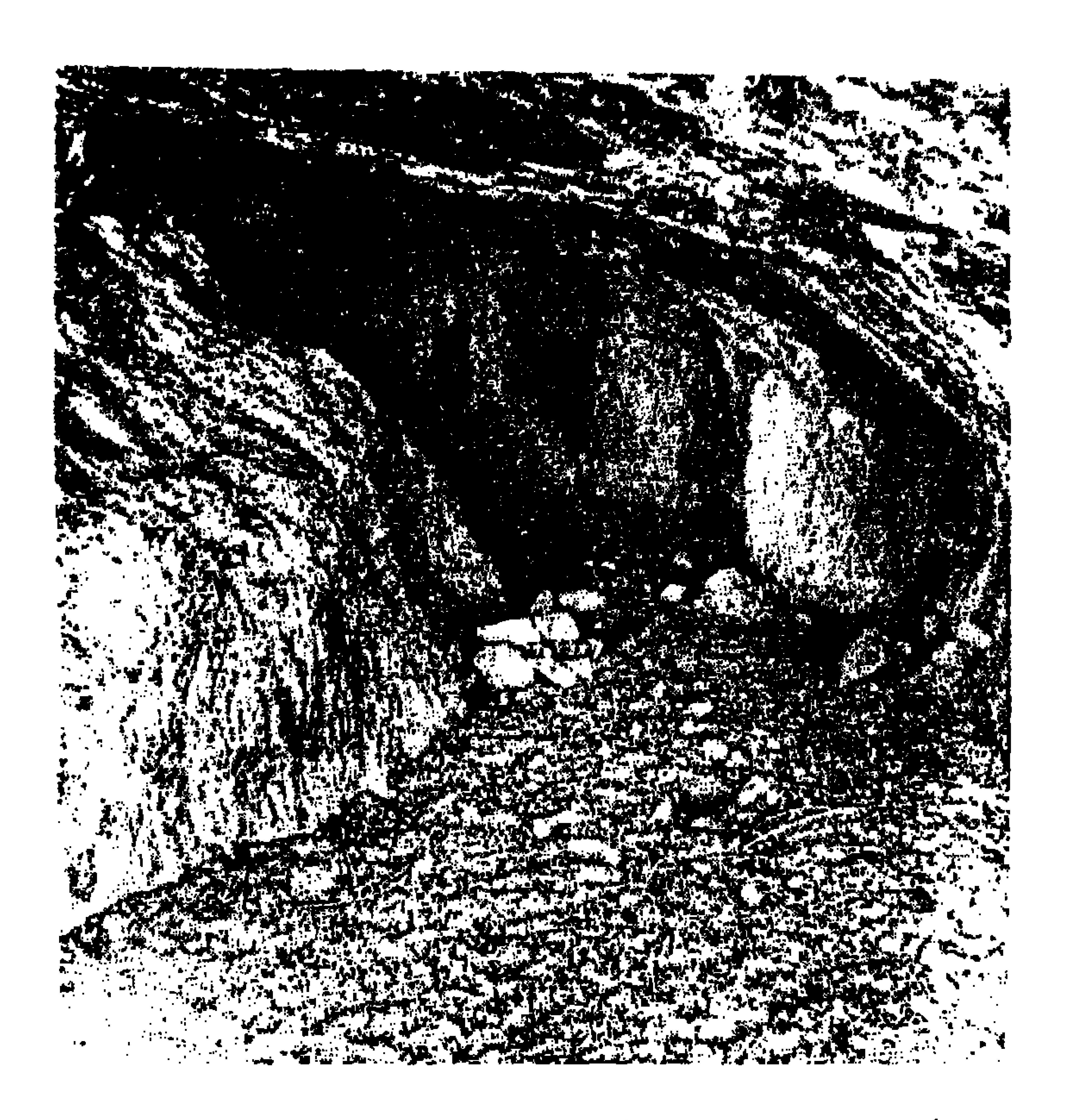
ولقد عثر على العديد من الأدلة الأثرية التي ترجع إلى هذه المرحلة الحضارية في العديد من المناطق الإيرانية، مثل سفوح جبال زاجروس، وشمال جبال البرز، وجبال هندوكوش الإيرانية. فلقد كشف في العديد من الكهوف الموجودة في هذه الجبال على الكثير من الأدوات والأدلة الأثرية التي ترجع إلى هذه المرحلة، ومن هذه الكهوف، كهف بيهستون، الذي يقع شرق كرمنشاه بحوالي ٤٨ كيلومتر (شكل١٦، ١٧)[2]، وهو يقع أسفل نقش بيهستون، وتقع بيهستون على الطريق الرئيسي الذي يصل ما بين إكباتانا وبابل، كما يتجه من عندها طريق فرعي يؤدي إلى پرسپوليس في الجنوب الشرقي، ولعل مما يوضح أهمية هذا الموقع، اختيار الملك داريوش الأول له ـ كما سبقت الإشارة ـ ليسجل نقوشه على صخوره.

وقام كارلتون كوون Carleton S. Coon بعمل حفائر في هذا الكهف

---

(١) رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٢) Coon, C. S., op. cit., pl. VI., p. 108.

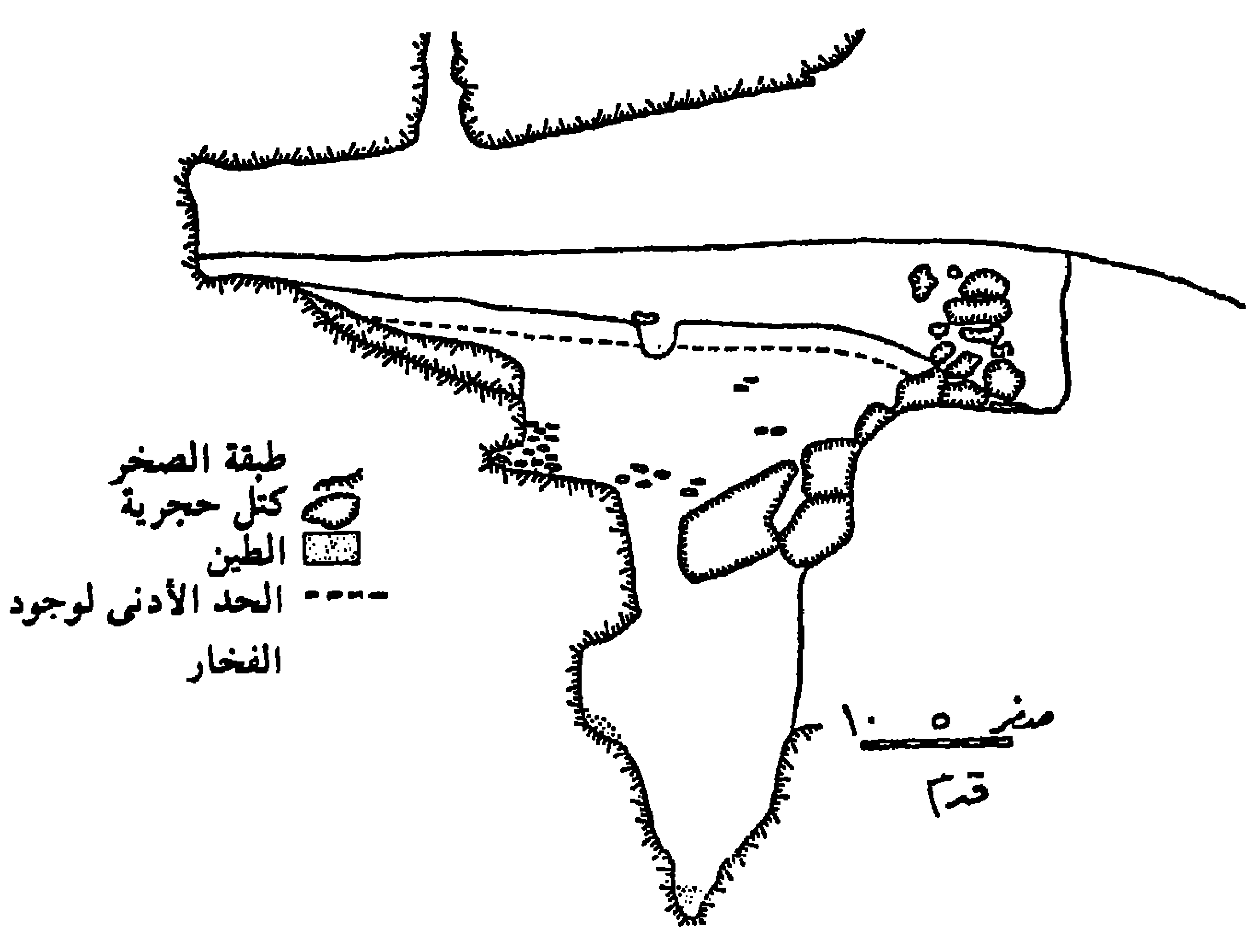


(شكل ١٦) منظر خارجي لكهف بيهستون قبل عمل حفائر فيه

عام ١٩٤٩م حيث عثر فيه على بعض بقايا عظام إنسانية مثل عظمة الزند وأحد الأسنان، وكشف كذلك عن بعض الأدوات الموستيرية (شكل ١٨)[١]، ويلاحظ أن الأدوات الحجرية التي عثر عليها توضح تفوقاً ملحوظاً في هذا المجال، وعثر فيه كذلك على كميات كبيرة من السكاكين ذات التقنية التي تفوق مثيلاتها في المناطق الأخرى، وهو الأمر الذي قد يرجح أنها متطورة بشكل كبير، أو أنها متأخرة زمنياً عن مثيلاتها، أو أن الإنسان في هذه المنطقة قد استطاع أن ينمو بصناعته الحجرية نحو التخصص بشكل يفوق الأدوات

(١) Coon, C. S., "Cave Explorations in Iran, 1949", in **University Museum Monographs,** Philadelphia, 1951, p. 125 ff., Coon, C. S., **Seven Caves, pp. 124-126.**

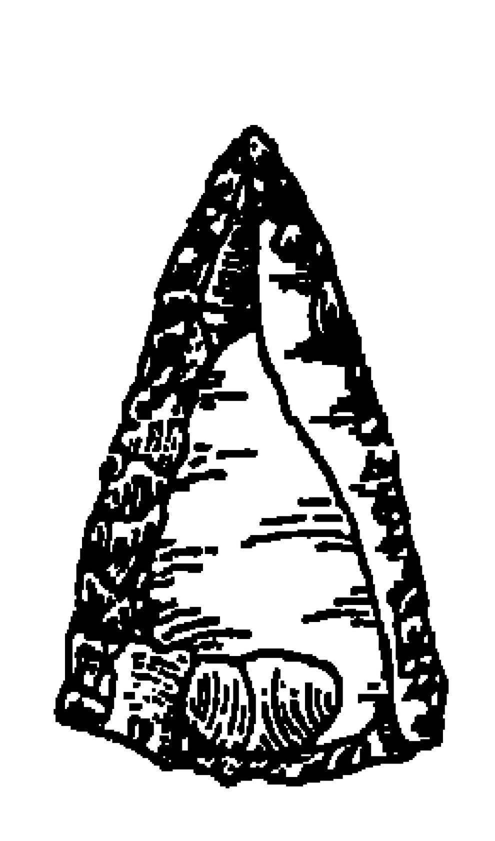
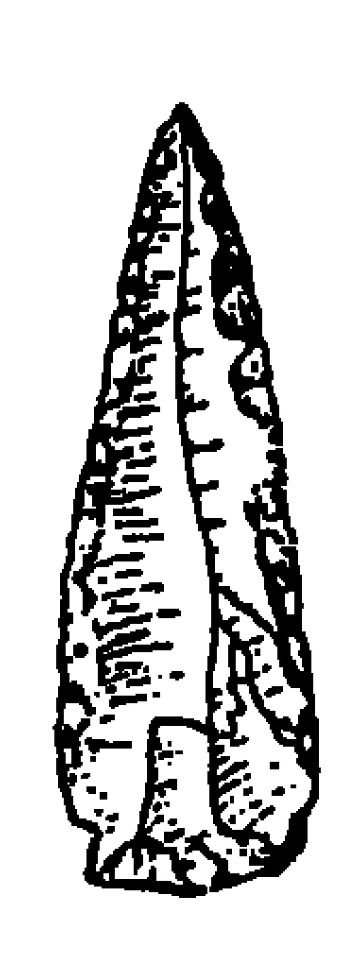
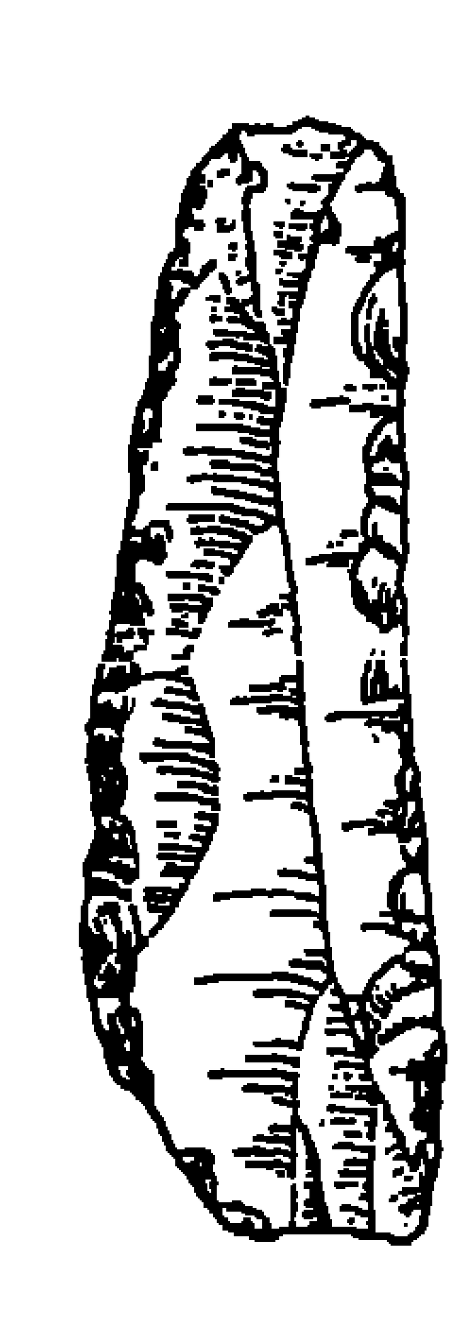
الموستيرية في المناطق المجاورة لها، ويبدو محتملاً من الأدوات التي عثر عليها في كهف بيهستون أنه كان مأهولاً بالسكان خلال مرحلة فرم الأولى Würm I [1].



(شكل ١٧) رسم تخطيطي لقطاع في كهف بيهستون

وكشف في كهف «غاري خار» Ghar-i-Khar (كهف الحمار) ـ الذي يقع في منحدر صخري في مواجهة جبل بيهستون ـ على أدوات موستيرية في الطبقات الأولى منه، وتشبه هذه الأدوات بشكل كبير الأدوات التي كشف

(١) يعتبر «دور فرم» آخر الأدوار الجليدية التي حدثت أثناء الزمن الجيولوجي الرابع أو «البليوستوسين»، ولقد سمي كل دور تقدم فيه الجليد باسم أحد أودية الألب، حيث عثر على الركامات الجليدية في تلك الوديان، وهذه العصور الجليدية هي: جنز Günz، ومندل Mindel، ورس Riss، وفرم würm على التولي. انظر:
محمد أبو المحاسن عصفور: المرجع السابق، ص ٢٢ حاشية ١.

(شكل ١٨) أدوات حجرية من كهف بيهستون

عنها في كهف بيهستون. ويبلغ طول كهف غاري خار حوالي ٢٧ متراً[١] .

ويقارب من مستوى الأدوات الموستيرية التي عثر عليها في كهف بيهستون، ما كشف عنه في كهف «تامتامه» Tamtameh بقرية شيكاك الكردية Shikak Kurds ، وهو يقع على ارتفاع يصل إلى خمسة آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر غرب بحيرة أورمية بحوالي ٢١ كيلومتر، فلقد عثر فيه على عدد قليل من الأدوات المصنوعة من حجر الظران، لا يتجاوز عددها سبع قطع، ويتضح من دراسة هذه الأدوات أن الذين عاشوا في الموقع كانوا على نفس المستوى الحضاري الذي ظهر في أدوات كهف بيهستون، إلا أن مهارتهم في تشكيل الأدوات الحجرية كانت أقل من تلك التي وجدت في أدوات كهف بيهستون[٢] . وعثر في هذا الكهف على بقايا عظام آدمية.

(١) قام بالكشف عن هذا الكهف كل من P. E. L. Smith و T. C. Young عام ١٩٦٥. انظر:
Young, T. C., Smith, P.E.L., "Research in the Prehistory of Central western Iran", in Science, vol. 153, No. 3731 (I July 1966), p. 387.

(٢) قام بالكشف عن هذا الكهف كارلتون كوون، انظر:
Coon, C. S., op. cit., p. 127.

وعثر كذلك على أدوات موستيرية ـ تشبه في صناعتها بشكل عام الأدوات السابقة ـ في موقع يوجد بالقرب من قرية خورنق Khurnik التي تقع على طريق زابول ـ مشهد، في المنطقة التي يطلق عليها «ممر ساراخس Sarakhs Corridor » . ولقد تعرضت هذه المنطقة للعديد من الهجرات في هذه المرحلة وكذلك لبعض التحركات السكانية . ويوجد العديد من الأدلة الأثرية التي تتصل بهذه التحركات البشرية . ويلاحظ من دراسة الأدوات الحجرية التي عثر عليها، أنه بالرغم من أنها تشبه بصفة أساسية أدوات بيهستون إلا أنها أوضحت بجلاء المقدرة الكبيرة في السيطرة على صناعتها . ومع ذلك ، فإن الأدوات الحجرية التي عثر عليها في هذا الموقع لا تتناسب إطلاقاً مع ما كان متوقعاً أن يوجد في مثل هذا المكان الذي يقع على طريق التحركات البشرية[1] .

وبالإضافة إلى هذه المواقع التي عثر فيها على أدوات ترجع إلى العصر الحجري القديم الأوسط، فلقد عثر في منطقة جنوب كردستان على العديد من المواقع التي تحوي أدوات حجرية ترجع إلى هذه المرحلة ، وهي تتوزع على سفوح التلال والمنحدرات الوسطى لسلسلة جبال زاجروس ، ويلاحظ أن الأدوات الموستيرية التي عثر عليها في هذه المواقع تتصف بكونها ذات أطراف شبه مثلثة قليلة الاتساع ، وطريقة تهذيبها خشنة ، كما أن المحكات التي عثر عليها تتصف كذلك بقلة عرضها (شكل١٩)[2] .

جـ ـ مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى :

أخذ المناخ خلال هذه المرحلة يميل إلى الدفء ، وذلك بعد انسحاب

(١) قام بالكشف عنه كذلك كارلتون كوون ، انظر:

Ibid., pp. 127-128.

(٢) Garrod, D. A. E., "Primitive Man in Egypt, western Asia, and Europe in Palaeolithic Times" in C A H., vol. I, Part I, Cambridge, 1970, pp. 86-87, fig. 7, p. 88, nos. 1-4.

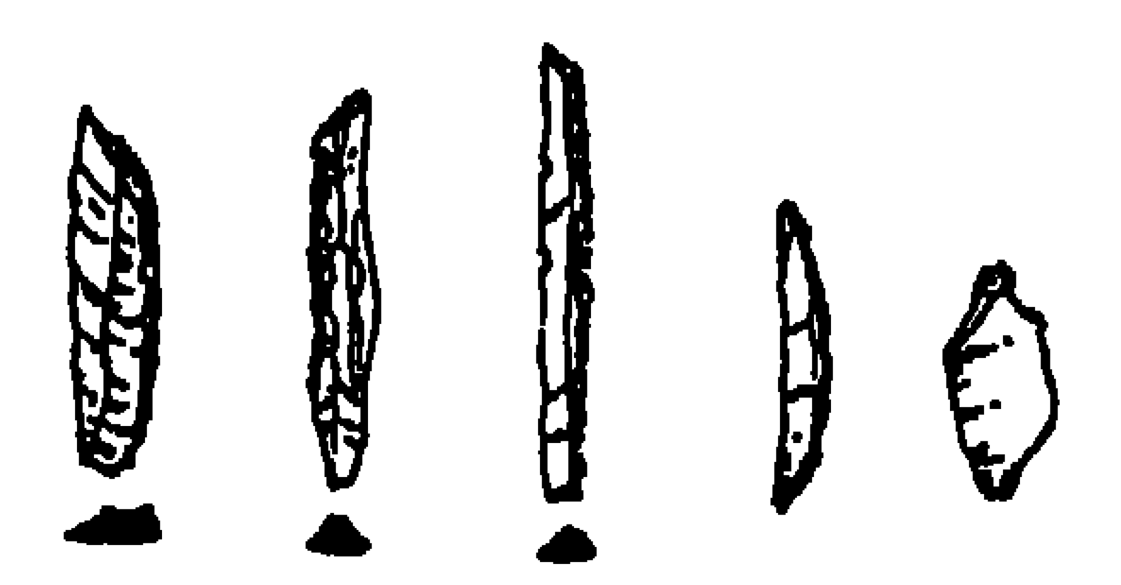





صفر ٥سم

(شكل ١٩) أدوات حجرية ترجع إلى مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط

الهجمات المطيرة والباردة نحو الشمال، وانحسار المياه المتجمعة في البحيرات والمستنقعات والواحات والآبار. وتمتاز هذه المرحلة بصناعة حجرية جديدة هي صناعة الأسلحة النصلية، وهي عبارة عن أدوات حجرية دقيقة وحادة تمكن الإنسان من صنعها بصورة تفوق في دقتها مجهوداته السابقة، وهي تعرف باسم «الأدوات القزمية»، ولا شك أن الإنسان قد أصبح من الميسور له حمل هذه الأسلحة والانتقال بها إلى أماكن جديدة، ويسر له ذلك صغر حجمها وفاعليتها كأداة قاطعة (شكل ٢٠)[١] .



(شكل ٢٠) أدوات حجرية ترجع إلى مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى

(١) Ibid., fig. 6, p. 85, nos. 12-16.

ولقد كشف في العديد من المواقع الإيرانية على أدوات حجرية وهياكل عظمية ترجع إلى مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى، ومن هذه المواقع، كهف هوتو Hotu . ولقد قام كارلتون كوون C. S. Coon بعمل حفائر فيه عام ١٩٥١[١] . ويتجه محور الكهف في اتجاه شمالي جنوبي بزاوية مقدارها ٤٥ درجة بالنسبة للواجهة الصخرية، ويبلغ طول الجدار الشمالي ثلاثون متراً، والجدار الجنوبي عشرون متراً (شكل ٢١)[٢] . ويستدل من المخلفات الأثرية التي كشف عنها في طبقات هذا الكهف أنه ظل مسكوناً منذ أواخر العصر الحجري القديم الأعلى وحتى العصر الإسلامي. ولقد كشف فيه عن العديد من الهياكل العظمية البشرية والحيوانية. فلقد عثر على ثلاثة هياكل عظمية، رجح أنها ترجع إلى هذه المرحلة، وذلك اعتماداً على الدراسات التي أجريت عليها باستخدام طريقة كربون ١٤ . وعثر على أحد هذه الهياكل على ارتفاع ٢٥ قدم، وتبين أنه هيكل عظمي لرجل يتميز بالطول والضخامة، ويرجح أنه يرجع إلى أواسط الألف العاشر قبل الميلاد، أما الهيكلين الآخرين، فلقد عثر عليهما على ارتفاع ٢٧,٥ قدم، وهما لامرأتين، ويبدو

---

(١) نشرت ثلاثة تقارير مبدأية عن الحفائر التي أجريت بهذا الكهف، انظر:

Coon, C. S., "Excavations in Hotu Cave, Iran, 1951, Apreliminary report", in **P. A. P. S.**, vol. 96, No. 3, Philadelphia, 1952, pp. 231-249.

Dupree, L. B., "The Pleistocene Artifacts of Hotu Cave, Iran", in **P. A. P. S.**, vol. 96, No. 3, pp. 250-257.

Angel, J. L., "The Human Skeletal Remains from Hotu Cave, Iran", in **P. A. P. S.**, vol. 96, No. 3, pp. 258-269.

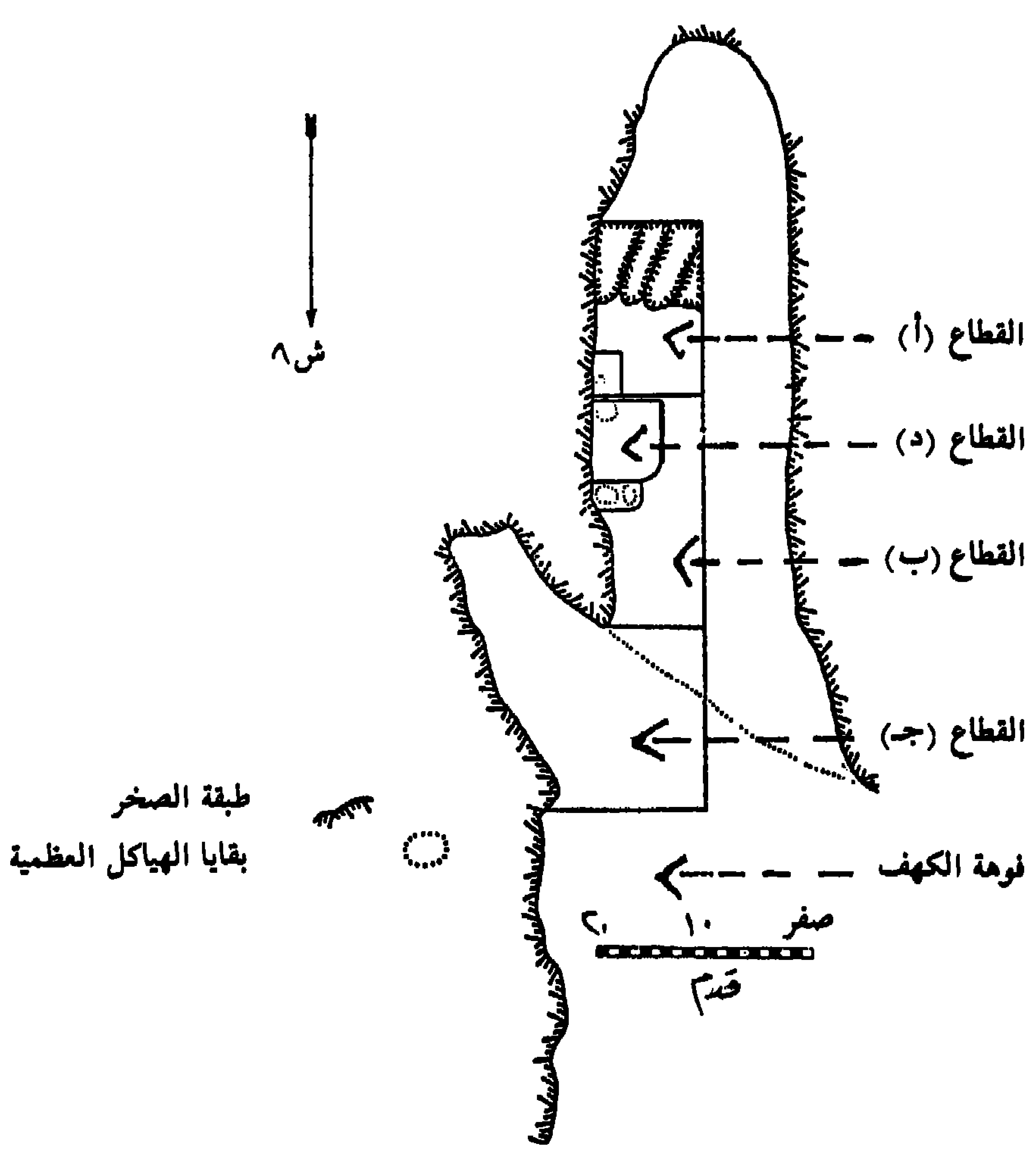
ولقد أشار كارلتون كوون في مؤلفه الذي أصدره عام ١٩٥٧ أن التقرير النهائي عن حفائر كهف هوتو لم يكتب بعد، وأنه ليس متأكداً من أنه سوف يكتب نظراً لكثرة الأدوات المكتشفة فيه. انظر:

Coon, C. S., **Seven Caves**, London, 1957, p. 203.

(٢) **Ibid.**, p. 169.

أنهما قد لقيتا حتفهما نتيجة لسقوط كتلة صخرية عليهما من سقف الكهف، ويرجح أنهما يرجعان إلى أواسط الألف الثامن قبل الميلاد[١].

ويلاحظ أن محتويات هذا الكهف توصف أحياناً بأدوات العصر الحجري القديم الأعلى القزوينية أو الموللليانية Mouillian[٢]، ويتجه بعض



(شكل ٢١) رسم تخطيطي لكهف هوتو

(١) Ibid., p. 179 ff.

(٢) Sunderland, E., op. cit., p. 403.

الباحثين إلى نسبة المخلفات الأثرية لـكهف هوتو إلى أواخر العصر الحجري القديم الأعلى أو بداية العصر الحجري الوسيط، وذلك اعتماداً على وجود قوس وهيكل عظمي لكلب في مخلفات هذا الكهف[1] .

وعلى ذلك، فقد تركز البحث عن الكهوف والمآوي التي عاش فيهـا الإنسان خلال العصر الحجري القـديم الأعلـى في مثلـث شيراز ـ مشهـد ـ زاهيدان، وبصفة خاصة في منطقة بام كوهي تافتان. ولقد عثـر بالفعـل في مأوى صخري يسمى كونجـي Kunji يطـل علـى خورام أبـاد علـى أدوات حجرية ترجع إلى هذه المرحلة. ويقع هذا المأوى الصخري على ارتفـاع يصل إلى ثلاثمائة قدم فوق مستوى سطح الوادي[2] .

(١) Coon, C. S., op. cit., p. 199.

(٢) Sunderland, E., op. cit., p. 405.

٢ - العصر الحجري الوسيط

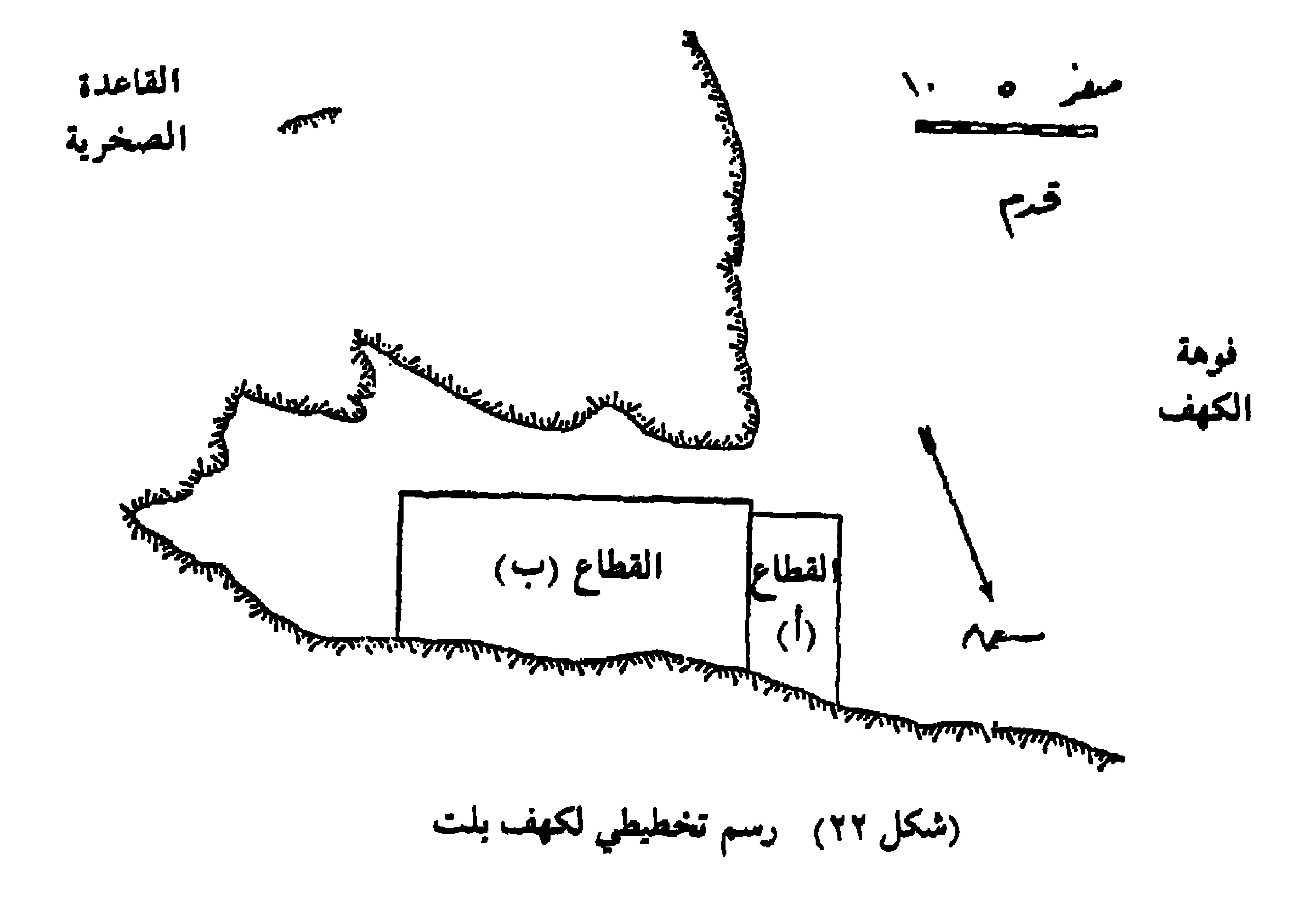
يمثل العصر الحجري الوسيط مرحلة الانتقال من العصر الحجري القديم إلى العصر الحجري الحديث، وتضمنت الأدوات التي استخدمها الإنسان فيه، الأدوات الحجرية ورؤوس السهام، وغيرها، من أدوات العصر الحجري القديم الأعلى، وذلك بالإضافة إلى المناجل والأجران التي تمثل عنصراً حضارياً جديداً يقترب بالإنسان من مرحلة إنتاج الطعام والاستقرار أكثر من انتمائه إلى مرحلة الجمع والالتقاط[١].

وتوجد الأدلة الأثرية المرتبطة بهذه المرحلة في عدد من المواقع الإيرانية التي تنتشر من شمال غرب جبال زاجروس إلى شواطىء بحر قزوين، ومن شواطىء بحر قزوين إلى المنحدرات الشمالية لجبال هندوكوش.

ومن المواقع التي ترجع إلى العصر الحجري الوسيط في إيران، كهف بلت Belt الذي يطلق عليه كذلك «غاري كامار باند Ghar-i- Kamarband» وهو يقع إلى الغرب من مدينة بهشهر Behshahar بحوالي ثمانية كيلومترات، وهو يقع على ارتفاع يصل إلى ثلاث وخمسين قدماً فوق مستوى بحر قزوين، على محور شمالي غربي(شكل٢٢)[٢] وبنيت جدران الكهف من كتل الأحجار الجيرية البيضاء التي وضعت في مداميك أفقية، وهي تتفاوت في سمكها ما بين ٧٠، ٥٠، ٣٠، ٢٠ سم. ويبلغ طول الكهف ثلاثون قدماً وعرضه اثني

(١) رشيد الناضوري: المرجع السابق،ص ١١٣.

(٢) Coon, C. S., op. cit., p. 143.



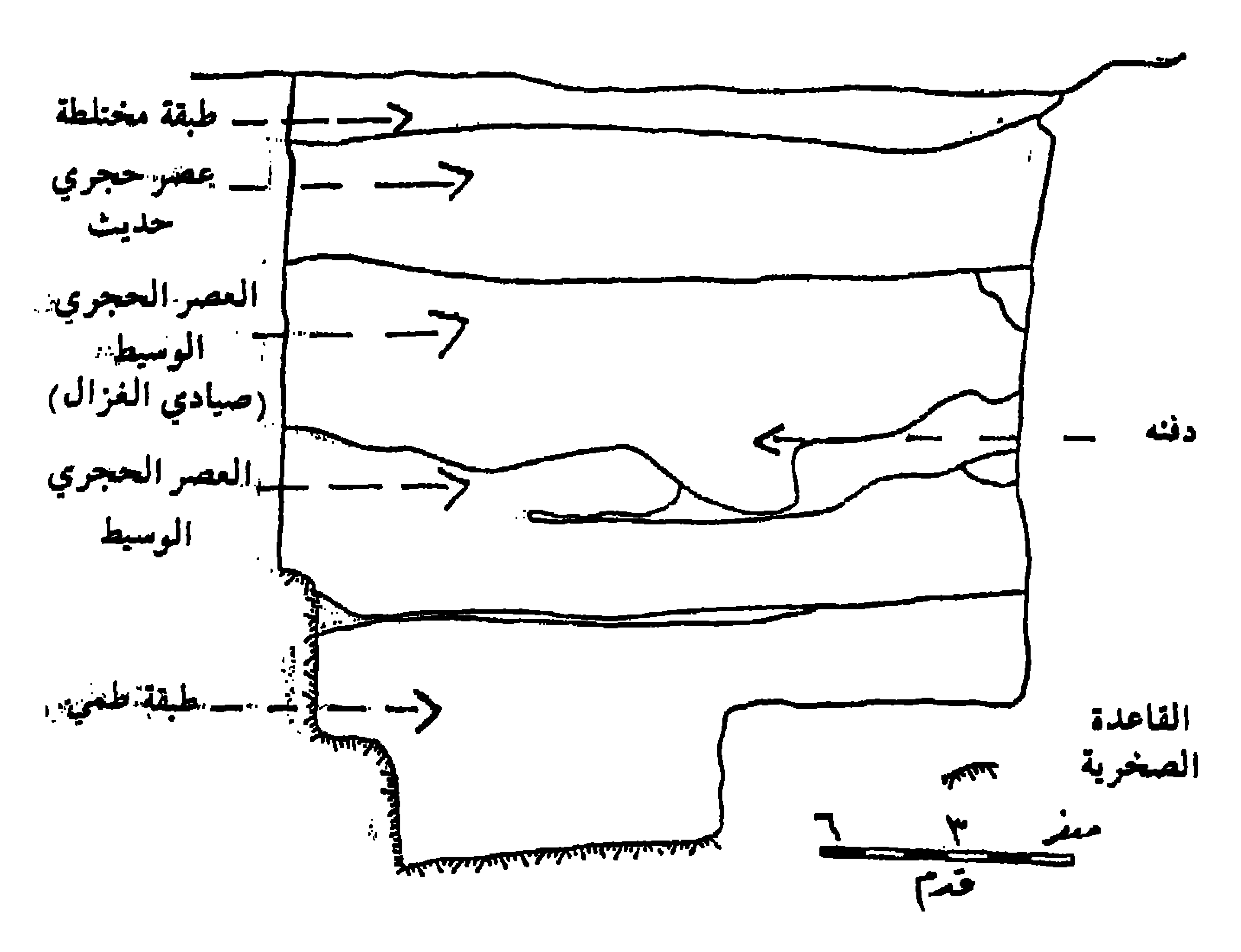
(شكل ٢٢) رسم تخطيطي لكهف بلت

عشر قدماً وارتفاعه سبعة عشر قدماً[١].

وتوجد الأدوات التي ترجع إلى العصر الحجري الوسيط في كهف بلت أسفل الأدوات التي ترجع إلى العصر الحجري الحديث. ولقد عثر في الطبقة الحادية عشرة من كهف بلت على كميات كبيرة من قرون الغزال، مما قد يرجح أنها قد استخدمت في عمليات حفر الأرض. ويرجح - اعتماداً على دراسة المخلفات الأثرية في كهف بلت - أنه قد شُغل بالسكان منذ حوالي منتصف الألف العاشر قبل الميلاد، واعتمد سكانه في حياتهم على صيد عجل البحر، واستخدموا العديد من الأدوات التي ترجع إلى مرحلة العصر الحجري الوسيط مثل الفؤوس والسهام، كما أنهم قد تمكنوا من استئناس الكلاب في هذه المرحلة، ولكن يلاحظ أن موقع كهف بلت قد هجره السكان لفترة تقرب من ثلاثة آلاف عام، حيث سكنه مرة أخرى صيادون اعتمدوا في

(١) Ibid., pp. 142-143.

حياتهم على صيد الغزلان، ثم هُجر الكهف مرة أخرى، حيث سكنه هذه المرة، الرعاة، الذين عملوا بالزراعة وذلك أثناء العصر الحجري الحديث[1] (شكل ٢٣)[2].



(شكل ٢٣) رسم تخطيطي لقطاع يوضح ترتيب طبقات كهف بلت.

وتجدر الإشارة إلى أن الأدوات التي كشف عنها في كهف بلت تشبه بشكل كبير تلك التي كشف عنها في كهف شانيدار الذي يقع في أقصى شمال العراق[3]، ولا يقتصر التشابه على تقنية صناعة الأدوات الحجرية فقط بل

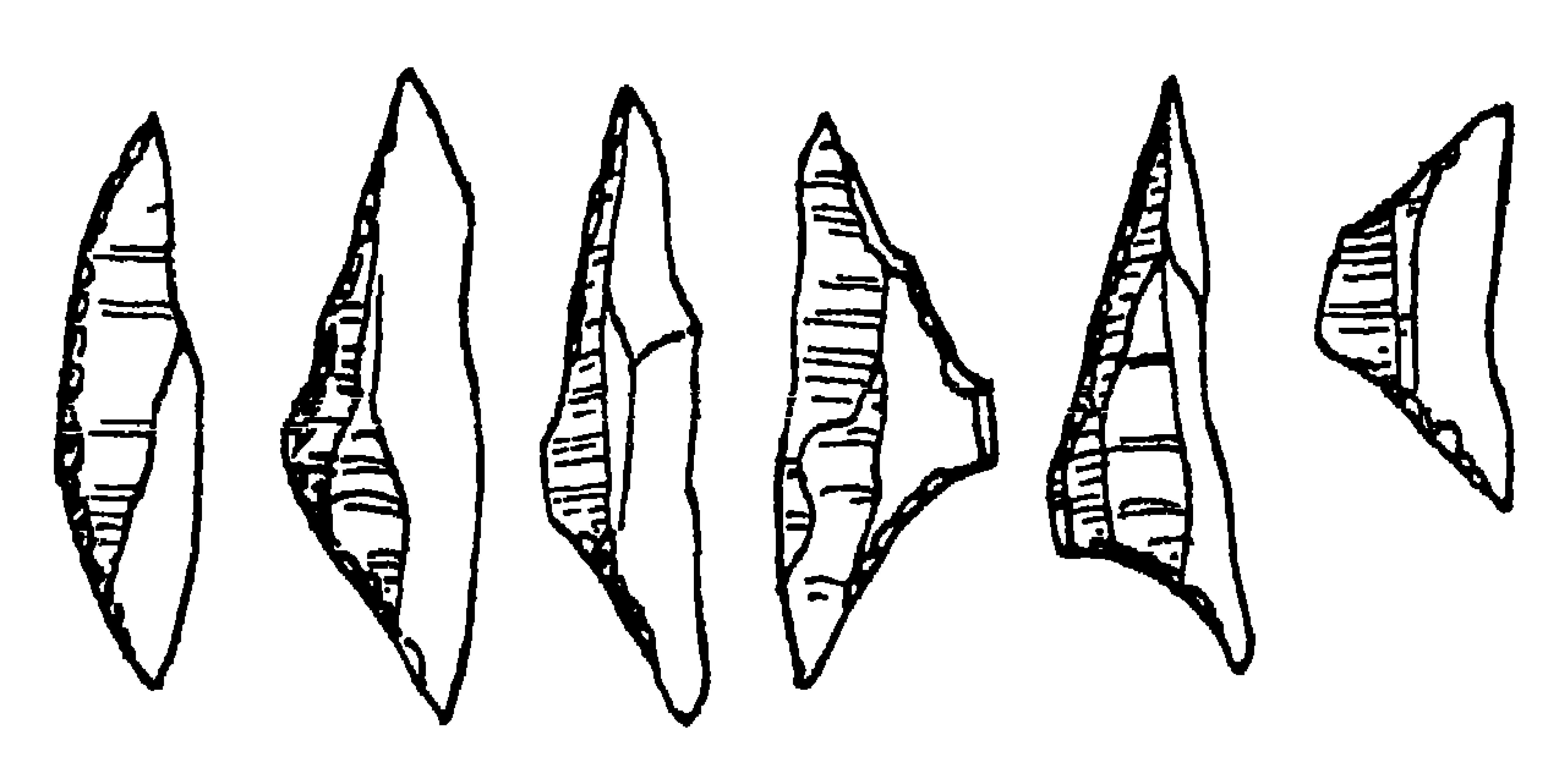
(١) Ibid., pp. 149-150, 167.

(٢) Ibid., p. 144.

(٣) يعتبر كهف شانيدار من الكهوف الكبيرة التي سكنها الإنسان منذ دور فرم الأول، ولقد عثر فيه على العديد من الهياكل البشرية والأدوات التي ترجع إلى العصر الحجري القديم والعصر الحجري الوسيط. انظر: =

يتعداه أيضاً إلى أنهما يرجعان إلى نفس الفترة الزمنية[1].

ويلاحظ أن معظم الأدوات الحجرية التي عثر عليها في كهف بلت تتكون بشكل رئيسي من الأسلحة النصلية وتتضمن المكاشط، وأدوات حجرية مشكلة بطريقة هندسية، وهي تعبر عن الإنتاج الحضاري للإنسان في مرحلة العصر الحجري الوسيط وبداية العصر الحجري الحديث في هذه المنطقة (شكل ٢٤)[2] فقد عثر في هذا الكهف على بعض الأدلة الأثرية المتصلة ببداية العصر الحجري الحديث، مثل بداية ظهور الأواني الفخارية الملساء، واستمرت هذه الأواني مستخدمة في هذه المنطقة حتى تطورت صناعة الأواني، فظهرت الأواني الملونة التي تشبه الأواني الفخارية التي ظهرت في المرحلة الحضارية الثانية في تبة سيالك[3].



(شكل ٢٤) أدوات حجرية ترجع إلى العصر الحجري الوسيط

Solecki, R., "Three Adult Neanderthal Skeletons from Shanidar Cave, Northern Iraq" =
Smithsonian Report Publication (1959-1960), pp. 603-635.,

Garrod, D. A E., **op. cit.**, p. 87.,

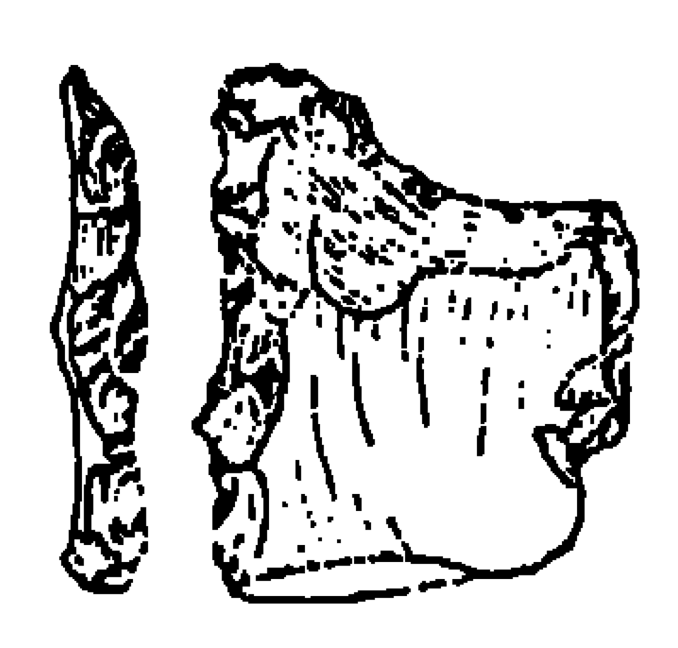
Clark, J. G. D., "In Mesolithic Times", in **C A H.**, vol. I, part I, pp. 120-121.

(١) Sunderland, E., **op. cit.**, p. 403.

(٢) Clark, J. G. D., **op. cit.**, fig. 15, nos. 15-20, p. 119.

(٣) = Coon, C. S., **op. cit.**, p. 166.,

ومن المواقع الأخرى التي كشف فيها عن أدلة أثرية لعملية النقلة إلى بداية العصر الحجري الحديث كهف هوتو Hotu الذي يقع بالقرب من كهف بلت على شاطىء بحر قزوين، فيلاحظ أن الأدوات المصنوعة من حجر الصوان والتي كشف عنها في الطبقة العليا من كهف هوتو تختلف كلية عن الأدوات التي ترجع إلى العصر الحجري الحديث، فهي تتكون بصفة رئيسية من مكاشط حجرية خشنة مشكلة من قطع من النواة الأصلية، وكذلك بعض السكاكين الصغيرة والأدوات القزمية (شكل ٢٥)[١] وكان لسكان كهف هوتو في هذه المرحلة بعض التجارب في صناعة الأواني الفخارية، ويلاحظ أن بعض هذه الأواني قد ميز بعلامات تشبه الحبال، وظهرت محاولات لتزيين بعض الأواني برسوم إنسانية، إذ عثر على آنية عليها رسم خشن لسيده.



(شكل ٢٥) أدوات حجرية ترجع إلى ما قبيل العصر الحجري الحديث (كهف هوتو)

وعثر في كهف هوتو كذلك، على عظام حيوانية، يرجح أنها إما لحيوانات مستأنسة، أو، ما زالت في طور الاستئناس، ويطلق على هذا الإنتاج الحضاري تعبير «ما قبل العصر الحجري الحديث»[٢]. وهو يرجع

Field, H., **Ancient and Modern Man in South Western Asia**, University of Miami, 1956, p. = 126.

(١) Coon, C. S., **op. cit.**, p. 201.

(٢) **Ibid.**, pp. 202-203.

ويذكر كارلتون كوون أنه يمكن التفرقة ما بين عظام الحيوانات المستأنسة والحيوانات البرية، في أن عظام الأولى تكون بيضاء وذات ملمس دهني، كما أنها ناعمة ورقيقة ولونها=

إلى الفترة الزمنية الواقعة ما بين العصر الحجري الوسيط، والعصر الحجري الحديث. ولقد كشف في كهف هوتو على بعض الهياكل البشرية، بعضها لأطفال، ومن الناحية الزمنية، فأنه يرجح أن تكون المخلفات الإنسانية في كهف هوتو تمتد من الألف الثامن وحتى الألف الرابع قبل الميلاد تقريباً[1].

ولقد عثر في كهف غاري خار Ghar-i-Khar على أدوات حجرية تشبه في صناعتها تلك الأدوات التي كشف عنها في كهفي بلت وهوتو، ومن هذه الأدوات القزمية التي عثر عليها العديد من السكاكين المثلثة ذات السطح المشذب، وأجران حجرية، ومخاريز مصنوعة من العظام[2].

ومن هذه المواقع كذلك، تبة جانجي داره Ganj-i-Dareh، وهي تقع جنوب بيهستون بحوالي ١٤ كيلومتر، على ارتفاع يصل ما بين ١٣٠٠ - ١٤٠٠ متر، ويصل عمق المخلفات الأثرية في هذا الموقع حوالي سبعة أمتار، ويمكن تحديدها من الناحية الزمنية بأواسط الألف التاسع قبل الميلاد تقريباً. ولقد كشف في موقع تبة جانجي داره عن بقايا معمارية صلبة يصل سمكها إلى عشرين قدماً، ويستدل منها، على أنها كانت لمساكن بهدف الاستقرار الدائم وليس المؤقت. وفي الوقت ذاته، فإنه لم يعثر على أية مخلفات فخارية في هذا الموقع، بينما عثر على كميات كبيرة من العظام الحيوانية. وكان حجر الصوان هو المادة الرئيسية التي صنعت منها الأدوات

= زاه. أما عظام الحيوانات البرية كالغزال وغيره، فإن لونها يكون بني وخشن، وتتميز كذلك بسماكتها وغلظها. وحينما بدأ الإنسان عمليات استئناس الحيوان، بدأ بالحيوانات التي يستطيع الامساك بها وترويضها، وبمرور الزمن أخذ في اختيار الحيوانات التي تتناسب مع متطلبات حياته، فربى الحيوانات التي تعطيه الصوف واللبن والشحم. انظر:

Ibid., pp. 150-151.

(١) Sunderland, S., op. cit., p. 407.,و

Coon, C. S:, op. cit., p. 197.

(٢) Young, T. C., Smith, P. E. L., op. cit., pp. 387-388.

الحجرية، ولم يعثر على أية أدوات مصنوعة من حجر الأوبسيدان. ولقد عثر على بعض القطع الحجرية التي يبدو أنها كانت لبعض الأواني، كما عثر كذلك على بعض الأدوات المصنوعة من العظام.

ولم يتوصل سكان هذا الموقع إلى مرحلة إنتاج الطعام، حيث لم يكشف عن أي أدلة أثرية مباشرة توضح هذا الأمر. ويرجح كل من P. E. L. Smith, T. C. Young أن يكون موقع تبة جانجي داره يرجع إلى فترة ما قبل العصر الحجري الحديث، والتي تحدد في هذه المنطقة بالفترة من ١٠,٠٠٠ - ٨,٠٠٠ ق. م[1].

ويرجع إلى نفس هذه الفترة الزمنية، موقع آخر، هو تبة أسياب Tepe Asyab وهو يقع بجوار تبة جانجي داره ويطل على نهر كاراسو Karasu إلى الشرق من كرمنشاه بحوالي ستة كيلومترات. ولقد كشف في تبة أسياب عن بعض الأدوات الحجرية المصنوعة من حجر الصوان، والتي يحتمل معاصرتها للأدوات التي كشف عنها في موقع كريم شاهير في العراق. وعثر في تبة أسياب على بعض أدوات الزينة المصنوعة من الأحجار كالعقود والقلادات وكذلك بقايا أساور مصنوعة من الرخام. وبالإضافة ألى الأدوات الحجرية والحلى، فلقد عثر على العديد من الأشكال الطينية الصغيرة، منها ما يمثل أشكالاً مبهمة لا يمكن تحديد ما تهدف إليه.

ومن الأمور التي قد تشير إلى وجود نوع من الاعتقاد في العالم الآخر، الكشف في موقع تبة أسياب عن دفنتين نثر فوقهما التراب الأحمر - وهو الأمر الذي سنناقشه فيما بعد[2] - كما عثر كذلك على كميات كبيرة من العظام الحيوانية والأصداف النهرية.

(١) Ibid., pp. 388-389.

(٢) انظر ص.

ويذكر J. Braid wood أنه من الأشياء الملفتة للنظر في موقع أسياب، الكشف عن كميات كبيرة لما يمكن أن يكون برازاً متحجراً، وفي حالة التأكد من أن هذه المادة هي براز متحجر، وأنها خاصة بالإنسان، فإنها في هذه الحالة تعتبر دليلاً قوياً على وجود مجموعة من الناس استطاعت تحقيق نوع من الاستقرار المعيشي في هذا الموقع، وكانت تعتمد في حياتها بشكل رئيسي على جمع الطعام، وإن كانت تتجه نحو مرحلة إنتاج الطعام. ويضيف J. Braidwood أن هذه المادة التي يرجح أنها براز، هي على الأرجح براز آدمي، وذلك من ملاحظة حجمها وشكلها، وهي توجد بكميات كبيرة مركزة في داخل المنطقة السكنية في موقع أسياب، وهو الأمر الذي يشير أيضاً إلى أنها براز آدمي، ولا يمكن أن نتوقع وجود براز حيوانات برية بهذه الكمية في هذا الموقع، كما أنه لا يوجد أي دليل على استئناس الإنسان للحيوان في منطقة أسياب[١].

ولقد كشف في موقع أسياب عن بعض حفر في الأرض، يبدو أنها كانت تثبت فيها أعواد البوص التي كانت تستخدم لبناء الأكواخ، ويبدو أنه لم تبني هذه الأكواخ بهدف الإقامة الدائمة، إذ يرجح أنها كانت تستخدم كمكان إقامة مؤقت في بعض فصول السنة فقط[٢].

وبالنسبة للتحديد الزمني للنشاط الإنساني في موقع أسياب، فيذكر J. Braidwood أنه يمكن القول بأنه يقع في الفترة ما بين ٩,٠٠٠، ٧,٠٠٠ ق. م[٣].

---

(١) Braidwood, R. J., Howe, B., Reed, C. A., "The Iranian Prehistoric Project", in **Science**, vol. 133, No. 3458 (7 April, 1961), p. 2008.

(٢) Mellarat, J., "The Earliest Settlements in Western Asia from the Ninth to the End of the Fifth Millennium B. C.," in **C A H.**, vol, I, part I, Cambridge, 1970, p. 262.

(٣) Braidwood, R. J., Howe, B., Reed, C. A., **op. cit.**, p. 2008.

ويرى جيرشمان R. Ghirshman[1] أن المرأة في هذا المجتمع البدائي، قامت بالأعمال التي تتطلب مهارة خاصة، فقد كان عليها حراسة النار، وربما كذلك، اختراع وصناعة الفخار، وكانت تبحث عن الجذور الصالحة للطعام، وتجمع الثمار البرية من الجبال. وكانت معرفتها للنباتات نتيجة ملاحظة طويلة ومثابرة كبيرة وأدى ذلك إلى تجربتها للزراعة، وكانت محاولاتها الأولى للزراعة في المسطحات الغرينية. ويرى أنه بينما ساهم الرجل بجزء بسيط في التقدم الحضاري، فإن المرأة بمحاولاتها المبكرة للزراعة البدائية، قد أدخلت العديد من الاختراعات خلال العصر الحجري الحديث، وذلك نتيجة لنقص التوازن الذي نشأ بين الأدوار التي قام بها الرجل والمرأة، وربما كان ذلك أصل بعض المجتمعات المبكرة التي كانت السيادة فيها للمرأة. وفي هذا المجتمع الذي تتسلط فيه المرأة (وربما كذلك في المجتمعات التي تمارس فيها المرأة الزواج بأكثر من رجل واحد) فإن المرأة كانت هي التي تدير شؤون القبيلة، وتُرفع إلى مرتبة الكهانة، وتكون وراثة الأسرة وتعاقبها عن طريق خط المرأة، واعتبرت المرأة كناقلة في هيئتها النقية لدم حياة القبيلة، وكان هذا النظام الذي تتسلط فيه المرأة، أحد الممارسات الخاصة للسكان الأصليين في الهضبة الإيرانية، وانتقلت تلك الممارسات إلى عادات الآريين الذين دخلوا الهضبة.

---

(١) Ghirshman, R., op. cit., p. 28.

٣ - المرحلة الحضارية الأولى

اصطلح على تسمية مرحلة العصر الحجري الحديث في إيران بأسم المرحلة الحضارية الأولى، وهي تمثل أقدم مراحل الاستقرار في منطقة الهضبة الإيرانية، أي مرحلة العصر الحجري الحديث أو مرحلة انتاج الطعام وما يتصل بها من الصناعات اللازمة للزراعة وبناء القرى والاستقرار.

ويمكن تتبع العديد من المواقع الأثرية التي ترجع إلى العصر الحجري الحديث في إيران سواء في الأودية أو على سفوح الهضاب، وتختلف التطورات الحضارية من منطقة إلى أخرى، بل أحياناً من موقع إلى آخر وذلك لأسباب بيئية وبشرية، فبينما تمكن بعضها من التوصل إلى مرحلة العصر الحجري الحديث تقريباً، في الوقت الذي توصلت إليه كل من عصر حضارة جرمو وحسونة في العراق القديم والفيوم أ ومرمدة بني سلامة وحلوان العمري ودير تاسا في مصر أو قبلها بقليل، فأن بعضها الآخر لم يصل إلى مرحلة العصر الحجري الحديث إلا في وقت متأخر عن ذلك. ويلاحظ كذلك أن الكثير من هذه المواقع قد توقف انتاجها الحضاري بعد مرحلة العصر الحجري الحديث، كما تباين الإنتاج الحضاري فيما بينها بشكل كبير.

واستمر الإنسان في العصر الحجري الحديث في سكنى الكهوف والمآوي الصخرية، وبالتدريج اصبحت المناطق المفتوحة مألوفة لديه.

وكان للرغبة الإنسانية في المحافظة على القديم وعدم التجديد أثـره في أن ظلت بعض المواقع تشغل لعدة قرون، وبمرور الزمن أدى تراكم المخلفات إلى تكوين ما يسمى «بتة» أو «تل».

وتعتبر منطقة زاجروس من المناطق الرئيسية التي لها اعتبارها في مجال نشأة المراحل الأولية للزراعة، حيث ظهرت في هذه المنطقة المراحل الأولى المبكرة لاستئناس النبات والحيوانات التي وجدت في حالة برية. ففي الجانب العراقي، كشفت الحفائر الأثرية التي أجريت في بعض المواقع مثل شانيدار وجرمو وحسونة، وجود هذه التطورات الحضارية دون وجود أية فجوات، والتي بدأت بنشأة المجتمعات الزراعية المبكرة بدءاً من مرحلة التنقل والاستقرار البدوي وأخيراً إلى مرحلة القرى الزراعية المستقرة. ويشابه ذلك في إيران القرى التي وجدت في خوزستان ولورستان، وكذلك في منطقة فارس وشمال إيران وشرقها[1].

وتمكن الإنسان خلال هذه المرحلة من التوسع في الإنتاج الزراعي، وكذلك استئناس الحيوان وبخاصة الأغنام والماعز والثيران، مع استمراره في ممارسة حرفة الصيد. وفيما يتصل بالصناعات الفخارية المميزة لهذه المرحلة بشكل عام، فيلاحظ أن الفخار في بداية أمره كان ذو لون أسود، وربما يرجع ذلك إلى عدم القدرة في التحكم في النيران المعدة لحرقه في هذه المرحلة المبكرة، ثم ظهر نوع جديد من الفخار يتميز بأن حافته حمراء وعلى سطحه بقع سوداء ناتجة عن اشعال النار. وتمت الخطوة التالية من التقدم في صناعة الفخار، وهي التي تسمى بالتمهيد للفخار الملون، وقد غطيت الأواني بشرائط بيضاء في خطوط أفقية ورأسية، ويبدو أن هذه الزينة تحاكي السلال التي صنعها الإنسان في أول أمره، وقد أظهر بالألوان جدائل

(١) Dicks, B., The Ancient Persians, U. S. A, 1979, P. 19

الأغصان[1]. إلا أن ذلك لا يمنع من وجود بعض التطورات الخاصة والمميزة لبعض المناطق، والتي قد تختلف مع هذه التطورات أو تتفوق عليها، وسيتضح ذلك من دراستنا لبعض المواقع الإيرانية التي ترجع إلى هذه المرحلة.

وقرب نهاية هذه المرحلة أخذت الأدوات القزمية في التطور، وبدأ الإنسان يفهم خواص المعدن، فقد تعرف على طرق النحاس، ولكنه ظل جاهلاً بفن صبه. ويتضح مما كشف عنه من أعداد كبيرة من قطع الصلصال التي لها شكل المسند، وكذلك فلكات المغازل الحجرية المستدقة، أن صناعة النسيج الأولية البدائية قد عرفت بالفعل[2].

ويظهر الإنجاز الفني لهذا العصر في أتم صورة في النحت على العظم، فكان يشكل أيدي أدواته على هيئة قرون الغزلان أو الحيوانات البرية، ومن أجمل القطع التي عثر عليها، يد سكين تمثل رجل من هذا العصر يرتدي غطاء للرأس وثوب أسد ثبت بواسطة حزام[3]. (شكل ٢٦) وأحب الرجال والنساء الزينة الشخصية، فصنعوا عقوداً من الأصداف، ونحتوا خواتم وأساور من الأصداف الكبيرة أو الأحجار، وكانوا يصحنون طلاء الوجه في هواوين صغيرة بواسطة مدقات صغيرة الحجم[4].

ومن أهم المظاهر الحضارية التي تميز هذه المرحلة الأولى من مراحل الاستقرار في الهضبة الإيرانية بناء المنازل، وكانت المنازل في أول أمرها عبارة عن أكواخ بسيطة شيدت من أغصان الأشجار وكسيت بالكتل الطينية

---

(١) Ghrishman, R., **op. cit.**, p. 29.

(٢) **Ibid.**, p. 29.

(٣) Ghirshman, R. **Fouilles De Sialk**, vol, Paris, 1938, P. 17, Pl. VII, LIV.

(٤) انظر على سبيل المثال:

Schmidt, E. F. Excavations at Tepe Hissar Damghan, Philadelphia, 1937, P. 61.



(شكل ٢٦) يد سكين مصنعة من العظم

حتى تساعد على تماسكها، وبالتالي تكون بمثابة حيطان لهذا المنزل الأول، ثم استخدمت كتل الطين في تشييد هذه الجدران، وفي بعض المواقع الإيرانية كان لهذه الجدران أساس حجري، وقد اتخذت هذه المنازل الشكل المستطيل في تخطيطها.

وفيما يتصل بدفن الموتى، فقد دفن الموتى اسفل أرضية المنازل في وضع مقرفص، ووضع على عظام المتوفي التراب الأحمر، وهي الممارسة التي عرفت في أماكن أخرى، ويبدو أن ذلك راجعاً إلى تغطية جسد الإنسان باللون الأحمر، أو يحتمل أن ذرات أوكسيد الحديد كانت تنثر فوق جسد الميت قبل دفنه، ومن ثم فإنه عندما يبلى الجسد تكون العظام قد صبغت باللون الأحمر[١]. ويتجه بعض المؤرخين في تفسير وجود اللون الأحمر إلى احتمال فائدته في اعطاء الحياة لصاحب تلك الجثة، وذلك على اعتبار أن هذا اللون الأحمر يرمز إلى الدم الذي يعتبر جريانه في جسد الإنسان دليل على أن هذا الإنسان يتمتع بالحياة، ويمكن الاستدلال من ذلك على إيمان أصحاب تلك الحضارة بالحياة الأخرى[٢]. ومما قد يشير إلى هذا الأمر كذلك ـ وهو الإيمان بالحياة الأخرى ـ وأن الحياة في العالم الأخر ستكون مطابقة للحياة الدنيا، ما عثر عليه في المقبرة رقم (T. 5) في التل الشمالي في تبة سيالك، فقد وضعت فأس حجرية مصقولة بجوار الهيكل العظمي، وقد

---

(١) Childe, C. New Light on The Most Ancient East, London, 1964, P. 192.

(٢) رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص ١٥١ ـ ١٥٢.

وضعت الفأس بطريقة تشير إلى أنها في متناول يد المتوفي، بينما يوجد إلى القرب من رأسه زوج من فكي الماعز[1]. (شكل ٢٧) وزودت المقابر بتجهيزات جنزية كانت توضع في أغلب الأمر بالقرب من رأس المتوفي، وأحياناً فوق جسده، وتكونت هذه التجهيزات من الأواني الفخارية والدبابيس النحاسية والسكاكين والخناجر وأدوات الزينة[2].



(شكل ٢٧) هيكل عظمي وقد وضعت الفأس بجوار اليدين

ومن المواقع التي ترجع إلى هذه المرحلة: تبة جوران، تبة ساراب، موقع علي كوش، تبة سابز، تبة موسيان، تبة جودين، كهف بلت، كهف هونو، تبة حاج فيروز، تبة سيالك، تبة جيان، تبة رالما، تل باكون. وتقع تبة

(١) Ghirshman, R. op. cit., P. 11, Pl. X,4.

(٢) Schmidt, E. F. op. cit., P. 302.

جوران على نهر الكرخة جنوب كرمنشاة بحوالي ٦٧ كيلومتر، ويصل ارتفاعها إلى حوالي ٩٥٠ قدم فوق مستوى سطح البحر. وتغطى بقايا الموقع الأثري مساحة تبلغ ١١٠ × ٨٠ متراً. ويبلغ سمك الطبقات الأثرية حوالي ثمانية أمتار، وهي تمتد من الناحية الزمنية من حوالي منتصف الألف السابع قبل الميلاد وحتى منتصف الألف السادس قبل الميلاد، وهي تعاصر عصر حضارة جرمو في العراق القديم، ويلاحظ أن تتابع الطبقات اتخذ نفس النظام الذي يمكن ملاحظته في العديد من المواقع التي ترجع إلى العصر الحجري الحديث، ويتكون الموقع من احدى وعشرين طبقة أثرية. وحددت الطبقات بالحروف الهجائية من A وحتى V, والطبقة A هي أعلى الطبقات.

وكشف في الطبقات الأثرية الوسطى من تبة جوران وذلك في بداية الألف السادس ق. م تقريباً عن بعض الأدوات المتصلة بالإنتاج الزراعي مثل الهواوين والرحى والمناجل، كما عثر كذلك على بعض حبوب الشعير المتكربنة، وثبتت المناجل المصقولة على امتداد حافتها في مقابض خشبية، وأصبحت الأدوات الزراعية شائعة في الطبقات الأثرية العليا، وعمل الإنسان على استئناس الحيوان، وفي هذه المرحلة كانت الماعز هي الحيوان الوحيد الذي تمكن من استئناسه، ولكنه اعتمد في حياته على صيد بعض الحيوانات الضخمة مثل الماشية البرية.

وفيما يتصل بالمساكن، فلقد أوضحت الحفائر في هذه المنطقة أن المساكن التي شيدت في الطبقات الأولى كانت عبارة عن أكواخ بسيطة من الخشب، وكانت جدرانها مستقيمة أو مقوسة قليلاً، وهي كانت تستخدم للسكن الموسمي وليس الدائم، وكان السكان في هذه الفترة من الرعاة الذين يعيشون في الموقع في فصل الشتاء فقط، وكانوا يصطادون كذلك الغزال والطيور، ثم شيدت المنازل من الكتل الطينية وذلك فوق أساس من الحجر.

٤ ـ المرحلة الحضارية الثانية

تؤرخ المرحلة الحضارية الثانية بحوالي نهاية الألف الخامس وبداية الألف الرابع قبل الميلاد، وهي تعاصر المرحلة المعروفة باسم «عصر استخدام النحاس والحجر» Chalcolithic ، وهو عصر حضارة البداري[١] في مصر وعصر حلف[٢] في العراق القديم.

وتعتبر المرحلة الثانية من التطور الحضاري لعصور ما قبل التاريخ في إيران استمراراً للمرحلة الحضارية السابقة، تقدمت فيها مناحي المظاهر الحضارية التي تتبعناها في المرحلة الحضارية الأولى وتوجد البقايا الأثرية لهذه المرحلة فوق المخلفات الأثرية للإنسان في المرحلة الحضارية الأولى مما أدى إلى وجود اشتراك في بعض طبقات التلال بين المرحلتين الحضاريتين الأولى والثانية.

ويستدل من الأدلة الأثرية المتخلفة من المرحلة الحضارية الثانية على استخدام الطوب اللبن في البناء مما أدى إلى ازدياد مساحة المنازل، وطليت جدران الحجرات بطلاء أحمر اللون مستخرج من أوكسيد الحديد المنتشر بكميات كبيرة على الهضبة الإيرانية. ويشير ذلك إلى تفاعل الإنسان وإمكانات البيئة المحيطة به، ومحاولته استغلالها وما يتفق ومطالب حياته،

---

(١) تقع البداري ـ وهي أحدى مراكز محافظة اسيوط ـ على الضفة الشرقية للنيل ـ فيما بين أبو تيج وطما، عبر النهر.

(٢) يقع تل حلف في أعلى نهر الخابور على مبعدة ١٤٠ ميلاً إلى شمال غرب نينوى.

ومما لا شك فيه أنه لم يتوصل إلى ذلك إلا بعد فترات طويلة من الملاحظة والتجارب.

ولقد نمت القرى بسرعة واتسعت تجارب الإنسان في مجال الزراعة، فتمكن من التوصل إلى استخدام المحراث، وتمكن الإنسان من استئناس بعض الحيوانات ـ وذلك بالإضافة إلى الحيوانات التي استأنسها في المرحلة الحضارية الأولى ـ ومن هذه الحيوانات نوع من الكلاب السلوقية، وحصان من نوع Przewalski وكان هذا الحصان صغير الحجم قوي الجسم له عرف فرس منتصب سميك، ولقد استخدم هذا الحيوان في السفر والنقل، وفي نفس الوقت فأنه كان يستخدم في العمل في الحقول[1].

واستمرت الأواني الفخارية تصنع بواسطة الأيدي، ومن المظاهر المميزة للمرحلة الحضارية الثانية ظهور نوع جديد من الفخار ـ وذلك بالإضافة إلى وجود الأنواع السابقة ـ ويمتاز هذا الفخار الجديد بكونه أصغر حجماً، وأنه مصنوع بعناية كبيرة، ومحروق بشكل أفضل بكثير من الأنواع السابقة، والشيء الجديد في هذا الفخار والجدير بالانتباه يتركز في زينته التي نفذت بطلاء أسود على أرضية حمراء داكنة، وهي تتكون من صفوف من الحيوانات والطيور المليئة بالحركة، ولقد تمكن من رسمها بواسطة خطوط بسيطة، وبواقعية شديدة.

واستمر خام النحاس يطرق ولا يصب، وصنع منه في هذه المرحلة العديد من الأدوات كالمخارز والدبابيس، واصبحت الحلى أكثر وفرة وثراء، إذ أضيفت إليها بعض المواد الجديدة مثل الفيروز والعقيق الأحمر.

وظل الموتى يدفنون في وضع مقرفص أسفل المساكن. وتجدر الإشارة إلى أن مصر في هذه المرحلة أي أثناء عصر حضارة البداري قد تمكنت من الوصول إلى مرحلة متفوقة فيما يتعلق بإيمان الإنسان بحياته في

---

(١) Ghirshman, R.. op. cit., p. 34.

العالم الآخر، فقد تمكن البداريون من بناء منازل خاصة للموتى في مكان خاص بهم؛ أي جبانة، واعتنى البداري بالمحافظة على جثة المتوفي بصورة ملحوظة، فقام بتغطية المتوفي بالحصير والجلد والقماش للمساعدة في الحفاظ على جثته[1]، وقد اعطت هذه الحقيقة لمصر في تلك المرحلة تفوقاً حضارياً ملحوظاً في منطقة الشرق الأدنى القديم، لأن الاهتمام بحقيقة الموت ومصير الإنسان بعد الموت يعتبر تقدماً فكرياً يصل إليه الإنسان بعد تطوره المادي الدنيوي بصورة ملحوظة.

واعتمد الإنسان في سد بعض حاجياته الغذائية على القمح والشعير الذي كان ينمو برياً، ويحتمل كذلك أنه قد تمت زراعته بالفعل على بعض المسطحات الغرينية، ويتجه الاستاذ جيرشمان إلى القول بأن إيران قد ادخلت زراعة القمح إلى الأقطار المجاورة ومنها مصر[2]، ولكن هذا الرأي يصعب تقبله، حيث تثبت الأدلة الأثرية التي كشف عنها أن مصر قد توصلت إلى إنتاج القمح - أي إلى زراعته - توصلاً محلياً صرفاً في عصر حضارة الفيوم أ[3]. ومن ناحية أخرى فإنه يلاحظ أن الأبحاث الحديثة يتجه بعضها حالياً إلى اثبات أن مصر قد توصلت إلى زراعة القمح منذ الألف الثامن ق. م.

ونتيجة للتطور الحضاري المادي الذي حققه الإنسان في هذه المرحلة، فقد وجدت دوافع كبيرة للتجارة والتوسع، وكانت كل المنتجات التي ينتجها الإنسان تستخدم كعملة في التبادل التجاري في هذا المجتمع البدائي. وفي هذا العصر، وعندما كان الإنسان ما يزال في بداية استخدامه للمعادن، فإنه من المتفق عليه بشكل عام أن نشاطه التجاري كان يتضمن ما

---

(١) Baumgartel, E. J.: "Predynastic Egypt", **In C A H**, Vol, I, Part I, Cambridge, 1970, P. 469.

(٢) Chirshman, R., **op. cit.**, p. 35.

(٣) Caton - Thompson, G., and Gardiner, E. W., **The Desert Fayum** vol. I, London, 1934, pp.41-48.

في بئيته من نباتات وأشجار وحيوان ومواد طبيعية، كبعض أنواع الأحجار الجيدة والأصداف وغيرها.

ولقد ظهر الانتاج الحضاري لهذا العصر في العديد من المواقع على الهضبة الإيرانية، مثل: تبة سيالك (خلال المرحلة الحضارية الثانية) تبة كارا، تبة جيان، (مرحلة جيان الخامسة)، موقع كشمة تل، تل باكون «ب».

٥ ـ المرحلة الحضارية الثالثة

يتمثل التطور الحضاري التالي لعصور ما قبل التاريخ في إيران في المرحلة الحضارية الثالثة، وهي تتضمن الجزء الأكبر من الألف الرابع قبل الميلاد. وتعاصر هذه المرحلة حضارة العبيد والجزء المبكر من حضارة الوركاء في العراق القديم، وفي مصر تعاصر حضارة جرزه الأولى وحضارة العمرة وعصر حضارة نقادة الأولى.

وتوضح الأدلة الأثرية التي كشف عنها في العديد من المواقع الإيرانية خلال المرحلة الحضارية الثالثة وجود تقدم ملحوظ في مجالات النشاط الإنساني أثناء هذه الفترة على الهضبة الإيرانية. ففي مجال العمارة يلاحظ اختفاء الجواليص الطينية التي كانت تستخدم في بناء المساكن، وحل مكانها قوالب مصنوعة من الطمى ذات شكل مستطيل، ويلاحظ مما تبقى من هذه المباني أن أبواب المنازل كانت ضيقة ومنخفضة فكان ارتفاعها عادة أقل من ثلاثة أقدام، وكانت النوافذ تقع على الشارع، ووضعت في الجدران أواني فخارية لتحمي المنازل من الرطوبة، وظلت الجدران الداخلية للمنازل تزين باللون الأحمر، ولكن يلاحظ أنه قد استخدم إلى جواره اللون الأبيض كذلك. وقسمت أحياء القرية بواسطة شوارع ضيقة وملتوية.

ومن نتائج هذا التقدم الحاسمة في مجال صناعة الأواني الفخارية، اختراع عجلة الفخار وحرق الأواني في أفران معدة لذلك. وكان من نتائج

التوصل إلى اختراع عجلة الفخار ظهور العديد من الأواني الفخارية ذات الأشكال المختلفة، مثل الكؤوس الكبيرة والأقداح ذات القواعد المرتفعة والأواني التي تستخدم كأدوات زينة وغيرها. وأدى إعداد أفران خاصة بحرق الأواني إلى التمكن من التحكم في ضبط قوة النيران، وتنوعت ألوان الأواني ما بين الرمادي والوردي الأحمر والأخضر.

وفيما يتصل بزينة الأواني خلال المرحلة الحضارية الثالثة، فيلاحظ أن الفنان قد اتجه في أول الأمر نحو الواقعية في زخرفة أوانيه، فقام برسم الحيوانات الموجودة في بيئته مثل الأفاعي والنمور والوعول والنعام، وأدي هذا العمل بمهارة كبيرة، فلم يعد يعبر عن أجساد الحيوانات بواسطة الخطوط المستقيمة، بل أخذ في اعطاء اعتبار لحجم الحيوان الذي يقوم برسمه، وبعد ذلك أخذ الفنان في رسم ذيول الحيوانات ورقابها وقرونها وقد استطالت بشكل سيء، ثم اصبح يرسم قرون الحيوانات ملتفة حول نفسها في عدة دوائر وقد اتصلت بالجسد، وفيما بعد، وجدت رغبة في العودة للواقعية مرة أخرى، ويلاحظ أن المناظر قد اصبحت تفيض بالحياة والحركة. وتعددت موضوعات هذه المناظر فكان منها مناظر الصيد التي تتعاقب مع المناظر الخلوية التي تمتليء بمناظر الصراع مع الحيوانات، ومنها ما يظهر فلاحاً وهو يقود ثوره بواسطة حلقة موضوعة في أنفه، ومن هذه المناظر ما يمثل مواكب الراقصين وهم يقومون برقصة مقدسة[1].

وكان صانع الفخار فناناً تشكيلياً كذلك، فلقد شكل نماذج للحيوانات وصنع لعباً للأطفال وقرابين نذرية للآلهة المسؤولة عن حماية قطعان ماشيته وقد وضعت أمامها تماثيل للحيوانات التي يرغب في حمايتها. ولقد عثر على أعداد كبيرة من التماثيل تمثل إلهة الإخصاب، ولقد عثر عليها غالباً بدون

---

(١) Ghirshman, R., Iran from the Earliest Times to the Islamic Conquest, P. 36.

رأس ، وهذا البتر كان يتم عمداً ، ويتجه الأستاذ جيرشمان إلى الاعتقاد بأنهم كانوا يهدفون من وراء ذلك منع أي شخص آخر من استخدام هذه التماثيل الصغيرة بعد موت صاحبها[1] .

وواكب هذا التقدم الذي شهدته الهضبة الإيرانية خلال المرحلة الحضارية الثالثة ، تقدم صناعة المعادن ، فتوصل الإنسان خلال هذه المرحلة إلى عملية صهر النحاس وصبه ، وأدي ذلك إلى زيادة المصنوعات النحاسية وتنوعها بشكل كبير ، وأخذت تحل تدريجياً محل الأدوات الحجرية ، فاستبدلت الفأس الحجرية بأخرى مصنوعة من النحاس ، كما عثر في المنازل التي ترجع إلى هذه المرحلة على سكاكين مصنوعة من النحاس كذلك .

واصبحت الحلى أكثر تنوعاً وثراء ، فبالإضافة إلى الأصداف والعقيق الأحمر والفيروز ، وجدت كذلك القلادات والخرز المصنوع من أحجار الكريستال واللازورد ، كما بدأ الصناع في صناعة بعض الأدوات الخاصة بالزينة مثل اسطوانات مسطحة للمرايا ذات حواف مرتفعة قليلاً ، ودبابيس كبيرة برؤوس نصف كروية .

ونظراً لازدياد النشاط التجاري فقد ظهرت الحاجة لتأمين كميات الأواني وضمان صيانة البضائع ، وحتى يستطيعوا تمييز ملكية هذه الأشياء ، فقد بدأوا في استخدام الأختام التي اصبحوا يختمون بها السدادة التي تغلق فتحة الآنية ، وفي بعض الأحيان كانوا يقومون بختم قطعة من الطين تتصل بالآنية بواسطة حبل . وهذه الحقيقة لها أهميتها من الناحية الإجتماعية ، فهي تدل على شعور الفرد بشخصيته الذاتية وملكيته الفردية في المجتمع . وكان شكل الأختام المبكرة ، التي ظلت بدون تغيير لفترة طويلة ، عبارة عن قطعة

---

(١) Ibid., p. 40.

حجرية ذات شكل كمثري مزودة بشريط، وكانت النقوش التي عليها في أول الأمر عبارة عن زينات هندسية ، ولكن سرعان ما حل مكانها أشكال إنسانية ونباتية ثم رموز، ويمكن القول أن هذه الرموز قد استلهمت من الزينة الملونة التي ظهرت على الأواني الفخارية[1] .

وفيما يتصل بالاعتقاد في الحياة في العالم الآخر، فلم يحدث تقدم فكري ملموس على الهضبة الإيرانية خلال هذه المرحلة ، حيث ظل الموتى يدفنون أسفل أرضية المنازل ، واستمرت الممارسة التي اتبعت من قبل وهي نثر التراب الأحمر فوق أجساد الموتى .

ولقد ظهر الانتاج الحضاري للمرحلة الثالثة في العديد من المواقع على الهضبة الإيرانية ، مثل موقع تبة سيالك وذلك خلال المرحلة الحضارية الثالثة بطبقاتها الأثرية السبع ، وتبة حسار خلال المرحلة الحضارية الأولى بطبقاتها الأثرية الثلاث ، وموقع تل باكون أ من الطبقة الأولى وحتى الرابعة ، وموقع بسيدلي وتبة جوى Geoy وتبة يانيك Yanik وموقع تبة جيان خلال المرحلة الخامسة ، وأخيراً فمن أهم المواقع التي ترجع إلى هذه المرحلة موقع سوسة في جنوب غرب إيران .

الفصل الرابع

إيران في الألف الثالث ق.م



في بداية الألف الثالث ق. م دخل السهل العراقي الغنى العصر التاريخي. ويرجع الفضل إلى السجلات التي كتبها سكانها عن تاريخ بلادهم، في اماطة اللثام عن تاريخ إيران الذي توجد الإشارات الأولى له والتي أزاحت الظلام الذي يكتنف تاريخ إيران منذ ٢٠٠٠ سنة فقط ومع ذلك فإن هذا لا ينطبق على عيلام التي ما لبث أن أصبح لها دورها الخاص في تاريخ إيران. أما بقية المناطق الواقعة شمال سهل سوسة فإن معلوماتنا القليلة عنها تأتي من المصادر البابلية. وعلاوة على ذلك فإن هذه المصادر البابلية لا تذكر شيئاً عن الجهات الداخلية البعيدة في إيران، وإنما تكتفي فقط بالمناطق المتاخمة لها على الحدود والتي كان يعيش سكانها على التلال، وكانوا دائمي الاحتكاك بأهل بلاد النهرين السومريين والساميين.

وسكان التلال هؤلاء هم من الجنوب إلى الشمال العيلاميون والكاشيون والوللوبيون والجوتيون وهم ينتمون جميعاً إلى جنس واحد ويتكلمون لغات متشابهة. وقد أدى الضغط المستمر الذي كانت تفرضه عليهم الممالك المتحضرة في السهول إلى اتحادهم أحياناً وبصفة مؤقتة، إذ كان الكفاح مستمراً بين الأمم المتحضرة في السهول وبين البدو وأشباه البدو في المناطق الجبلية. وكانت كلما تكونت أسرة قوية في بابل تحاول مد نفوذها على حساب سكان المناطق الجبلية، ومن ناحية أخرى، كلما ضعفت بابل انحدر سكان المناطق الجبلية إلى مناطق السهول الغنية يحتلونها لفترات مختلفة[1].

(١) Ghirshman, R., Iran, From the Earliest times to the Islamic conquest, London, 1978, PP. 50-

ويشير بعض المؤرخين ومنهم طه باقر[1] أن السومريين قد سموا الإقليم الكائن إلى شرق وادي الرافدين الأسفل بمصطلح «نـم» الـذي يفيد معنـى النجد المرتفع، وسماه الأكديون الساميون في العراق باسـم «ايلامتـو» ولا يعرف بالتأكيد هل الكلمة الأكدية ترجمة للمصطلح السومري أو هي تصحيف للكلمة السومرية «إنم» (NIM) وذلك بإبـدال النـون لامـا وإن جاز احتمـال اشتقاق الإسم السومري من الإسم السامي «عيلام - إيلام».

وأما العيلاميون فسموا أنفسهم «حاورتي» أو «حافرتي» وله قراءة أخرى هي «خاتمتي» التي ربما تفيد معنى «أرض الإله» وأمـا النصـوص الفـارسية المتأخرة فعرفت الإقليم «هوفاجا»، ومنه الكلمة العربية «خور» و «خويرة» وهو إقليم «خوزستـان» وأمـا اليونـان فسمـوه باسـم عاصمتهـم «السـوس» (سوسا) وأطلقوا عليه إسم «سوسيانة» كما ورد جزء منهم من بلاد عيلام باسم «أنشان» و«انزان» وبلغ من شهرة هذا الإقليم أن عرفت به جميع بلاد عيلام، كما كانت هناك مدينة تحمل نفس الإسم إلى شمال غرب سوسـة علـى نهـر الكرخا، وقد وردت كلمة «ايلامتو» في التوراة تحت إسـم «عيلام»[2] كمـا وردت «سوسا» تحت اسم «شوشان» أو «شوشن»[3].

ويجب استثناء عيلام من هذه الصورة العامة. ففي حوالي الربع الأول من الألف الثالث ق. م كانت هناك أسرة عيلامية قائمة بالفعل تحكم مساحة كبيرة من السهول والمناطق الجبلية وتضمنت كذلك جزءاً هامـاً من ساحـل الخليج العربي ومنطقة بوشير ولقد عثر على نقش في هذه المنطقة يحتمل أنـه خاص بأحد الملوك. وقد كتب هذا النقش بالخط السومري، وهو الأمر الذي

(١) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، جـ ٢، ص ٣٨١.

(٢) اعتبرت التوراة «عيلام» أكبر أبناء سام، وأنه إليه ينتسب العيلاميون، وأن الفرس من ذريته أيضاً. أنظر: سفر التكوين: ١٠ : ٢٢، أخبار الأيـام الأول: ١ : ١٧، عزرا: ٤ : ٩.

(٣) نحميا: ١ : ١، دانيال: ٨: ٢، استير: ١ : ٤ - ٦، وانظر في ذلك:
Poebel, A. "The Name of Elam in Sumerian, Akkadian, and Hebrew", In A. J. S. L., vol. 48 (1931 - 1932), P. 20 ff.

بشير أنه في ذلك الوقت ورغم أن العيلاميين كانت لهم كتابتهم الخاصة بهم إلا أنهم قد استخدموا لغة جيرانهم السومرية.

وباعتلاء سرجون الأكدي العرش (٢٣٧٠ - ٢٣١٥ ق. م) دخلت عيلام في كفاح مرير دفاعاً عن حريتها وكيانها. ولم تكن القوتين متكافئتين، فلقد تمكن سرجون من الانتصار على عيلام في موقعتين، ويحتمل أنه قد تمكن من ضم سوسة إلى ممتلكاته[١]. وسار ابنه مانيشتوسو على نفس دربه وكان موفقاً في حروبه ضد إيران فتمكنت جيوشه بالفعل من عبور الخليج العربي لتأمين الطريق المؤدي إلى المرتفعات التي كان يجلب منها المواد اللازمة للبناء. وفي عهد نارام سن تمكن من إخضاعها بشدة وعين نارام سن موظفاً كبيراً ليحكم سوسة، وجعل من سوسة مقراً له ورفعه إلى مرتبة «شاكاناكو» (محافظ) وتمكن هذا الموظف من تشييد بعض المباني الهامة في المدينة. وقد حلت اللغة الأكدية (السامية) محل العيلامية، حتى أن الأسماء الخاصة أصبحت في غالبيتها سامية أكثر منها عيلامية واستمالت سياسة القوة هذه الثقافة المحلية، التي أوشكت أن تختفي لولا أنها ظلت قائمة في المناطق الجبلية الوعرة.

ومع ذلك فقد تمكن بعض العيلاميين في ظل سياسة الاخضاع هذه من استعادة هذا المنصب ومن هؤلاء «كوتيك - انشو شناق Kutik - In - shushinak» والذي ظهر اسمه في الوثائق الأكدية ك «بوزور - انشو شناق[٢]» والذي عينه نارام سن حاكماً تابعاً له في عيلام خلفاً للحاكم السابق. وقد انتهز «بوزور - انشو شناق» كل فرصة للنهوض بعيلام من جديد، وكان قادراً على تبني الحركة الوطنية فيها، وسرعان ما أخذت عيلام بزمام المبادئة فعادت إلى الظهور من جديد في الوثائق العيلامية نقوش مكتوبة بنقوش الكتابة ما قبل العيلامية جنباً إلى جنب مع النصوص المكتوبة بالأكدية، وأكثر من ذلك، فقد تظاهر

---

(١) Hinz, W., "Persia C. 2400 - 1800 B. C." In C. A. H., vol. I part II, PP. 647 - 649.

(٢) Barton, G. A., The Royal Inscriptions of sumer and Akkad, New Haven, 1929, P. 156 ff.

«بوزور . انشوشناق» بالدفاع عن سيده نارام سن وأقدم على اتباع سياسة جديدة تقوم على التوسع ومد حدوده بعيداً نحو الشمال حتى وصل إلى الاحتكاك بقبائل الجوتيين. وقد أثرى بلاده بالغنائم التي حصل عليها وشيد الكثير من المعابد والمباني، وقدم الحكام المجاورين له فروض الطاعة والولاء.

وبموت «نارم سن» أعلن «بوزور ـ انشوشناق» استقلاله، وهاجم بابل نفسها على رأس جيشه حتى وصل أكد، التي رد عنها بصعوبة، ومع ذلك فقد احتفظ باستقلاله عن بابل، وعند عودته أعلن نفسه ملكاً على «أوان» وانتحل لقب «ملك الأنحاء الأربعة» وعلى أية حال فهو آخر حاكم على «أوان» لأن قائمة سوسة التي تقدم أسماء ملوك «أوان» تنتقل من بعده مباشرة إلى أسرة «سيماش» وبعد ذلك نرى بابل قد أخذت في الضعف تدريجياً، واتجهت إليها الأنظار وخاصة بعد نجاح «بوزور ـ انشوشناق» فغزتها قبائل الوللوبي والجوتي الواحدة بعد الأخرى فقد جاؤا من الأودية المرتفعة لغزو بابل.

وقد عاش الوللوبيون Lullubi في عبر الطريق القديم الذي لا يزال يصل إلى بغداد مخترقاً كرمنشاه إلى حمدان وطهران وذلك في الجزء الشمالي من مرتفعات زاجروس، وكانوا جزءاً من مجموعة الشعوب التي تنتمي لأصل آسياني أو ما سمي "Zagro Elamite" وقد امتد إقليمهم حتى بحيرة أورميا وربما إلى أبعد من ذلك شمالاً[1]، وهي المنطقة التي تقع على أحد الطرق الطبيعية القليلة التي شكلتها الطبيعة المؤدية إلى الهضبة منذ آلاف السنين. ولقد قام سرجون الأكدي بالفعل بهزيمة سكان التلال هؤلاء ولكن الملك نرام سن وجه إليهم ضربات أشد، فبعد الثورة التي قاموا بها وسبق ذكرها، قام الحاكم السامي بتوجيه ضربة شديدة إلى الوللوبيين المتحدين مع الجوتيين في معركة كبيرة خلد نتائجها على لوحة منحوتة في الصخر في نواحي شهرى زور، ومع ذلك فإن في هذه المعركة، مثلها مثل أي اتصال آخر حدث بين القبائل التي تعيش على التلال وبين سكان السهول لم تكن نتائجها حاسمة سوى في زمن المعركةفقط. ونظراً لطبيعة الموقع الجغرافي لبلادهم، وسيطرتهم على الجبال المتحكمة في الطريق المؤدي إلى غرب إيران،

(١) عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٥٦١ ـ ٥٦٢.

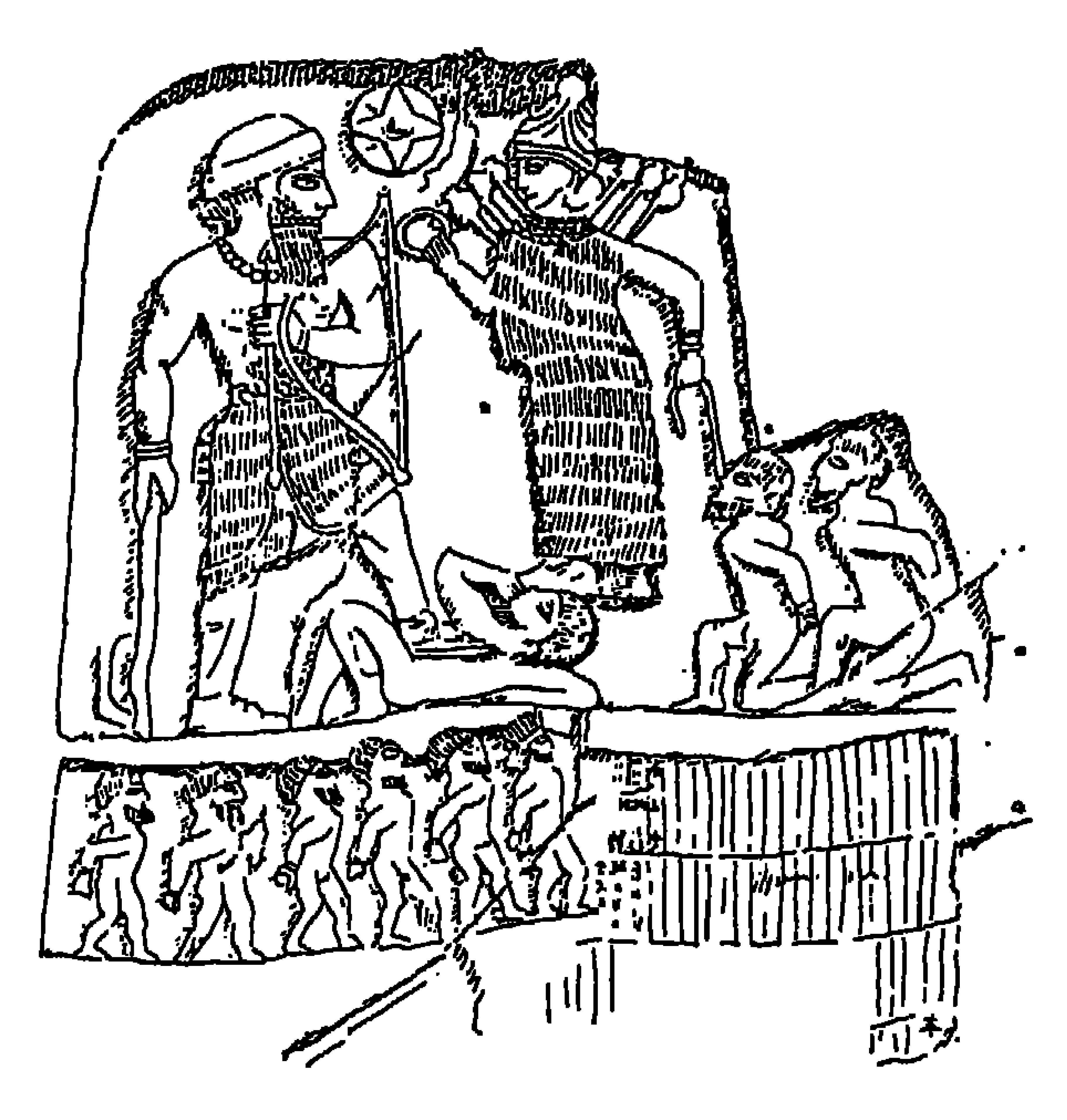
فقد تحكموا نتيجة لذلك في حركة القوافل التجارية والتجارة.

وعلى الرغم من وجود عداوة بينهم وبين بابل، فإنهم قد زودوا بابل في نفس الوقت بالبضائع ومن خلال زيادة المعاملات التجارية التي لابد منها، فقد وقعوا تحت التأثير الحضاري لجيرانهم الأكثر تحضراً. ومما يبرهن على ذلك نقشين بارزين نقشهما اثنين من ملوكهم على الصخور الجبلية في منطقة «سر - اي - بول - أي - زوهاب» ويحتمل أن أحد هذين الملكين على الأقل كان تابعاً للملك «نرام سن» وصور هذا الحاكم المحلي وهو يمسك بقوس ويطأ بقدميه أعداءه الراكعين تحت قدميه وهم يتوسلون إليه في ضراعة، ويبدو أن النقش المدمر جداً يعطينا اسمه وهو «تارلوني» Tar Lunni وتوجد هذه اللوحة في «الشيخ خان».

ويوجد نقش آخر أكثر أهمية، وهو مسجل في سطرين في نقوش بارزة في أعلى الصخر عند مدخل قرية سر - اي - بول الحديثة ويمثل هذا النقش الملك «انوبانيني» Annubanini أمير الوللوبي، وهو يقف بقدميه فوق أعدائه، ويرتدي لحية طويلة، وغطاء رأس دائري، ونقبة قصيرة، ومسلح بقوس وبأحد أنواع السيوف. ويوجد أمامه المعبودة نيني وهي ترتدي تاجاً طويلاً وتمسك بأصابع قدميها أسير ملقى على ظهره أسفل قدميها، وهي تمد إحدى يديها للملك وتمسك بالأخرى نهاية حبل قيد فيه أسيرين في الصف العلوي، وستة آخرين في الصف السفلي، وجميعهم عرايا، وقد ربطت أيديهم خلف ظهورهم ويوجد في مواجهة الأعداء الأسرى نقش مكتوب بالأكدية يبتهل فيه إلى العديد من المعبودات التي يلاحظ أن معظمها معبودات أكدية[1] (شكل ٢٨).

ونظراً لندرة الآثار المتبقية بشكل عام من هذا العصر في إيران نفسها وعدم وجود أية نقوش في هذا الجزء من إيران، فإن الأثرين السابقين يعتبران ذا أهمية كبرى في امدادنا بالمعلومات عن مستوى الحضارة المحلية ويقودانا رغم كل شيء إلى نتيجة مؤداها أن ساكني هذه المنطقة لم تكن لديهم كتابة

(١) Ghirshman, R., op. cit., pp. 54 - 55, fig. 22.



(شكل ٢٨) نقش بارز للملك أنوبانيني ملك الوللوبي

خاصة بهم يعبرون بها عن لغتهم . ومع ذلك فإنه يبدو أنهم في ذلك الوقت قد تأثروا بالحضارة البابلية ، ثم ما لبثوا أن استخدموا الكتابة واللغة الأكدية وذلك عند اتصالهم بجيرانهم الموجودين في الغرب ويمكننا القول كذلك أن فنانيهم القليلين قد تأثروا بشكل كبير بالفن الموجود في بلاد ما بين النهرين وحدث هنا مثلما حدث في عيلام ، فقد انتقلت حضارة السهل العراقي إما بالطرق السلمية أو بقوة الجيوش. ومع ذلك فإن دور الإيرانيين في هذين النقشين كان كبيراً ومستمراً ، فقد استمرت هذه الفكرة ، ومن ثم فقد رأينا على امتداد تاريخ ايران الطويل أجيالاً من الحكام يتركون العديد من نقوشهم على كل جوانب الهضبة ويتضح من هذه النقوش الأخيرة تأثرها بهذه النقوش المبكرة .

وفي أواسط الألف الثالث قبل الميلاد ، روعت بابل مرة أخرى بهجمات الجوتيين الذين جاؤا إليها من جبالهم الواقعة إلى الشرق من الزاب الأدنى واتجهوا إلى وادي ديالي الأعلى وقد ظلوا قروناً طويلة يهددون مدن

السهل. وقد كشف في وادي الخابور (شرق الفرات) على بقايا قلعة ترجع إلى عصر الملك نارام سن ملك أكد. ويبدو مرجحاً أن هذا البناء الذي شيد على الطريق التجاري بين أكد والأناضول، قد أقيم لحماية طريق التجارة من هؤلاء المتبررين وسكان الجبال، الذين سرعان ما تحولت غاراتهم إلى غزوات قضت على أسرة أكد.

ولقد قضى الجوتيون على أسرة الوركاء الرابعة التي لم تعمر أكثر من ستة وعشرين عاماً حكم خلالها خمسة ملوك قوضت عاصمة ملكهم هجمات الجوتيين العنيفة، الذين نهبوا البلاد وفرضوا الضرائب الباهظة على الأهلين، وكان من أثر هجماتهم الوحشية المضنية شلل عام في مرافق البلاد وانهيار شامل في اقتصادها الزراعي والتجاري. وللأسف فإنه لا يوجد لدينا تفصيلات عن هذه المرحلة التي تتسم بزلزلة بنيان الحضارة ومحاولة القضاء عليها، فالقوائم الملكية قلما تتفق، ولعل مما يشير إلى الاضطراب قصر مدد الحكم، وأما النقوش القليلة الباقية فلا تكاد تقدم سوى أسماء لا تصحبها تفصيلات حيوية، فنجد أحد الملوك واسمه «لاسيراب» يسجل نقشاً بالأكدية، ونجد ملكاً آخر وهو «أريد ويزير» يشير إلى لقبه «ملك الأنحاء الأربعة» في نقش يكرسه للمعبود «انليل» رب «نيبور»، ومع ذلك فقد ظلت بعض المدائن مزدهرة، وربما يرجع ذلك إلى أنها كانت تؤدي الضريبة المفروضة عليها بانتظام كما هو الحال في مدينة «أوما» ويبدو أن «أور» و «لجش» قبلتا كذلك الاحتلال على مضض وبدأتا تباشران حياة تعمير هادئة بقدر الإمكان، وربما كان تقبلهما للأمر الواقع كرد فعل ضد أكد والوركاء.

ويبدو واضحاً أن عيلام هي الأخرى لم تنج من هجمات الجوتيين الذين ظلوا طوال أكثر من قرن من الزمان هم السادة المسيطرون وإن كان ذلك قد تم بشكل همجي، فاحتلوا القرى والمدن وقطعوا أوصال المملكة، ولم يتركوها إلا وهي إمارات صغيرة. وتشير قائمة ملوكهم الطويلة إلى هذا العصر المضطرب. وقرب نهاية عهد الاحتلال الجوتي، بدأت الثقافة البابلية يصبح لها دور السيادة، وبدأت تتكون ببطء حركة مقاومة لهم، وقادت الأسرة

الجديدة التي تكونت في أور حركة المقاومة ضدهم . وتمكن ملوك بابل المحاربين من تحطيم قوتهم ، وأصبحت سوسة وسهولها مرة أخرى ولاية بابلية .

ولكن هذه الأسرة لم تستمر طويلاً ، إذ هزم ملكها بعد أقل من قرن من ظهورها ، واقتيد أسيراً إلى الجبال . وفي هذه المرة فقد جاء الغزو من اتجاه مغاير لاتجاه الجوتيين. وينتمي هؤلاء الغزاة إلى مملكة «سيماش» التي تسكن الجبال الواقعة إلى الغرب من اصفهان . وهكذا دخلت أرض الصيد في جبال زاجروس الحرب ضد المملكة البابلية وتمكنت «سيماش» من السيطرة على كل من سوسة وعيلام إلا أن أسرة ايسن تمكنت من احتلال «سيماش» واستولت على عيلام التي سقطت مرة أخرى في أيدي الاحتلال الأجنبي .

وازداد دور إيران في حياة شعوب غربي آسيا خلال الألف الثالث قبل الميلاد ونظراً لازدياد حاجة الممالك الكبرى في بلاد ما بين النهرين إلى المواد الخام اللازمة للمباني ، وكذلك الأسلحة وغيرها ، كما ازدادت كميات البضائع المصنعة ، مما اضطرهم إلى البحث عن أسواق جديدة ، فنحن نعلم أنه منذ عهد سرجون الأكدي كان هناك تجار عراقيون ومراكز تجارية سامية في آسيا الصغرى[1] . وكانت إيران من بين البلاد التي اتجه إليها ملوك ما بين النهرين ، وذلك نظراً لمتاخمتها لهم وغناها بالثروات الطبيعية المعدنية ، أصبحت مركز جذب لكل من يملك بعض القوة ليحاول ضم مقاطعاتهم الغربية .

وهدف ملوك بابل من حملاتهم العسكرية ضد إيران خلال الألف الثالث ق . م إلى هدفين الهدف الأول سياسي ، وكان الغرض منه عدم وجود دولة قوية منظمة في البلاد المتاخمة لحدودهم والهدف الثاني اقتصادي

---

(١) محمد عبد اللطيف محمد على : المراكز التجارية الأشورية في وسط آسيا الصغرى في العصر الأشوري القديم ، الإسكندرية ، ١٩٨٤ ، ص ١١ - ١٢ .

والغرض منه الحصول على ثروات إيران ونقلها إلى المدن العراقية. ومع ذلك فقد تمكنت إيران خلال الألف الثالث من القضاء على أسرتين بابليتين وهما أسرة سرجون الأكدي التي قضى عليها الجوتيون، وأسرة أور الثالثة التي تلقت ضربة قاضية من ملوك سيماش.

ولا تتوفر لدينا المعلومات عن الأحوال السياسية في الهضبة الإيرانية كما أننا لا نعلم شيئاً عن مدى اتساع نفوذ أمراء العيلاميين أو ملوك الوللوبي أو الجوتيون. وفي سيالك توجد فجوة تصل إلى ألفي عام وأما في جيان فقد استمرت الحياة فيها دون تغير كبير. واستمر فن صناعة الفخار ممثلاً في الفخار الملون، الذي يشبه بشكل كبير الفخار الذي عثر عليه في سوسة ويعرف بالنموذج الثاني وعثر في المقابر على حلى مصنوعة من البرونز والفضة والعقيق والدلايات وعثر كذلك على دبابيس مصنوعة من البرونز، كانت تستخدم لتثبيت الملابس وكان بعضها بدون رأس وعثر في مواقع أخرى على أدوات مصنوعة من البرونز، وهو المعدن الذي كان شديد الندرة في هذا الوقت، مما يرجح إنه كان أغلى ثمناً من الذهب والفضة. ويستدل من ذلك على أن إيران كانت تسير نحو عصر البرونز[1].

وهكذا أمضت الهضبة الإيرانية الألف الثالث قبل الميلاد، حسب ما وصل إلينا من معلومات حتى الآن. وسواء امدتنا الحفائر في المستقبل بمعلومات أهم أو بقينا على معلوماتنا الحالية، فإنه من المؤكد أن سكان الهضبة الإيرانية لم يكونوا في الألف الثالث قبل الميلاد أو حتى في الألف الثاني أي وحدة قوية كما حدث فيما بعد، بل ظلت قبائل متفرقة يحارب بعضها البعض، ولا يهمهم إلا البقاء في أوطانهم، يحيا بعضها حياة سكان الجبال قانعين بوديانهم الخصبة القليلة، ومعتمدين على مراعيهم وعلى ما يجنونه من التجارة، فقد كانت إيران منذ أقدم عصورها تستخرج النحاس من مناجمها وتبيعه في بلاد الرافدين، ونشأت فيها مراكز هامة لصناعة الأدوات

(١) Ghirshman, R., op. cit., pp. 58, 60.

النحاسية أما الذهب واللازورد فكان يجلبهما التجار من إقليم باكتريا في افغانستان عن طريق إيران، كما كانت عيلام تمد بلاد الرافدين دائماً بأنواع الحيوانات لتبقى على سلالتها، لأن جو السهل لم يكن صالحاً لها .

الفصل الخامس

إيران في الألف الثاني ق.م



إن الحدث الذي يميز تاريخ غرب أسيا خلال الألف الثاني قبل الميلاد، هو ظهور عناصر من أصول هندو أوروبية في هذا الجزء من العالم القديم. وفي الحقيقة فإن الدور الذي قاموا به كان محدوداً في بداية الأمر. ويبدو أن هذه الشعوب قد تحركت من أماكنها الأصلية الموجودة في السهول الواقعة جنوب روسيا نتيجة ضغط شعوب أخرى عليهم.

وخرجت العناصر الهندو أوروبية في شعبتين: شعبة غربية دارت حول البحر الأسود (بعد أن عبرت البلقان والبسفور) ووصلت إلى آسيا الصغرى حيث كونت المملكة الحيثية، التي استطاعت أن تمد غاراتها فيما بعد حتى بابل، ثم نراهم بعد فترة يلاقون مصر وجهاً لوجه في عنفوان الأمبراطورية المصرية.

والشعبة الأخرى، فهي الشعبة الشرقية التي عرفت باسم الهندو - إيرانيين، وقد تحركت شرقاً حول بحر قزوين وخرجت منها بضعة فروع اتجه أحدها عبر القوقاز إلى أعالي الفرات حيث اختلط بالحوريين أهل البلاد السابقين وكونوا مملكة ميتاني التي سيطرت على شمال بلاد ما بين النهرين ووديان شمال زاجروس، وتحالفت هذه الدولة مع مصر، وارتبط ملوكها مع ملوك مصر بروابط المصاهرة، واختفت هذه الدولة من مسرح الاحداث بنهاية القرن الرابع عشر ق. م، نتيجة الخلافات الداخلية وهجمات الحيثيين عليها. واتجه فرع آخر وسط جبال زاجروس إلى المنطقة الواقعة في جنوب طريق القوافل حيث استقر فيها كأقلية نشيطة، (اشتهرت منطقتها فيما بعد

بتربية الخيول)، عرفت باسم الكاشيين الذين يحتمل بأنهم هم الذين تسببوا في القضاء على مدينة حسار أثناء اندفاعهم غرباً للاستقرار في تلك المنطقة وذلكَ في حوالي منتصف الألف الثانية قبل الميلاد.

وقد انحدرت شعبة أخرى من هؤلاء المهاجرين إلى الشرق، فدخلت إلى ممرات «هند وكوش» متبعة الطريق القديم لغزاة الهند على طريق نهري «بنديشير» و «كابول» وقد خرجت من بين هذه المجاميع شعبة إلى الغرب قرابة منتصف الألف الثاني ربما كانت موجة تبعتها موجات أخريات جاءت في القرون التالية بالإيرانيين إلى الهضبة. كان السواد الأعظم من أولئك الهندو - أوربيين يعيشون حياة البداوة وكانوا يمتازون بالقوة والجلد ولديهم ميزة حب القتال، ويربط بينهم نظام قبلي وليس معنى حياة البداوة أنهم لم يعرفوا التقدم أوكانوا همجاً لم يصل إلى علمهم شيء من مقومات الحضارة، ولكنهم كانوا أقوياء يعرفون الكثير من الأشياء وعلى الأخص ما يتصل منها بالحرب أو الدفاع، كما عرفوا بعض الصناعات التي تناسب بيئتهم المتنقلة، وكانوا يحسنون الفروسية وصنع الأسلحة أو ما يماثلها من الأدوات المعدنية.

وأمثال تلك الشعوب لا ينقصها الذكاء، ولا تنفر من اقتباس كل ما يقع تحت أنظارها إذا وجدته نافعاً لها، ولكنها تنفر من ترك تقاليدها المتأصلة في نفسها وكثيراً ما يبقى زعماؤها قادة حربيين لشعوبهم يعيشون في حصون أو خيام ولا تحلولهم متعة في أوقات فراغهم مثل متعة الصيد الذين يرون فيه مراناً لهم، وميداناً تتجلى فيه مواهب الشباب من أبنائهم أو أتباعهم.

ومن الملاحظ أن الأجيال القليلة الأولى من أمثال تلك الشعوب تظل في هدوء نسبي ولا تسبب مضايقات لا مبرر لها مع أي سكان ينزلون بينهم، ولكن أبناءهم الذين يشبون على مرأى من مظاهر الحضارة وربما كانت أمهاتهم من بنات البلاد التي ينزلون بها يصبحون أمراء أذكياء ناجحين، ويطمحون نحو التوسع، وينجحون في ذلك بفضل تماسك قبائلهم وقوتهم الحربية، وبفضل من ينضم إليهم من أبناء البلاد أنفسهم طمعاً فيما ينالونه من مغانم في تلك الحروب.

عيلام :

ظهرت في عيلام في الألف الثاني قبل الميلاد أسرة وطنية من الحكام الذين أطلقوا على أنفسهم القاب «الرسول الإلهي، الأب والملك (لانزان وسوسه)» وسجلت الوثائق التي ترجع إلى هذا العصر بالكتابة الأكدية، التي ظهرت فيها الكثير من الكلمات الوطنية التي تشير إلى تطور الحضارة المحلية. ويتضح هذا الأمر كذلك في الديانة فالمعبودة «شالا» والمعبود «انشوشيناك» كانوا أكثر شعبية من الآلهة البابلية[1].

وفي أوائل الألف الثاني قبل الميلاد غزا العيلاميون بابل، وأسس أحد أمرائهم أسرة في لارسا. وبعد ذلك تغلب العيلاميون على أسرة أيسين وسيطروا على الوركاء وبابل ولكن قيام «حمورابي وضع حداً للتوسع العيلامي وتطلب ذلك منه قرابة ٣١ سنة حتى تمكن من هزيمة غريمه «ريم سن» وبعد هزيمة العيلاميين اختفوا من مسرح الأحداث قرابة قرن من الزمان، حتى عادوا إلى الظهور من جديد بزعامة أحد ملوكهم الوطنيين وهو «كوتير ناهونتي» الذي أعاد تأسيس الدولة من جديد. ويلاحظ أن الوثائق التي ترجع إلى عهده قد كتبت بالأكدية مما يشير إلى سيطرة الثقافة السامية خلال القرن السابق. ولكن سرعان ما تختفي عيلام، وكان ذلك خلال الغزوات الكبرى التي قام بها الكاشيون.

الكاشيون :

تسجل النصوص التي ترجع إلى أوائل عهد «سامسو إيلونا» بن «حمورابي» قيام هذا الملك بصد هجمات الجيش الكاشي. وبعد ذلك بحوالي مائة وخمسين عاماً تعرضت بابل إلى اختراق سلمي من ساكني الجبال هؤلاء الذين هبطوا إلى السهل ليعملوا كعمال زراعيين. واستطاعوا في حوالي منتصف القرن الثامن عشر أن يصلوا إلى مركز الصدارة والسلطان في بابل. ويعتبر احتلالهم أطول احتلال تعرض له العراق القديم، إذ استغرق

---

(١) انظر: Hinz, w., op. cit., pp. 665 - 667.

٥٧٦ سنة ولم ينته إلا في عام ١١٧١ ق. م.

ولقد سكن الكاشيون قبل مجيئهم إلى بابل، السلاسل الوسطى من زاجروس، وهي لورستان الحالية، ولكن نفوذهم كان يمتد إلى الشمال والشرق من إقليمهم ويتجه بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن هذا النفوذ قد شمل كذلك المنطقة المحيطة بهمذان. وفي بداية الألف الثاني قبل الميلاد، امتزجت مجموعة السكان التي ترجع إلى الأصل الأسيائي Asianic بالمهاجرين الهندو-أوروبيين الذين كونوا أقلية حربية أرستقراطية، ووصلوا إلى الحكم كطبقة حاكمة، ولكنهم سرعان ما تركوا لغتهم الأصلية بعد فترة قصيرة. وتوضح الوثائق البابلية التي تشير إلى الكاشيين أنهم قد مرجوا بين الآلهة، فمزجوا بين الآلهة ذات الأصل الأسيائي والآلهة البابلية وكذلك المعبودات الهندو أوروبية. فنرى في مجمع معبوداتهم «شورياش» و «مروت تاش» و «ماروت» و «بورياش». ويبدو أن الحصان كان الرمز المقدس لدى الكاشيين، ويحتمل أن الطبقة الحاكمة هي التي قامت بإدخاله، مثلما حدث في مملكة ميتاني. وكان إلههم الوطني يسمى «كاشو»، ومما لا شك فيه أنه قد حمل إسم الشعب، وهو الأمر الذي نعلم حدوثه بين القبائل الأسيائية الأخرى.

وتوجد أقدم إشارة عن الكاشيين في وثائق ترجع إلى القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد وتنتمي إلى عهد الملك بوزور - أنشو شناق. ويبدو أنهم لم يقوموا بدور هام خلال الألف الثالث قبل الميلاد. ولقد عرفهم الأشوريون تحت إسم «كاس» وذكر سترابو أنهم يوجدون إلى الشرق من بحر قزوين شمال طهران. ويرى البعض أن كلمة «كاس» تقرن بكلمة الصفيح باليونانية «كاسيتيروس» التي تعني «المعدن الذي يجلب من بلاد الكاسيين». وكان إسم همذان قبل مجيء الميديين «اكيسيا» Akessaia، وأسماها الأشوريون «كاركاس» التي تعني «مدينة الكاسيون».

ومع ذلك فإنه يبدو محتملاً أن اصطلاح «كاس - س» أو «كاس - بي»

كان له معنى جنسياً أكثر اتساعاً، أكثر من إشارته إلى شعب واحد، من شعوب عديدة سكنت في زاجروس، بل هو يتضمن المنطقة التي احتلتها كل الأسيائيين في إيران[1].

وترك احتلال الكاشيون لبابل آثاراً عميقة في نفوس البابليين، فارتبط في أذهانهم بالقوة غير العادية التي تمتع بها الغزاة الأجانب. ويمكننا أن ندرك الأرضية التي ساعدت على هذا الاعتقاد في طول مدة الاحتلال الكاشي للعراق. ورغم قلة المعلومات التي يمكننا الحصول عليها من الوثائق الكاشية، فإنها مع ذلك تثير الدهشة، فإنه يبدو أنه لم يتم اختراع شيء حيوي في عهدهم. ورغم أن هذه الوثائق لا تتضح فيها أحوال بابل وعيلام، إلا إننا نعرف من مصادر أخرى أن الكاشيين قد اتصلوا بالمصريين خلال عصر العمارنة إذ تشير وثائق وخطابات العمارنة إلى وجود علاقات ود وصداقة بين امنحتب الثالث والملك الكاشي المعاصر له، الذي يبدو أنه الملك «كادشمان خاربي».

وهدفت القوات البابلية إلى طرد الكاشيين، وجاءت الحركة الأولى من عيلام التي تمت على يديها الضربة الأخيرة كذلك. ذلك أنه في بداية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، نشأت أسرة جديدة في عيلام تمثل عصرها الذهبي الذي يتمثل في مجموعة من ملوكهم هم «شوترك ـ ناهونتي» و «كوتير ـ ناهونتي» و «شلهاك ـ أنشوشناك». وأسس هذه الدولة «أونتاش حوبان» (أو أونتاش جال) الذي تميز بأنه كان بناء كبيراً، فبنى مدناً جديدة، وعمر المدن القديمة ورمم مبانيها. وفي مجال الفنون فقد وصلت الأعمال المعدنية إلى درجة عالية من الاتقان، وذلك إذا حكمنا عليها من التمثال الذي عثر عليه وهو خاص بزوجة الملك «أونتاش حوبان» الملكة «نابيراسو». وضعفت بابل في ظل السيطرة الكاشية، فلم تعد خصماً يخشى خطره، بل ربما جاء الخطر من أشور التي مدت يد الصداقة إلى بابل، وشبت الحرب، التي سجلت فيها عيلام أولى مراحل نجاحها.

---

(١) Ghirshman, R., op. cit., p. 65.

ووصلت عيلام إلى ذروة مجدها في عهد الملك «شوترك ـ ناهونتي الأول» (١٢٠٧ ـ ١١٧١ ق. م تقريباً)، وقام هذا الملك بتشييد المعابد في كل المدن الهامة في مملكته. واتجه قدماً وغزا بابل، وطرد آخر ملوك الأسرة الكاشية ووضع مكانه ابنه «كوتور ـ ناهونتي» الذي حمل معه إلى سوسة تمثال المعبود مردوك معبود بابل الوطني.

ويلاحظ من ذلك أن بابل قد نجت من احتلال رجال الجبال الإيرانيين، لتسقط بين فكي رجال السهول الإيرانيين. واستطاعت عيلام في عهد «الملك شلهاك ـ انشوشناك» (١١٦٥ ـ ١١٥١ ق. م تقريباً) إن تمد فتوحاتها إلى الشمال في منطقة ديالي، فوصلت حتى إقليم كركوك، واستمرت في اندفاعها شمالاً حتى آشور. ثم نزلت إلى بابل وحاصرتها. وهكذا بسطت عيلام سلطانها على وادي دجلة كله، وكذا على معظم شواطىء الخليج العربي، وسلاسل زاجروس. وهكذا تكونت أول دولة موحدة تحت الحكم العيلامي، وشملت هذه الدولة كل غرب إيران الذي ضمت إليه أقاليم الجبال الجنوبية والغربية. وأدت هذه الانتصارات إلى بعث الروح الوطنية العيلامية، التي كان من مظاهرها عودة الكتابة بالكتابة «ما قبل العيلامية» وبدأ التعصب ضد الثقافة الأجنبية يزداد وضوحاً، وأصبح «أنشوشناك» إلهاً وطنياً، كما أله الملك وأسرته خلال حياتهم. وتعتبر الفنون والعمارة التي عثر عليها عن معالم تلك النهضة، ومن أكثر المدن التي تمتعت بثمار هذه النهضة مدينة سوسة.

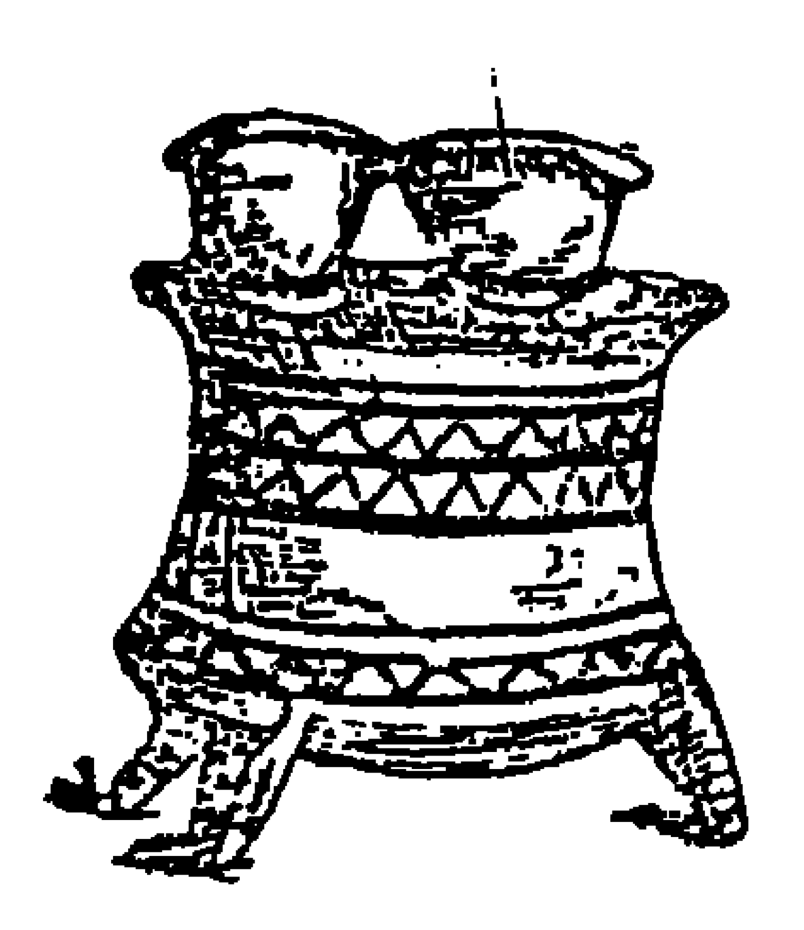
ولكن مثلما حدث غالباً في تاريخ شعوب العالم القديم، فإن عصر قوتهم تلاه عصر من الانهيار السريع. وكان ذلك هو مصير عيلام عند نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، وكان ذلك على يد أسرة بابلية جديدة استطاع أحد ملوكها وهو «نبوخذ نصر الأول» بعد عدة محاولات من القضاء على عيلام والاستيلاء على سوسة، وأعاد مرة أخرى تمثال المعبود «مردوك» في موكب النصر إلى معبده في بابل. وتختفي عيلام مرة أخرى من مسرح التاريخ، واستمر ابتعادها هذه المرة لمدة ثلاثة قرون. وانشغلت المملكتين الجديدتين في بابل وأشور في منافسة طويلة للسيطرة على السهل. وقلت أهمية الهضبة،

وعلى الرغم من استمرار قيمتها ، فإنها قد اضطرت إلى انتظار الأحداث التي غيرت بعد عدة قرون تالية وجه العالم القديم[1] .

واستمرت الفجوة التي وجدت في سيالك خلال الألف الثالث قبل الميلاد معظم الألف الثاني . واستؤنفت الحياة في هذا الموقع في وسط الهضبة نحو نهاية الألف الثاني . وسبق أن رأينا مصير حسار في الشمال الشرقي التي اختفت أخيراً خلال النصف الثاني من الألف الثاني .

أما جيان في الغرب فقد أمدتنا بمعلومات قيمة ، وألقت الضوء على التيارات المتغيرة التي أثرت في إيران في هذا الوقت . ويستدل من البقايا الأثرية التي عثر عليها في الطبقة الثالثة التي بيد وأنها تمثل استمرار صناعة الأواني الفخارية الملونة المحلية فإنها تتميز بظهور نوع جديد من الفخار له أشكال غريبة تميز بعضها بأن له ركيزة ثلاثية . ويبدو أن هذه الأواني كانت مألوفة في أجزاء معينة في زاجروس واستمرت مستخدمة فيها وبصفة خاصة في لورستان حيث عثر في المقابر التي ترجع إلى الألف الأول قبل الميلاد على عدد من هذه الأواني[2] (شكل ٢٩) .





(شكل ٢٩) بعض نماذج الأوانى الفخارية فى موقع جيان (الطبقة الثالثة

واستمر فخار ما قبل الإيرانيين في الطبقة الثانية في جيان ، ولكن وجدت عودة إلى تزيينه بزينة الحيوانات التي لم تستخدم في الطبقة الثالثة ، ومع ذلك ، فقد اتبعت هذه الزينة طرازاً جديداً ، وانتشر هذا الطراز في

(١) Ibid. PP. 67.

(٢) Ibid. PP - 67 - 68.

منتصف الألف الثاني قبل الميلاد خارج إيران ووصل حتى فلسطين. ووجد بجانب هذا الفخار المحلي. نوع آخر من الفخار أكثر جودة، وهو مزين بأشكال هندسية دقيقة مرسومة بألوان عاتمة، وكانت في بعض الأحيان من نوعيات فقيرة وملونة باللون الأسود. ويسمى هذا النموذج فخار «خابور» وقد انتشر غرباً حتى وصل إلى منطقة البحر المتوسط. ويتطابق تاريخ هذه الطبقة مع غزو الهكسوس لمصر، وغزو الكاشيين لبابل.

ولقد تعرضت طبقة جيان الأولى التي ترجع إلى النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد إلى تأثيرات مختلطة ومضطربة. ومن الصعب فحص كل التغيرات التي أثرت على فخار هذه المرحلة دون الأخذ في الاعتبار الأحوال السياسية بين الجماعات المجاورة لزاجروس من الشرق والغرب. ويتميز فخار المستقرين القدامى بكونه على هيئة الكأس ومزين بزينه على هيئة الحيوان أو زخارف هندسية. وجلب هذا الفخار من ما يسمى بالفخار «الحوري» والذي وجد بصفة خاصة عند حكام ميتاني، الذين كانوا في هذا الوقت في القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد يمدون حدود مملكتهم نحو الشرق، وضموا إليهم منطقة زاجروس التي كان يسكنها الجوتيون. واحتوت المقابر التالية في جيان على فخار له صلة به. على الرغم من أنه يمكن القول من الوهلة الأولى أنه فخار محلي، فقد كان غير مزيناً. ولقد سبق التأكيد طويلاً على توحيد هذا الفخار والحلى وكل شيء عثر عليه مع الأشياء الموجودة في بابل، وذلك عند نهاية الحكم الكاشي في القرنين الثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد.

ويبدو أن المؤثرات الغربية التي كانت تؤثر على غرب الهضبة قد توقفت عند هذا الحد. ودخلت بابل وأشور في صراع طويل مع بعضهما. ويبدو أن هذا الصراع قد قطع الاتصال بين زاجروس والعالم الغربي، حيث ظهرت في هذا الوقت التأثيرات الشرقية، وتتضح أولى علامات التغير في توصل سيالك وجيان إلى الفخار الرمادي ـ الأسود، أو الفخار الأسود، والذي لم يكن يوجد من قبل فيهما. ومع ذلك فإنه كان قد ظهر بالفعل في الألف الثالث قبل الميلاد

في حسار، حيث تمكنت الجماعات التي ترتبط به من تكوين نفسها تدريجياً، ثم تمكنت بعد مدة من نبذ الفخار الملون، وانتشرت في شمال إيران. ووصلت هذه الحضارة واستعملت في سيالك وكان الفخار الأسود الرمادي مستخدماً في الجبانة. وبالنسبة إلى جيان فقد كانت متأثرة إلى حد ما بالفترة السابقة وأبقت على فخارها المميز وكذلك على شكله.

وتعد النظرية التي قدمت بشأن القبائل التي جاءت مطرودة من الشمال والشمال الشرقي نتيجة ضغط داخلي عليها من أفضل النظريات التي فسرت تدمير حسار، ولقد كون «الجبل الهلالي» من قبل ستاراً حامياً بين سكان الهضبة، وبين العالم الواقع إلى شمالها وشمالها الشرقي. ولكن بدأ الضغط من هذه المنطقة. وبالفعل فإنه يعد ذلك بفترة قصيرة ظهر فخار جديد محل الفخار الأسود الرمادي. ويميز هذا الطراز الجديد بالجبانة «ب» في سيالك، وهي تشبه مقابر «لورستان» في جيان ووجدت الرابطة بين هاتين الحضارتين في قرية خورفين (Khurvin) التي تقع إلى الغرب من طهران بحوالي خمسون ميلاً، على سفوح التلال الجنوبية لسلسلة البرز. وعثر على عناصر مميزة لكل من الجبانتين أ، ب في سيالك في هذه القرية ولكن الأواني الفخارية تكاد تقتصر على الفخار الأسود الرمادي (وذلك فيما عد بعض الأواني المصنوعة من الفخار الخشن الشائع الاستعمال). واستخدم الحديد بشكل أكبر من استخدامه في الجبانة، وعثر كذلك على العديد من الأواني ذات القاعدة الطويلة، ويحتمل أنها أواني جنزية.



الفصل السادس

إيران منذ بداية الألف الأول ق.م وحتى مجيء الإسكندر الأكبر

١ - هجرة الميديين والفرس

في بداية الألف الأول قبل الميلاد تأثرت منطقة غرب آسيا بحادثين بالغي الأهمية تركا تأثيراً كبيراً وفعالاً في تاريخ شعوب هذه المنطقة، ويتمثل الحدث الأول في الغزو الهند أوروبي، أما الحدث الثاني فكان زيادة استخدام الحديد. ومع ذلك، فإنه بالرغم من هذه الموافقة فإنه لا يوجد أي سبب يجعلنا نفترض بأن هؤلاء القادمين الجدد قد أدخلوا استخدام هذا المعدن.

ويبدو أن هذا الغزو الهندو أوروبي - يشبه في طبيعته بشكل كبير هجماتهم المبكرة كما يحتمل كذلك أنهم قد جاؤا من نفس المناطق وتحركو في نفس الطرق فأخذوا طريقهم عبر البلقان والبسفور. فمنذ حوالي عام ١٢٠٠ ق. م. دفع «الألليريون» القبائل «التراقية الفريجية» إلى آسيا الصغرى وتوجه البلقانيون والفرجيون والأرمن والتراقيون والميسينيون إلى الأمبراطورية الحيثية التي قاموا بتدميرها، وألحقوا الدمار بالموالي والأعداء على حد سواء. وضمت هذه الموجة الفلسطينيين الذين استقروا في فلسطين فحملت الأرض التي استقروا بها منذ هذه المرحلة اسمهم. وقد حلت هذه الجموع التي عرفناها باسم «شعوب البحر» تصحبها العربات والفرسان وتسندها قوة بحرية من الشواطىء على شواطىء سورية وفلسطين ووصلت حتى حدود مصر، حيث تمكن الفرعون رعمسيس الثالث من إنقاذ مصر من عدوانهم المدمر. فعادت أدراجها إلى سوريا وآسيا الصغرى، حيث أنشأت «الدويلات الحيثية الجديدة» في حلب وحماه وقرقميش وملاطية. وضمت

ملاطية مملكتين الفريجيين في الغرب ومملكة الموشكى في الشرق.

وكان دخـول الإيرانيين لإيران في بداية الألف الأول قبـل الميلاد يخالف الشكل الذي عهدناه قبل الألـف عـام. فقد دخل الغزاة بالقوة وفـي موجات متتابعة. ويبدو أنهم قد اتخذوا نفس الطريقين اللذين اتخذوهما في المرة الأولى، وهما طريق القوقاز وطريق «ترانسوكسيانا» Transoxiana ومـع ذلك فإنهم في هذه الموجة لم يندمجوا بالسكان الأسيائيين، كما حدث بالنسبة للحوريين، والميتانيين والكاشيين. فبعد دخولهم البطيء استمروا عدة قرون، حتى تمكنوا من جعل أنفسهم سادة للبلاد، ثم بدأوا منها غزو العالم المحيط بهم.

ولم تتمكن الشعبة الشرقية من هؤلاء الإيرانيين القادميين عن طريق «ترانسوكسيانا» أن تتوغل إلـى الجنـوب من هنـد وكوش، لأن ما وراء هذه البقعة من البنجاب كانت تحت أيدي شعبة أخرى من الآريين الذين أصبحوا الهنود فيما بعد، وقد استقرت هذه الشعبة في هذه المنطقة منذ الغزو الهندو أوروبي الأول. وعلى ذلك فقد اضطر القادمون الجدد إلى أن يتجهوا ناحية الغرب إلى الهضبة عبر الطريق الطبيعي الذي يؤدي من «بكتريا» إلـى قلـب إيران[١].

وارتبطت هذه الهجرة الكبرى الهندو وأوروبية في آسيا مع العناصر التراقية الفريجية في آسيا الصغرى، والإيرانيين في الهضبة الإيرانية بشكل ما مع التحركات الواسعة جداً التي غزت وسط غرب أوروبا والتي حدثـت في نفس الوقت تقريباً. ويتشابه النومادين الذين غزوا أوروبا مع الإيرانيين في كونهما يحيون حياة البداوة معتمدين على قطعانهم ولم يكونوا من الشعوب الزراعية. وفوق كل ذلك فقد كانوا يحسنون تربية الجياد ويجيدون ركوبها واستخدامها في الحروب. وكانت مقابرهم، مثل مقابر الإيرانيين القدامى

(١) Ghirshman, R., op. cit., pp. 73 - 74.

ذات سقف مدبب على شكل جملون مثل سقوف منازل الشعوب الشمالية .

وكانوا يضعون إلى جوار الميت أسلحته وحليه وملابسه وكثيراً من الأواني وغير ذلك من الأشياء الخاصة . وقد عثر جيرشمان على آلاف من تلك الأشياء من الحراب والسيوف والخناجر وأنواع الأسلحة المختلفة ، ومنها أطقم الخيل ، كما وجد أيضاً كثيراً من الحلى مثل الأساور والعقود والأقراط والخلاخيل ، وبعض ما كان يتحلى به النساء والرجال من أحذية وصديريات وما كان النساء يضعنه في شعورهن من دبابيس معدنية طويلة لها رؤوس حيوانات ، أما المعادن التي صنعت منها تلك الأسلحة والحلى والأواني فإنها كانت في الغالب من النحاس والبرونز ، ولكن أكثر أسلحة الزعماء كانت من الحديد أما الحلى فكان بعضها من النحاس والبعض من الفضة والحديد أو الذهب .

ولقد شكلت سلاسل جبال زاجروس عقبة أمام تقدم الإيرانيين ، وكان يوجد وراءها شعوب لها ماضي عريق وحضارة متطورة عبر مئات بل آلاف السنين ، فقد كانت هناك عيلام وبلاد ما بين النهرين . ثم كان هناك إلى الشمال والشمال الشرقي حول بحيرة فإن مملكة «اورارتو» التي أصبحت أرمينيا بعد أربعة قرون .

وعلى ذلك فلم يتمكن الإيرانيون في ذلك الوقت من اقتحام هذه التخوم ، وقنعوا بالاستقرار في وديان زاجروس ، وعملوا طوال أربعة قرون تالية على امتصاص السكان الأصليين ، وقد تخلى الإيرانيون الغزاة عن الكثير من مظاهرهم السياسية والثقافية بل وبعض عقائدهم الدينية ، وبدأوا يتخذون حضارة القوم الذين نزلوا بينهم .

ويعتبر النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد نقطة تحول كبيرة في تاريخ الإنسانية فقد انتقل مركز «السياسة الدولية» من الأودية التي ظهرت فيها أقدم الحضارات مثل وادي النيل ، أو بلاد ما بين النهرين ، وانتقل شمالاً إلى مناطق ذات مظاهر طبيعية قاسية ، حيث تركز الصراع على القوة الدولية .

ووجدت ثلاث قوى رئيسية : الأشوريون الساميون بامبراطوريتهم الواسعة . ومملكة أورارتو المملكة الناشئة القوية ذات الأصل الآسيوي ، والتي كانت خصماً وعدواً لدوداً للأشوريين ، وأخيراً الآريون ، الإيرانيون الذين تمكنوا بعد كفاح طويل وشاق من الانتصار على كلا القوتين السابقتين واستطاعوا بما غنموا من أسلاب أن يقيموا على أنقاضهما إمبراطورية ضخمة .

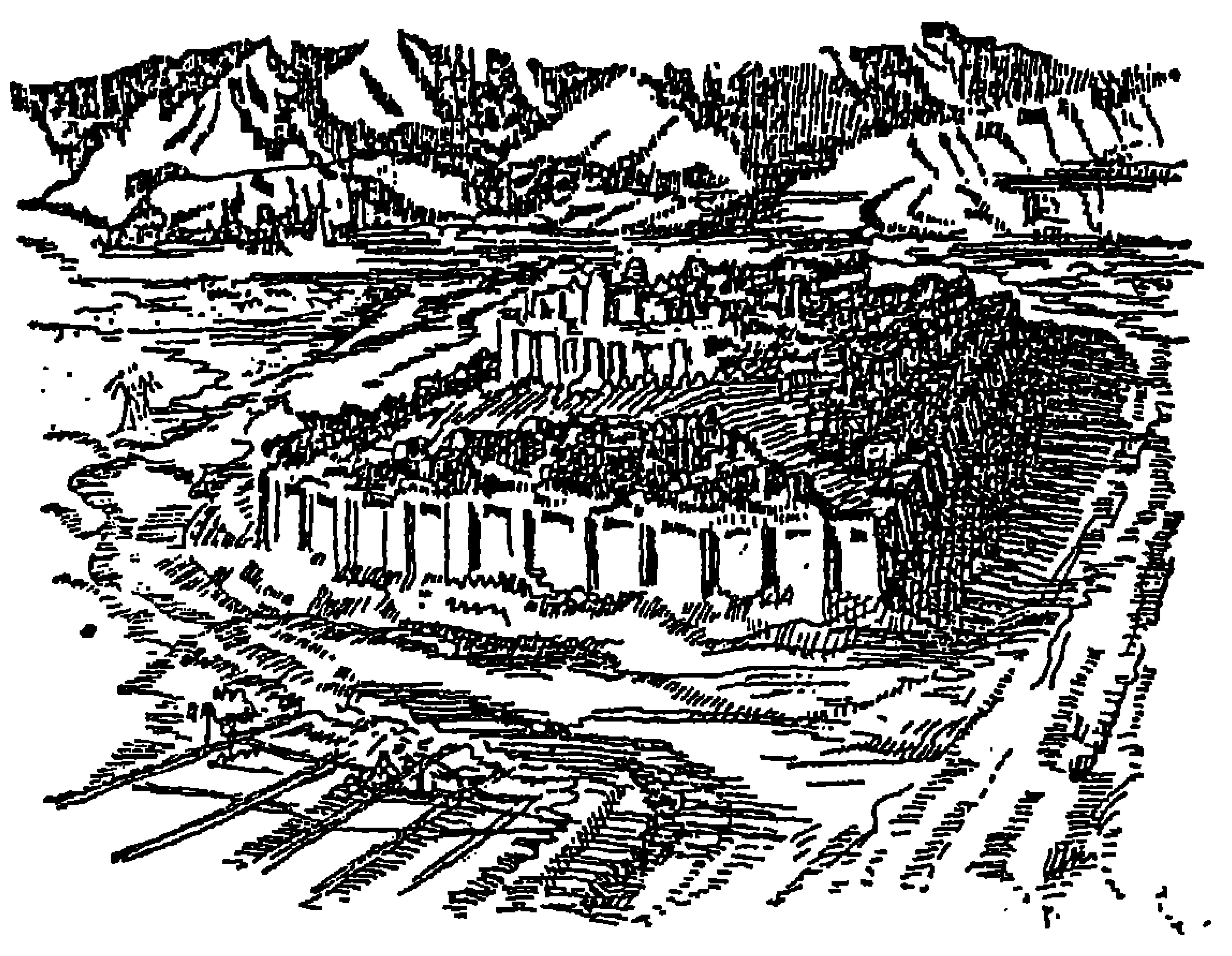
وجاء الفرسان الإيرانيون ومعهم نساؤهم وأطفالهم وقطعان ماشيتهم وكان لانقسام الهضبة إلى ولايات متعددة صغيرة فرصة كبيرة لهم فقد دخلت معظم هذه الولايات في خدمة الأمراء المحليين وتمكن رجال الحرب الذين يتعيشون من ورائها وكذلك الجنود المرتزقة من إزاحة الأمراء الذين كانوا يخدمونهم وحلوا في الرئاسة مكانهم . وبهذه الطريقة انتقلت هذه الولايات الصغيرة التي لم تكن أكثر من مدن يحيط بها الحدائق والحقول إلى أيدي القادمين الجديد. وتمت عملية إحلال بطيء بمرور القرون ، أثرت على مختلف مناطقة الهضبة بصورة غير متكافئة . وأرغم السكان المحليين تدريجياً على تسليم ممتلكاتهم إلى الجيش الغازي .

ومن الصعب كتابة تاريخ هذه التطورات وذلك نظراً لقلة المعلومات المتاحة لنا والناجمة عن ندوة المصادر إلى حد بعيد. وتعتبر الحوليات الملكية الأشورية هي السجلات الوحيدة المتاحة لنا. وتعتبر عملية توحيد ومطابقة أسماء الأمراء والمدن والبلاد التي ذكرت فيها غير مؤكدة حتى الآن .

وفيما يتصل بحضارة هؤلاء المحاربين وبصفة خاصة تلك القبائل التي تمكنت من السيطرة على سهول كاشان . فتجدر الإشارة إلى أنه قد شيد أحد هؤلاء الأمراء في سيالك مقراً ضخماً له على قمة تل صناعي وبنى مدينة شيدت منازلها على سفح هذا التل ، وأحاط بها سور ضخم تطوقه أبراج . (شكل ١١٤)[1] .

---

(١) Ibid. Fig. 28. P. 77.



(شكل ٣٠) رسم تخطيطي للمدينة التي شيدت في سيالك

ووجد تغير هام في طريقه الدفن ، ويعتبر هذا التغير علامة لتغيير جوهري لعادة قديمة بواسطة شعب جديد. فلم تعد المقابر تبنى تحت أرضية المنازل ، ولكن شيدت جبانة تبعد عن المدينة بعدة مئات من الأمتار وأطلق عليها «مدينة الموتى» ووضع الميت على أرضية المقبرة ، ووضع بجواره الكثير من الأدوات والمصنوعات ، فقد عثر في إحدى المقابر على عدة مئات من الأشياء . ووضع على رؤوس الموتى خوذات من الجلد ، وقد اختفت هذه الخوذات الآن ، ولكنها نقشت على اللوحات الفضية الصغيرة كزينة وعثر على العديد من أدوات الحلي وبصفة خاصة الفضة وكذلك البرونز ، ومن بين هذه الحلي دبابيس لها رؤوس الحيوانات ، والأساور والحلقان وزينات الشعر ، والخواتم وكان الرجال والنساء يستخدمون هذه الزينة وصنعت الخلاخيل عادة من البرونز ، ولكنها صنعت أحياناً من الحديد كذلك . وصنعت معدات القتال من السيوف والخناجر والدروع ورؤوس السهام من البرونز والحديد. واحتوت مقابر المحاربين عدة الحرب المصنوعة من البرونز أو الحديد ، واحتوت كذلك على ألجمة خيول محطمة ، وعناصر متعددة لتزيين رأس وصدر الحصان .

ومع ذلك، فإن الفخار يعتبر من أكثر الأدوات شيوعاً في هذه المقابر، وكان هذا الفخار أما ملوناً، أو ذا لون واحد، وكان هذا اللون أما رمـادي مسود أو أحمر أو ذات لون عسلـي، وكانـت هذه الأوانـي أمـا ذات غرض جنازي أو استخدام شخصي، ويستدل منها على التقدم الذي حدث في صناعة الفخار.

ومن أكثر أشكال الأواني جذباً للانتباه تلك التي تتميز بصنابير مستطيلة وكانت هشة بشكل كبير وسهلة الكسر مما يوحي بعدم استخدامها في الحياة العادية، وإن الغرض من صناعتها هو أن توضع مع الميت ووجد طراز هذا الفخار في جميع أنحاء إيران فقد عثر عليه في سيالك وجيان ولورستان وغرب طهران، وبالقرب من كاراج وجنوب بحيرة أورميا وكذلك في سولدوز.

ويتميز الفخار الذي عثر عليه في سيالك بكونه مزيناً برسوم قيمة ومثيرة للانتباه ومن المؤكد أن أصول تلك الزينة ترجع إلى فن رسوم الأواني على الهضبة، والذي لم يتوقف إنتاجه، ولكن يلاحظ أن الأواني التي عثر عليها في سيالك تعكس هذا الاتجاه الجديد. وبالإضافة إلى الأشكال الهندسية فقد احتل قرص الشمس مكاناً بارزاً في هذه الزينة وكذلك الوعل الجبلي (شكل ٣١)[١] الذي سرعان ما حل مكانه الحصان (شكل ٣٢)[٢]. وارتبط رمزي الشمس والحصان بصفة خاصة بكل الشعوب الهندو أوروبية وأصبحا بالتدريج موجودين بكثرة في الفن. فقد عثر في سيالك على أواني رسم عليها حصان بجناحين (شكل ٣٣)[٣] وكذلك على بعض المصنوعات البرونزية.

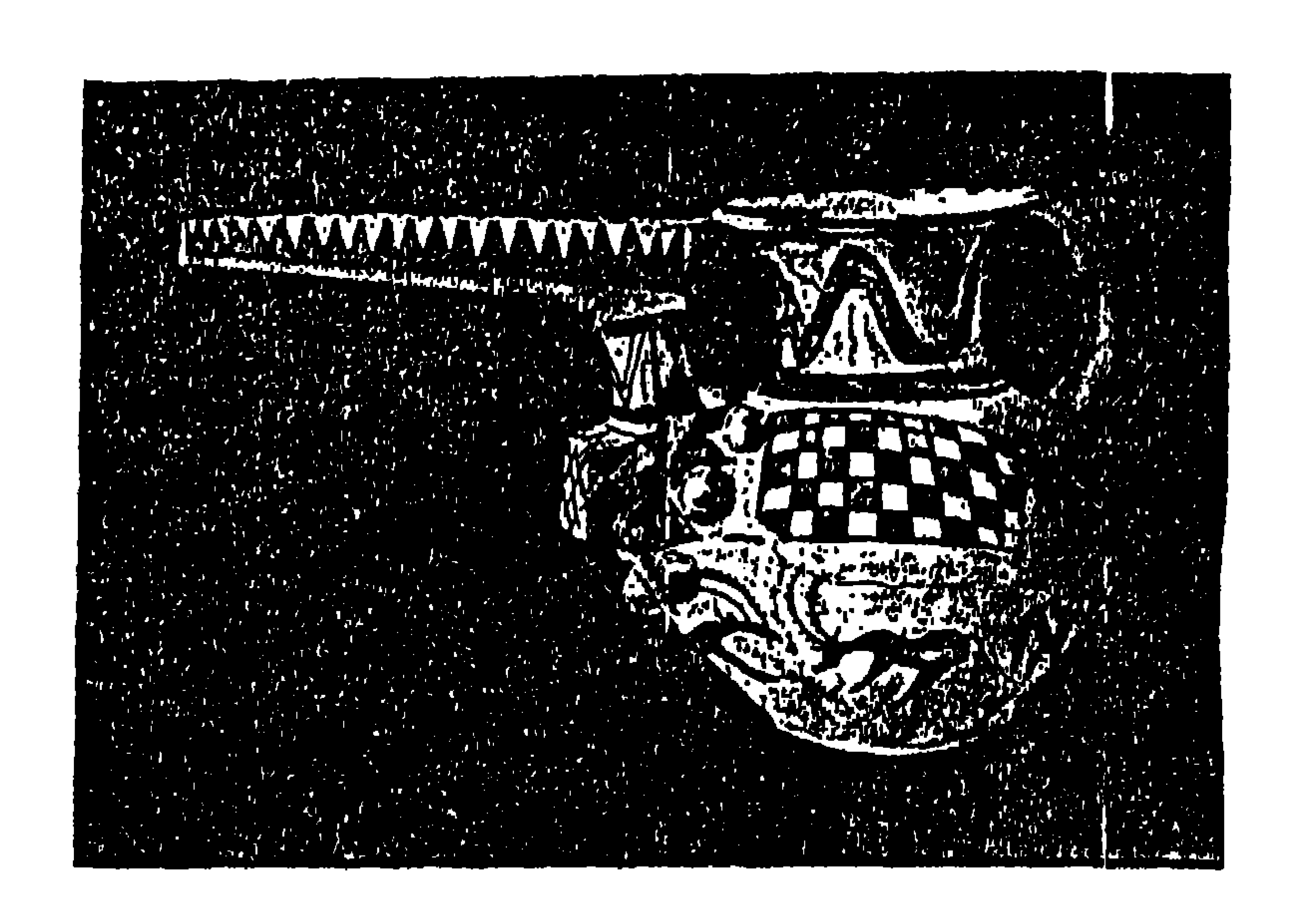
ولقد جاء أول ذكر للإيرانيين في حوليات الملك شلمنصر الثالث، إذ كانت توجد مواقع إقامتهم في طريق الجيش الأشوري أثناء قيامه بغزو زاجروس. ففي حوليات عام ٨٤٤ ق. م جاء ذكر إسم الفرس (بارسوا). وفي عام ٨٣٦ ق. م جاء ذكر الميديين (ماداي). ولكن لا يوجد لدينا أية أدلة

---

(١) Ghirshman, R., Perse, Proto - Iraniens, Medes, Achemenides, 1963. P. 291, Fig. 349.

(٢) Ibid., p. 15, Fig. 13.

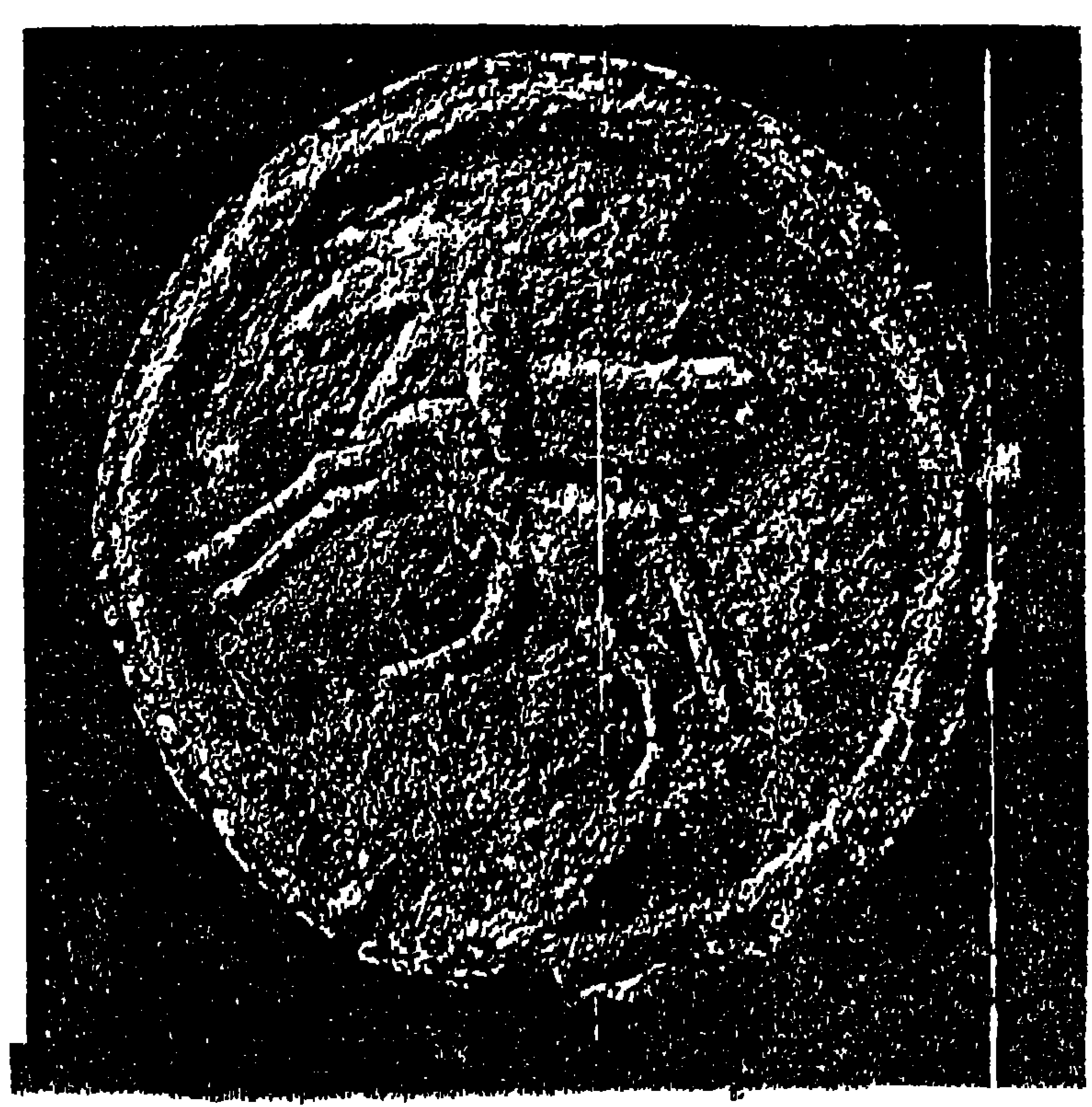
(٣) Ibid., P. 291, Fig. 350.



(شكل ٣١) نموذج لزينة الأوانى التى صور عليها الوعل الجبلي



(شكل ٣٢) نموذج لزينة الأوانى التى صور عليها الحصان



(شكل ٣٣) نموذج لزينة الأواني التي صور عليها حصان بجناحين

تجعلنا نعتقد أن الفرس وصلوا إلى هذه المناطق قبل الميديين.

وإذا وافقنا على ما ذكره الكتاب الأشوريين، فإن الفرس في هذا العصر كانوا يستقرون في المنطقة الواقعة إلى غرب وجنوب غرب بحيرة أورمية. أما الميديون فكانوا يستقرون في الجنوب الشرقي في مجاورات همذان. ومع ذلك، فإنه لا يمكن الاعتقاد بأن هذه الأسماء (الفرس والميديون) تشير إلى أصول جنسية. وإن يرجح أنها تشير إلى المناطق التي استقروا فيها منذ منتصف القرن التاسع قبل الميلاد.

ومن أضخم وأهم القبائل الإيرانية قبيلة «زيكيرتو» Zikirtu التي سماها اليونان «ساجارتيون» Sagartians وقد استقرت بعيداً في الشرق، ووصلوا حتى تبريز وحدود مملكة أورارتو وانتشرت شعبة من الميدين حتى أصفهان حيث صدهم العيلاميون. وقد استقر الـ «بارثانا» وهم البارثيون فيما بعد

حول بوابات بحر قزوين، بينما شغلت قبيلة «هارليفا» الواحات الواقعة في المقاطعة الجنوبية لخراسان[1].

وتشير حوليات الملك الأشوري «شمس أداد الخامس» إلى هزيمته لأحد القواد الإيرانيين من إقليم شمال بحيرة أورمية واستيلائه على ١٢٠٠ مدينة من مدنه. وهذه الإشارة لها مغزاها العميق، فقد انتشرت المدن المحصنة التي يحكمها أمراء إقطاعيون في غرب إيران. وكان يوجد بكل مدينة قوات صغيرة من الفرسان يصل عددها من ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ رجل. وكان تنافسهم وعدم وجود وحدة منهم الورقة الرابحة في يد الأشوريين الذين استولوا عليهم الواحدة بعد الأخرى.

ومن المؤكد في هذا العصر أنه قد أطلق على الإيرانيين لقب «ملوك» وذلك كما أطلق عليهم الكتاب في ذلك الوقت، حيث أنهم كانوا أقلية. ويبرهن ذلك على أن هجرتهم كانت لا تزال قائمة، أو أنهم قد استقروا بالفعل في أماكنهم، حيث تمكنوا من الإمساك بزمام السلطة تدريجياً فلم يدخل الإيرانيون غزاة بجيوش، وإنما كان يدخل الفرد منهم ـ بعد التسرب البطيء ـ في خدمة أحد الأمراء ويظهر تفوقه كفارس وجندي ثم يعمل على خلع من استخدمه ويأخذ لنفسه قصره وأملاكه وضياعه.

وظهر إسم الإيرانيين في هذا العصر كذلك في جيوش ملوك أورارتو. وكانت توجد في الداخل، جنوب بحيرة أورمية مملكة ما ناي Mannai التي شملت منطقة كبيرة من كردستان الحالية وكان سكان هذه المملكة من الأسيائيين، وكانت لديهم القوة الكافية لإيقاف توسع الميديين.

ويبدو أن الفرس لم يستقروا طويلاً في الشمال الغربي من إيران أو هم لم يستطيعوا الاستقرار في هذه المنطقة كنتيجة لضغط الأشوريين من ناحية ولمملكة أورارتو التي تقع إلى شمالهم من ناحية أخرى أو تعرضهم لضغط قبائل أخرى. وعلى ذلك فقد أخذوا خلال القرن الثامن قبل الميلاد يتحركون

(١) Ghirshman. R.. Iran. P. 90.

إلى الجنوب الشرقي على امتداد ثنيات زاجروس وفي حواليّ عام ٧٠٠ ق. م. استقروا في غرب جبال بختياري إلى الشرق من مدينة شوستار الحالية وقد أطلقوا على المنطقة التي أقاموا بها «بارسواش» أو «بارسوماش» وقد ورد هذا الإسم في الحوليات الأشورية. ومثلما حدث غالباً في هذا العصر، فقد كانت القبائل تطلق اسمها على كل من المنطقة التي تقيم بها وكذلك على المدينة الرئيسية فيها.

وبحلول نهاية القرن التاسع قبل الميلاد، وفي النصف الأول من القرن الثامن قبل الميلاد، بدأت قوة الأمبراطورية الأشورية في الضعف وهو أمر استطاعت مملكة أورارتو المجاورة لها من الإفادة من آثاره، وتمتد مملكة أورارتو إلى الشرق من التقاء رافدين للفرات، بما في ذلك بحيرة فان، وتمتد حتى وادي أراكس.

واستمر الكفاح بين مملكتي أورارتو والأشوريين خلال عهد الملك الأورارتي أرجيستيس Argistis الذي كان يعاصر الملك الأشوري شلمنصر الرابع (٧٨٢ - ٧٧٢ ق. م) وتمكن الملك أرجيستيس من ضم كل المناطق الواقعة حول بحيرة أورمية، ثم اتجه غرباً وفرض سلطانه على معظم الولايات الموجودة في شرق آسيا الصغرى والتي كانت تابعة من قبل للأشوريين ويبدو أن الأشوريين ظلوا في هذا الضعف أمام مملكة أورارتو حتى تولى الملك الأشوري تجلات بلاسر الثالث عرش أشور، وحينئذ فقد تمكن من تغيير ميزان القوى بين المملكتين.

فقد تمكن تجلات بلاسر الثالث بعد عدة حملات سريعة من أن يستعيد الإقليم الواقع بين الفرات والبحر المتوسط، وأن يهزم ملك أورارتو المدعو «ساردورس الثاني» Sarduris بل أنه نقل ميدان المعركة إلى قلب دولة أورارتو وحاصر عاصمتها الواقعة على شواطىء بحيرة فان، ثم تابع حملاته في زاجروس، وانتصر هناك - كما تشير حولياته - على بعض الأمراء الإيرانيين واستطاع أن يعود بالعديد من الأسلاب والغنائم فلقد قدمت إحدى المدن

المهزومة عشرة أطنان من أحجار اللازورد. ثم تابع انتصاراته في ميديا إلى شمال غرب حمدان، وكانت «بارسوا» من بين الأقاليم التي ذكر في حولياته انتصاره عليها ودفع تجلات بلاسر الثالث بجيوشه بعيداً حتى وصلت إلى جبل يكنى أو عند حدود صحراء الملح[1].

ومن بين أسماء المدن التي ذكرت حوليات الملك الأشوري استيلاءه عليها جاء أسم شيركاري Shirkari أو شيكا (كي) Shika (Ki) التي يبدو أنها سيالك. وتتحدث الحوليات كذلك عن أرض نشاي Nishai وسهل نيسيان، Nisaear، جنوب طريق حمدان الكبير الذي يشتهر بخيوله وهذه هي مقاطعة جيان.

وقام الملك الأشوري بتنظيم المناطق التي استولى عليها تنظيماً إدارياً، وأعاد بناء المدن التي دمرت أثناء حصارها. ويبدو أن ذلك قد تم في جيان، حيث عثر في قمة جبل فيها على بقايا قصر أشوري محصن فلقد كان تجلات بلاسر الثالث إدارياً ممتازاً مثلما كان محارباً عظيماً.

ويتميز عهد سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٧ ق. م) بإفراغ السامرة من اليهود وبعثرتهم في أنحاء دولته، وبلغ عدد اليهود ما يقرب من ٣٠,٠٠٠ كان نصيب الميدين منهم أعداداً كبيرة، أحلهم سرجون في المدن الميدية. وهكذا نجد جنساً جديداً في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد يمتزج بأهل زاجروس. ونتيجة لضم بابل إلى الأمبراطورية الأشورية، فقد أصبحت عيلام تقع على حدودهم، وسرعان ما دخل سرجون في حرب مع عيلام ولكنه لم يحقق أي نجاح في هذه الحروب وربما كان هذا من الأسباب التي دفعت إلى اشتعال نيران الثورة ضده في الأقاليم الواقعة بين عيلام وآسيا الصغرى، ورغم أنه حارب في أكثر من جبهة فقد ظلت ميديا الشوكة التي تؤلمه، وقد ثارت «مناي» تحت إمرة حاكمها الإيراني بايعاز من «روساس» ولكنها لم تكن ثورة ناجحة، وقد تعرضت «براسوا» عقب ذلك لحملة أشورية جديدة كان من

---

(١) Ibid., pp. 93-94.

أثرها أن اعترف ثمانية وعشرون من أمراء الميديين بسلطان أشور.

وفي عام ٧١٥ ق. م تحرك ملك أورارتو لدخول «مناي» وهو مطمئن إلى استجابتها له وقد دعم ذلك «دايوكا» حليف وارتو الذي أرسل ابنه رهينة إلى عاصمته «روساس» - ليؤكد ولاءه وليطمئنه على أنه يعمل في صفه، ولكن سرجون استطاع أن يتدخل في الوقت المناسب وأن يقضي على هذه المؤامرة وأن يحمل «دايوكا» أسيراً وقام بنفيه هو وأسرته إلى حماة في سورية. ومهما كان الأمر فإن سياسة روساس التي كانت تهدف بالتأكيد إلى خلق دولة حاجزة مع العناصر الإيرانية قد فشلت.

واضطر سرجون في العامين التاليين أن يشغل بأمر الميديين ليحطم امراءهم ويقضي على قواتهم فقام بحملة عليهم عام ٧١٣ ق. م. أخضع فيها ١٤٢ أميرا ميديا، كان بعضهم يعيش فيما وراء مقاطعة همدان. ولقد تباهى الملك الأشوري في حولياته بانتصاراته على قوة الملوك الميديين ولكن في الواقع لم يكن هؤلاء أكثر من رؤساء قبائل أحاط بهم تابعين حكموا مدن ميديا المتعددة. وكان أحد هؤلاء الحكام «دايوكا» الذي نفاه سرجون الثاني، الذي كانت قبيلته بيت دايوكا تأخذ بزمام الزعامة بين القبائل الأخرى وفي عهد ابنه «حشاثريتا» تحقق أخيراً الأمل الذي يبدو أن «ديوسيس» قد حارب من أجله وهو تحقيق وحده الميديين.

ويبدو أن السياسة الصارمة التي اتبعتها أشور ضد الميدين في عهد سرجون الثاني قد تراخت في عهد خليفته سنحريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق. م) الذي انشغل بحروبه في عيلام ومصر ويهودا. وكان هذا من الأسباب التي دفعت القوى الإيرانية إلى الالتفاف حول أسرة «دايوكا» بزعامة ابنه «حشاثريتا» الذي كان له مركزه المرموق حتى نرى «أسرحدون» يعني فيما بعد بإرسال سفارة له. ولقد تمكن بالفعل من أن يضم الميديين ويجمع شملهم، كما استطاع كذلك أن يضم إليه إقليم «مفاي» والـ «كيمريين» وكان الكمريون من أصل إيراني وقد استطاعوا مع الاسكيذيون أن يعبروا القوقاز في موجة

جيدة وأن يظهروا في أفق النزاع بين أورارتو وأشور[1].

٢ ـ الكيمريون والاسكيذيون Cimmerians and Scythians :

ظلت القبائل الإيرانية تثير الاضطرابات في شمال غرب إيران منذ نهاية القرن الثامن قبل الميلاد وهي المنطقة التي تعرضت من قبل لحروب الأشوريين والأورارتيين والميديين وقد برز في الأفق عنصران جديدان هما «الكيمريون» و «الاسكيذيون».

وقد أثار هذين العنصرين القلاقل والاضطرابات في آسيا الصغرى وفلسطين وكان غزوهم يخالف كثيراً ما عرفناه من تسرب بطيء مارسه من قبلهم الفرس والميديين منذ ثلاثة أو أربعة قرون. فقد كانوا من العشائر الحربية التي تتألف من المغول والهنود وآريين، وكانوا جبابرة متوحشين، يقيمون في عربات، ويركبون الخيل البرية بدون سرج وكانت الحرب تجري في دمائهم، فكأنهم خلقوا لها من أجلها. وقد نزلوا في موجات كالسيل على المنحدرات الجنوبية للقوقاز يجتاحون ما يلقون في ليديا فهزموهاوساروا بعد ذلك إلى كيليكيا، ولكن أشور بانيبال استطاع أن يطفىء تلك النار المستعمرة وينقذ آسيا الصغرى وسوريا منهم فهزمهم واضطرهم إلى الرجوع إلى الهضبة ليعيشوا مع أقربائهم الاسكنيذيين.

أما الأسكيذيون أنفسهم فلهم أيضاً تاريخ آخر. فقد كانوا فرعاً من عائلة كبيرة عثر على كثير من مقابر ملوكهم في جنوبي الاتحاد السوفيتي. ويظهر أن ملوك هؤلاء القوم كانوا يدفنون في مقابرهم التي احتوت على كنوز من الحلى الذهبية والأواني وغيرها التي كانت توضع معهم.

وفي الوقت الذي نحن بصدده، امتد نفوذ تلك القبيلة المهاجرة إلى إقليم اذربيجان الفارسي وعلى منطقة واسعو حوله. وقد عثر الحفارون منذ سنوات قليلة على أثر لأحد الملوك الاسكيذيين على مقربة من مدينة «ساكيز»

---

(١) Ibid., P. 96.

وقد استطاعت مملكة الاسكيذيين أن تضم إقليم أذر بيجان. وقد اعترف ملك «مناي» بسيادتهم. أما علاقاتهم مع الميديين فكانت طيبة. ولما كانت أشور تعد أورارتو مصدر خطر بالنسبة لها فيبدو أنها سعت لكسب ود الاسكيذيين حتى ليزعم البعض أن ملك الاسكيذيين خطب لنفسه أميرة أشورية.

٣ ـ الميديون Medians :

في الوقت الذي كانت فيه دولة الاسكيذيين في عنفوانها في إيران، أخذ الميديون يوحدون بين قبائلهم التي كانت منتشرة في منطقة تمتد من جبال ديمافند حتى مدينة همذان. فلم يكن استقرار الاسكيذيين حول بحيرة أورمية حائلاً دون تطور قوة ميديا، فلقد نجح ملك ميديا «خشاثريتا ـ فراؤرتس» Khshathrita - Phraortes في توحيد بلاده التي كانت تشغل رقعة تمتد من همذان إلى شرق «ديمافند» وتمتد جهة الجنوب حتى حدود صحراء إيران الوسطى.

وقد تمكن ملك ميديا من التحالف مع الكيمريين والمناي، واطمأن إلى ارتباطه برباط الصداقة مع الاسكيذيين، ثم استطاع أن يخضع الفرس الذين استقروا منذ نهاية القرن الثامن إلى الجنوب الشرقي حول بارسوماش، وقبلوا دفع الجزية له.

وبعد ذلك طمع الميديون فيما هو أكثر من ذلك، فقرر ملكهم غزو نينوى ومهاجمتها وكانت هذه مخاطرة أودت بأحلامه جميعاً وأدت إلى مقتله. إذ انتهزت الأسكيذيون ـ حلفاء الأشوريين ـ الفرصة لغزو ميديا، فهاجموا الميديين في عقر دارهم وأخضعوهم لنفوذهم ويشير هيردوت إلى أن احتلالهم لها ظل قائماً على مدى ثمانية وعشرين عاماً من ٦٥٣ ـ ٦٢٥ ق. م.

وخلف «حشاثريتا» على عرش ميديا ابنه «سياكسارس» Cyaxares . ويذكر هيرودوت إلى أن السنوات التي اعترف خلالها «سياكسارس» بسيادة الاسكيذيين كانت ذات أثر بالغ في تدعيم قوته، إذ دأب إعادة تنظيم الجيش وأنشأ تشكيلات جديدة من المشاة وحملة السهام، كما نقل عن الأسكيذيين كثيراً من خططهم ومهارتهم في حروب الفرسان. وقد استطاع أن يدعم مركزه

السياسي بضم بعض الأقاليم الواقعة حول بحيرة أورمية إليه ثم انتصر على الاسكيذيين انتصاراً حاسماً دفعهم إلى الهجرة إلى إقليم «مناي».

وكان لهذا الانتصار الذي تمكن «سياكسارس» من تحقيقه على الاسكيذيين الأثر الكبير على الميديين، فتمكن «سياكسارس» من توطيد نفوذه، وعادت لبلاده قوتها واسترجعت سيطرتها على الفارسيين وعلى المنايين (سكان جبال الكردستان) ثم جعل أكباتانا ومكانها الأن همدان عاصمة للمملكته.

ولم يكتف «سياكسارس» بذلك، بل أراد مهاجمة بلاد الرافدين ونفذ ذلك فعلاً وتم له الاستيلاء على أشور بعد تحالفه مع ملك بابل. إذا كان حاكم بابل ويدعى «نبوبولاسر» قد شق عصا الطاعة على مولاه الأشوري. وفي عام ٦١٥ ق. م تحرك سياكسارس نحو نينوى التي قاومت الهجوم فاتجه إلى أشور في الشمال واستولى عليها، وأسرع نبوبولاسر لمقابلته وتحالفا معاً ودعما الحلف بتزويج ولي العهد البابلي نبوخذ نصر من حفيدة سياكسارس. وتفسر بعض الوثائق فشل سياكسارس في الاستيلاء على نينوى لمساعدة الاسكيذيين للأشوريين.

إلا أن سياكسارس كرر محاولته مرة ثانية وتمكن من الاستيلاء على نينوى بمساعدة حليفه البابلي عام ٦١٢ ق. م. وذهب آخر ملوك أشور إلى حران إلا أنه بعد ذلك بعامين وجهت له ضربة قاسمة أطاحت بسلطان أشور إلى الأبد حيث اختفت كقوة كبرى في العالم.

وفي نفس الوقت تقريباً سقطت أورارتو تحت سيطرة الميديين، وبعد ذلك اندفع «سياكسارس» غرباً نحو ليديا، حيث استمرت الحروب بينهما مدة خمس سنوات متتالية إلى أن حدث كسوف للشمس ـ حسب رواية هيرودوت ـ ففزع القائدين المتحاربين، واعتقدا أنه نذير من السماء لهما، فوقعا معاهدة للصلح أبرماها بأن شرب كل منهما جرعة من دماء الآخر ودعماها بأن تزوج ابن

سيا كسارس ابنة الملك الليدي، وتمكن هذا الابن بعد اعتلائه العرش خلفاً لوالده من تثبيت الحدود بين الدولتين.

لقد كانت قوة ميديا في هذه المرحلة حقيقة واقعة، فنرى بابل تقيم التحصينات على حدودها الشمالية لرد خطرهم. إلا أن عمر دولة الميديين كان قصيراً فلم تستطع أن تسهم بقسط كبير في الحضارة الإنسانية. وانتهت المملكة الميدية على يد كوروش الفارسي الذي تمكن من الانتصار على الملك الميدي (استياجس) الذي اشتهر بانغماسه في الترف والملذات واتباع الشهوات وجنون الحكم، وهو الأمر الذي كان له الأثر الكبير في ابتهاج الميدين أنفسهم بانتصار كوروش على هذا الطاغية وارتضوه ملكاً عليهم، ولم يكد يرتفع صوت من بينهم محتجاً. وبعد موقعة واحدة أصبحت فارس سيدة ميديا وأخذت تعد للسيادة العالمية[1].

٤ ـ الأمبراطورية الأخمينية:

جاءت أول إشارة إلى بلاد فارس Parsua التي تقع إلى الجنوب والجنوب الغربي من بحيرة أورمية في حوليات الأشوريين من أيام شلمنصر الثالث عام ٨٣٤ ق. م. وقد استقروا في القرن السابع قبل الميلاد في بارسوماش عند سفوح جبال بختياري على نهر كارون، وهي تقع إلى الجنوب الشرقي من سوسة، في منطقة عيلامية. ولم تكن عيلام في هذه المرحلة من القوة بحيث تقف في وجه الاحتلال الجديد لأرض كانت جزءاً من كيانها الفعلي، وكان هؤلاء الفرس تحت قيادة زعيم لهم يدعى «اخمينس» Achemenes الذي يبدو أنه سلم بسيادة عيلام في أول الأمر وأسس مملكته بارسوماش الصغيرة التي دانت بالولاء لعيلام وقامت ملكة فارس في الفترة التي شب فيها النزاع بين العيلاميين والأشوريين.

وجاء بعد أخمينس ابنه تياسبس (٦٧٥ ـ ٦٤٠ ق. م)[2] الذي حمل لقب

(١) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص ٥٨٤ ـ ٥٨٩.

(٢) Chirshman, R., op. cit., p. 119.

«ملك مدينة إنشان» والتي يرجح أنها مدينة داسجيدي سليمان Dasjidi - i Soluiman الحالية. ولقد تمكن تياسبس من الخروج على سلطان الميديين وذلك بعد خضوعهم للإسكيذيين واستغل انهيار نفوذ عيلام في توطيد أقدامه والعمل على توسيع رقعة مملكته، فقام بضم إقليم «بارسا» وعند موته كانت الدولة التي خلفها تضم: بارسوماش، وانشان، وبارسا.

وعند وفاته قسمت مملكته بين ولديه «اريارامن Ariaramne» الذي حمل لقب «الملك العظيم وملك الملوك، ملك أرض بارسا» و «كوروش الأول» الذي حمل لقب «الملك العظيم لبارسوماش».

وحين ازداد سلطان ميديا في عهد ملكها (سياكسارس) لم تستطع المملكتان الصغيرتان أن تفلتا من سيادته. وكان من نتائج المعاهدة التي أقيمت بين ميديا وبابل أن وقعت سوسة وسوسيانا ضمن أملاك بابل.

وقد تزوج قمبيز الأول ملك بارسوماش وانشان وربما بارسا، من «مدانة» ابنة استياجس مولاه ملك ميديا، وقد رفع هذا الزواج من قيمة هذا الفرع من الأسرة حتى ضم الفرعان تحت تاج واحد، وكان ثمرة هذا الزواج كوروش الأكبر - الذي جعل من «باسار جادا» عاصمة له أقام فيها القصور والمعابد التي نقشت على بعض أعمدتها ألقابه «الملك العظيم الأخميني».

كوروش الأكبر Cyrus (٥٥٩ - ٥٣٠ ق. م):

وعندما تولى كوروش أمر الفرس حوالي عام ٥٥٩ ق. م. كان الفرس خاضعين للميديين إلا أن سير الأمور في هضبة إيران أخذ طريقا اخر بتولي كوروش العرش فقد كان ملكاً على قومه في مملكة صغيرة تسمى انشان، وكان كوروش طموحاً جريئاً ذكياً جمع شمل القبائل الفارسية أولاً ثم جند أيضاً رجالاً من الفلاحين ولم يقتصر على طبقة الفرسان، وتميز ذلك الفاتح الجديد بحيوية متدفقة، فسرعان ما أحسن تنظيم وتدريب جنوده، وبخاصة المشاة الرماة الذين كانوا يبدأون المعارك فيصيبون بسهامهم من أعدائهم المقاتل، فإذا ما بدأت صفوف العدو تتخاذل أو يدب فيها الارتباك هجم الفرسان من

الجناحين فيجهزون على عدوهم ، ولا شك أن الفرس تعلموا تلك الطرق من الأشوريين الذين كانوا من أعظم الجنود المحاربين في تلك المنطقة .

وجاهد كوروش في إخضاع القبائل ذات الأصل الإيراني أو الآسيائي التي تعيش في شرق وجنوب شرق وشمال شرق مملكته . وأدرك نبونيد الذي تولى عرش بابل عام ٥٥٥ ق . م مدى مطامع كوروش ، فتحالف معه لاستعادة حران من الميديين الذين كانوا قد استولوا عليها وقطعوا الطريق عليه إلى سورية ، ويبدو أن استياجس ملك ميديا علم بما جرى فاستدعى كوروش إلى اكبتانا ليقدم تفسيراً عن تصرفاته ، وأبى كوروش الانصياع لرغبة جده استياجس ، ولم يسع الملك الميدي إلا إخضاع الثورة بالقوة ، ودارت معركتين عنيفتين لهذا الغرض قاد الثانية منها استياجس ، إلا أن الفشل حالفه فسقط في يد كوروش الذي عامله بالكثير من العطف والمجاملة واختار كوروش اكبتانا لتصبح عاصمة لدولته الموحدة بعد نصره على الميديين .

ولم يتجه كوروش حين أدرك ضرورة الدخول في معركة ضد الميديين إلى طلب المعونة من حلفائه البابليين ، بل اعتمد على قواته وحدها ، تلك القوات التي ذكرنا آنفاً كيفية تكوينها وتدريبها ، واشتملت تلك القوات قبائل من أصول إيرانية وأصول غير آرية من الركن الجنوبي الشرقي لبحر قزوين حتى المحيط الهندي . ويبدو أن جمع هذه القبائل وتوحيدها تم بطريق سلمي .

ويلاحظ أن انتصار الفرس على الميديين لم يكن انتصاراً دامياً من النوع الذي كان يمارسه الأشوريون أو البابليون أو العيلاميون ضد الشعوب المغلوبة ، حتى أننا لا نشهد تخريباً حدث في ميديا . ومن ثم فإن كوروش قد اختار العاصمة الميدية اكبتانا لتكون عاصمة لدولته . وفي ظل هذه السيادة الجديدة ظل المواطنون الميديون يباشرون أعمالهم ويقومون بأعباء وظائفهم مع عدد من الفرس ولم يتغير شيء من مظاهر الحكم حتى بدا الفرس ، وكأنما يتبعون السلطان الميدي في كافة مظاهره . ومع ذلك فإن

الدولة الجديدة التي احتوت إيران وميديا كان لها من الموارد الطبيعية والموقع الجغرافي ما يكفل لها أن تصل إلى ما لم تحققه غيرها[1] .

وبعد أن تحقق لكوروش النصر على الميديين عمل على أن يصل إلى ساحل البحر المتوسط الشرقي وأن يسيطر على آسيا الصغرى حيث إقليم ليديا الغني وحيث القواعد البحرية اليونانية . وفي عام ٥٤٧ ق . م كان كوروش على أهبة الاستعداد لهذا العمل فعبر دجلة بالقرب من أربلا ، وقاد جيشه إلى الغرب عبر الخابور مارا بشمال سورية متجهاً إلى آسيا الصغرى ، وخلال مسيرته نحو آسيا الصغرى استولى في طريقه على حران المركز التجاري الهام الذي كان يحتفظ به «نبونيد» ويحرص عليه .

ووصل كوروش في خريف عام ٥٤٧ ق . م إلى نهر الهاليس حيث دار قتال مع كرويسوس ملك ليديا ولم تؤد المعركة إلى نتائج حاسمة لكلا الطرفين ، وعلى ذلك فقد عاد كرويسوس إلى عاصمته في ساردیس ، وبدأ يلجأ إلى أعوانه ليساعدوه ومن بين هؤلاء الذين استجابوا له وعاونوه نبونيد . إلا أن كوروش تتبعه إلى عاصمته حيث اضطر الملك الليدي إلى التحصن بعاصمته التي حاصرها كوروش ثم استولى عليها .

وهكذا تحولت ليديا إلى إقليم فارسي تحت حكم وال فارسي . كما عين أحد المواطنين ليتولى الإشراف على خزائن كرويسوس[2] .

وفي عام ٥٤٧ ق . م . عرض كوروش على المدن الساحلية اليونانية ـ التي كانت رعايا الليديين مدة طويلة ـ التسليم فابت فيما عدا ميلتس التي استسلمت فوراً ، ومن ثم فقد عاملها كوروش كما عامل ليديا وتناولها واحدة بعد الأخرى ، إما بالغزو أو بالخديعة والرشوة ثم قسم الشاطىء إلى قسمين ، وعين والياً على كل قسم : أما الإقليم الأيوني فضم إلى ساردیس وأما اقليم

---

(١) Gray, G. B.,"The Foundation and Extension of the persian Empire", In. C. A. H., vol., IV, The Persian Empire and the West, Cambridge, 1964, pp. 7 - 8.

(٢) Ibid., pp. 9 - 10.

البحر الأسود فعرف بإقليم «أولئك الذين على البحر» ولقد كان الاستيلاء على هذه المدن الساحلية أمراً بالغ الأهمية، وكان الاحتفاظ بها شديد الخطر فهي لم تكن تعني ثراء نتيجة التجارة فحسب، بل أنها كانت تعني عدة من الرجال الفنيون المدربون والجند الممتازين إلى جانب ذلك، وكانت في الوقت نفسه مستعمرات غنية ذات أثر في حياة الأمبراطورية. ولقد التقى كوروش في هذه المدن بطبقة رأت من مصلحتها أن تهادن الفرس وهي طبقة التجار الذين رأوا في الأمبراطورية سوقاً ضخمة لتوسيع تجارتهم وزيادة مواردهم[1].

وتمكن كوروش بعد هزيمته لكرويسوس ملك ليديا من مد نفوذه نحو سورية بدون تعب. ومن الغريب أن ولي العهد البابلي لم يقم بأي مجهود لحماية المنطقة الشمالية أثناء انشغال والده نبونيد في الصحراء العربية. وتقدم كوروش نحو هذه المنطقة وهو يعلن أنه المحرر لهم من ظلم البابليين وبهذه الطريقة انسلخت سورية وفلسطين من الأمبراطورية البابلية دون أي قتال.

وفي عام ٥٤٠ ق. م. ظفر كوروش بقبائل البدو الضاربين في الصحراء حول «تما» وبذلك أصبح موقف نبونيد حرجاً ولم يجد من يؤيده. كما أصبحت خطوط اتصاله ببابل معرضة للانقطاع في أي لحظة، وتعرضت عاصمته الجديدة إلى خطر داهم. ولم يكن أمامه شيء يفعله غير تركها والاتجاه رأساً وبسرعة إلى بابل. وعلى ذلك تقوضت الأمبراطورية الجديدة الغربية والتي كان يعقد عليها أمالاً كبيرة بدون قتال.

ولقد دخل كوروش بابل في اكتوبر عام ٥٣٩ ق. م بدون قتال وعين عليها استراباً جديداً، وقد ارتأى أن يقدم نفسه للبابليين بوصفه واحداً منهم، وصاحب حق شرعي في عرشهم فأعلن ما يلي: «إنني كوروش ملك العالم، الملك العظيم، الملك القوي، ملك بابل، ملك سومر وأكد...».

وأعاد كورش تماثيل الآلهة إلى أماكنها في دور العبادة، كما أمر بترميم

(١) نجيب ميخائيل إبراهيم: المرجع السابق، ص ٣٧٢ - ٣٧٣.

ما يحتاج الأمر إلى ترميمه من تلك الدور. كما أعاد تماثيل آلهة سوسة إلى عيلام، وآلهة أشور إلى العاصمة القديمة وكذلك بقية الآلهة الأخرى إلى دور العبادة في مختلف المدن الواقعة بين أشور وبابل[1].

ومما هو جدير بالذكر في هذا المجال أنه حينما دخل كوروش بابل كان بها جالية يهودية هي التي أسرها نبوخذ نصر، وليس من شك في أن هؤلاء اليهود قد عاونوا الفرس على فتح بابل، ومن أجل ذلك كافأهم كوروش بإعادتهم مرة ثانية إلى فلسطين[2] واعتبر اليهود كوروش مخلصاً لهم لينقذهم من الذل والمهانة التي كانوا فيها[3].

وبقي كورش نفسه في مدينة بابل أثناء شتاء عام ٥٣٩ ـ ٥٤٨ ق. م ليهيمن على ولايته الجديدة، وحينما عاد إلى اكبتانا في بداية الربيع ترك على بابل ولده قمبيز ممثلاً له وأقام في مارس عام ٥٣٨ ق. م احتفالات رأس السنة الجديدة وتلقى موافقة الآلهة على انتحال ولده لقب «ملك بابل» وعاش السنوات الثماني التالية في سيبار، مركزاً جهده في الناحية الإدارية وتأدية الطقوس الدينية، بينما عين حاكماً على بابل، شملت ولايته بابل والأراضي عبر النهر، وتشمل هذه الأخيرة سورية وفينيقية وفلسطين. وكان للملك موظف يسمى «عين الملك» يقوم كل عام بزيارته وهو في الواقع مفتش ملكي كان يعمل استعلامات كاملة عن حالة كل ولاية.

وكانت الحالة هادئة أيام كوروش إلى أن اضطربت الأمور في الشرق في بداية عام ٥٣٠ ق. م، فقرر كورش القيام بحملة ضد ماساجتاي على أقصى حدوده الشرقية، وعلى حسب العرف الذي كان سائداً في فارس قام بتعيين خليفة له قبل مغادرة البلاد، فاعترف بابنه قمبيز ملكاً على بابل، ونائباً عن الملك في الأمبراطورية، كما عهد إليه كذلك بتجهيز حملة على مصر حتى

---

(١) Gray, G. B., op. cit. PP. 10 - 15.

(٢) عزرا: ٦: ٣ ـ ٥.

(٣) اشعياء: ٤٤: ٢٨، ٤٥، ٤٥: ١.

يفرغ هو من شؤون الشرق، ولكن لم يقدر له النصر. بل قتل هناك بعد فترة قصيرة ونقلت جثته إلى باسارجارا.

قمبيز Cambyses (٥٣٠ - ٥٢٢ ق. م):

بعد مقتل كوروش تولى العرش ابنه قمبيز[١] على كل الأملاك الفارسية، وكان قمبيز هو أكبر أبناء كوروش من أميرة اخمينية. وكما رأينا فقد أشركه أبوه معه في الحكم إشراكاً فعلياً في السنوات الثمانية الأخيرة من الحكم. وفي الوقت نفسه عين كوروش ابنه الثاني «برديا» لإدارة أملاكه في الشرق. وكان وجود الأخوين بهذه الصورة أحدهما يحكم الشرق والآخر يحمل لقب ملك بابل، مما دعا إلى اضطراب الأمور بمجرد وفاة كوروش، وربما أثارت الأطماع حقد «برديا» على أخيه ورغبته في استخلاص العرش لنفسه ووجد من بعض أعوانه سنداً له في ذلك، ولم يكن قمبيز من طراز أبيه فعول على أن يقضي على الفتنة في مهدها قبل أن يستفحل أمرها فأمر بذبح أخيه سراً.

وكما ذكرنا من قبل، فقد كان كوروش يعد العدة لغزو مصر قبل مقتله وكان قد جهز حملة لهذا الغرض، ومن ثم فإن قمبيز بعد أن تم له تنظيم الأمور في الداخل والقضاء على محاولة إثارة الفتنة، خرج على رأس جيشه متجهاً إلى مصر التي تمكن من دخولها[٢].

ولقد حاول قمبيز القيام بحملة ضد القرطاجيين في غرب البحر المتوسط، إلا أنه لم يتمكن من القيام بها نظراً لرفض الفينيقيين استخدام أسطولهم في هذه الحملة ضد قرطاجة، كما أنه قد أرسل حملة ضد سيوه التي تقع على مشارف الطريق إلى برقة إلا أن عاصفة رملية ابتلعت هذا الجيش الذي يقدر بحوالي ٥٠٠٠ رجل. وتشير المصادر كذلك إلى أنه قاد بنفسه حملة إلى

---

(١) يعرف اسمه في المراجع الفارسية ك «كمبوجية» انظر:
ايرانشهر، جلد أول، ص ٢٩٨.

(٢) Gray, G. B., op. cit., pp. 19 - 20.

أثيوبيا إلى أنها منيت بالفشل ولقد أسرع بالعودة إلى بلاده بعد أن وصلته الأخبار بوجود اضطرابات داخلية هناك.

وتمثلت هذه الاضطرابات في قيام «برديا Bardiya» شقيق قمبيز الذي كان قد تركه مشرفاً على ميديا وأرمينيا وكبادوشيا بإعلان نفسه ملكاً في عام ٥٢٢ ق. م. وقد تمكن من السيطرة على بابل، حيث اعترف به بعد ذلك في جميع أنحاء الأمبراطورية. وقد ذعر قمبيز من هذه الأخبار التي وصلته وهو في طريقه إلى فارس فمات في الطريق.

وتاريخ هذه الفترة غامض ومعقد، ولكن يمكن القول بأن برديا لم يستمر على العرش طويلاً إذ سرعان ما ادعى العرش «جوماتا Gaumata» الذي لم يدم به الحال طويلاً إذ ما لبث أن اغتاله دارا واستخلص العرش لنفسه أواخر عام ٥٢٢ ق. م[١].

دارا الأول[٢] Darius (٥٢٢ - ٤٨٦ ق. م):

قضى دارا العامين الأوليان من حكمه في القضاء على الاضطرابات التي سادت الأمبراطورية عقب وفاة قمبيز. فقد استطاع القضاء على ثورة عيلام بمجرد قيامها، كما قضى على ثورة بابل وسوسيانا وقمع بنفسه الثورة التي نشبت في ميديا وأرمينيا، وجاء بنفسه إلى مصر حيث قتل الوالي الفارس وعين آخر مكانه وأدخل بعض الاصطلاحات الإدارية في مصر.

وبعد أن تمكن دارا من إخماد الثورات وأعاد الهدوء والأمن إلى أنحاء امبراطوريته وجه اهتمامه ضد الاسكيذيين في جنوب روسيا ليحرم بلاد اليونان من استخدام أخشابها في بناء أساطيلها بعد أن حرم اليونانيين من القمح بخضوع مصر وليبيا وشواطىء البحر الأسود له، وكان استيلاؤه على المضايق يؤدي إلى منع القوافل من نقل القمح إلى بلاد اليونان من الشرق

(١) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص ٦١٣.

(٢) يعرف اسمه فى الكتب الفارسية ك «داريوش». انظر: «ايرانشهر، ص ٣٠١.

وبذلك يقضي عليها جوعاً، وربما كان يرمي إلى هدف أخر هو القضاء على فلول الرحل الذين يهددون امبراطوريته من ناحية الشرق وأن يضع يده على الطريق التجاري الذي يتم نقل الذهب بواسطته من الأورال[1]. وقد أعد حملة لهذا الغرض تكونت من سبعمائة ألف مقاتل، ورغم نتائجها المحدودة إلا أنه قد تمكن من الاستيلاء على بعض المدن الساحلية، وكان ذلك موجهاً له لوضع يده على العالم اليوناني.

ولقد حاول استغلال العداء الموجود ما بين اثنيا واسبرطة في فرض نفوذه على بلاد اليونان، وكانت أثينا تميل إلى الاعتراف بسيطرة الفرس، ولكن تطور الأمور في بلاد اليونان وحدوث العديد من الثورات بغية التخلص من الحكم الفارسي في بعض المدن اليونانية الخاضعة للفرس اضطرت الفرس إلى خوض العديد من المعارك لاستعادة مركزهم وقد تمكنوا من إخماد هذه الثورات والاستيلاء كذلك على بضعة مدن يونانية من بينها مدينة «ميلتس» و «خيوس» و «لسبوس» و «خلقدونية». ولم يبق أمام دارا إلا اليونانيين أنفسهم فأرسل إليهم حملة مكونة من ٦٠٠ سفينة، إلا أن نصف هذا الأسطول قضى عليه بسبب عاصفة اجتاحت هذه المنطقة، وحدثت مواجهة بين الأسطول الفارسي وبين الأثينيين عند ماراثون في إقليم أتيكا، تمكن الأثينيون من هزيمة الفرس، وأجبر ما تبقى من سفن دارا إلى العودة، ولم يتمكن دارا من معاودة هجومه على بلاد اليونان لانشغاله بإخماد الثورة التي نشبت في مصر، ثم وفاته عام ٤٨٦ ق. م. قبل أن يتم إخماد ثورة المصريين.

ولقد سن دارا العديد من القوانين التي اتخذت من قوانين حمورابي أساساً لها، وكانت تستهدف هذه القوانين تحقيق العدالة وحسن الإدارة في أرجاء دولته الواسعة التي اشتملت تقريباً كل مناطق الشرق الأدنى القديم، وقد طبقت هذه القوانين في بلاد الفرس نفسها، كما كانت تطبق في أنحاء الأمبراطورية إلى جانب الشرائع والقوانين المحلية. ولقد قسمت الأمبراطورية إلى عشرين إقليما وضع كل منها تحت حكم وال فارس يشغل

(١) نجيب ميخائيل إبراهيم: المرجع السابق، ص ٣٨٥ - ٣٨٦.

وظيفة «ساتراب Satrap » ، وارتبطت الأقاليم ببعضها بواسطة شبكة من طرق المواصلات يسرت التنقل في أنحاء الدولة .

وأدخل دارا العديد من الاصطلاحات الاقتصادية ومنها توحيد نظام القياس الخاص بالموازين والمكاييل ، كما عمل على إدخال العملة إلى أرجاء أمبراطوريته ، وقد صور دارا على أغلب العملة التي تبقت من عهده على هيئة ملك نحيل ملتحي وقد وضع رداء ملكياً ، وعلى رأسه تاج ، ويقبض في يمينه بحربة ، وفي يده اليسرى قوس ، وقد انتشرت العملة في جميع أنحاء الأمبراطورية الفارسية ، ومع ذلك فقد استمر نظام المبادلة موجوداً[1] .

وبموت دارا الأول انتقل العرش إلى خلفائه الذين قنعوا بما حققه أسلافهم ، وركزوا جهودهم في محاولة المحافظة على أمجاد أسلافهم دون العمل الجدي على زيادة هذه الأمجاد ، فكانت أهدافهم محدودة وطموحاتهم قليلة ، وسنتناول فيما يلي بشيء من التفصيل أحوال فارس في عهود خلفاء دارا وحتى سقوط فارس في أيدي الإسكندر المقدوني .

كسركسيس الأول[2] Xerxes (٤٨٥ - ٤٦٤ ق . م) :

خلف كسركسيس أباه دارا على العرش ألفارسي رغم أنه لم يكن الابن البكر ويرجع ذلك لأه أمه كان يجري في عروقها الدماء الملكية ، بينما كانت أم الابن البكر من عامة الشعب ، وكان يشغل قبل ولايته العرش نائباً لوالده في بابل .

وفور توليه العرش عمل على إخماد ثورة المصريين التي مات أبوه قبل أن يخمدها . ولقد استعمل في القضاء عليها الكثير من أساليب العنف والقسوة . ونفس الشيء استخدمه في إخماد ثورة بابل فهدم أسوارها ودمر معابدها ، وفرض على أهلها ضرائب باهظة ، وأضاف إلى ذلك إلغاء سترابية بابل

(١) Ghirshman, R., op. cit., pp. 142 - 155.

(٢) يعرف اسمه في الفارسية ك : «خشايارشا» ، انظر : ايرا نشهر ، ص ٣١٠ - ٣١٢ .

وأدخلها ضمن أشور، وتخلى عن لقب «ملك بابل» وأصبح إسم «البابليين» من الأمور الممنوعة رسمياً[1].

وبعد ذلك عمل على الانتقام من اليونانيين فجهز حملة ضخمة ضدهم بقيادته واستسلمت بعض المدن اليونانية له، واستمر في تقدمه حتى استولى على أثينا، وأن ظل بعض الوطنيين يدافعون عنها وتجمع أسطول اليونانيين عند شلاميس وتمكن من هزيمة الملك الفارسي، وخلف كسركسيس وراءه بلاد اليونان تاركاً بها ثلث قواته تحت قيادة أحد قواده الذي عقد تحالفاً مع أثينا لم يقدر له النجاح بسبب عناد اليونانيين، فعاود مهاجمتها ودمر كل ما لم يدمره في حروبه السابقة معهم، مما أجبر اليونانيون إلى تشكيل حلفاً جديد التقى مع الفرس في «بلاتيا» عام ٤٧٩ ق. م، وكان النصر فيها لليونان الذين سرعان ما انضمت إليهم بعض المساعدات الأيونية وتمكنوا من إلحاق هزيمة أخرى بالفرس عام ٤٦٦ ق. م مما مكنهم من استعادة أملاكهم في آسيا الصغرى، وكان من نتيجة هذا النصر اليوناني أيضاً أن كسركسيس لم يعد يفكر في الانتقام من الإغريق بل قنع بالاستقرار في عواصمه الفارسية والاهتمام بالنواحي المعمارية. ولم يعمر كسركسيس طويلاً بعد هزيمة اليونانيين له إذ ذبح بين جدران قصره في عام ٤٦٥ ق. م.

ارتاكسركسيس الأول[2] (٤٦٤ - ٤٢٤ ق. م) Artaxerxes I :

خلف ارتاكسركسيس والده على العرش، وبدأ حكمه بداية دموية إذ قام بذبح أخوته جميعاً بعد أن قام أحدهم وهو وال «بكتريا» بالثورة ضده.

وقام المصريون بالثورة ضد الحكم الفارسي فما كان منه إلا أن أرسل العديد من الحملات التي تمكنت من إخماد ثورة المصريين ولكن إلى حين، وخاض العديد من المعارك مع اليونانيين الذي حالفهم الانتصار مما اضطر الفرس إلى تقليص نفوذهم على المدن اليونانية في أيونيا. وفي بابل فقد استمر في

---

(١) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص ٦٣٢.

(٢) يعرف اسمه في الفارسية ك «اردشير»، انظر، ايرانشهر، ص ٣١٤.

اتباع سياسة والده نحوها فأصبحت شؤون الإدارة قاصرة على الفارسيين كما بالغ في الضرائب المفروضة عليهم حتى أصبح الناس في حالة من البؤس لا يمكن تصورها[1] .

دارا الثاني (٤٢٤ - ٤٠٤ ق . م) :

خلف والده على عرش فارس، وقد استغل الصراع الدائر بين المدن اليونانية أثناء الحرب البلوبونيزية واستطاع أن يستعيد بعض المدن اليونانية ويفرض عليها قبول حاميات فارسية، وقد ثارت في عهده العديد من المناطق ومنها ميديا ومصر ولم يستطع أن يقوم بخطوة حاسمة إزاءها، حيث وافته المنية في بابل[2] .

ارتاكسركسيس الثاني (٤٠٤ - ٣٥٨ ق . م) :

حدث صراع بينه وبين أخيه الأصغر كوروش على العرش كان من نتيجته أن قتل أخوه كوروش الذي كان يساعده جيوش مرتزقة يونان يقدرون بعشرة آلاف جندي والذين ما لبثوا أن عادوا إلى بلادهم سيراً على الأقدام، وكان من بين قوادهم المؤرخ كسنوفون الذي سجل أخبار هذه المرحلة وقد ثارت مصر في بداية عهده وأعلنت استقلالها حيث تكونت الأسرات الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين والثلاثين. وأما عن بلاد اليونان فقد تمكن بما قدمه من رشاوي وما قام به من فتن ودسائس بين المدن اليونانية أن يخضع لسيطرته أيونيا وأثينا واسبرطة وأن يضعف قوى جميع المدن اليونانية حتى لم تعد واحدة تستطيع أن تقف على قدميها وبذا نجح في تحقيق فيما فشل فيه أسلافه من قبل.

وشاعت روح الثورة والتمرد ضد الحكم الفارسي في الأقاليم الغربية من الأمبراطورية فثارت قبرص وفينيقيا وسوريا وأعلنت استقلالها، وتزعمت

---

(١) Ghirshman, R., op. cit., pp. 194 - 196.

(٢) Ibid., pp. 196 - 197.

مصر الحركة ضد الأمبراطورية فتحالفت مع الولاة الخارجيين عن الحكم الفارسي، وكان ذلك في عهد الفرعون «جدحر» ثاني ملوك الأسرة الثلاثين، ووصلت الجيوش المصرية حتى الفرات، ولكن نظراً للاضطرابات الداخلية في مصر اضطر على أثرها «جدحر» إلى العودة مما عرض الحلف للانهيار وكان ذلك من حسن طالع الملك الفارسي، ولكن رغم كل ذلك كان مجد الأمبراطورية ينحدر سريعاً نحو الزوال، فقتل ارتاكسركسيس عام ٣٥٨ ق. م[1].

ارتاكسركسيس الثالث (٣٥٨ - ٣٣٨ ق. م):

بدأ عهده بسفك دماء اخوته وأفراد أسرته حتى يكون بمنأى عن المؤمرات الداخلية، وكانت هذه سياسته أيضاً تجاه الولايات. فقد أخذ الولايات الثائرة بالشدة والعنف فأحرق صيدا وتمكن من الاستيلاء على مصر فهدم الأسوار ونهب المعابد، وقد مات في عام ٣٣٨ ق. م نتيجة دس السم له فخلفه على العرش ابنه أرسس الذي لم يجلس على العرش سوى عامين حيث مات مقتولاً بواسطة السم أيضاً عام ٣٣٦ ق. م، وخلفه على العرش ابنه داريوس الثالث وذلك في نفس العام الذي تقلد فيه الإسكندر المقدوني مقاليد الحكم في بلاد اليونان حيث بدأ فتوحاته الكبرى بنفس شابه وعزيمة حديدية. في الوقت الذي كانت تذبل وتنزوي فيه الامبراطورية الفارسية، وعلى ذلك فلم يصمد الفرس طويلاً أمام الاسكندر الأكبر الذي بدأ غزوه لفارس عام ٣٣١ ق. م، واقتضى اخضاعها ثلاثة أعوام حتى سيطر عليها كلها. وبذلك قضى الإسكندر الأكبر على الأمبراطورية الفارسية حيث دخلت فارس مرحلة جديدة في تاريخها فأصبحت ضمن أملاك السلوقيين.

الباب الثالث

آسيا الصغرى

الفصل الأول : عصور ما قبل التاريخ

الفصل الثاني : الدولة القديمة

الفصل الثالث : عصر الامبراطورية

عصور ما قبل التاريخ



مقدمة تمهيدية

كـان الحثيون من الشعـوب الهندو ـ أوربيـة التي قامت بـدور كبيـر في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ومع ذلك ، فـإن الكثير من مـراحل تـاريخهم ما زال يكتنفـه الغموض، ولعـل مرجـع ذلك الى قلة مـا كتب عنهم بالقيـاس بما كتب عن منـاطق الشرق الأدنى القـديم الأخرى مثـل مصـر والعـراق وسـوريـة وإيران وسنتناول في هذا الحيز المراحل التاريخية المتعـددة للحثيين، ونبدأهـا بتقديم عن الظروف الجغرافية لمنطقة آسيا الصغرى ، واللغات السائـدة فيها، والمصادر الرئيسية الخاصة بدراستها .

إن المظهر العام لآسيا الصغرى (الأناضـول) موطن الحثيين عبـارة عن هضبـة مرتفعـة تأخـذ في الارتفاع من سـاحل بـرايجة في الغـرب حتى جبـال ارمينية في الشرق، ويبلغ إرتفـاع احد قممها وهي إيزيل داغ EIZIL DAGH حوالي ٩٦٠٠ قدم .

ويمكن تقسيم سطح الأناضول إلى أربعة أقسام رئيسية وذلك على النحو الآني .

١ ـ القسم الشمالي الشرقي :

ويتميز هذا القسم بأنه موطن الحيثيين الأصلي ويجري فيه نهر الهـاليس Halys والـذي اصطلح على نـطقه بـالعربيـة فيصل يـرموق أو قـزل أرمق Ezil Irmak، وسماه الحيثيون ماراسنتيا، ويبلغ طـوله حـوالي ٥٠٠ ميل، وتعـددت

منابعه من الجبال الشرقية وبخاصة حول منحدرات قمة إيزيل داغ الواقعة عند خط تقسيم المياه الشمالي لنهر الفرات، وينحدر بسرعة من منبعه متجهاً إلى نحو الجنوب العربي بسبب سلسلة ثانوية عند إقترابه من البحيرة المالحة (طوزجول)، وهكذا ينحنى النهر في نصف دائرة كبيرة حتى ينعكس اتجاهه تماماً، ثم يخترق التلال الشمالية في اتجاه شمالي شرقي ويصب في البحر الأسود إلى الغرب من ميناء سمسون، ويجري في هذا القسم الجزء العلوي من نهر إيريس Iris[1].

ومن أهم المدن التي تقع في هذا القسم مدينة خاتوساس Khattusas العاصمة الحيثية، وهي تقع على السطح الشمالي لأحد المرتفعات حيث تبدأ الهضبة في الإنخفاض نحو البحر الأسود، ويجري من هذه السلسلة شمالاً في مجرى صخري شديد الإنحدار تياران يتحدان عند نهاية المنحدر بالقرب من قرية بوغاز كوي الحديثة، (يطلق عليها حالياً بوغاز كالي) تاركين بينهما نتوءاً مرتفعاً أقيمت عليه أقدم مستعمرة في خاتوساس، ويتميز موقع هذه المدينة بأنه محصن من الناحية الطبيعية فهي عبارة عن قلعة جبلية إذ يحدها سلسلة جبال نبطس التي تقع إلى الشمال منها بحوالي خمسة عشر ميلاً تقريباً، كما أنه تقع على مقربة من نقطة اتصال أقدم طريقين للتجارة، وهما الطريق الذي يأتي من الساحل الإيجي عبر الهاليس السفلي متجهاً إلى سيياس Siyas، والطريق الآخر الذي يتجه جنوباً من ميناء أميسوس (سمسون) على البحر الأسود حتى مداخل قيلقية[2].

٢ ـ القسم الشمالي الغربي:

ويشمل هذا القسم فريجيا Phrygia، ويحده شرقاً كل من نهري

(١) عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام ٣٢٣ ق. م.، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٤٣٧.

(٢) أ. ر. جرني: الحيثيون، ترجمة محمد عبد القادر محمد ومراجعة فيصل الوائلي، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٣٦ ـ ٣٧.

سانجاريوس Sangarius وهاليس، ويحده جنوباً البحيرات الوسطى والجنوبية الغربية، ويجري في هذا القسم نهر سانجاريوس وروافده، ومن أهم المدن التي تقع في هذا القسم مدينة أنقرة . .

٣ ـ المنطقة الواقعة بين السهول الوسطى وبحيرات بسيديان :

يلاحظ أن هذه المنطقة يتخللها مرتفعات لا تصلح منحدراتها غالباً للزراعة، بينما تجود الزراعة في المناطق المجاورة للأنهار، وتوجد في هذه المناطق الفواكه، ومن أهم المدن في هذه المنطقة مدينة جابالا أو خابالا .

٤ ـ المنطقة الواقعة أسفل مرتفعات طوروس الشمالية :

ويحدها من ناحية الغرب مرتفعات كاراداج Karadag، وتتجمع المياه في داخل هذا القسم في بحيرة آ ك جيل Ak Geul، وتتميز هذه المنطقة بخصوبتها، ومن أهم المدن الموجودة فيها مدينة تيانا Tyana[1] .

وأطلق على اللغة الرسمية لبلاد حاثي إسم «اللغة الحثية» كما عرفت البلاد باسم «حاثي»، ولم تكن اللغة الحثية إحدى لغات آسيا الصغرى المحلية، وأطلق إسم حاثي على هذه المنطقة السكان الأوائل الذين أطلق عليهم حاثيين، وقد فرض الغزاة اللغة الحثية ـ الهندية ـ الأوربية على الحاثيين الذين لم يكونوا من الهنود الأوربيين[2] .

وبجانب اللغة الحثية الهندو أوربية كانت هناك لغتان تنتميان إلى نفس العائلة في آسيا الصغرى، وهاتان اللغتان هما اللغة اللوية Luwian والباليه Palaic .

وفيما يتصل باللغة اللوية فهي تنسب إلى اللويون، الذين يرجح أنهم قد

---

(١) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص ٤٣٧ ـ ٤٣٨ .

(٢) Gurney, O. R., The Hittites, (Penguin Books), 1981, PP. 17 - 18.

جاءوا إلى الأناضول من الغرب وذلك عند بداية عهد البرونز، وانتشروا على الهضبة في نهاية هذا العهد، وقد تمكنوا من السيطرة على جنوب الأناضول في أواسط الألف الثالث ق. م، وربما قبل ذلك[1] .

وتعني كلمة «لويا Luwiya» في الوثائق الحيثية ولاية أرازوا Arazawa التي قامت بدور كبير أثناء الألف الثاني قبل الميلاد كمنافس للمملكة الحيثية، وقد ظهرت الكثير من الأسماء اللوية في النصوص الحيثية، وقد كتبت اللهجة اللوية بالحروف الهيروغليفية التي كانت تعرف باسم «الهيروغليفية الحثية»[2] .

وكانت اللغة البابلية Palaهي اللغة الهندو- أوربية الثالثة المنتشرة في الهضبة الايرانية، ولم يمكن حتى الآن التعرف على الموطن الذي استقر فيه البابليون في آسيا الصغرى. فترى المصار الكلاسيكية انه في منطقة Paphla-gonia (كاستا مونو Kastamonuحالياً) حيث كانت توجد مقاطعة تسمى Blaene بينما يرى البعض أنها كانت بجوار Sebasteia(سيفاس حالياً)، أو أنها كانت تقع في الشمال الشرقي من أرمينية الصغرى وذلك بالقرب من بايبورت Bayburt الحالية.

ودخلت اللغة الحورية فيما بعد إلى آسيا الصغرى، وكان الحوريون أمة غير معروفة فيما وراء المرتفعات الشرقية في السنوات الأولى لظهور مملكة خاتوشا Khattusha ولم يتمكنوا من التأثير على الحيثيين حتى بعد عام ١٥٥٠ ق. م، ويبدو أنهم بدأوا يتسللون إلى الأجزاء الجنوبية من شبه الجزيرة التي كانت آهلة باللويين من قبل[3].

(١) Blegen, C, W., «The Geographical Distribution of Prehistoric Remains in Greece» In A. J. A., Vol. 32 (1928), P. 146 F F.

(٢) انظر:

Albright, W. F., and Lambdin, T. O., «The Indo - Hittite Family», In C. A. H., Vol. I, Part I, P. 138. F F.

(٣) Gurney, O. R., «Anatolia C. 1750 - 1600 B. C.», In C. A. H., Vol. II, Part I, PP. 231 - 232.

ويعتمد المؤرخ في دراسته لتاريخ الحثيين على العديد من المصادر، ويأتي في مقدمتها المصادر الأثرية.

ولقد بدأ الاهتمام بدراسة الآثار الحيثية منذ بداية القرن التاسع عشر حينما لاحظ أحد الرحالة ويدعى بورخارت Borchardt أحد الأحجار في مدينة حماه عام ١٨١٢ وأشار في كتابه Travels in Syria أن على هذا الحجر عدداً من النقوش والعلاقات التي يبدو أنها نوع من كتابة هيروغليفية على الرغم من أنها لا تشابه الهيروغليفية المصرية.

وفيما بين عامي ١٨٣٣، ١٨٣٥ م كان شارل تكسييه Charles Texeir في مهمة من قبل الحكومة الفرنسية في آسيا الصغرى، وشاهد قرب بوغاز كوي بعض الخرائب التي قام بعمل رسم تخطيطي لها.

وحتى عام ١٨٨٠ كان الاهتمام بآثار الحيثيين اهتماماً فردياً، إذ أخذ علماء الآثار والهيئات الأثرية ومنذ ذلك الوقت تهتم بهذه المنطقة، حيث تم الكشف عن العديد من النقوش في منطقة جبال طوروس وفي قرقميس، وكانت منطقة بوغاز كوي من أهم هذه المناطق، إذ تمكنت البعثة الألمانية للآثار من الكشف عام ١٩٠٦ عن حوالي عشرة آلاف لوح مسماري. وكان من بين الألواح التي كشف عنها نسخة من المعاهدة التي عقدت ما بين الفرعون رعمسيس الثاني وملك حاتي. وتبين أن هذه اللوحات كانت عن سجلات ملكية في الفترة من النصف الأول من القرن الرابع عشر إلى أواخر القرن الثالث عشر ق. م.

وتوقفت أعمال الحفائر في إسيا الصغرى نظراً لقيام الحرب العالمية الأولى، ولم تستؤنف إلا قبيل عام ١٩٣٠ حيث قام المعهد الشرقي للآثار في شيكاغو بعمل بعض الكشوف الأثرية في منطقة «على شار» على مبعدة ٧٠ كم جنوب شرق بوغاز كوي، ومنذ عام ١٩٣١ واصل الفرنسيون حفائرهم حيث

تم الكشف عن العديد من الآثار منذ العصر الحجري الحديث، ومنذ عام ١٩٣٥ أخذت البعثات الأمريكية وكذلك التركية في العمل في مجال البحث الأثري في آسيا الصغرى[١].

ويعتمد المؤرخ في دراسته لتاريخ الحيثيين على المصادر المعاصرة في منطقة الشرق الأدنى القديم وبخاصة مصر والعراق، فلقد ألقت ألواح العمارنة الكثير من الضوء على الحيثيين خلال القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد، كما أوضحت النصوص العراقية بعض المعلومات عنهم وبخاصة في الفترة الواقعة ما بين عهد تجلان بلاسر الأول (حوالي عام ١١٠٠ ق. م) وسرجون في نهاية القرن الثامن ق. م حين تمكن من القضاء على الولايات الحيثية في سورية الشمالية وشيد في مكانها مستعمرات يديرها حكام أشوريون.

ولقد أشارت التوارة في العديد من أسفارها إلى الحيثيين، فلقد وردت كلمة «حثي» و «حثيون» (مفرد وجمع) ٤٧ مرة في العهد القديم، بينما وردت كلمة «حث» ١٤ مرة أخرى، وكثيراً ما يذكر الحثيون في قائمة الأمم الساكنة كنعان قبل دخول العبرانيين (التكوين ١٥ : ٢٠، خروج ٣ : ٨، تثنيه ٧ : ١، ٢٠ : ١٧، يشوع ٣ : ١٠، ١١ : ٣، ٢٤ : ١١) وتشير التوراة إلى أن الحيثيين من ذرية حث ثاني أبناء كنعان، وأن إبراهيم عليه السلام قد اشترى مغارة المكفيلة من عفرون الحثي (تكوين ٢٣ : ١٠ - ١٨) كما اتخذ عيسى امرأتين حيثيتين (تكوين ٢٦ : ٣٤) وتزاوج العبرانيون فيما بعد مع الحيثيين (قضاه ٣ : ٥ - ٦)، وكان لداود عليه السلام أصدقاء حيثيون (صموئيل أول ٢٦ : ٦) وكان لسليمان عليه السلام زوجات حيثيات (ملوك أول ١١ : ١)، كما اشترك الحيثيون في مشاريع سليمان عليه السلام (ملوك أول ٩ : ٢٠ - ٢٢).

---

(١) Gurney, O. R., The Hittites, P. 1 F F.

وقد اعتبر العبرانيون الحيثيين شعباً قوياً معروفاً، فقد اعترفوا بأرض الحيثيين (يشوع ١:٤)، ويذكر ملوك الحيثيين في جملة واحدة مع ملوك آرام (ملوك أول ١٠: ٢٩، أجنار ثاني ١:١٧) ويوضعون في مرتبة واحدة مع المصريين كدليل على عظمتهم (ملوك ثاني ٧:٦)[1].

وسنتناول في الفصول التالية المراحل التاريخية المتعددة لسكان منطقة آسيا الصغرى (الأناضول) موطن الحثيين ونبدأها بعصور ما قبل التاريخ.

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨١، ص ٢٨٩ ـ ٢٩١.

الفصل الأول

عصور ما قبل التاريخ

١ ـ العصر الحجري القديم

يستدل من الحفائر التي أجريت في الأناضول حتى الآن على وجود أدلة أثرية تؤكد وجود الأدوات الحجرية الخاصة بالانسان في مرحلتي العصر الحجري القديم الأوسط والعصر الحجري القديم الأعلى ، وهي تشبه تلك التي عثر عليها في كل من سورية ولبنان وفلسطين[١] .

وتجدر الاشارة الى أن البحث عن آثار هذا الدور قد ظل لفترة طويلة بطريقة غير منظمة وعلى أسس غير علمية ، ولقد عثر على البقايا الأثرية الخاصة بالعصر الحجري القديم بشكل رئيس من على سطح الأرض[٢] ، وبجانب هذه البقايا فقد عثر على بعض الأدوات بالقرب من أنقرة[٣] . وتعتبر المادة الأثرية التي كشف عنها في كهف كارين Karain بالقرب من أنطاليا من أهم الاكتشافات التي تم التوصل اليها على أساس انها تعطي نتائج سليمة لهذه المرحلة ، حيث وجدت آثار حفارات أمثولية وموستيرية وأوريناسية متتابعة

---

(١) Garrod, D. A. E., «Primitive Man in Egypt, Western Asia and Europe in Palaeolithic Times», In C. A. H., Vol. I, Part I, P. 86.

(٢) Kansu, S. A., «Stone - age Cultures in Turkey», In A. J. A., Vol. 51 (1947), P. 227 F F.

(٣) Kansu, S. A., Nouvelles decouvertes Prehistoriques dans Les environs D'Ankara, Istanbul, 1937.

في طبقات ، كما عثر على آثار لبعض حفريات حيوانية فقرية أهمها دب الكهوف ، وأسد الكهوف، كما عثر على سنة من أسنان طفل من جنس نياندرثال.

وعلى ذلك فإنه يمكن القول بأن الإنسان قد وجد في الأناضول في العصر الحجري القديم ، ومن المناطق التي لها أهمية خاصة في هذه المرحلة منطقة آديامان Adiyaman التي تقع في حوض الفرات الأعلى بالقرب من ملاطيا Malatya، نظراً لأن الآثار التي عثر عليها فيها توضح تعاقب وجود الجماعات البشرية بها، كما أنها من ناحية أخرى تعد بمثابة حلقة الاتصال الأولى بين حضارات الإقليم السوري من جهة وبين تلك التي وجدت في كردستان والقوقاز من جهة أخرى[١] .

وتجدر الإشارة إلى أن الأدلة الأثرية الخاصة بمرحلة العصر الحجري القديم تتكون في معظمها من مجموعات متفرقة من المخلفات السطحية، ومن الآثار التي اكتشفت وكانت غير منتظمة في طبقات .

٢ ـ العصر الحجري الوسيط

تشبه أدوات العصر الحجري الوسيط في الأناضول الأدوات التي كشف عنها وترجع إلى الحضارة الناطوفية في فلسطين، وهي من ناحية أخرى تعتبر استمراراً وتطوراً للأدوات الحجرية التي ترجع إلى العصر الحجري القديم الأعلى، ومن المواقع التي كشف فيها عن الأدلة الأثرية التي ترجع إلى هذه المرحلة موقع بيلديبي Beldubi بالقرب من أنطاليا Antalya[٢] .

---

(١) محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت، ١٩٧٩، ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨ .

(٢) Bostanci, Enver, Y., «Researches on the Mediterranean Coast of Anatolia, A New Palaeolithic Site at Beldibi near Antalya», In Anatolia, Vol. 4 (1959), P. 129 F F.

٣ ـ العصر الحجري الحديث

رغم أن عملية النقلة من مرحلة جمع الطعام إلى مرحلة إنتاجه لم تدرس بالشكل الكافي في الأناضول، إلا أنه يمكن القول اعتماداً على المكتشفات الحديثة أن هضبة الأناضول الجنوبية كانت من المراكز التي شهدت هذه النقحة وذلك خلال الألفين الثامن والسابع ق. م[١].

ومن أقدم مراكز الإستقرار التي كشف عنها في الأناضول موقع سبرد Suberde الذي يؤرخ بحوالي عام ٦٨٥٠ ق. م، وموقع هاكيلار Hacilar الذي يؤرخ بحوالي عام ٧٠٠٠ ق. م، ويوجد كلاهما في جنوبي غربي الأناضول. وبينما لم تكشف الطبقات السفلى من موقع سبرد عن بقايا تشير إلى الإنتاج الزراعي، فإنه توجد بقايا لأرضيات كهوف، وبعض الأدوات الحجرية المصنوعة من الظران والأبسيدان، وتتضمن هذه الأدوات السكاكين ورؤوس السهام، وظهرت كذلك الأدوات النحاسية المتمثلة في المخارز.

وكشفت الطبقات التالية عن مباني مصنوعة من الطوب اللبن وغطيت أرضياتها ببلاط من الطين، واستمر السكان في ممارسة حرفة الصيد، ويبدو مرجحاً أن الإنسان قد تمكن من استئناس الخنزير، ويحتمل أنه قد توصل أيضاً إلى استئناس الزراعة، ولكن ذلك غير مؤكد[٢]. وتوضح الرسوم التي كشف عنها في كهف كورتون آني Kurtun Ini المجاور لموقع سبرد وجود الماعز البري.

ويتكون موقع هاكيلار من سبع طبقات، تؤرخ الطبقات الخمس العليا

---

(١) Mellaart, J., «Anatolia Before 4000 B. C», In C. A. H., Vol. I, Part I, P. 306.

(٢) انظر: Bordaz, J., «Suberde Excavations», In A. St., 15 (1965), P. 30 F F

منها بحوالي عام ٧٠٠٠ ق. م، وتتكون البقايا المعمارية من جدران مبنية من الطوب اللبن فوق أساسات حجرية، ويوجد في الوسط فناء مكشوف يحتوي على العديد من المواقد والأفران وصوامع لخزن الحبوب، واتخذت الحجرات في تصميمها الشكل المستطيل، وغطيت أرضيات الحجرات الرئيسية بملاط من الطين فوق طبقة من الحصى، وطليت باللون الأحمر وكذلك قاعدة الجدران، ولم تزود المنازل بأبواب يدخل منها إلى المساكن، بل كان الدخول يتم عن طريق سقف المسكن بواسطة سلم خشبي، ورغم عدم سهولة تلك الوسيلة، فإنها من ناحية أخرى توفر الأمن والحماية وإمكانية الدفاع بالنسبة للسكان في حالة تعرضهم لخطر من الخارج.

ولم يكشف عن أية أدوات أو أواني فخارية مما يرجح أنها كانت غير معروفة في هذه المرحلة، واستخدم السكان الأدوات والأواني الحجرية، حيث كشف عن بقايا آنية مصنوعة من الرخام، وتضمنت المصنوعات الحجرية، السكاكين.

ولقد كشف عن عظام العديد من الحيوانات مثل الأبقار والأغنام والماعز، وكان الكلب هو الحيوان الوحيد الذي كان من المؤكد أنه قد استؤنس في هذا الموقع، وتوضح الأدلة الأثرية كذلك التوصل إلى استئناس الزراعة حيث عثر على بقايا القمح والشعير[1].

ويمثل موقع Catal Hüyük تل تشاتال مرحلة متقدمة في العصر

---

(١) انظر:

Mellaart, J., «Excavations at Hacilar: Fourth Preliminary Report» In A. St, 11, (1961), P. 70 F F.,

Mellaart, J., Earliest Civilization of the Near East, London, 1965, Fig. 49.

Mellaart, J., In C. A. H., PP. 309 - 315.,

Mellaart, J., «Excavations at Catal Hüyük», In A. St Vol. 12 (1962), Vol. 13 (1963), Vol. 14 (1964), Vol. 16 (1966).

الحجري الحديث، ويتكون هذا الموقع من عدد من القرى، وتغطي البقايا الأثرية التي كشف عنها الفترة الزمنية الممتدة من حوالي عام ٦٧٠٠ ـ ٥٧٠٠ ق. م. ولقد كشف في هذا الموقع على أربع عشرة طبقة متتالية من البقايا المعمارية.

واعتمد اقتصاد السكان في هذا الموقع بشكل رئيسي على الصيد والزراعة وتربية الماشية، ويعتمد أيضاً على التجارة. ويتضح من البقايا العظمية أن الإنسان قد تمكن في هذه المرحلة من استئناس العديد من الحيوانات مثل الأغنام والماعز والكلاب، ولكن كان اعتماده بشكل رئيسي على صيد الحيوانات البرية والتي لم يتمكن من استئناسها بعد.

وفيما يتصل بدفن الموتى، فلقد كان الموتى يدفنون في المنازل أسفل منصات حجرية، وتوضح الأدلة الأثرية التي كشف عنها إتجاه الإنسان في هذه المرحلة إلى العالم الخارجي المحيط به، حيث عثر على العديد من الأدوات المصنوعة من مواد غير متوفرة في هذه المنطقة.

ومن المظاهر الجديدة في هذا الموقع بداية استخدام الفخار، وكان ذلك على نطاق محدد في أول الأمر، وظهرت البدايات الأولى للصناعات الفخارية في الطبقة الثالثة عشرة. ثم تطورت صناعة الأواني، وكانت زيناتها متأثرة بأشكال الأسبغة والأواني الخشبية.

وفيما يتصل بالبقايا المعمارية، فيلاحظ أن كل منزل كان يتكون من حجرة مستطيلة ملحق بها مخزن ضيق، وقد شيدت الجدران من الطوب اللين، ولم توجد أساسات حجرية. وشيد القوم مقاصير أو معابد صغيرة، وهي تتميز عن المنازل بزيناتها الدينية، وبوجود تماثيل للعبادة، وقد صنعت هذه التماثيل من الأحجار والصلصال، وتتميز كذلك بدفناتها الغنية، وقد دفن مع الموتى أسلحة رمزية، ومرايا عاكسة من حجر الأوبسيدان، وغيرها.

واتخذت زينات المعابد العديد من الأشكال، فكان منها زينات بارزة مصنوعة من البلاط، وقد ظهرت في هذه الزينات الإلّهة الأم وقد مثلت في شكل إنساني، ومثل ابنها أو زوجها في هيئة ثور، ومثله أحياناً برأس ثور أو كبش، وظهر في أحيان أخرى بقرون حيوانات مفترسة.

وأصبحت الرسوم الجدارية مألوفة منذ الطبقة العاشرة وما بعدها، وقلدت هذه الرسوم نماذج المنسوجات، وشباك صيد الأسماك وشباك صيد الحيوانات، وصفوف من أيدي آرميه، وصفوف من الثيران، وصفوف من الزهور والفراشات، وغيرها، وتوضح بعض المناظر صيد الثيران البرية، ويظهر في رسوم أخرى نسر وهو يهاجم إنسان.

ومن المناظر التي لها دلالتها في هذا الموقع، تلك المناظر التي تمثل مبنى مشيد من البوهي والحصير، وقد وضعت العديد من الهياكل الإنسانية أسفله، ومن الواضح أن هذا التعبير الفني، إنما هو انعكاس أو تصوير للعقائد الدينية الجنزية التي ظهرت في موضع Catal Hüyük تل تشاتال.

وكانت أجساد الموتى تترك مكشوفة إلى أن تتحلل الأجزاء الضعيفة منها، وبعد ذلك يتم لف الهيكل العظمي بقطع الأقمشة أو الحصير، ويوضح أسفل مصطبة بالمنازل أو المعابد، وكان يدفن معه بعض الأثاث الجنائزي، ويلاحظ في هذا المجال، أنه كانت تدفن الجواهر مع النساء، والأطفال، بينما دفنت الأسلحة مع الرجال، وكانت توضع الأواني الحجرية والأسبتة والسلال مع كل الدفنات.

ويلاحظ أن بعض الدفنات الخاصة بالنساء، قد لونت باللون الأحمر الناتج من أكسيد الحديد، وهي الممارسة التي ظهرت في بعض المواقع

---

(١) Mellaart, J., In C. A. H., Vol. I, Part I, P. 312.

الإيرانية مثل حاج فيروز وسيالك[1]، بينما أضيفت الألوان الأخضر والأزرق إلى بعض الهياكل العظيمة الخاصة بالرجال والنساء في الطبقتين السابعة والسادسة، ولكن يلاحظ أن هذين اللونين الأخضر والأزرق كانا يوضعان على الرقبة والجفون فقط، وفي الطبقات الأثرية التالية كانت توضع حبات الخرز الزرقاء والخضراء بدلاً من الألوان[2].

ولقد كانت التماثيل الصغيرة شائعة الإستخدام، وصنعت التماثيل التي عثر عليها في الطبقات السفلى من الرخام والحجر الجيري والمرمر، أما التماثيل التي عثر عليها في الطبقات التالية فقد صنعت بشكل رئيس من الصلصال، وكانت أغلبها ملونة، ومثلت هذه التماثيل الإلهة الرئيسية كأم أو عذراء، وكذلك عبادة الذكر كطفل أو شاب أو في شكل ملتح يمثل الأب. وارتبطت تماثيل الثيران والكباسن والنمور مع تماثيل الذكور[3].

ولا يستطيع العلماء الجزم بأصل هذه الحضارة، وربما توضح الحفائر التي تجري في هذا الموقع الكثير مما لا يمكن تفسيره حالياً، وما زالت نهاية حضارة موقع Catal Hüyük غير معروفة، حيث لم تجري حفائر في الطبقات السفلى من الموقع.

وإلى الغرب من موقع Catal Hüyük تل تشاتال بحوالي مائتي ميل، ظهر قادمين جدد تمثل حضارتهم المرحلة الأخيرة من العصر الحجري الحديث[4]. وبالنسبة للموطن الأصلي الذي جاءوا منه فإنه غير معروف، وإن

---

(١) انظر: أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ إيران القديم وحضارتها، جـ ١، إيران منذ أقدم العصور حتى أواسط الألف الثالث قبل الميلاد، بيروت، ١٩٨٨.

(٢) Mellaart, J., Op. Cit., P. 312.

(٣) Ibid., P. 313.

(٤) Mellaart, J., «Excavations at Hacilar: Fourth Preliminary Report» In A. St. 11 (1961), P. 42 FF.

كان يرجح أنهم قد جاءوا من منطقة بسيديان.

وفيما يتصل بالمظاهر الحضارية الجديدة التي ظهرت في حضارتهم، فمن أبرزها اختفاء الصيد، وظهور الصناعات الحجرية الجيدة، وكانت الأسلحة الرئيسية تتكون من القضبان الشائكة والمقاليع. واختفت الرسوم الجدارية، وأصبحت الأرداف أكثر ضخامة في تماثيل النساء وكذلك الرجال الذين يمثلون قوى إلهية.

وأخذت الهياكل الملونة والمزينة طريقها إلى العبادة المنزلية، فأصبحت توجد التماثيل في جميع المنازل تقريباً.

وفي مجال العمارة، فقد ظهرت طرز معمارية جديدة تتمثل في تصميم المنازل بحيث تكون الحجرات حول فناء، ويحيط بها زقاق ضيق، ويحميها جدار دفاعي، وكانت الحجرات تفتح مباشرة على الفناء بواسطة أبواب متسعة، وكان المطبخ وكذلك الحجرات الإضافية توجد خارج المنزل على جانبي المدخل، وشيدت هذه الحجرات من مواد خفيفة مثل الأعمدة الخشبية والأغصان وتغطى بطبقة من الطين. واتخذت غرفة المعيشة الرئيسية شكلاً مستطيلاً، ويبلغ أقصى طول لها ثلاثون قدماً، ويلاحظ أنه ظل يوجد فيها موقداً وفرناً في مواجهة الباب، ويوجد في أرضيتها بجوار الحائط خزانات صغيرة، وأحياناً كانت تبنى هذه الخزانات من الطوب اللبن بجوار الجدران. وكان وجود مخازن الحبوب المستطيلة بجوار الجدار أمراً مألوفاً[1].

واعتمد السكان في حياتهم بشكل رئيس على الزراعة، حيث قاموا بزراعة العديد من المحاصيل، مثل الشعير والقمح والبازلاء والعدس، ويحتمل أنه قد تم استئناس الأغنام والماعز، وظهرت المواشي والخنازير، كما عرف الكلب. ومن ناحية أخرى فلم يمارس السكان حرفة الصيد.

---

(١) Mellaart, J., In C. A. H., Vol. I, Part I, P. 314.

وتقدمت الصناعات الحجرية والعظمية - خلال هذه المرحلة (نهاية العصر الحجري الحديث)، ومنها رؤوس الصولجانات والأواني المصنوعة من الرخام والتي بلغ حجم بعضها قدمين، وكذلك الأطباق، وصنع من العظام المناجل والسكاكين وقد شكلت أطرافها على هيئة رؤوس الحيوانات أو على هيئة رؤوس آدمية، وصنع من العظام كذلك المخارز والمثاقيب والإبر والدبابيس والسنانير، واستخدمت الأصداف في صناعة العقود والدلايات.

وتطورت الصناعات الفخارية[1] عن تلك التي ظهرت في تل تشاتال، وكشف عن العديد من أنواع الفخار الأحمر والرمادي، وكانت بعض الأواني سوداء من الداخل وكانت الأواني ذات القوائم العمودية الدائرية المثقوبة شائعة الإستخدام، وكان للأوان مقابض تشبه مقابض السلال. وتعددت الأواني فكان منها الأواني الكبيرة والصغيرة، وتعددة أشكالها فكان منها الأسطواني أو الكردي أو الدائري أو المستطيل.

ومن الأواني الفخارية المميزة التي ظهرت خلال هذه المرحلة كوب ماء مصنوع على هيئة رأس امرأة، وكذلك أواني مصنوعة في هيئة رؤوس حيوانات أو رؤوس طيور.

وعثر على الأدلة الخاصة بالناحية الدينية في جميع المباني التي تم الكشف عنها ، فلقد عثر على عدد كبير من التماثيل التي تعبر عن القوى الالهية ، ومنها ما يمثل الالهة الأم وهي مع طفلها تحمله أو تلعب معه.

٤ ـ عصر الحجر والنحاس المبكر

تتميز النقلة مِن العصر الحجري الحديث إلى بداية عصر الحجر

---

(١) انظر:

Mellaart, J., «Early Cultures of the South Anatolian Plateau», In A. St. 11 (1961), P. 166 F F, Fig. 6.

والنحاس بوجود آثار تدمير في بعض المواقع بآسيا الصغرى مثل موقع هـاكيلار Hacilar وتل تشاتال Catal Huyük ، ومع ذلـك فإنـه لا يوجـد أي دليل على دخول عنصر حضاري جديـد إلى المنطقـة. بل يـلاحظ أن كل الأدلـة الأثريـة تشير إلى استمرارية التقاليد الحضارية السابقة.

ومع ذلك فقد ظهرت بعض المظاهر الحضارية الجديدة أو المختلفة عن مـرحلة العصر الحجـري الحديث الأخيـر، ومن أهم هـذه المـظاهـر، ظهـور الـزينات الفخـارية، وانحـدار ا لصناعـات الحجريـة، وظهور معـدن النحاس واستخدامه في صناعة العديد من الأدوات.

وتوجد الأدلة الأثرية الخاصة بهذه المـرحلة في ثلاث منـاطق جغرافيـة، الأولى في منطقة مرسين Mersin وذلك في سهل كيلكيا[1] وبخاصة الطبقات من الطبقة الرابعة عشرة إلى الطبقـة العشرين، والثـانية في تـل تشاتـال Catal Hüyük في الغرب في سهل كونيا[2]، والثالثة في هاكيلار Hacilar في جنـوب غرب آسيا الصغرى[3].

وبالإضافة إلى هذه المـواقع، فـإنه تـوجد مـواقع أخـرى تقع في أقصى الغـرب والشمال ولكن محتـوياتهـا الأثـريـة سجلت بشكـل رديء. ومن هـذه المواقع، موقع أيو جالا Ayio Gala ، في أزمير، وموقـع كارادين بـالقرب من أزنيك Iznik .

ويمكن تأريخ هذه المرحلة اعتماداً على النتائج المستمدة من استخـدام

---

(١) Furness, A., «Some Early Pottery of Samos, Kalimnos, and Chios», In P. P. S., Vol. 22 (1956), P. 45 F F.

(٢) Mellaart, J., «Early Chalcolithic Pottery From Catal Huyuk», In A. St, 11 (1961), P. 177 F F.

(٣) Mellaart, J., «Preliminary Report on a Survey of Pre - Classical Remains in Southern Turkey», In A. St. 4 (1954), P. 86, Fig 2.

طريقة كربون ١٤ في موقع هاكيلار على أساس أنه يمتد من حوالي عام ٥٦٠٠ ق. م وحتى الربع الأول من الألف الخامس ق. م[١].

وتوضح الطبقة الأثرية الثانية في موقع هاكيلار مظاهر حضارية فريدة في هذه المرحلة، وقد كان يحيط بالمنازل سور مستطيل محصن ومزود بأبراج، ويؤدي إلى المجموعة السكنية ثلاثة مداخل ضيقة، وكان يوجد غيرها في الناحيتين الشرقية والجنوبية ولكن لا يمكن تحديد عددها نظراً للتدمير الذي لحق بهذا الجزء، ومن هذه المداخل كان هناك واحد فقط هو الذي يؤدي مباشرة إلى المباني، أما المداخل الأخرى فكانت تفتح في ممر مغطى أو حجرات جانبية تؤدي إلى أقنية مكشوفة تتجمع حولها المنازل.

وفيما يتصل بتصميم المنازل خلال مرحلة عصر الحجر والنحاس المبكر، فقد كانت المنازل في مجموعها مستطيلة الشكل، وكان يوجد في أرضية المنزل موقد وكذلك حفرة كانت تستخدم كرصاص، وحفظ الطعام في أواني كبيرة أو في مطمورة من الطين توضع في حفرة بأرضية المنزل، وكان لمعظم المنازل فناء خارجي أمام المنزل، وزودت المنازل بنوافذ، وكانت أسقف المنازل مسطحة، بينما زودت المنازل المشيدة في الغابات بسقوف ذات شكل جمالوني وذلك لتجنب الأمطار، وشيدت الأسقف من الأخشاب.

ودفن الموتى في بعض المواقع في أواني كبيرة من الطين، وكانوا يوضعون في هيئة القرفصاء على الجانب الأيسر والرأس متجهة نحو الشرق، ودفن مع الموتى بعض الأدوات الخاصة بهم مثل الخناجر، وفي جبانات أخرى كان الموتى يدفنون على الجانب الأيمن والرأس متجهة نحو الغرب، وقد وضعت بعض الأواني بجوار الرأس، وقد وجدت في بعض الأحيان بجوار

(١) Mellaart, J., In C. A. H., Vol. I, Part I, P. 317.

الأطفال رضاعات، بينما احتوت المقابر الخاصة بالأثرياء على أطباق مصنوعة من الرخام.

وعثر على العديد من الأدوات المصنوعة من النحاس وكذلك الفضة بينما لم يعثر إلا على أشياء قليلة مصنوعة من الذهب، ومن الأدوات التي صنعت من المعدن: الخناجر ورؤوس الرماح، والمدى المعقوفة، والبلط المسطحة، والدبابيس، والمخارز، والإبر، والمثاقيل، والأزاميل.

وصنع الفخار خلال هذه المرحلة أيضاً بواسطة الأيدي، ولقد تعددت أشكاله ونماذجه، وقد قسم حسب المناطق الجغرافية للأناضول، ففي المنطقة الشمالية الغربية كانت الأواني لها حافة مقلوبة وقاعها مسطح وكانت تزود أحياناً بقاعدة، وزود بعضها بمقابض أو عروات أنبوبية الشكل على الحافة أو أسفلها، ووجدت في بعض حوافي الأواني زخارف محفورة ومملوءة بالطباشير الأبيض، واتخذت بعض الأواني أشكال الطيور.

ويختلف فخار المنطقة الجنوبية الغربية عن فخار باقي المناطق، إذ يتميز بأنه قد صقل صقلاً جيداً، وتعددت ألوانه، فكان منها الأسود الحالك، أو الأصفر الرمادي، والبرتقالي، والأحمر الفاتح، والقرمزي، وزود بأطواق واسعة تستخدم كمقابض، وزينت جدران الأواني برسوم هندسية. كما تعددت نماذجه كذلك، فوجدت أباريق لها رقاب طويلة وميازيب وأواني ذات شكل كروي، وكؤوس ذات شكل مربع، وكان لبعضها قاعدة لها أربعة أرجل.

وتميز فخار المنطقة الجنوبية بألوانه الحمراء المائلة إلى الإصفرار، وزود بعضها بمقابض حفر سطحها بنقط وشرط، كما ظهرت الأواني الفخارية المصقولة ذات اللون الرمادي والأسود والأحمر الداكن.

أما فخار المنطقة الوسطى من الأناضول، فقد كان أغلبه مزين بزينات حمراء بارزة أو غائرة[1].

وتدل الشواهد الأثرية إلى أن نهاية هذه المرحلة قد تمت بشكل عنيف، إذ احترقت المواقع الأثرية في كل من هاكيلار ومرسين، أما بالنسبة لموقع تل تشاتال فإنه إذ كان لم يحترق فإنه قد دمر للأبد. وكما سبقت الإشارة، فإن نهاية هذه المرحلة تقع خلال الربع الأول من الألف الخامس قبل الميلاد[2].

٥ ـ عصر الحجر والنحاس الأخير

يفترض بعض العلماء هروب أصحاب الحضارة السابقة نتيجة للغزو الذي تعرضوا له وأدى إلى تدمير مساكنهم، وفيما يتصل بالبقايا المعمارية المتصلة بعصر الحجر والنحاس الأخير فإن من أفضل النماذج المتبقية منها بقايا مدينة بوليوخني الخامسة Poliochni وحصن أهلاتلبيل Ahlatlbel، ومعبدين في بيس سلطان Beyce Sultan .

وتوضح البقايا المعمارية لمدينة بوليوخني أنه كان بها شارع رئيس يبلغ طوله مائتي متر تقريباً، وقد تجمعت المنازل في مجمعات على جانبي الطريق، وتفاوت أحجام المباني، فقد كان منها الصغيرة والمتوسطة والكبيرة، ومن المظاهر المميزة في هذه المدينة وجود ما يشير إلى أماكن عامة مثل المخازن الجماعية، وعثر على مبنى كبير كذلك يرجح أنه كان يستخدم كصالة اجتماعات أو مسرح.

أما حصن أهلاتلبيل، فهو يقع على الطريق الذي يمر على حافة السهول

---

(١) انظر:

عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص ٤٤٠ ـ ٢٤٢. وكذلك:

Furness, A., Op. Cit., P. 73 F F, Fig. 34, 52, 53, 54, 56.

(٢) Mellaart, J., Op. Cit., P. 323.

التي تفصل سهول أنقرة وجولبازي، ولم يبق منه إلى الجزء الأسفل منه فقط، وقد عثر على حجرات للدفن في باطن السور، ووضع مع الموتى بعض الأدوات مثل السيوف والخناجر والبلط مما قد يشير إلى أن هذه الدفنات تخص المحاربين الذين يقومون بالدفاع عن الحصن، وأنهم قد ماتوا أثناء قيامهم بالدفاع عنه، ومن ثم فقد دفنوا في باطن السور ودفنت معهم أسلحتهم.

ولقد زود كل من المعبدين اللذين عثر عليهما في موقع بيس سلطان بمذبح يضم لوحتين ووضعت خلف المذبح أواني فخارية كبيرة كانت تستخدم لحفظ السوائل. وشيدت جدران المعبدين من الطوب اللبن، وغطيت الجدران بالملاط ولونت باللون الأزرق، وغطيت الأرضية بحصير.

وعثر بهذين المعبدين على كميات ضخمة من الأواني الفخارية، وكذلك على بعض الحبوب مثل القمح، والشعير، والعدس، وبذور العنب، وقد عثر على بعض هذه الحبوب. وهي محفوظة في أواني[1].

ويوضح موقع مرسين Mersin بعض المظاهر المعمارية خلال هذه المرحلة، فقد كشف عن بقايا بعض المنازل، ومنها يتضح أن كل منزل كان يتكون من حجرة رئيسية مزودة برحى تستخدم في طحن الحبوب، وأواني لحفظ الحبوب، وبعض الأدوات المنزلية، ويوجد في المقدمة فناء صغير.

ويوجد بناء يتضح من تصميمه أنه منزل الحاكم، وهو على شكل مستطيل ويوجد في وسطه فناء مستطيل يقع على كلا جانبيه صف من الحجرات[2].

---

(١) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص ٤٤٣.

(٢) Mellaart, J., Op. Cit., P. 325.

وفيما يتصل بدفن الموتى في كشف في دوراك Dorak في شمال غرب الأناضول عن قبرين ملكيين، وعلى ثلاثة عشر قبراً في الأسا Alaca بوسط الأناضول، واختلفت عادات الدفن بين مناطق الأناضول، فبينما كانت المدافن في دوراك (التي تمثل شمال غرب الأناضول) عبارة عن لحود من الحجر يبلغ حجم الواحد منها ١٨٠ × ٢٠٠ سم، نجد مقابر الأسا (التي تمثل وسط الأناضول) قد حفرت في الأرضية وحفت أحياناً بالحجارة، ويتراوح طول بعضها ما بين ستة وثمانية أمتار، ويبلغ عرضها ثلاثة أمتار ونصف المتر. وبينما غطيت مقابر دوراك بالحجارة، فقد غطيت مقابر الأسا بكتل خشبية رصت عليها رؤوس الثيران وأظلافها.

ودفن الموتى في مقابر دوراك في هيئة القرفصاء، أو ممددين على ظهورهم وقد اتجهوا برؤوسهم ناحية الشرق، بينما دفن الموتى في الأسا في هيئة القرفصاء في الركن الشمالي الغربي لحجرة الدفن، على الجانب الأيسر وقد اتجهت الرأس نحو الغرب.

ولم يعثر في مقابر الأسا على أي أثر لقماش أو حصير نظراً لكثرة مياه الرشح التي قد تكون أتلفت القماش أو الحصير، وقد دفن مع الموتى بعض الأدوات الجنزية ومنها تماثيل لثيران، وبعض أدوات الزينة، وبعض الأواني الفخارية، وكذلك أواني مصنوعة من المعدن، وقد دفن مع الحكام صولجاناتهم كرمز للسلطان، وقد عثر في إحدى المقابر على رأس مقمعة مصنوعة من الذهب، وعلى خنجرين مصنوعين من الحديد.

ولقد عثر في موقع دوراك على مقابر ملكية، وقد وضع جسد الملك على كليم أو حصير ووضعت مع الدفنات الملكية أثاث مصنوع من الخشب، ومن الأشياء الجديرة بالاهتمام ما كشف عنه في المقبرة الملكية رقم (٢) ويتمثل في بقايا كرسي مصري مصنوع من الخشب وقد نقشت صفحته المغطاة بالذهب بالكتابة الهيروغليفية المصرية وسجلت عليه إسم ولقب

الفرعون ساحورع ثاني ملوك الأسرة الخامسة المصرية (٢٤٩٤ - ٢٣٤٥ ق. م تقريباً)(١).

واحتوت مقابر دوراك على أدوات للزينة وأواني معدنية وفخارية، وأسلحة متعددة كالسهام والسيوف والخناجر، كما عثر على رأس مقمعة مصنوعة من الكهرمان والفيروز، وعلى سيف وخنجر مصنوعين من الحديد(٢).

وتمكن الصناع من صناعة الأدوات المعدنية بواسطة الصب في الشمع والطرق وغيرها من الوسائل، كما مارسوا التطعيم في المعادن ولحام المعادن، ووجدت العديد من الأدوات الحجرية، ويلاحظ من المواد التي استخدمها الصناع وجود مواد محلية مثل البللور الطبيعي والعقيق واليشب والأسيديان، بينما قاموا باستيراد بعض المواد الخام من خارج الأناضول، ومن هذه المواد: الكهرمان الذي أحضروه من البلطيق، واللازورد من باراخشان في شرق أفغانستان، والفيروز من نيشابور في خوراسان شرق إيران.

ولقد عثر في الأسا على تماثيل تضع أحذية ارتفعت مقدمتها(٣)، كما عثر على أحزمة، وتزينت النساء بالأساور والعقود التي صنعت من أحجار مختلفة الألوان كما تزينوا كذلك بالخواتم والأقراط والأمشاط.

وفيما يتصل بالصناعات الفخارية، فقد توصلت منطقة كليكيا إلى عجلة الفخار، بينما استمرت المناطق الأخرى في صناعته بواسطة الأيدي، وقد تعددت أشكاله وزيناته، وقد ظهرت زينات جديدة في موقع مرسين بالطبقة

---

(١) Mellaart, J., «The Royal Treasure of Dorak», In I 11. Ldn New, 28 Nov. 1959, Fig. 1.

(٢) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص ٤٤٤.

(٣) Kozay, H. Z., Les Fouilles D'Alaca Hüyük, Ankara, 1951.

الأثرية السابعة عشرة، وقد غطيت الأواني بطبقة رقيقة من الخذف الجيد ذو اللون السمني ولونت باللون الأحمر والبني أو الأسود، وكان لبعض الأواني مقابض كبيرة بشكل مبالغ فيه، وزينت بعض الأواني السوداء بزينات بيضاء. ويرجح أن هذه الزينات مرتبطة بظهور هذا الفخار الجديد الذي لم يعرف من قبل في كليكيا(١).

وسنقوم في الفصول التالية بدراسة تاريخ الحيثيين أثناء العصر التاريخي والذي ينقسم إلى فترتين، اتفق على تسمية الفترة الأولى بالدوحة القديمة، والفترة الثانية بالأمبراطورية أو الدولة الحديثة.

---

(١) Mellaart, J., In C. A. H., Vol. I, Part, P. 423.

الفصل الثاني

الدّولة القديمة



يبدأ التاريخ الحقيقي في الأناضول بمجيء التجار الأشوريين إلى الهضبة حوالي ١٩٠٠ ق. م، وفي هذا الوقت كان أهل أشور يعرفون الخط المسماري البابلي، وقد عثر على الألواح الطينية التي سجل عليها أولئك التجار الأشوريون رسائلهم ويومياتهم في أماكن متعددة وبخاصة في «كول تبه» بالقرب من قيصرية.

ولم يعرف من هذه الألواح إلا القليل عن السكان الأصليين وتاريخهم، ولكننا نعرف بعض المعلومات عن أمراء محليين وقصورهم، ومن الواضح أن الأناضول كانت مقسمة إلى عشر مقاطعات صغيرة على الأقل، وكان من بينها مدينة بوروش خاتوم Burush Khatum ويبدو أنه كان لهذه المدينة سلطات في بادىء الأمر لأن حاكمها كان مميزاً عن الباقين بلقب «الأمير العظيم»، وقليل جداً الأمراء المحليين من هم معروفون لنا بأسمائهم[١].

ويبدأ التاريخ السياسي في الأناضول بتولي الملك «أنيتا Anitta» ابن «بيتخانا Pitkhana» عرش كوشارا Kushshar : ولقد سجلت انتصاراته بالتفصيل في نصوص حيثية عثر عليها في بوغاز كوي[٢].

---

(١) Curney, O. R., The Hittites, PP. 18 - 19.

(٢) Balkan, K., Letter of King Anum - hirbi of Mama to King Warshama of Kanish, Ankara, 1957, P. 47.

ويتضح من هذه النصوص أن أنيتا قد نقل مقر حكمه إلى نيشا Nesha التي كان قد استولى عليها والده من قبل، ولقد واصل أنيتا انتصاراته باستيلائه على العديد من المدن مثل أولاما Ullamma ، وهاركيونا Harkiunaوزالبوا Zalpuwa، وأخيراً خاتوشاسن Khattusha نفسها، التي دمرها تدميراً تاماً، وأعلن أنها مدينة ملعونة. وتشير هذه النصوص إلى أنه قد هزم ملك شالايتوارا Shalatiwara في معركة، وكذلك هزم ملك بوروشخاندا Purushkanda الذي خضع له، وحمل إليه عرشه وصولجانه كهدايا.

وبالإضافة إلى هذه النصوص، فقد ذكر إسم «أنيتا» في ثلاث وثائق أشورية وكذلك خنجر مصنوع من البرونز[1]، ويستدل من ذلك على أن هذا الملك كان معاصراً للمستعمرات التجارية الأشورية، وتؤكد هذه الوثائق اللقب الذي اتخذه وهو «الملك العظيم»، ولكن لا يمكن الجزم في الوقت الذي عاصر فيه هذه المستعمرات التجارية، وهل كان ذلك وقت أزدهارها، أم في الوقت الذي أخذت فيه في الأناضول.

وإن كان من المحتمل أن نشاط الأشوريين التجاري في كبادوكيا الذي ظل مزدهراً حوالي ثلاثة أجيال، قد انتهى فجأة خلال حكم الملك أنيتاس، وإن كنا لا نعرف إذا كان هذا قد تم نتيجة لانتصارات أنيتاس، أو أن كارثة ما قد حلت بمدينة أشور في هذا الوقت، وليس هناك ما يدعو إلى الظن بأن موقف الحكام المحليين لم يكن ودياً تجاه الأشوريين، بل الأحرى بنا أن نفترضه أن الأمراء المحليين قد رحبوا بالتجار الأجانب الذين كانوا يجلبون لهم ثمار مدنية وحضارة بلاد النهرين[2] .

---

(١) Özgüc, T., «The dagger of Anitta», In Belleten, X X 177, (1956), PP. 33 - 34.

(٢) Gurney, O. R., Op. Cit., PP. 20 - 21.

وعاصرت انتهاء الوجود الأشوري في وسط الأناضول نهاية عهد شمس أدد الأول ملك أشور القوي، وفي العقد الأول من عهد ابنه الشمس داجان (من حوالي ١٧٨٠ - ١٧٤٠ ق. م) الذي لم تكن له كفاءة أبيه، وبعد أن استعاد زمري ليم عرش ماري وفقدت أشور سيادتها على وادي الفرات وانقطع اتصالها بآسيا الصغرى[١].

هذا ويرجح أن أنيتاس كان ينتمي إلى سلالة غريبة عن الملوك الذين اتخذوا من خاتوشاس عاصمة لهم فيما بعد، حيث من الواضح أن مدينته كوشار كانت مقراً ملكياً في العصور الحيثية القديمة، هذا إذا لم تكن بالفعل العاصمة الإدارية، كما أنه لم يدع أحد من ملوك الحيثيين أن أنيتاس كان سلفاً له، ويضاف إلى ذلك، العداء الغريب الذي أظهره أنيتاس تجاه مدينة خاتوشاش[٢].

وفيما يتصل بتاريخ الحيثيين أثناء الدولة القديمة، فيلاحظ قلة الوثائق المتصلة بهذه الفترة إن لم تكن ندرتها، كما أن معظم الوثائق التي وصلتنا غير كاملة[٣]، ويعتمد المؤرخون في دراسة هذه الفترة على الرسوم الذي أصدره أحد الملوك الأواخر في هذه الفترة ويدعى تيلبينوش Telepinush . ويستدل منه إلى أن أول ملوكهم كان يدعى «لابارناش».

لابارناش Laabarnash

يتضح من هذا المرسوم أن الملوك الحيثيين المتأخرين كانوا يحبون أن

(١) محمد عبد اللطيف محمد علي: المراكز الأشورية في وسط آسيا الصغرى في العصر الأشوري القديم، الاسكندرية، ١٩٨٤، ص ٣٣.

(٢) Gurney, O. R., Op. Cit., P. 21.

(٣) Laroche, E., «Catalogue des Textes Hittites», In R. H. A., XIV 158 - XVI 162.

يرجعوا بأصلهم إلى الملك القديم لابارناش Labarnash ، وعليه يمكن القول أن التاريخ الحيثي يبدأ به، رغم أنه لم يكن فيما يبدو أول أسرته، ولم يبق لهذا الملك أي نص أصلي، وكل ما لدينا عنه ما ورد في مرسوم تيلبينوش.

ويبدأ مرسوم تيلبينوش على النحو الآتي:

«في الماضي كان لابارتاش ملكاً عظيماً، وكان أولاده وأخوته وأصهاره وأقاربه وعساكره متحدين، وكانت البلاد صغيرة، وكان كلما اتجه للقتال أخضع بلاد أعدائه بالقوة، فقد دمر البلاد حتى أصبحت بلا قوة، وجعل البحر حدوده، ولما عاد من المعرجة، ذهب كل واحد من أولاده إلى أحد مناطق البلاد، فذهبوا إلى خوپيشنا Khupishna ، وإلى توانوا Tuwanuwa، وإلى نيناشش Nenashsha، وإلى لاندا Landa، وإلى زالارا Zallara، وإلى بارشوخاندا Parshukhanda ، وإلى لوشنا Lushna، وحكموا البلاد، وأصبحت المدن الكبرى في قبضة يده.

ثم أصبح خاتوشيليش Khattushilish ملكاً، وكان أولاده، وإخوته، وأصهاره، وأقاربه، وعساكره بالمثل متحدين، وأينما سار إلى قتال كان يقضي على بلاد أعدائه بالقوة، فقد دمر البلاد حتى أصبحوا لا حول لهم ولا قوة وجعل البحر حدودهم، ولما عاد من المعركة ذهب كل من أولاده إلى كل جزء من البلاد، وعادت المدن الكبرى مرة ثانية في قبضة يده»(١).

ويتضح من هذا النص أن قوة الملكة الحيثية قد اعتمدت على قيام العلاقات الودية بين أفراد الأسرة المالكة، وأنها تكونت في هذه المرحلة من مجموعة متماسكة من المدن تبعد عن خاتوشاش بمسافة شاسعة، وعلى ذلك فإنه من المحتمل جداً أن العاصمة في ذلك الوقت لم تكن خاتوشاش بل

---

(١) Gurney, O. R., «Anatolia C. 1750 - 1600 B. C», In C. A. H., Vol II, Part I, Cambridge, 1973, P. 235.

كانت المدينة القديمة كوشار، والتي لم يحدد في الواقع موقعها ولكنها ربما كانت تقع جنوب الهاليس.

ولقد تأيد ما جاء في النص السابق من أن لابارناش قد اتخذ البحار حدوداً له بنص ثان متأخر عن النص الأول ورد فيه أن لابارناش قد أخضع مملكة أرزاوا Arzawa، وهي تقع في النصف الغربي من آسيا الصغرى، وعلى ذلك فقد سيطرت المملكة الحيثية في عهد أول ملوكها على إقليم يمثل في الجنوب والغرب على الأقل أقصى حد للاتساع وصل إليه أقوى ملوك الأمبراطورية المتأخرة[1].

خاتوشيليش الأول: Khattushilish

خلف لابارناش على العرش ويحتمل أنه ولده، ويلاحظ أنه بالإضافة إلى التسمية خاتوشيليش قد اتخذ إسماً آخراً هو لابارناش الثاني، ويتجه الباحثون في تفسير ذلك إلى عدة فروض: الأول أن يكون قد تولى العرش تحت إسم لابارناش الثاني ثم اتخذ فيما بعد اللقب خاتوشيليش، ويتجه الفرض الثاني إلى أن اسمه الشخصي كان خاتوشيليش. وعندما تولى العرش اتخذ التسمية لابارناش[2]. أما الفرض الثالث، فيرى أنه قد اتخذ لتسميته خاتوشيليش بعد نقله للعاصمة من كوشار إلى خاتوشاش، إذ أن هذا الإسم يعني «رجل خاتوشاش» وأنه قد اتخذه ليخلد ذكرى انتقاله إليها[3].

ويستدل من الوثائق التي ترجع إلى عهد خاتوشيليش الأول أنه قد تولى الحكم في العاصمة كيشار، وأنه قد نقل العاصمة بعد ذلك إلى مدينة

---

(١) Gurney, O. R., The Hittites, P. 22.

(٢) Gurney, O. R., In C. A. H., Vol. II, Part I, P. 236.

(٣) Ibid., PP. 238 - 239.

خاتوشاش، وربما كـان هذا الاختيـار راجعاً إلى المميـزات الإستراتيجيـة التي تتمتع بها هذه المدينة.

ولقد أخذت المملكة الحيثية في الإتساع جنوباً وشرقاً خلال حكم هذا الملك، ويضيف أحد نصوصه الأحداث الهامة التي تمت في ست سنوات من عهـده، وليس واضحاً إن كـانت هـذه السنـوات الست تمثـل السنـوات الست الأولى في عهـده أم أنهـا بعـد ذلـك، ورغم أن هـذا النص يعتبـر من أكمــل النصـوص الحيثية التي تـرجع إلى هـذه المرحلة، إلا أنـه يقلل من الإستفـادة الكاملة من المعلومات التي وردت فيه عدم معـرفتنا بحـدود كثير من الأمـاكن التي ذكـرت فيه، رغم العـديد من المحـاولات والجهود التي بـذلت في سبيل تحقيق هذه الأماكن[1].

وسنشير فيما يلي إلى الأحداث الهامة التي وردت في هذا النص.

يتضـح أن السنة الأولى من هـذه السنـوات الست قـد خصصت في شن العـديد من الحمـلات على «شاخويتها Shakhiutta» و «زالبـار Zalpar» وقـد عرفت المدينتان بعد ذلك تحت إسم شانا خويتـا Shanakhiutta وزالبا Zalpa ويغلب أن تكون مدينـة شانـاخويتـا تقع في وادي كـانك سـو، أو في وادي هاليس العلوي، أما مدينة زالبا فيرجح أنها تقع إلى الشرق أو الجنوب الشرقي من خاتوشاش[2].

وفي السنة الثانية، يشير إلى أنه قد دمر مدينـة الخاخـا Alkhalkha التي

---

(١) انظر:

Cornelius, F., «Geographie des Hetiterreiches» In Or. N. S. 27 (1958), P. 225 F F, 373 F F., Guterbock, H. G., «The Orth - Central area of Hittite Anatolia», In J. N. E. S., Vol. 20 (1961), P. 85 F F.

(٢) Garstang, J., and Gurney, O. R., The Geography of the Hittite Empire, London, 1959, P. 11 F F.

يرجح أن تكون الألاخ Alalakh الواقعة في سهل أنيتوخ، ويستدل من ذلك أنه قد قاد حملة إلى سهول سورية، ولا بد أنه قد قام باختراق إحدى ممرات جبال طوروس للوصول إلى تلك السهول، ويحتمل جداً أن يكون هذا الطريق هو الذي كان يؤدي إلى أبواب كليكيا التي كانت غالباً ما كانت خاضعة للحيثيين.

وتقدم بعد ذلك للقضاء على مدينة أورشو Urshu التي تقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات إلى الشمال من قرقميش، وتمكن من هزيمتها وقدمت له الجزية، ثم اتجه إلى مدينتي أجاكاليش Igakalish، وتاشخينيا Tashkhiniya، ولم يمكن معرفة موقع هاتين المدينتين بشكل مؤكد.

وفي السنة الثالثة، اتجه خاتوشيليش لغزو أرزاوا التي كانت من أشد المنافسين للحثيين، وكان نفوذها يمتد إلى الغرب أو الجنوب الغربي من خاتوشاش، وكان لحكامها مقر ملكي على ساحل البحر. إلا أنه أثناء صراعه مع أرزاوا تعرضت حدوده الشرقية لهجمات الحوريين الذين تمكنوا من السيطرة على أجزاء كبيرة من مملكته، ونتيجة لذلك فقد ترك أرزاوا واتجه نحو حدوده الشرقية حيث قضى على الخطر الحوري وصب انتقامه على بعض المدن التي كان لها دور في مهاجمته.

وتتضمن أحداث العامين الرابع والخامس من عهده ببعض الحملات المحلية. وفي السنة السادسة عبر خاتوشيليش مرتفعات طوروس، واتجه إلى مدينة خاشو Khashshu، وهي مملكة حورية تقع إلى الغرب من الفرات.

ولقد شغلت أيام خاتوشيليش بالحروب السورية وبخاصة مع ملكة امخاد Imkhad (حلب)، ولقد حاول أن يستولي عليها، ولكن يبدو من الوثائق المتأخرة أنه لم يتمكن من الإستيلاء عليها[١].

---

(١) Gurney, O. R., In C. A. H., Vol. II, Part I, PP. 240 - 244.

وتعرضت المملكة الحيثية في أواخر أيام خاتوشيليش للانقسام والفوضى، إذ ثار أمراء البيت المالك بقيادة ابن خاتوشيليش وولي عهده، ورغم تمكن خاتوشيليش من القضاء على الثورة ونفي ابنه الذي ثار ضده، وعين آخر مكانه ولياً للعهد، إلا أن الإستقرار لم يدم، إذ بعد وفاة خاتوشيليش تمكن زوج أخته من قتل ابنه أو حفيده الذي كان قد عينه ولياً للعهد، وبذلك دخلت المملكة في مرحلة من الفوضى استمرت أجيالاً عديدة، وامتلأت هذه الفترة بحوادث القتل والفتن والدسائس.

ولعل من المفيد هنا أن نورد فقرات من حديث خاتوشيليش الذي نشعر فيه بمدى الأسى والمرارة التي كان يشعر بها:

«انظر، لقد مرضت، لقد ناديت بلابارناش قائلاً: سوف يجلس على العرش، لقد سميته ابني، عانقته (؟) وحرصت عليه باستمرار، ولكن ظهر أنه شاب لا يصلح، فلم يذرف الدمع، ولم يظهر رحمة، إنه بارد وقاس. . . لم يضع كلام الملك في قلبه، ولكن وضع في قلبه كلام أمه الأفعى. . . كفى! لن يصبح ابني بعد ذلك. . . وبعد ذلك جأرت أمه كالثور قائلة: إنهم شطروا رحمي من جسدي! لقد هدموه ولسوف نقتله.

«هل فعلت به شر وأنا الملك؟. . . والآن سوف لا ينزل مرة أخرى حراً (من المدينة كما يرغب).

تأمل، لقد منحت ولدي لابارناش بيتاً، لقد أعطيته (أرضاً خصبة) كثيرة، وأعطيته (غنماً) بوفرة. . . دعوه يأكل ويشرب. (وطالما أنا بصحة) ربما يعود إلى المدينة. (ولكن) إذا ظل في موقفه كمدبر (للإضطراب؟). . . . فسوف لا ينزل، ولكن سوف يبقى (في منزله).

انظر، الآن أصبح مورشيليش ولدي. . . في موضع الأسد، . . . . وفي ساعة الدعوة لحمل السلاح تقدم. . . أنت، وأتباعي، ومواطن القادة، يجب

أن تكـونوا (رهن الإشـارة لمعاونـة ولدي) وإذا أمضى ثـلاث سنـوات، سـوف يـذهب للغزو. . . . وإذا أخـذته (وهـو صبي) معك في حمله، احضـره ثـانيـاً (سليماً). . . .

لقـد أساءت إلى شخصي البنت، وإلى إسمي، . . . . لقـد نبـذت كـلام الـوالـد جـانبـاً، لقـد رضعت دم حيـاة (أبنـاء خـاتي)، والآن (لقـد نفيت من المدينة)، لقد (خصص لها منزل) في القرية، ولها أن تأكل وتشـرب، (ولكن) لا يجب أن تفعل (بها أذى). لقـد ارتكبت إثماً، سـوف لا أعاملهـا بالمثـل). إنها لم تنادين أبي، سوف لا أسميها ابنتي.

وحتى الآن لم يستجب أحد (من عائلتي) لرغبتي. (ولكن أنت، يا بني) مـورشيليش يجب أن تحقق تلك الـرغبـة. احتـرم عهـد (والـدك). وإذا مـا احترمت عهد والـدك سوف (تـأكل خبـزاً) وتشرب مـاء. وحينما تبلغ رشـدك، فلتأكل مرتين أو ثلاثـاً في اليوم، واحسن إلى نفسـك! وحينما تصـل إلى أرذل العمر، عليك أن تشرب بشره! عند ذلـك لك الخيار في ترك عهد والدك.

(الآن) أنت صفوة أتباعي، ويجب أن تحافظ على عهودي. سوف تأكل فقط خبزاً وتشرب ماء سوف تبقى خاتوشاش مرتفع شأنها، وسوف تبقى بلادي في سلام، ولكنه إذا لم تحافظ على عهد الملك. . . سـوف لا تبقى على قيد الحياة، وسوف تفنى.

وأنت (مـورشيليش) سـوف لا تتـأخـر، ولا تتـراخى. وإذا مـا تـأخـرت (فسيصبح معنى ذلك) أنك فعلت نفس الأذى القديم. . . ولدي افعل، ولدي افعل دائماً ما يمليه عليك قلبك»[1].

---

(١) Ibid., PP. 247 - 248 وكذلك: عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص ٤٦٣ - ٤٦٤.

ومن أشهر الملوك الذين ظهروا خلال هذه المرحلة الملك تيليبينوس **Telepinus** الذي اعتلى العرش حوالي عام ١٥٢٥ ق. م، ورغم أنه كان مغتصباً للعرش، إلا أنه قد تمكن من تقوية مركزه بالتخلص من المدعين الذين ينازعونه السلطة.

ومن أشهر الأعمال التي تنسب إليه سن قانون لتنظيم وراثة العرش، فألف مرسوماً محكماً، استعرض فيه بإيجاز تاريخ الحيثيين، وأوضح أخطار الاختلاف والتفرقة في الجهات العليا، وانتهى إلى إعلان قانون دقيق لوراثة العرش، وعدد من القواعد الأخرى الخاصة بسلوك الملك والأمراء، ويبدو أن هذا القانون الذي أصدره قد اتبع حتى آخر أيام الأمبراطورية الحيثية.

وفيما يتصل بسياسته الخارجية، فقد اكتفى بإقامة حدود يمكن الدفاع عنها، فطرد الغزاة من شمال العاصمة شرقاً إلى مسافة مطمئنة، ومن ناحية الغرب والجنوب سلم بفقدان أرزاوا والبلاد الواقفة خلف طوروس بما في ذلك سورية بأسرها.

ومن أهم معالم سياسته الخارجية توقيعه لمعاهدة مع كيزوواتنا Kissuwatna(كاتونيا) وهي دولة قوية كانت تشمل الجزء الشرقي من سهول قيليقية وامتداد وادي نهر فيراموس. وتعتبر هذه الإشارة من أولى المعاهدات في هذه المرحلة.

ويعتبر تيليبينوس عادة آخر ملوك الدولة القديمة، إذ لم يعثر منذ منتصف أيام حكمه على مصادر تاريخية، فأصبح لا يمكن التأكد من أسماء خلفائه الذين جاءوا بعده مباشرة، وهذا العصر الغامض هو الذي يملأ الزمن الفاصل بين تيليبينوس وتود خالياش الثاني Tudhaliyas الذي أسس أسرة جديدة وكان أول ملوك الأمبراطورية، وتثبت الآثار أنه خلال هذه المدة التي استمرت نصف قرن تقريباً لم يكن هناك انقطاع خطير في الاستمرار التاريخي، إذ

يرجح أن القانون الذي عثر على نصوصه في بوغاز كوي، يرجع إلى عهد أحد خلفائه، كما أن كثيراً من العقود الخاصة بالأرض والمواثيق تنتمي إلى هذه الفترة أيضاً[1].

(1) Gurney, O. R., The Hittites, PP. 24 - 26.

الفصل الثالث

عصر الإمبراطورية

كما سبقت الإشارة في نهاية الفصل السابق إلى اضطراب أحوال المملكة الحيثية في نهاية عصر الدولة القديمة، وأن هذه الفترة تبلغ ما يقرب من الخمسين عاماً، وفي نهاية هذه المرحلة دخلت الدولة الحيثية مرحلة جديدة في تاريخها تعرف باسم «عصر الأمبراطورية» أو «المملكة الحيثية الحديثة»، وتعاصر هذه المرحلة في مصر عصر الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، وبخاصة منذ أيام الفرعون تحوتمس الثالث .

وشهدت هذه المرحلة العديد من المظاهر الجديدة في نظام الملكية الحيثية، فلقد أصبحت الملكية مطلقة بعد أن كانت تتميز في عصر الدولة القديمة بالديمقراطية أو الحكم الخاص (Oligarchic) . ومن ناحية أخرى فقد تأثرت هذه المرحلة بشكل كبير بالمؤثرات الحورية، وظهر ذلك في اتخاذ بعض مظاهر العبادة الحورية، كما أن جيش الأمبراطورية الذي امتاز بسلاح المركبات قد قام بتدريبه شخص حوري يدعى كيكولي، ويلاحظ أيضاً أن الكثيرين من الملوك والملكات والأمراء قد اتخذوا الأسماء الحورية، ومن أقدم الأسماء الحورية تلك التي تسمت بها الملكات نيكال ماتي، وأشمو نيكال، ولكنه يلاحظ أنه حينما يعين أحد أولئك الذين يتخذون أسماء حورية ملكاً فإنه كان يستبدل اسمه باسم آخر حيثي[1].

---

(1) Güterbock, H. G., «The Hurrian Element in the Hittite Empire», In J. W. H., Vol. 2 (1954), P. 383 FF.

ويعتبر الملك تودخالياش الثاني مؤسس الأسرة التي أنشأت الأمبراطورية الحيثية.

تودخالياش الثاني Tudkhaliash II

لم يظهر إسم والد تودخالياش الثاني في أي مكان، وهو يعتبر مؤسسا لأسرة جديدة بدأت عصر الأمبراطورية الحيثية. ورغم ذلك فإن الوثائق المتخلفة من عهده جد قليله ولا تشير إلا إلى القليل من أحداث من عهده والتي من أهمها الإشارة إلى غزوه لمدينة حلب وتدميرها.

ومع أن تاريخ تدمير حلب وظروفه غير مؤكدة، إلا أنه يجب وضع هذا الحادث حسب تاريخ سوريا المعروف في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، فخلال فترة الضعف التي ألمت بدولة الحيثيين في أعقاب الدولة القديمة، تمكنت إحدى الوحدات السياسية الحورية وهي «هاني جلبات» من السيطرة على شمال سورية حوالي عام ١٥٠٠ ق. م. وانتهز أحد موالي المملكة الحورية فرصة ضعف المملكة الحيثية ونجح في الاعتداء على حدودها، ولم يستطع الحيثيون دفعه عنها.

وربما كان غزو الحيثيين لحلب يرجع إلى أنهم أرادوا عقابها على عودتها للخضوع إلى «هاني جلبات»، ولذا يرجح أن يكون غزوها لا يمكن أن يكون متأخراً عن هزيمة هاني جلبات على يد الفرعون المصري تحوتمس الثالث في سنة ١٤٥٧ ق. م. الذي تمكن من إنهاء السيطرة الحورية في سورية في حملته الثامنة التي تمت في عام ١٤٥٠ ق. م وأصبح المصريون هم أصحاب السلطة العليا في سورية في ذلك الوقت.

ويرى بعض الباحثين أن الحيثيون قد قاموا بغزو حلب بالإتفاق مع الفرعون تحوتمس الثالث كحلفاء له، ومما قد يؤكد ذلك إشارة نصوص تحوتمس الثالث إلى تسلمه هدايا من «خيتا العظمى»، وربما يفسر لنا ذلك

السبب في عدم وجود أي إشارة في النصوص المصرية إلى الإستيلاء على حلب في هذه الحملة(١).

ولقد أشارت النصوص المصرية إلى مواصلة إرسال الجزية من خاتي في عهد الفرعون أمنحوتب الثاني خليفة الفرعون تحوتمس الثالث، إذ ورد في نهاية لوح منف الذي يرجع إلى عهده: «. . . . الآن، لما سمع أمير نهرين، وأمير خاتي، وأمير سيخر النصر العظيم الذي حققته، تسابق كل مع زميله بكل وسيلة من الهدايا من كل البلاد، وقد تحدثوا في قلوبهم وأقسموا بآباء آبائهم أنهم سوف يدعون للسلام مع جلالته رداً على عطائه لهم نسيم الحرية: حضرنا ومعنا جزيتك إلى قصرك، يا ابن رع أمنحوتب حاكم الحكام، الأسد المغوار في كل مصر، وفي هذه الأرض إلى الأبد».

وتشير نصوص تودخاليش أنه قام بغزو المناطق الغربية، وتذكر هذه النصوص أنه حارب في أرزواوا، وتوجد تفاصيل هذه الحرب فيما يسمى «حوليات تودخاليش» وهي الحوليات التي كانت تنسب من قبل إلى الملك تود خاليش الرابع(٢).

وتصف الحوليات أربع حملات ناجحة، وفيما يتصل بالحملة الأولى فلم يتبق من النص تفصيلات عنها، وكل الذي لدينا هو نهاية هذه الحملة وتتضمن جزء من قائمة بأسماء البلاد التي تم غزوها، ومن بين هذه البلاد أرزاوا والبلاد التابعة لها، وخابالا Khapalla وأرض نهر شيخه Shekha، وكذلك وولاريما Wallarimma التي تقع إلى الغرب.

أما الحملة الثانية فقد وجهت نحو اثنتان وعشرون مدينة تحت اسم

---

(١) محمد أبو المحاسن عصفور: المرجع السابق، ص ٣١١.

(٢) Laroche, E., «Catalogu des texts Hittites», In R. H. A., XIV / 58 - XVI / 62 (1956), No. 85 and 123.

«بلاد آسوا Assuwa» ويحتمل أن تكون هذه الكلمة هي الأصل الذي اشتقت منه الكلمة الرومانية Asia. وقد ذكرت لأول مرة كاسم لإقليم بالقرب من ساردیس، وما من شك أن آسوا تقع في الغرب. وقام العلماء بدراسة أسماء المدن الإثنتان والعشرين التي وردت أسماؤها في حوليات هذه الحملة وبخاصة أسماء آخر مدينتين وردنا فيها وهما مدينتا ويليوشيا Qilushiyaوتاروشا Taruisha، حيث رأى العلماء أنهما تمثلان مدينتي اليوس Ilios وترويا Troia[1]، أما عن باقي المدن فإن معظمها لم يستطع العلماء من تحديد موقعهما بشكل نهائي. وتمثل هذه الحملة أقصى تدخل للحيثيين ناحية الغرب.

واضطرت الظروف الملك تودخاليش للقيام بحملته الثالثة، إذ أنه أثناء انشغاله بحملته الثانية في الغرب هاجمت جماعات «كاسكا Kaska» بلاد الحيثيين، وعلى ذلك، فقد اضطر الملك أثناء عودته إلى خاتوشاش إلى أن يتوجه إليهم حيث دارت معركة بينه وبينهم عند تيوارا Tiwara ، (لم يحدد مكانها بعد) تمكن من إلحاق الهزيمة بهم فيها.

وبعد هذه الحملة الثالثة قضى الملك عاماً لم يقم فيه بأي حملات، وبعد هذا العام أرسل حملة ناحية الشرق لتقضي على تمرد قام في مدينة أشوا Ishuwa بتأييد من مملكة الحوريين، وتقع أشوا عند منعرج الفرات جنوب مراد سو[2].

ولقد تمكن تود خاليش أن يستولي على ميتاني، ودخل عاصمتها، وقد قام بتسليم كل الأراضي التي استولى عليها إلى ملك كيزوادنا الذي كان حليفاً له.

---

(١) Garstang, J., and Gurney, O. R., Op. Cit., P. 105 F F.

(٢) Ibid., P. 40 F F.

إن حملات تود خاليش في سورية والغرب، توضح أنه كان حاكماً نشطاً وناجحاً وتوضح النقوش القليلة المتبقية من عهد خلفائه والتي تحمل أسماء كل من أرنوواندداش Arnuwandash واشمو ـ نيكال Ashmu - Nikkal، أنه قد واجه اضطرابات قامت بها جماعات كاسكا، كما تعرضت كثير من المراكز الحيثية لهجمات أعداء الحيثيين[1].

وتسجل إحدى القطع التي ترجع إلى هذا العهد أن مدينتي أورا Ura وموتاموتاسا Mutamutassa قد خضعت لسيادة الحيثيين، كما توضح قطعة أخرى توقيع معاهدة مع أهل أورا أنفسهم[2]. ولقد كانت أورا مركزاً تجارياً هاماً للتجارة البحرية مع كل من أوجاريت ومصر[3]. ويبدو من ذلك أنه كان للحيثيين في ذلك الوقت سيطرة على جزء من الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى. ومن ناحية أخرى فإن هذه الوثائق لا تشير إلى المواقع الأخرى التي تقع إلى الشرق أو في سورية، أو تلك التي في غرب الأناضول.

وفي حوالي عام ١٤٣٠ ق. م بدأت مملكة ميتاني تنتعش، وكان ذلك في عهد ملكها أرتاتاما الأول، ولقد كان على دولة الحيثيين في ذلك الوقت مواجهة دولة ميتاني ومعها مصر، ففي نهاية عهد الفرعون أمنحتب الثاني أرسل ملك ميتاني بعثة إلى مصر تناشد الفرعون السلام. ومن ثم فقد أرسل فرعون رسله إلى أرتاتاما تطلب منه رباطاً يؤكد التحالف الذي قام بينهما، فأرسل أرتاتاما ابنته لتتزوج الملك تحوتمس الرابع الذي تولى العرش في مصر بعد وفاة والده أمنحتب الثاني، وشجع ذلك على قيام سلسلة من الزواج السياسي، ارتبطت بواسطتها الأسرتان المصرية والميتانية برباط المعاهدة.

---

(١) Laroche, E., Op. Cit., No. 277.,

Pritchard, J. B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Princeton, 1971, P. 399.

(٢) Laroche, E., Op. Cit., No. 99.

(٣) Goetze, A., «Cilicians», In J. C. S., 16 (1962), P. 48.

ولم يكن الملك الحيثي (تـود خاليش الثـالث) هو رجـل الموقف الـذي يستطيع مواجهة هذه الأمور المستجدة الدولية في ذلك الوقت، فتأزمت الأمـور بسـرعة وسـارت من سيء إلى أسوأ، وقـد ظهـرت هـذه الأحـوال السيئـة في مرسوم صدر في القرن التالي لهذه الأحداث[1].

ولقد كان لفشل الحيثيين في إعادة نفوذهم في سورية أثره في قيـام ثورة عامة، فقد غزت جيوش أرزاوا إقليماً يسمى «البلاد السفلى» (ربما تكون سهل كـونيا الحـالي)[2]، وقد وصلت هـذه الجيوش حتى تـوانوا Tuwanuwa (تيـانا Tyana) واورا (هيدا Hyde).

وتعرضت الحدود الجنوبية الشرقية لهجوم من رجال أرماتانـا Armatana الذين قاموا بنهب الأراضي الحيثية حتى مـدينة كيـزوادانا Kizzuwadna، ممـا يـدل على أن هـذه الأخيـرة كـانت من الأمـلاك الحيثية ومعهـا بعض بلاد من طـوروس. ولم يستـطع أحـد حتى الآن معـرفـة المكـان الـذي كـانت تحتله أرماتانا. كما وقع سهل مالاتيا حتى الغرب إلى مدينة جورون Gurun الحـديثة في أيدي رجال أشوا.

ووقعت «البلاد العليا» (الوديان العليا لنهر الفـرات و كيزيـل أرماك Kizil Irmark، في أيـدي أزي خياشـا Azzi - Khayasha وهي تقـع في الشمـال الشـرقي، وعلى ذلك فقـد أصبح المـركز الـديني شامـوخا Shamukha يمثـل الحدود الأمامية للحيثيين. وتعرضت مقاطعة كششيا Kashshiya لهجمات غالباً من الشمال الغربي، كما عادت قبائل كاسكا لنهب المدن المجاورة للعاصمة، حتى وصلت إلى نينا ششا Nenashsha (يحتمل أن تكون ناناسوس Nanassos

---

(١) Laroche, E., Op. Cit., No. 58.

(٢) Garstang, J., and Gurney, O. R., Op. Cit., P. 63 F F.

الكلاسيكية)[1]. وأخيراً فإن العاصمة الحيثية نفسها خاتوشاش قد تم غزوه ثم أحرقت، وكان يبدو ذلك وكأنه نهاية المملكة الحيثية[2].

وأمكن معرفة امتداد سلطان ميتاني وارزاوا في ذلك الوقت من المراسلات التي تمت بين ملوكهما مع فرعون أمنحوتب الثالث في نهاية حكمه، وقد تزوج الفرعون من أخت الملك الميتاني، كما يبدو كذلك أنه قد تزوج أيضاً من أميرة أرزاوية[3].

وأشار نص متأخر إلى الأحوال السيئة التي مرت بها الدولة الحيثية ومهاجمة حدودها من كل جانب، وقد جاء فيه:

«في الأيام الخوالي كانت البلاد الحيثية تغزو البلاد التي تقع خارج حدودها، ثم جاء العدو من كاسكا ونهب الأراضي الحيثية وجعل من نيناسا حدوداً له، كما جاء العدو من أرزاوا خلف الأراضي السفلى ونهب البلاد الحيثية أيضاً، وجعل من توانوا Tuwanua وأودا Udaحدوداً له.

ومن بعيد جاء العدو من أراءونا Arauna ونهب جميع بلاد جاسيا. ومن بعيد جاء العدو مرة ثانية من أزي Azzi ونهب كل الأراضي العليا واتخذ سموحا Samuha حدوداً له. وجاء العدو من إسووا Isuwaونهب بلاد تيجاراما Tegarama . . .

ومن بعيد أيضاً جاء العدو من أرماتانا ونهب البلدان الحيثية واتخذ مدينة كيزواتانا Kizzuwatna حدوداً له، وأحرقت مدينة خاتوشاش»[4].

---

(١) Mayer, L. A., and Garstang, J., Index of the Hittite Names, British School of Archaeology in Jerasalem, Supplementary Papers No. 1. London, 1923, P. 35.

(٢) Gurney, O. R., «Anatolia C. 1600 - 1380 B. C.», In. C. A. H., Vol. II, Part I, P. 681.

(٣) Knudtzon, J. A., Die El - Amarna Tefeln, Leipzig, 1915, Nos. 17 - 30, 31 - 32.

(٤) Gurney, O. R., The Hittites, P. 28.

ويعتمد الباحث في دراسته للهجوم الحيثي المضاد ضد هذه الغزوات على ما يسمى بـ «أعمال شوبيلة ليوماش»، وهي التي قام بتجميعها ابنه مورشيليش الثاني Murshilish II وأمكن ترميمها من العديد من القطع[١]. وتبدأ هذه الأعمال في عهد والد شوبيلو ليوماش الذي وصف بأنه «جدي» ولكن أشارت بعض القطع إلى إسم جده وهو «تود خالياش» أما والده فقد كان خاتوشيليش الثالث، ويوضح ذلك أن العرش قد انتقل من الجد إلى الإبن ثم إلى الحفيد الذي هو شوبيلو ليوماش.

ويلاحظ أن هذه الأعمال ليست تأريخاً ولكنها سيرة شخصية، وهي تبدأ عندما عهد والد شوبيلو ليوماش إليه بقيادة الجيوش، وكان ذلك نقطة تحول في مصير الحيثيين، ويظهر ذلك بوضوح في رسوم خاتوشيليش الثالث الذي أوضح حجم الكارثة التي ألمت ببلاد الحيثيين وأشرنا إليه من قبل.

ولم تحدد هذه الأعمال بالسنوات، ولكن يمكننا الإستنتاج أنها تغطي فقط العام الأخير أو على أقصى تقدير العامين الأخيرين من عهد خاتو شيليش الثالث، حيث أنه كان مريضاً في ذلك الوقت، ونظراً لمرضه فقد اضطر إلى أن يرسل ابنه لقيادة الجيوش وعلى ذلك، فإنه لا توجد لدينا أية أدلة أثرية أو تاريخية تمكننا من تحديد السنوات التي استغرقها الحيثيون في استرجاع ولاياتهم المفقودة.

ولسوء الحظ فإن الأجزاء الواردة في الأعمال، والتي تتصل بالفترة المبكرة فيها، وذلك حينما كان شوبيلو ليوماش يعمل تحت قيادة والده، قد وصلتنا في حالة سيئة جداً، لدرجة لا يمكننا معها استخلاص الأعمال المتتابعة التي تمت خلال هذه المرحلة الحرجة في تاريخ الحيثيين.

---

(١) Guterbock, H. G., «The Deeds of Suppiluliuma as told by his Son, Mursili II», In J. C. S., 10 (1956), P. 41 F F.

ويبدو أن العمل الرئيسي خلال هذه المرحلة كـان موجهـاً نحو المنـطقة الشمالية الشرقية «البـلاد العليا» حيث دارت رحى الحـرب مع قبـائل الكـاسكا وأزي ـ خيـاشـا. وفي هـذه الحـرب نهبت مـدينـة أرزيـا Arziya بعـد أن تم غزوها. وأعدت مدينة شاموخا Shamukha لتكـون قاعـدة لإنطلاق الهجمـات منها، كما كانت أيضاً المكان الذي حجز فيه الأسرى.

ويلاحظ أن الإشارات الخاصة بالحروب في باقي المناطق أنهـا متقطعـة وغير مترابطة، ومما جاء في هذه الإشارات، أن مدينة شالابا التي كانت تمثـل قـاعدة أمـامية على الـطريق المؤدي إلى أرزاوا، قـد قـامت الجيـوش الحيثيـة بإحراقها[1].

ومثل الإستيلاء على مـدينة شـالابا الخـطوة الأولى للهجوم على أرزاوا، التي كانت لا تزال تسيطر على توانوا. وتوجد كذلك إشارات إلى جبـل نانتي، الذي لم يمكن تحديد مكانه.

ولقـد فقدت في «الأعمـال» الجزء الخـاص بـوفـاة تـود خـاليش وتـولى شوبيلوليوماش العرش، والفجـوة الموجـودة في النص في هذا الجـزء صغيرة، ومن ثم فإنه يمكن القول بأن انتقال العرش لم يشر إليه إلا في جـزء صغير من الأعمال. ومع ذلك فإن موت الملك قد عجل بظهـور الأزمة. فقـد خلفه على العرش «تود خاليش الصغير»، الذي اغتالته جماعة من الضباط ووضعوا مكانـه شوبيلو ليوماش، الذي أثبت أنه بجوار كفاءته كقائد عسكري، رجل دولة يتميز بقـدرات غيـر عـاديـة، حيث تمكن من جعـل دولـة الحيثيين تقف على قـدم المساواة مع الدول الكبرى حينذاك في منطقة الشرق الأدنى القديم[2].

---

(١) Gurney, O. R., In C. A. H., Vol II, Part I, P. 683.

(٢) Ibid.

شوبيلو ليوماش:

كان تولي شوبيلوليوماش العرش إيذاناً بانتهاء زمن الضعف السالف وبداية عصر جديد من القوة، وفي ذلك الوقت كان على عرش ميتاني الملك «توشراتا» وكان على عرش مصر الملك أمنحوتب الثالث (١٤٠٥ - ١٣٦٧ ق. م).

ولقد واصل شوبيلوليوماش جهوده الحربية في سبيل استعادة الأملاك الحيثية بعد توليه العرش، وكان عليه أن يوجه مزيداً من الاهتمام نحو أزي (تسمى أيضاً خاياشا Khayasha) في الشرق، وذلك من أجل تدعيم الوضع الحيثي في سورية وقد استطاع من إعادة الحدود الشمالية كما كانت عليه من قبح. أما بلاد أرازوا والتي كانت تشغل غربي آسيا الصغرى فقد كانت مستقلة أغلب فترات حكمه[١].

ويمكن القول أن كفاح شوبيلوليوماش في سبيل تثبيت حكمه ودعمه في وطنه حاتي قد استغرق العشرين سنة الأولى من حكمه. ويحتمل أن يكون هو الذي وضع خطة سور الدفاع الضخم في الجانب الجنوبي من مدينة خاتوشاش وكذلك التحصينات الأخرى في العاصمة. ولقد أصبح بعد ذلك قادراً على التفرغ إلى المهمة الرئيسية التي كرس لها نفسه وهي تسوية الحساب مع ميتاني العدو المسؤول عن الحالة السيئة التي وصلت إليها المملكة الحيثية في الجيل السابق.

ولما حانت لشوبيلوليوماش الفرصة قام بغزوته الكبرى نحو سورية، وتعرف هذه الغزوة باسم «الحرب السورية الأولى لشوبيلوليوماش»[٢].

---

(١) Goetze, A., «Anatolia From Shuppiluliumash to the Egyptian War of Muwatallish», In C. A. H., Vol. II, Part II, Cambridge, 1980, PP. 117 - 120.

(٢) Goetze, A., «The Struggle For the Domination of Syria», (1400 - 1300 B. C.), In C. A. H., Vol. II, Part II, PP. 8 - 13.

ولقد تحركت الجيوش الحيثية نحو سورية، وقد خضعت له كل المناطق بين الفرات والبحر المتوسط، ووصلت إلى حدود المملكة المصرية في سورية، حيث توقفت القوات الحيثية، حيث لم يرغب الحيثيون في ذلك الوقت في الدخول في صراع مع مصر، نظراً لأنهم لم يكونوا قد حسموا بعد صراعهم مع توشراتا الميتاني.

وكان لهذا الإنتصار الحيثي أثره في تقلص سلطان الميتانيين على سورية، وأصبحت الولايات السورية الشمالية الملاصقة للحيثيين موالية لهم تماماً، ومن أهم هذه الولايات ولاية حلب والآلاخ وتونب.

وفي تلك الظروف ظهر على مسرح الأحداث الملك الأموري عبدي شرتا وابنه عزيزو اللذين استفادا من هذا الصراع الموجود على الساحة السورية بين الحيثيين والميتانيين والمصريين، فأخذوا يستولون على الولايات السورية وهم يتظاهرون أمام الفرعون المصري بصداقته وولائهم له، في الوقت الذي كان يوجد بينهم وبين الحيثيين شبه تفاهم على الخطوات التي يقومون بها، ويرجح أن عزيزو قد عقد مع شوبيلو ليوماش معاهدة رسمية، كان من نتيجتها اتباعه لنظام الحكم الحيثي.

وفي نفس هذا الوقت فقد قام شوبيلو ليوماش بخطوة أخرى ذات طابع سياسي كبير، فقد تزوج من أميرة بابلية، وبعد زواجها اتخذت إسم أول ملكة حيثية في تاريخ الحيثيين في الأيام الأولى لهم، وكان هذا الإسم هو تاوان ناناش Tawannannash وقد حكمت هذه الأميرة كملكة، ومن الواضح أن الهدف من وراء تلك الزيجة هو حماية نفسه من توشراتا ملك ميتاني.

ولقد اتخذ شوبيلوليوماش من بعض تصرفات توشراتا ذريعة لقيامه

بضرب الميتانيين، وتعرف هذه الحرب باسم «الحرب السورية الثانية لشوبيلو ليوماش»[1] فلقد قام توشراتا بالتدخل في بلاد نوخاش واشوا.

ولقد استعد شوبيلوليوماش لهذه الغزوة، فعقد حلفاً مع أمير أوجاريت ليحافظ على الجانب الأيمن في طريقه إلى ميتاني، واتجه بجيوشه نحو ميتاني حيث دخل العاصمة الميتانية واش شوجاني، وعندما دخلها وجد أن توشراتا قد لاذ بالفرار منها.

ثم عاد شوبيلوليوماش إلى الغرب مرة أخرى متجهاً نحو سورية فدخلها بعد أن عبر الفرات من الشرق، وحينما وصل إلى سورية سقطت المدن الواحدة وراء الأخرى في قبضته، وكان يقوم بعزل الحكام الذين كان الميتانيون يعتمدون عليهم، ويعين في مكانهم غيرهم ممن يثق فيهم. وقد انتهت الحملة عند أبينا Apina (دمشق) أي عند الحدود المصرية في سورية.

وكان لهذه الحملة أثرها في سياسة الشرق الأدنى القديم بوجه عام، فقد وضعت نهاية الدولة توشراتا، الذي اغتيل بعد هربه بفترة وجيزة. وقد اقتسمت أشور ودولة ألش الأملاك المتباينة فيما بينهما، ولم يتبق من الدولة المتباينة إلا أجزاء قليلة.

بعد القضاء على دولة الميتانيين، ظل شوبيلوليوماش لمدة ستة أعوام بشن الحملات على بلاد الحوريين أي شمالي سورية[2]. حيث تمكن من إخضاع مملكة أرزيا وتوسعت جيوشه في شمال سورية وحاصرت قرقميش، وفي أثناء حصاره لها جاءت الأخبار بوفاة ملك مصر، وتروي المصادر الحيثية أن أرملة هذا الفرعون الذي يرجح أنه توت عنخ آمون قد أرسلت برسالة إلى العاهل

---

(١) Ibid., PP. 13 - 16.

(٢) Guterbock, H. G., «Mursili's Accounts of Suppiluliuma's Dealings with Egypt», In R. H. A., 18, 1960, P. 59 F F.

الحيثي جاء فيها «مات زوجي، وليس لدي ولد، وقالوا عنك آن لديك أولاد كثيرين، ويمكنك أن تعطيني واحداً من أولادك ويمكنه أن يصبح زوجي، إنني لا أرغب في الزواج من أحد أتباعي، إنني ممتنعة عن جعله زوجي»[1].

وبعد مشاورات اتخذها العاهل الحيثي أرسل احد ابنائه الى مصر بناء على رغبة هذه الأميرة، ولكن لم يقدر لهذا الأمير ان يصل الى مصر فقد اغتاله في الطريق الحسين المصري، ويرجح أن يكون ذلك بتدبير من القائد العسكري حور محب الذي تولى العرش المصري في نهاية عصر الأسرة الثامنة عشرة.

وكان لمقتل الأمير الحيثي أثره في نفس والده شوبيلوليوماش، فتحركت وحدات من الجيش الحيثي في حملة إلى العمق، وتشير المصادر الحيثية إلى أن الجنود أثناء عودتهم حملوا معهم وباء قضى على كثير من الناس.

وبعد هذه الحملة أدرك شوبيلو ليوماش الخطر الناجم من تزايد قوة أشور بعد سقوط توشراتا ملك ميتاني فأرسل حملة تمكنت من دخول العاصمة الميتانية واش شوجاني وقد عقد الحيثيون معاهدة مع الملك الميتاني الجديد ودعمت بزواجه من إحدى بنات شوبيلوليوماش.

ولقد كان لهذه الحملات السورية التي وجهت أولاً ضد الميتانيين ثم تطورت ضد المصريين والأشوريين وإلى أي قوات أخرى حاولت أن تقف في وجه الحيثيين، أثرها في إجهاد الخزانة الحيثية، وإذا كان الحيثيون قد أحكموا قبضتهم على سورية، فإنهم دفعوا مقابل ذلك إهمال الشؤون الداخلية من الناحيتين السياسية والدينية. وحينما مات شوبيلو ليوماش ثارت الأقطار المتطرفة، وفي الواقع فقد كانت البلاد حين وفاته في حالة من الفوضى وعدم الإستقرار كما كانت عليه حيثما تسلم عرش البلاد.

---

(١) Noblecourt, C. D., Tutankhamen, London, 1963, PP. 202 - 203.

ولقد مات شوبيلو ليوماش حوالي عام ١٣٤٦ ق. م.، وربما وقع فريسة للوبـاء الذي جـاء في ركاب الجيـوش الحيثية التي عـادت من العمق، وكانت مصر في هذه الفترة مشغولة بأمورها الداخلية في أعقاب ثورة أخناتون الدينية، كما كانت آشور تقوم بإعادة تنظيم نفسها بعد تحررها من الميتانيين[١].

مورشيليش Murshilish

كان مورشيليش هـو الإبن الأصغر لشـوبيلو ليومـاش، وقد تـولى العرش بعد وفاة أخيه الأكبر الذي لم يحكم سوى فترة قصيرة مات بعدها. وفي الوقت الذي اعتلى فيه مورشيليش العرش كان الأشوريون يعدون العـدة للتدخـل في شؤون سورية، وكانت ميتاني تسير في فلك الأشوريين، أما مصر فإنها في هذه الفترة كانت في نهاية الأسرة الثامنة عشرة وفي عهد الفرعون حور محب تحاول إعادة الأمور إلى نصابها بعد الأحداث التي أعقبت ثورة أخناتون الدينية.

ولقـد وجه مـورشيليش عنايتـه وجهـوده في السنـوات العشـر الأولى من حكمـه نحو إعـادة تثبيت قوة الحيثيين، خصـوصـاً في آسيـا الصغـرى، حيث تمكن من إعادة إخضاع جماعات كـاسكا وارزاوا وقضى على مـراكز المقـاومة في جبال أرين نانـدا Arinnanda وبورانـدا Puranda. كما ذهب بنفسـه إلى سورية للقضاء على الثورات هناك، ويحتمل أنه ذهب أيضاً إلى القسم العلوي من بـلاد النهرين، حيث أشـارت بعض نصوص عهـده إلى ما يشيـر إلى إعادة ميتاني إلى سيطرتهم.

وعلى ذلـك فقد استـطاع مورشيليش أن ينـظم إمبراطـوريته وأن يحـافظ على حدودها كما كانت أيام والده فامتدت من لبنان والفرات في الجنـوب إلى مرتفعات بونتي في الشمال ووصلت غرباً إلى آسيا الصغرى.

---

(١) Goetze, A., In C. A. H., vol. II, Part II, P. 19.

وقد مات مورشيليش بعد أن حكم أكثر من إثنين وعشرين عاماً وكان ذلك حوالي عام ١٣٢٠ ق. م، ويرجح أن يكون ذلك على أيام ملك مصر ستي الأول الذي أرسل حملة إلى آسيا، ويحتمل أن تكون هذه الحملة قد وقعت في نهاية عهده أو في الأيام الأولى لحكم ولده مواتاليش[١].

مواتاليش Muwatallish

إن الوثائق المتخلفة من عهد مواتاليش جد قليله، واعتمادنا في معرفة أحداث عهده ينصب على النصوص التي تركها أخوه الأصغر خاتوشيليش وكذلك من النصوص المعاصرة في منطقة الشرق الأدنى القديم وبخاصة مصر.

لقد ورث مواتاليش إمبراطورية وطيدة الدعائم بشبكة من الممالك الموالية، فلم تحدث أي اضطرابات ذات خطر عند بلوغ الملك الجديد العرش، ومع ذلك فقد أرسل قواته إلى العديد من مناطق الأمبراطورية بقيادة أخيه خاتوشيليش. وقد ثبت الأمراء التابعون له في بلدان أرزاوا في مناصبهم، كما عقدت معاهدة جديدة مع الأكساندوس ملك ديلوسا وهو أحد أقاليم أرزاوا[٢].

وعندما أمن مواتاليش هذه الناحية اتجه لمجابهة الخطر القادم من الجنوب، ذلك لأن المارد المصري تحرك أخيراً، فقد طمح ملوك الأسرة التاسعة عشرة إلى إستعادة أقاليم سورية التي سبق أن فتحها تحوتمس الثالث.

وبدأ ذلك في عهد الفرعون ستي الأول (١٣١٨ ـ ١٣٠٤ ق. م) الذي أرسل حملة على سورية صورت مناظرها على الجدار الخارجي لردهة الأعمدة الكبرى من الناحية الشمالية في معابد الكرنك. ووصلت جيوشه حتى قادش

---

(١) Goetze, A., In C. A. H., vol. II, Part II, PP. 120 - 127.

(٢) Gurney, O. R., The Hittites, P. 35.

على نهر العاصي، حيث قاومه الحيثيون بشدة، ولم تصل إلينا تفاصيل هذه الحرب، إلا أن نتائجها على ما يبدو لم تكن حاسمة.

وأدرك الخصمان الكبيران بعد هذا اللقاء بينهما أنه لن يتيسر لأحدهما القضاء على قوة خصمه بسهولة، فتميع الموقف بينهما إلى حين، وربما إنتهيا إلى عقد هدنة بينهما، والواقع أنه لم يعثر على أي أثر يحمل نصوص ذلك الصلح المحتمل، وإنما أشير إليه في المعاهدة التي أبرمت بين رعمسيس الثاني وخاتوشيليش الثاني، حيث قال الملك في معرض الحديث عن مواد الميثاق: «وكذلك الميثاق السابق الذي كان في زمان أبي، فإني سأتمسك بما جاء فيه، وهذا «رعمسيس» حاكم مصر العظيم سيتمسك بذلك معي من هذا اليوم»[1]. ولم يقم الملك ستي بحروب بعد ذلك حتى وفاته.

وظل الملك الحيثي محافظاً على هذه المعاهدة حتى بعد وفاة الملك ستي الأول واعتلاء ابنه رعمسيس الثاني (١٣٠٤ - ١٢٣٧ ق. م) العرش. ولكن سرعان ما لاح في الأفق بعض الأمور التي وترت العلاقات بين البلدين، وأخذت بوادر الصراع تظهر بينهما معلنة عن صدام وشيك الحدوث، وساعد على تطور الأحداث أن الملك رعمسيس الثاني عند اعتلائه العرش كانت حدوده لا تكاد تعدو بيروت شمالاً، فأخذ يعد العدة لإستعادة الأملاك المصرية في آسيا. وفي سبيل ذلك، فقد قام قبل نهاية عام حكمه الرابع بحملة استطلاعية وصل فيها حتى نهر الكلب الذي كان يمثل الحد الفاصل بينه وبين خصومه، حيث أمر بإقامة نصبين على جبل يشرف على أعالي النهر ويطل على البحر، وذلك تحدياً لخصومه الحيثيين، ثم عاد إلى مصر حيث كان الجيش قد أخذ عدته وأصبح على أهبة الاستعداد للدخول في معركة حاسمة مع الحيثيين.

---

(١) Breasted, J. H., Ancient Records of Egypt, vol. IV Chicago, 1907, 311.

وفي الجانب الآخر، فقد قام مواتاليش بتجنيد كل ما استطاع من رجال دولته، وجمع حوله جيوشاً تنتمي - فيما ذكرت المصادر المصرية - إلا ما لا يقل عن عشرين دويلة وجنسية، وقد جاء في ذلك: «ولم يترك بلداً أجنبياً واحداً، دون أن يحضر ذلك البلد البغيد ومعهم رؤسائهم، وكل رجل معه مشاته، وكانت عجلاتهم كثيرة جداً وبدون حصر، وقد غطوا الجبال والوديان بسبب كثرتهم، وكأنهم جراد[1].

وخرج رعمسيس الثاني من مصر في عام حكمه الخامس على رأس جيش بلغ نحو عشرين ألف مقاتل نظموا في أربعة فيالق، اتخذ كل فيلق منها إسم أحد الأرباب المصريين الكبار: آمون، رع، بتاح، ست. وفي ذلك الوقت كانت جيوش الحيثيين وحلفائهم قد اتخذت من مدينة قادش مركزاً لعملياتها الحربية، وذلك نظراً لأهميتها الطبيعية والإستراتيجية.

وتذكر النصوص المصرية الخسائر الفادحة التي منيّ بها الحيثيون وحلفائهم في المعركة، حتى اضطر ملكهم إلى إيفاد مبعوث إلى الملك المصري عارضاً عليه السلم ويستعطفه بعبارات لا تخلو من ألم ومزلة.

ولا تشير النصوص الحيثية إلى طلب ملكهم العفو من رعمسيس الثاني، بل ادعت أنه عندما يئس من تحقيق نصر مؤزر عليهم نزح عنهم[2]. ومهما يكن الأمر فإن النتائج السياسية للمعركة لم تكن في مستوى النصر العسكري، حتى أن الحدود بين الدولتين بقيت في موقعها عند نهر الكلب، كما كانت قبل المعركة.

وظلت حالة الحرب قائمة بين البلدين بعد معركة قادش لمدة خمس عشر عاماً، حيث بدأت تظهر تغيرات محلية ودولية واسعة النطاق، انعكست

---

(١) Gardiner, A. H. ; The Kadesh Inscriptions of Ramesses II, Oxford, 1960, P. 8.

(٢) Goetze, A., «Hittite Historical Texts », In ANET, P. 314.

آثارها بشكل مباشر على القوتين المصرية والحيثية، وكان لها آثارها البعيدة في تاريخ الشرق القديم.

خاتوشيليش Khattushilish

لم يترك خاتوشيليش وريثاً شرعياً يخلفه على العرش، مما أدى إلى حدوث صراع على العرش حسم في النهاية لصالح آخر الملك المدعو خاتوشيل، وحينما تولى العرش كانت العلاقات بينه وبين مصر متوترة، ولكن الظروف الدولية التي استجدت حينذاك دفعته إلى إنتاج سياسة جديدة مع مصر قائمة على الود والتفاهم، وتتمثل هذه الظروف في ظهور دولة أشور على مسرح الأحداث، وذلك في بداية العصر الأشوري الوسيط وتطلعها إلى احتلال مكان من السيادة في سورية، ويضاف إلى ذلك استمرار تدفق هجرات شعوب البحر الآريه على حوض البحر المتوسط، وشواطئه، وكل من الأمرين تخوفته مصر أيضاً وخشيت منهما على اختلال توازن القوى في الشرق، وأصبحت على استعداد لاتخاذ خطوة إيجابية لتدعيم هذا التوازن الجديد.

وتذكر المصادر المصرية أن الملك الحيثي خاتوشيليش أرسل مبعوثين إلى الملك رعمسيس الثاني حيث عرضا عليه مشروع معاهدة تحالف بين مصر وخاتي، فقبلها رعمسيس من حيث المبدأ، وكتب رجاله نصاً آخر، وبعد عدة مفاوضات بين الطرفين وضعت المعاهدة في صيغتها النهائية حيث قام العاهلان المصري والحيثي بالتوقيع عليها وذلك حوالي عام ١٢٧٠ ق. م[١].

وتبدأ المعاهدة بمقدمة وديباجة، ثم بنود المعاهدة والتي يمكن تصنيفها على النحو الآتي:

١ ـ إعلان ميثاق للسلام والإخاء بين مصر وخاتي، وجاء في هذا البند: «إن

---

(١) Wilson, J., «Egyptian Treaty», In ANET, PP. 199 - 201.

خاتوشيليش رئيس خاتي العظيم قد تعاهد مع ماعت رع سبتي رع حاكم مصر العظيم على أنه بدءاً من اليوم يحل السلام والأخوة بيننا إلى الأبد».

٢ ـ الالتزام المتبادل بعدم الإعتداء بين الطرفين.

٣ ـ الإلتزام باحترام المعاهدات السابقة.

٤ ـ الإلتزام بالدفاع المشترك بين البلدين.

٥ ـ الإلتزام بتسليم اللاجئين.

ولقد حققت المعاهدة أغراضها، فساد السلام بين الدولتين، وتبودلت الرسائل الودية بين الملكين، وتوثقت الصلات بعد ذلك بزواج رعمسيس الثاني في العام الرابع والثلاثين من حكمه من ابنة الملك خاتوشيليش.

وقد توفى خاتوشيليش بعد فترة قصيرة من زواج ابنته من ملك مصر، وتولى من بعده ابنه «تود خالياش الرابع» الذي وجه اهتمامه نحو الشؤون الدينية، ويمثل الجزء الأول من حكمه عصر سلام، وتمكن من ضم إقليم أسووا إلى دولته، ولكن لم تلبث أن ساءت الحالة هناك قبل نهاية حكمه، وفي عهد خلفه «أرنو وانداش الثالث» تدهورت الأحوال في غرب هضبة الأناضول، وحدثت تحركات ضخمة من شعوب هذه المناطق حيث تقدمت واجتاحت الأقاليم الواقعة في شرق البحر المتوسط، وتمكنت تلك الهجرات التي تعرف باسم هجرات شعوب البحر في بداية القرن الثاني عشر ق. م من القضاء على الدولة الحيثية، ثم هاجمت وادي النيل، ولكن تمكن الملك رعمسيس الثالث من ردهم عنها بعد الإنتصار عليهم براً وبحراً.

الفهارس



الإختصارات

- Acta. Arch = Acta Archacologica.
- A. J. A. = American Journal of Archaèology .
- A. J. S. L. = American Journal of Semitic Languages and Literatures.
- A. N. E. T. = Ancient Near Eastern Tests Relating to the old testament.
- A. R. E. = Ancient Records of Egypt (by J. H. Breasted. 5 Vols).
- A. S. A. E. = Annales du Service des Antiquites de L'Egypte.
- A. St = Anatolian Studies.
- C. A. H. = Cambridge Ancient History.
- Iranica Antiqva = Iranica Antiqva sous la Directions De R.Ghirshman et L. Vanden Bhrge, Leiden.
- J. C. S. = Journal Of Cunei Form Studies.
- J. E. A. = Journal Of Egyptian Archaeology.

J. N. E. S. = Journal Of Near Eastern Studies.

- J. S. S. = Journal of Semitic Studies.
- J. W. H. = Journal Of World History.
- R. A. = Revue D'Assyriologie et D'Archéologie Orientale.
- R. H. A. = Revue Hittite et asianique.

قَائِمَةُ المَرَاجِع



أولاً ـ المراجع العربية :

ـ أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ إيران القديم وحضارتها، ح ١، إيران منذ أقدم العصور حتى أواسط الألف الثالث قبل الميلاد، بيروت، ١٩٨٨ .

ـ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، القاهرة، ١٩٥٨ .

ـ رشيد الناضوري: المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا، الكتاب الأول، بيروت، ١٩٧٧ .

ـ عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى ٣٢٣ ق. م، القاهرة ١٩٦٦ .

ـ عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، مصر والعراق، القاهرة، ١٩٨٠ .

ـ عبد الكريم عبد الله : «ملامح الوجود السامي في جنوب العراق قبل تأسيس الدولة الأكدية»، مجلة سومر، العدد ٣٠، ١٩٧٤ .

ـ طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٥٦ .

ـ محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت، ١٩٧٩ .

ـ محمد بيومي مهران: مصر والعالم الخارجي في عصر رعمسيس الثالث، (رسالة دكتوراه) الإسكندرية، ١٩٦٩م.

محمد بيومي مهران: حركات التحرير في مصر القديمة، الإسكندرية، ١٩٧٦.
- محمد بيومي مهران: أخناتون، عصره ودعوته، الإسكندرية، ١٩٧٩ م.
- محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ ٢، الكتاب الثاني، التاريخ، الإسكندرية، ١٩٨٤ م.
- محمد عبد اللطيف محمد علي: تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث ق. م، الإسكندرية، ١٩٧٧م.
- محمد عبد اللطيف محمد علي: المراكز التجارية الأشورية في وسط آسيا الصغرى في العصر الأشوري القديم، الإسكندرية، ١٩٨٤ م.
- نجيب ميخائيل إبراهيم: مصر والشرق الأدنى القديم، جـ ٥، الشرق الأدنى القديم، القاهرة، ١٩٦٣ م.

ثانياً ـ المراجع المترجمة:

- أ ـ جرني، الحيثيون، ترجمة محمد عبد القادر، ومراجعة فيصل الوائلي، القاهرة، ١٩٦٣.
- دونالد ولبر: إيران، ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين، مراجعة وتقديم أمين الشواربي، القاهرة، ١٩٥٨ م.
- صموئيل كرامر: من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، القاهرة، ١٩٥٧ م.
- ول ديورانت: قصة الحضارة، الجزء الثاني من المجلد الأول، الشرق الأدنى، ترجمة محمد بدران، القاهرة، ١٩٦١ م.

ثالثاً - المراجع الأجنبية :

- Abu Al - Soof. B., (A Note on the Question of Painted Jamdat Nasr Potterty» In Sumer, Vol, 23 (1967).

- Albright, W. F., and Lambdin , T. O., «The Indohitite Family», In C. A. H., Vol. I, Part I.

- Balkan, K., Letter Of King Anum - Hirbi Of Mama To King Warshama of Kanish, Ankara, 1957.

- Blegen, C. W., «The Geographical Distribution Of Prehistoric Remains in Greece» In A. J. A., Vol. 32 (1928).

- Bordaz, J., «Suberde. Excavations», In A. St., 15 (1965).

- Bostanci, Enver, Y., «Researches on the Mediterranean Coast of Anatolia, A New Palaeolithic Site at Beldibi neat Antalya», In Anatolia, Vol. 9 (1959).

- Bottero, J., «Syria Before 2200 B. C.,» In C. A. H., Vol 1, Part II, Cambridge, 1971.
- Bottero, J., «Syria at the Time of the Kings Of Agade» In C. A. H., Vol. I, Part II, Cambridge, 1971.
- Braidui Wood, R., and Howe, B., Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan», In Oriental Institute of the University of Chicago, Series in Ancient Oriental Civilization, Chicago, 1960.
- Breasted, J. H., Ancient Records of Egypt, Vol IV, Chicago, 1907.
- Childe, C., Nes Light on the most Ancient East, London, 1964.
- Contenau, G., Ghirsh, Man R. Fouilles du Tepe - Gigan, Pres de Neha Vend (1931 et 1932), Paris, 1945.
- Cornelius, F., «Geographie des Hetiterreiche In Or. N. S. 27 (1958).
- Graw Ford, V. E., Sumerian Economic texts From the First Dynasty of Isin, New Haven, 1954.
- Dabbagh, T., «Halaf Pottery» In Symer, Vol. 22 (1966).
- Dicks, B., The Ancient Persians, How They Lived and Wor Ked, London, 1979.
- Feigin. S. L., and Landsberger. B., «The Date - List of the Babylonian king Samsuditana». In J. N. E. S., Vol 14(1955).
- Frankfort, H., Archaeology and the sumerian problem. Chicago. 1932.
- Frankfort. H., the Brith of Civilization in the Near East. London. 1951.

- Frankfort. H., «The Last Predynastic Period in Babylonia» In C. A. H., Vol. 1. Part II. Cambridge. 1971.
- Furness, A., «SO me early pottery of samos, Kalimmos, and chios», In. P. P. S, Vol - 22 (1956).
- Gadd, C. J., «The Dynasty of Agade and the Gutian Invastion», In C. A. H., Vol. 1, Part 11, Cambridge, 1971.
- Gadd, C. J., «Babyloniac 2120 - 1800 B. C.» In C. A. H., Vol. 1, Part II. Cambridge, 1971.
- Gadd, C. J., «Hammurabi and the end of his dynasty». In C. A. H.,, Vol. II, Part 1, Cambridge, 1973.
- Gardiner, A. H., The Kadesh Inscripitions of Ramesses II, Oxford, 1960.
- Garrod, D. A. E., «Primitive Man in Egypt, Western Asia and Europe in Palaeolithic Times, In C. A. H., Vol I, Part I.
- Garstang, J., and Gurney, O. R., The Geography of the Hittite Empire, London, 1959.
- Ghirshman, R, Fouilles de Sialk, Vol. I. Paris, 1938.
- Ghirshman, R., Perse, Proto - Iraniens, Medes, Achemenides, Paris, 1963.
- Ghirshman, R., Iran From the Earliest Times to the Islamic Conquest, Translates From French by Margard Mumrankin, (Pelican Books), London, 1978.
- Goetze, A., «cilicians», In J. C. S, 16 (1962).
- Goetze, A. «Anatolia From Shuppiluliumash to the Egyptian War of Muwatallish» In C. A. H., Vol. II. Part II. Cambridge, 1980.

- Goetze, A., «The Struggle For The Domination of Syria», (1400 - 1300 B. C., In C. A. H., Vol. II, Part II.

- Gray, G. B., «The Foundation and Extention of the Persian Empire» In C. A. H., Vol. IV, Cambridge, 1964.

- Gurney, O. R., Anatolia C. 1750 - 1600 B. C», In C. A. H., Vol. II, Part I.

- Gurney, O. R., The Hittites, (penguin Books), 1981.

- Güterbock, H. G., «The HUrrian Element in the Hittite Empire», In J. W. H., Vol. 2 (1959).

- güterbock, H. G., » The Deeds Of Suppiluliuma as told by his son mursili II», In J. C. S., 10 (1956).

- Guterbock, H. G., «Mursulies Flccounts of Suppiluliuma's dealing with Egypt», In R. H. A., 18, 1960.

- Guterbock, H. G., «The Orth - central area of Hittite Anatolia, In J. N. E. S., Vol. 20 (1961).

- Herz Feld, E., Iran in the Ancient East, Oxford, 1941.

- Hinz, W., «Persia C. 2400 - 1800 B. C» In C. A. H., Vol. 1, Part II, Cambridge, 1971.

- Hole, F., Flanner, K. V., «Excavations at Ali Kosh, Iran, 1961» in Iranica Antiqua, Vol, 11 (1962).

- Hole, F, Flannery, K. Neely, J., «Early Agrculture and Animal husba Ndry in Deh Luran, Iran», In Current Anthropology, Vol. 6. No, 1, Febřuaky, 1965.

- Huot, J, L., Persia, I, From the Origins to Achaemenids, Translated From the French By. H. S. B. Harrison, London, 1970.

- Kansu, S. A., Nouvelles decouvertes prehistoriques dans les environs d'Ankara, Istanbul, 1937.

- Kansu, S. A., «Stone - age Cultures in Turkey», In A. J. A., Vol 51 (1917).

- King, L. W., Chronicles conerning Early Babylonian Kings, Vol, 11, London, 1907.

- Kundtzon, J. A., Die El - Amarna Tafeln, Leipz 19, 1915.

Kozay, H, Z., Les Fouilles d'Alaca Huyuk, Ankara, 1951.

- Kramer, S. N., «New Lights on the Early History of the Ancient East» In A. J. A., Vol. 52 (1948).

- Kramer, S. N., The Sumerians, Chicago, and London, 1970.

- Kramer, S. N., «The Death of Gilgamesh» In ANET.

- Kramer, S. N., «The Curse of Agade» In ANET.

- Kupper, J. R., Les Nomades en Mesopotamia au temps des Rois de Mari, Paris, 1957.

- Langdon, S, H., «Sumerian Origins and Racial Characteristics» In Archaeologia, 70 (1920).

- Laroche, E., «Catalogue des textes hittites», In R. H. A., XIV. 58 - 162 (1956 - 1958).

- Lee mans, W. F., The Old - Babylonian Merchant, Leiden, 1950.

- Le Grain, L., Business Documents of the Third Dynasty of Ur, London and Philadelphia, 1947.

- Lolyd, S., and Safar, F., «Tell Hassuna, Excavations by the

Iraq Governement Directorate General of Antiquities in 1943 and 1944» in J. N. E. S., Vol. 4, (oct, 1945).

- Lolyd, S., «Urk Pottery, Acomparative Studyin Relation to Recent Finds at Eridu» In Sumer, Vol. 4 (1948).

- Mallowan, M., «The Development of Cities From Al - Ubaid to End of Urk 5», In C. A. H., Vol. 1. Part I, Cambridge, 1970.

- Mc Cown, D. E., The Comparative Stratigraphy of Early Iran Chicago - 1942.

- Mayer, L. H., and Garstang, T., Index of the Hittite Names, British School Of Archaelogy in Jerasale m, Supplementary Papers, No. 1. London, 1923.

- Mellaart, J., «Preliminary Report on a survey of pre - Classical Remains in Southern Turkey», In A. St. A (1959).

- Mellart, J., «The Royal Treasure of Dorak», In I 11, Ldn News, 28 Nov. 1959.

- Mellaart, J., «Early Chalcolithic Pottery From Catal Huyuk», In A. St, 11 (1961).

- Mellaart, J., «Early Cultures Of the South Anatolian Plateau», In A. St, 11 (1961).

- Mellaart, J., «Excavations at Hacilar: Fourth Premeliminary Report» In F 1. St, 11 (1961).

- Mellaart, J., «Excavocations at catal Huyuk», In F 1. St Vol. 12. 1 (1962), Vol. 13 (1963), Vol. 14 (1964), Vol. 16 (1966).

- Mellaart, J., Earliest Civilization Of The Near East, London, 1965.

- Noblecourt, C. D., TUtankhamen, London, 1963.

- Oates, J., «Ur and Eridu», In Iraq, Vol. 26 (1960).
- Oppenheim, A. L., «Sargon of Agade» In ANET.
- Oppenheim, A. L., «Gudea, Ensi of Lagsh». In ANET.
- Oppenheim, A. L., «Naram sin In The Cedar Moutain», In ANET.
- Özgüc, T., «The dagger of Anitta », In Belleten, XX 177, (1956).
- Pritchard, J. B., Ancient Near Eastern Texts relating ta the old testament, Princeton, 1971.
- Saggs, H. W. F., The Greatness That Was Babylon, London, 1962.
- Schmidt, E. F., Excavations at tape Hissar Damghan, Philadelphia, 1937.
- Smith, S., Early History of Assyria to 1000 B. C., London, 1928.
- Smith, S. M. A., «The Foundation of the Assyrian Empire » In C. A. H., Vol. III, Cambridge, 1965.
- Smith. S. M. A. «The Supremacy of Assyria», In C. A. H., III, Cambridge, 1965.
- Smith, S. M. A., «Sennacherib and Esarhaddon» In C. A. H., Vol, III. Cambridge. 1965.
- Smithe. S. M. A., « Ashurbanipal and the Fall of Assyria», In C. A. H., Vol. III, Cambridge. 1965.
- Smith, W. S., The art and Architecture of Ancient Egypt, Harmonds worth, 1965.
- Solecki, R. S., «Shanidar Cave, a Pataeolithic Site» In Summer, Vol. 8, (1952).
- Solecki, R. S., «Shanidar cave, a Palaeolithic Site In Northen Iraq

and its Relationship to the Stone Age Sequences of Iraq» In Sumer, Vol. 11, (1955).

- Speiser, E. A., «The Sumerian Problem Review ed» In Hebrew Union college Annual, XXIII, (1950 - 1951).
- Speiser, E. A., «The Legend of Sargon», In ANET.
- Thompson, R. C., «Decay and Fall of Babylonia Under Nabonidus», In C. A. H., Vol. III, Cambridge, 1965.
- Thompson, R. C., «The New Babylonia Empire» In C. A. H., Vol. III, Cambridge, 1965.
- Turneau - Dangin, F., «Lnscription Bilingue B de Samsu - Illuna» In R. A., 39 (1942 - 1944).
- Tobler, A. J., Excuvations at tepe Gawana II, Philadelphia, 1950.
- Vercoutter, J., In The Near East, The Early Civilizations, London, 1967.
- Wilson, J., «Egyptian Treaty», In ANET.
- Wiseman, D. J., «The Laws of Hammurabi Again», In J. S. S., Vol. 7 (1962).
- Wooley, L., Excavations at Ur, London, 1963.
- Wright, H. E., and Howe, B., «Preliminary Report on Soundings at Barda Balka» In Sumer, Vol, 7 (1951).
- Wulsin, F. R., «Excavations at tureng tepe, Near Asterabad», In Bulletin American Institute For Persian Art and Archaeology, II, 1 Bis, Supplement, 1935.

قائمة الأشكال

قائمة الخرائط

المحتويات

الباب الأول

«تاريخ العراق القديم»

الباب الثاني

«تاريخ إيران القديم»

الباب الثالث

«آسيا الصغرى»



